أمين سعيد

الثورة العربية الكبرى

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر

الثورة العربية الكبرى

تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن

تأليف

أمين سعيد

المجلد الثاني

النضال بين العرب والفرنسويين والانكليز

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر

لأصحابها
عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر
صندوق بريد الغورية رقم ٢٦
بجوار سيدنا الحسين
تليفون ٥٨٠٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على نبيه العربى وعلى اخوانه المرسلين وصحابته والتابعين

أما بعد فهذا هو المجلد الثانى من كتاب « الثورة العربية الكبرى » ويشتمل على الحلقة الثانية من تاريخ القضية العربية وهى تاريخ الحكومة الفيصلية من قيامها حتى سقوطها مع تاريخ القضية العراقية من ابتداء الحرب العظمى حتى انشاء الدولة الجديدة فى بغداد سنة ١٩٢١ ـ أقدمه للقراء وأرجو أن ينال قبولهم ورضاءهم والله الموفق والمستعان

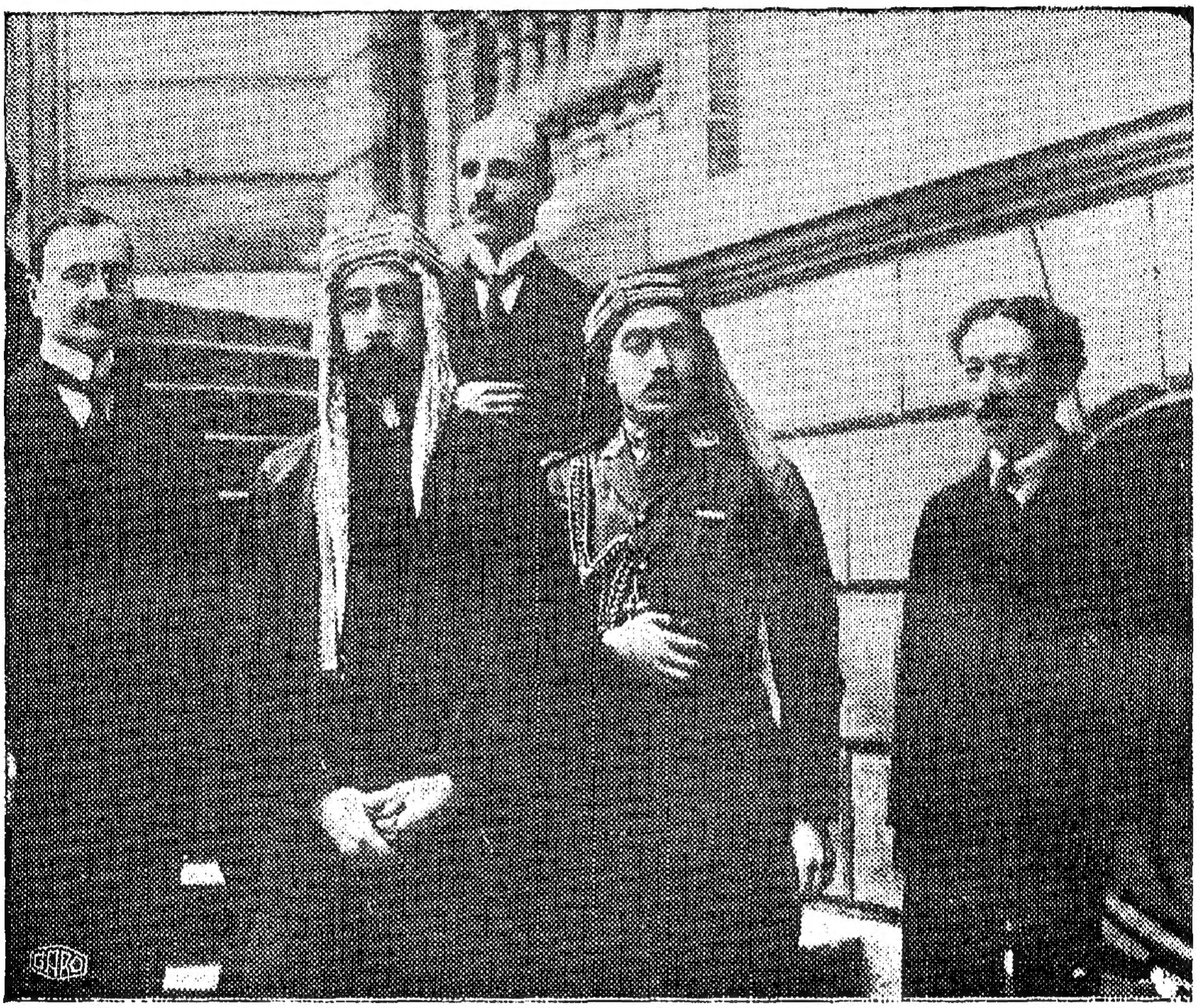
ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم

بقلم الكاتب الشرقى الكبير

الاستاذ أمين سعيد

أول كتاب فى بابه باللغة العربية

جامع لسيرة ٢٠ ملكا وأميراً من ملوك الشرق وأمرائه ، ومزين بصورهم، وفيه بيان عن أحوال كل منهم ومعيشته اليومية ، ونشأته وعلومه وتاريخ بلاده السياسى . وفى الكتاب ١٥٠ وثيقة ومعاهدة سياسية ، وبيان مفصل عن القضية المصرية والسورية ، والثورات التركيـة والعربية والايرانية والمغربية والأفغانية وغيرها



الوفد العربى الى مؤتمر الصلح

فى الوسط الامير فيصل والى يمينه الدكتور احمد قدرى مستشار الوفد ووراؤه رستم حيدر العضو فى الوفد والى يساره تحسين قدرى مرافقه العسكرى والى جانبه عونى عبد الهادى سكرتير الوفد

١

الدولة الفيصلية فى الشام

١

كيف تأسست الدولة الفيصلية

خطبة الأمير فيصل فى حلب

ترجل الأمير فيصل من سيارته حينما بلغ ضاحية دمشق يوم ٢ اكتوبر سنة ١٩١٨ قادما من الازرق وكان أعيان الشام وعلماؤها و رجالها قد خرجوا لاستقباله ، فركب جوادا عربيا كريما وسار فى موكب حافل يحيط به ١٥٠٠ فارس من رجاله وحاشيته و بأيديهم السيوف والرماح فاخترق دمشق من الجنوب حتى الشمال ومشى بين صفوف أبنائها الذين هرعوا لاستقباله ونثروا الزهور والرياحين على موكبه واستقر فى منزل محمود بك البارودى وانصرف على الفور الى انشاء الحكومة الجديدة .

وفى يوم ٥ اكتوبر سنة ١٩١٨ أذاع البلاغ الرسمى الآتى :

الى أهالى سوريا المحترمين

أشكر جميع السوريين على ما أبدوه من العطف والمحبة وحسن القبول لجيوشنا المنصورة والمسارعة للبيعة باسم مولانا السلطان أمير المؤمنين الشريف حسين نصره الله ثم أبلغهم المواد الآتية :

١ ــ تشكلت فى سورية حكومة دستورية عربية مستقلة استقلالا مطلقا لاشائبة فيه باسم مولانا السلطان حسين شاملة جميع البلاد السورية

٢ ــ قد عهدت الى السيد رضا باشا الركابى بالقيادة العامة للحكومة المذكورة نظرا لثقتى باقتداره ولياقته

٣ ــ تتالف ادارة عرفية لرؤية المواد التى يحيلها القائد اليها . بناء عليه أرجو من الأهالى الكرام المحافظة على الهدوء والسكون والطاعة للحكومة الجديدة والانقياد لأوامرها والاصغاء لتبليغاتها . وأبلغكم بانى سأكون تجاه جميع الأفراد المنضوين تحت لواء الحكومة العربية كاب شفوق كما انى سأكون شديد العقاب على من يجرأ على مخالفة أوامرها

والعبث بقوانينها وايقاع العراقيل فى سبيل رقيها وسيرها . ولذلك فانى آمل من أهالى سورية الذين برهنوا على محبتهم لنا بترحيبهم بنا أن يكونوا مثالا حسنا للطاعة والسكون حتى يثبتوا للعالم أجمع أنهم أمة لائقة للاستقلال قادرة على ادارة شؤونها بنفسها . وليعلم جميع الناس أن حكومتنا العربية قد تأسست على قاعدة العدالة والمساواة فهى تنظر الى جميع الناطقين بالضاد على اختلاف مذاهبهم وأديانهم نظرا واحدا لاتفرق فى الحقوق بين المسلم والمسيحى والموسوى فهى تسعى بكل مالديها من الوسائل لتحكيم دعائم هـذه الدولة التى قامت باسم العرب وتستهدف اعلاء شأنهم وتأسيس مركز سياسى لهم بين الأمم الراقية

والله نسأل أن يوفقنا جميعا الى مافيه خير العرب واعلاء كلمتهم والسلام

فى ٢٧ ذى الحجة سنة ١٣٣٦ الشريف فيصل

وعلى هذا المنوال وضعت قواعد الحكومة الجديدة فى بلاد الشام برئاسة الأمير فيصل نفسه وتسلم رضا باشا الركابى زمام الادارة ولقب بلقب الحاكم العسكرى العام

الأعمال العسكرية فى الشمال

ولما كانت المهمة العسكرية للجيش العربى لم تنته بدخول دمشق وكان لا بد له من تحرير الأجزاء الباقية من سورية الشمالية ومطاردة الجيش التركى فقد غادر لواء الهجانة دمشق يوم ١١ منه بقيادة على جودت الأيوبى مع سرية الشريف ناصر فدخلوا حمص يوم ١٤ منه بين هتاف الأهالى وتصفيقهم ثم تقدموا الى حماه فدخلوها يوم ١٩ منه بعد ماجلا عنها الترك وفى يوم ٢٠ منه زحفت هـذه القوات ـ وقد تخلف على جودت فى حماه لمرضه فحل محله فى القيادة على رضا العسكرى ـ قاصدة حلب فأدركت خيالة الانكليز فى معرة النعمان ملتحمة مع ساقة الجيش التركى فاشتركت فى القتال فانسحب الترك الى خان السبيل وتحصنوا فى خط دفاع أنشأه مصطفى كمال باشا رئيس الجمهورية التركية اليوم بعد ماعهدت اليه وزارة الحربية التركية بالقيادة العليا فى بلاد العرب فحل محل المشير ليمان فون ساندرس

واشتبك العرب والترك يوم ٢٥ منه فى خان السبيل فلم يستطع هؤلاء المقاومة فارتدوا الى شمالى حلب ووصل فى تلك الأثناء نورى السعيد فتولى القيادة العامة للقوات العربية التى دخلت حلب فى الليل . وفى صباح ٢٦ منه بدأ بمطاردة الترك حتى محطة المسلمية ثم تلقى

أمرا بالعودة الى حلب فعاد اليها وفي يوم ٢٧ منه لواء بريطاني من غربي حلب لطاردة ساقة الترك فدار قتال بين الفريقين قتل فيه قائد اللواء . وفي يوم ٣٠ منه عقدت الهدنة بين الترك والحلفاء ووضعت الحرب أوزارها

وانصرف نوري السعيد بالاشتراك مع الشريف ناصر الى انشاء حكومة جديدة فعين على رضا العسكري حاكما عسكريا على حلب ثم أبدل بشكري باشا الايوبي

الامير فيصل في حلب

وفي أوائل شهر نوفمبر سنة ١٩١٨ غادر الأمير ومعه عدد كبير من رجال الشام دمشق للقيام بجولة في الأنحاء الشمالية وبعد مازار حمص وحماه دخل حلب باحتفال حافل يوم ٦ منه فأقيمت لتكريمه حفلة كبيرة في نادي العرب يوم ١١ منه فخطب خطبة ضافية بسط فيها أغراض الثورة والعوامل التي عملت في تكوينها وقد اخترنا نشرها لخطورة شأنها ولأنها أول خطبة سياسية له قال :

لاشك أنكم أيها السادة ترومون منا أعمالا مهمة وبما ان حلب هي في أقاصي بلاد العرب لم يتصل بأهلها ماوقع بيننا وبين الاتراك وما سبب قيامنا ضدهم لان الاتراك كانوا يشيعون للملأ أجمع أن الأشراف اتفقوا مع الغربيين على بيع البلاد لقاء دريهمات وسعوا لاخراج فتاوى ضدنا نشروها للعامة وقد يوجد بين بسطاء العقل من غش بزعم الأتراك وضلالاتهم

نشأ الدين الاسلامي بقدرة الله تعالى ونشر بواسطة محمد ﷺ النبي العظيم الذي تنتسب اليه أسرتنا فلا يتصور أن أناسا منسوبين لمحمد النبي الكريم يبيعون أو يخونون ماوضعه جدهم لان مصلحة الأمم الاسلامية لها علاقة كبيرة بهذا الشأن

نحن لم نقم الا لنصرة الحق واغاثة المظلوم . ساد الترك ٦٠٠ سنة هدموا في خلالها صرح مجد أقامه أجدادنا ومن ذلك الحين أطفئت نار العرب ولكن لم تطفأ لان العرب عاشوا قرونا وأعواما ولم يتسن البقاء لأمة من الأمم غير العرب وانما كانت تنتهز الفرص وتظهر عند ماترى الوقت المناسب

نمنا ٦٠٠ سنة ولكن لم نمت بل انتظرنا الظرف المساعد على النهوض والخروج الى ساحة العمل لتمكين وتشييد مجدنا

عند ما أعلن الاتراك النفير العام أتوا بأعمال تتبرأ منها الانسانية ولا لزوم لتعدادها وكانت العرب تنادى وتطالب الاتراك بحقوقها وهذه اغتنمت الفرصة التى مكنتها من الانتقام من العرب

رأى والدى ان حكومة الترك ليست بدولة تعمل لاحياء دين أو عمل عام ينفع البلاد ولكنها أعلنت جهادها بالاتفاق مع المانيا لمجرد الانتقام من العناصر الخاضعة لها ومنها العرب وتبين له أن مبادءها غير مبادىء الحق فاتفق مع الحلفاء بعد الاتكال على قوة الله لعلمه أنهم ينصرون الضعيف و يساعدون على إعادة حقوق الأمم المحكومة وتساعد و إياهم على إزاحة الاتراك واستخلاص ما اغتصبوه منا نحن العرب.

باسم العرب حالف والدى الحكومات الغربية وقام معهم ضد المانيا وتركيا كتفا الى كتف لا كما زعم الاتراك من ان قيامنا كان نتيجة مطامع شخصية

فأنا باسم كافة العرب أخبر اخوانى أهل الشهباء ان للحكومات الغربية وخصوصا انكلترا وفرنسا اليد البيضاء فى مساعدتنا وشد أزرنا ولا تنسى العرب ما دامت موجودة على وجه البسيطة فضل معاونتهم

نحن اليوم ندعى الحرية والاستقلال فهذه أقوال اذ لم نعمل شيئا حتى الآن سوى طرد الاتراك من بلادنا وهذا محتم عليهم لان القدرة الآلهية تأبى أن تتركهم بدون مجازاة لما أتوه من فضائح الأعمال

بقيت علينا وظائف مهمة جداً وهى تأسيس ملك وحكومة نفتخر بهما أمام العالم أجمع ان الأمم الغربية قد ساعدتنا وستساعدنا معنى وانى لأتلو عليكم برقية وردت لى منذ ثلاثة أيام تبين لكم احساسات الدول الغربية نحونا ليفهم جميع المواطنين أننا لم نبع البلاد وان نبيعها أبدا وهى :

نص تصريح ٨ نوفمبر سنة ١٩١٨

« ان السبب الذى من أجله حاربت فرنسا وانكلترا فى الشرق تلك الحرب التى اهاجتها مطامع الالمان انما هو لتحرير الشعوب التى رزحت أجيالا طوالا تحت مظالم الترك تحريرا تاما نهائيا واقامة حكومات وادارات وطنية تستمد سلطتها من اختيار الاهالى الوطنيين

لها اختيارا حرا ولقد أجمعت فرنسا وانكلترا على ان تؤيد ذلك بأن تشجعا وتعينا على اقامة هذه الحكومات والادارات الوطنية فى سورية والعراق — المنطقتين اللتين أتم الحلفاء تحريرهما وفى الاراضى التى مازالوا يجاهدون فى تحريرها وأن تساعدا هذه الهيئات وتعترفا بها عندما تؤسس فعلا — وليس من غرض لفرنسا وانكلترا أن تنزلا أهالى هذه المناطق على الحكم الذى تريدانه ولكن همهما الوحيد أن يتحقق بمعونتهما ومساعدتهما المفيدة عمل هذه الحكومات والادارات التى يختارها الأهلون من ذات أنفسهم وأن تضمنا لهم عدلا منزها يساوى بين الجميع ويسهل عليهم ترقية الأمور الاقتصادية فى البلاد باحياء مواهب الأهالى الوطنيين وتشجيعهم على نشر العلم ووضع حد للخلاف القديم الذى قضت به السياسة التركية — تلك هى الأغراض التى ترمى اليها الحكومتان المتحالفتان فى هذه الأقطار المحررة »

لاشك فى أن هذه البرقية من المستندات التاريخية العظيمة وانها تنبىء عن شعور عال وحسيات انسانية لا يقوم العرب باداء واجب الشكر عليها الا بتحقيق أمانى هذه الدول وهى تشكيل وتنظيم حكومة عادلة قوية تحفظ حقوق جميع أهل البلاد

اننا اليوم فى موقف حرج ، الأمم المتمدنة وحلفاؤنا ينظرون الينا بنظر الاعجاب والتقدير وأعداؤنا يرموننا بعين النقد . خرج الأتراك من بلادنا ونحن الآن كالطفل الصغير لا حكومة ولا جند ولا معارف والسواد الأعظم من الشعب لايفقه معنى الوطنية والحرية ولا ماهو الاستقلال حتى ولا ذرة من كل هذه الأمور ، ذلك نتيجة ضغط الأتراك على عقول وأفكار الأمة لذا يجب أن نفهم هؤلاء الناس قدر نعمة الاستقلال ونسعى ان كنا أبناء أجدادنا لنشر لواء العلم لان الأمم لاتعيش الا بالعلم والنظام والمساواة وبذلك نحقق آمال حلفائنا

أنا عربى وليس لى فضل على عربى ولو بمثقال ذرة انى أوفيت واجبى الحربى كما أوفى والدى واجبه السياسى فانه تحالف وتعاهد مع أمم متمدنة أوفت بعهودها ولا تزال تساعدنا على تشكيل حكومة منتظمة فعلينا ابراز هذه الأمنية الى حيز الوجود بكمال الحزم والعزم لأن البلاد لا يمكنها أن تعيش بحالة فوضى أى بلا حكومة وهذا واجب ذمة الأمة

وأهل البلاد ونبرأ الى الله مما يحصل لهذه البلاد بعد اليوم . أنا ومن معي سيف مسلول بيد العرب يضربون به من يريدون

أحض اخواني العرب على اختلاف مذاهبهم بالتمسك باهداب الوحدة والاتفاق ونشر العلوم وتشكيل حكومة نبيض بها وجوهنا لاننا اذا فعلنا كما فعل الاتراك نخرج من البلاد كما خرجوا لاسمح الله وان فعلنا مايقضى به الواجب يسجل التاريخ أعمالنا بمداد الفخر . انني أقل الناس قدراً وأدناهم علما لا مزية لي إلا الاخلاص

انني أكرر ماقلته في جميع مواقفي بان العرب هم عرب قبل موسى وعيسى ومحمد وان الديانات تأمر في الأرض باتباع الحق والاخوة وعليه فمن يسعى لايقاع الشقاق بين المسلم والمسيحي والموسوي فما هو بعربي

اننا عرب قبل كل شئ وأنا أقسم لكم بشرفي وشرف عائلتي وبكل مقدس ومحترم عندي بانه لا تأخذني في الحق لومة لائم ولا أحجم عن مجازاة من يتجرأ على ذلك فلا أعتبر الرجل رجلا إلا اذا كان خادما لهذه التربة

عندنا والحمد لله رجال أكفاء كثيرون ولكنهم مقيمون خارج الديار وفي بلاد الاتراك وسيأتون قريبا ان شاء الله فيصلحون الخلل الموجود هنا ولا يجدر أن نتقاعس عن العمل ريثما يأتون فما لا يدرك كله لا يترك كله ويلزم علينا أن نبتدئ بدون أن ننظر للمرء من حيث شرف عائلته وخصوصيته بل ننظر الى الرجل الكفء شريفا كان أو وضيعا اذ لا شرف إلا بالعلم . الانسان يخطئ فاذا أخطأت سامحوني وبينوا لي مواطن خطائي

بما أن أغلب الأفراد يجهلون قدر نعمة الاستقلال كما بينت لكم فلا يبعد أن يحصل في بعض المحلات مايخل بالأمن فالحكومة مجبورة على تطبيق معاملاتها على القانون العسكري العرفي مدة الحرب ريثما يتم تشكيل حكومة منتظمة

أرجو اخواني أهل البلاد أن ينظروا الى الحكومة نظر الولد البار للوالد الشفوق ويساعدوها جهد طاقتهم ويعلموا أن الحكومة مشرفة على أعمال الأفراد والموظفين .

ان الحكومة في طورها الجديد بحاجة لايجاد قوة تحفظ كيانها فكل من يعبث بأوامرها ويخل بمقرراتها يستهدف ليدها القوية ولأجل حفظ الاستقلال ليس إلا أدعو

أهل البلاد للاهتمام الزائد بتكوين حكومة ثابتة الأركان متينة الجانب

الدرك والشرطة هما قوام البلاد وبدونهما لا تنتظم أحوال الحكومات إلذلك أطلب من الجميع وخصوصا الشبان أن ينتظموا بهما وان لايتأخر أحدهم عن خدمة وطنه و بلاده بدون نظر لموقعه العائلى

فان الشرطة وظيفة شريفة عالية وان الانسان يتولى كل عمل فى داخليته و بيته حتى تجد رب البيت يكنس داره بيده ولا يرى بها استخفافا

وستكون القوانين السابقة مرعية الاجراء الى أن يتم سن القوانين من قبل المجلس الأعلى أى مجلس الأمة

الحكومة الحاضرة تحفظ الأمن والنظام ريثما تتعين هيئات الحكومة الجديدة

العرب أمم وشعوب مختلفة باختلاف الاقليم فالحلبي ليس كالحجازى والشامى ليس كاليمانى ولذا قد قرر والدى أن يجعل البلاد مناطق يطبق عليها قوانين خاصة بنسبة أطوار وأحوال أهلها فالبلاد الداخلية يكون لها قوانين ملائمة لموقعها والبلاد الساحلية أيضا يكون لها قوانين طبق رغائب أهلها

كان من الواجب علينا أن نبتدئ أولا بجمع الهيئة التى تسن هذه القوانين ولكن العرب الذين هم فى البلاد الخارجية هم أعلم منا بالقوانين الاكثر ملاءمة للبلاد ولذلك نرجئ هذا الأمر الى وقت اجتماع هؤلاء وفى أقرب وقت يصلون ان شاء الله ان الذين استدعيتهم من الخارج رجال قديرون على وضع قوانين صالحة ملائمة لروح البلاد وطبائع أهلها وسيكون اجتماعهم فى دمشق أو غيرها من البلاد العربية لعقد مؤتمرهم وسأنظر باعجل وقت بشؤون الاوقاف والكنائس ورد حقوقها المغصوبة من قبل الاتراك وأعطى كل ذى حق حقه

وأطلب من اخوانى أن يعتبرونى كخادم للبلاد انكم قد أعطيتمونى البيعة بمنتهى الاخلاص والرضاء فاقابلها بالقسم العظيم انى لا أفتر عن نصرة الحق ورد الظلم وكل مايرفع شأن العرب وأرغب الى الأهالى أن يؤازرونى بالعمل فى خدمة الجامعة الى أن يلتئم مجلس الامة فاقول حينئذ هذه بضاعتكم ردت اليكم.

ان حلب خالية من المدارس فأتمنى لها مستقبلا علميا باهراً كما كانت عليه بالتاريخ وأرجو أخيراً صرف الهمة والنشاط لامرين مهمين : (١) حفظ النظام العام (٢) ترقية المعارف ، فوالله لا يمتاز أحد عندي إلا بفضله وعرفانه

عند مروري من حماه استنهضت همة الاهالي بكلمات وجيزة للعناية بالعلم وافتتاح المدارس وبجلسة واحدة تبرع بضعة أشخاص باربعة آلاف جنيه ووعد الآخرون بابلاغها حتى ١٢ ألف جنيه وسأستدعي حضرات الاهالي بحفلة خاصة للعناية بهذا المشروع الهام — مشروع العلم روح البلاد . نسأل الله تعالى أن يوفقنا لخدمة البلاد ونفع العباد ويمتع الامة بالحياة الرغيدة والسلام

٢

التقسيم الادارى الجديد

كان الاميرالاى بهجت بك وكيل ولاية سورية آخر من غادر دمشق ظهر يوم الاثنين ٣٠ سبتمبر من ولاة الامور العسكريين والملكيين الترك فقد اجتمع قبيل سفره بشكرى باشا الايوبى وسلمه المدينة فذهب هذا لفوره الى سجن القلعة ففتح أبوابه وأخرج المسجونين وعددهم أربعة آلاف تقريبا باسم جلالة الملك حسين وتألفت فى دمشق على الاثر حكومة موقتة برئاسة الامير سعيد الجزائرى قوامها شكرى باشا وفارس الخورى وبديع المؤيد وغيرهم

وفى يوم أول أكتوبر أرسل الامير سعيد الى المدن السورية برقية هذا نصها :

بناء على انسحاب الحكومة التركية فقد تأسست الحكومة العربية الهاشمية على دعائم الشرف طمئنوا العموم وأعلنوا ان الحكومة باسم الحكومة العربية

فتألفت على الاثر حكومة عربية فى بيروت برئاسة عمر الداعوق رئيس البلدية وأذاعت المنشور الآتى :

١ ــ على الأهلين والموظفين ورجال الدرك والشرطة متابعة أشغالهم ووظائفهم بتمام السكينة والهدوء وبكل نشاط واستقامة ويتحتم على الأهلين أن لا يتداخلوا فيما لا يعنيهم وأن لا يتعدى بعضهم على بعض

٢ ــ ممنوع قطعيا حمل السلاح والخروج الى الطرقات ليلا بعد الساعة الثانية بعد الغروب

٣ ــ اذا حدث تعد على أحد فعليه حالا أن يخبر أقرب مخفر للبوليس

٤ ــ اذا وقعت أقل مغدورية أو مخالفة أو تماهل بالوظيفة على الأهالى من قبل أى كان فعليه اعلامى حالا

٥ ــ كل من يتجرأ على مخالفة هذه الأوامر يجازى أشد الجزاء بلا شفقة ولا رحمة

وكل من يتجاسر على سلب الأمن العام يحاكم على الفور و يعدم شنقا أو رميا بالرصاص

٦ ـ المظاهرات والتجمع والقاء الخطب ممنوع

٧ ـ بما أن الاتراك وعيالهم وسائر الغرباء هم بمثابة وديعة عندنا فيجب على كل فرد تمام الاعتناء برفاهيتهم وراحتهم كما تقتضيه الشهامة العربية

شكرى باشا الايوبى فى بيروت

و بادرت حكومة دمشق الجديدة فعينت شكرى باشا الأيوبى حاكما عاما على بيروت ولبنان وعينت جميل الالشى رئيس أركان حرب له فقصدا بيروت على الفور مع ١٠٠ جندى فوصلوا يوم ٦ منه فاعلن شكرى باشا دخول البلاد فى حوزة الحكومة العربية ورفع العلم العربى على دار الحكومة وعين حبيب باشا السعد حاكما مدنيا بعد ما أقسم يمين الطاعة للملك الحسين

اتفاق ٣٠ سبتمبر سنة ١٩١٨

وما كاد الترك يجلون عن بلاد الشام حتى قام الفرنسويون يطلبون تنفيذ أحكام اتفاقية سايكس ـ بيكو وان يعهد اليهم فى ادارة الساحل السورى والمناطق الأخرى التى منحوها بموجبه فماطلهم الانكليز أياما . ثم وقعوا واياهم اتفاقا جديدا يوم ٣٠ سبتمبر سنة ١٩١٨ ينظم ادارة الشام ريثما يبت فى مصيرها نهائيا ويوزع السلطات بين رجالهم ، من دون استشارة العرب أو أخذ رأيهم. وقد حمل الانكليز الفرنسويين على توقيع بيان ٨ نوفمبر سنة ١٩١٨ واقراره مقابل الاتفاق الجديد،وهو يحصر السلطة العليا السياسية والعسكرية فى يد المارشال اللنبى القائد العام للحملة المصرية على أن يلحق به مندوب سام فرنسوى يلقب بلقب «مستشار سياسى خاص» لاستشارته فى أمور المنطقة الزرقاء (شقة سورية الساحلية) ولادارة شؤونها السياسية والادارية بالاتفاق مع القائد الاعلى و يحق للمستشار السياسى الخاص أن يعين المستشارين السياسيين للمنطقة (١) سورية الداخلية بعد الحصول على موافقة الحكومة أو حلف الحكومات العربية التى ستنشأ هنالك . كما يقوم بمهمة الوسيط بين القيادة العليا والحكومات العربية المزمع انشاؤها فى جميع الشؤون السياسية والادارية الخاصة بمناطق نفوذ فرنسا

ويحق لهذا المستشار أيضا بمقتضى هذا الاتفاق انشاء ادارة ملكية في المنطقة الساحليـة وتعيين الموظفين اللازمين على أن يرفع أسماءهم الى القيادة العليا ويكونون مسؤولين أمامها

وعلى القائد العام أن يبلغ المستشار الفرنسوي خلاصة القرارات التي يقررها والتدابير التي يتخذها خارج الشؤون العسكرية . وقد أسندت وظيفة المستشار السياسي الى المسيو جورج بيكو المندوب السامي الفرنسوي في الشرق .

وعلى أثر عقد هذا الاتفاق قسمت القيادة العليا للحملة المصرية البلاد السورية الى ثلاث مناطق وأطلقت عليها اسم « بلاد العدو المحتلة »

وفي يوم ٢٢ اكتوبر سنة ١٩١٨ أذاع الجنرال بولز رئيس أركان حرب الحملة منشورا ضمنه التعليمات الخاصة بادارتها :

المنطقة الجنوبية : وتشمل فلسطين الحاضرة من الحدود المصرية جنوبا حتى خط الناقورة غربا فنهر الأردن شرقا وتضم لواء القدس القديم ولوائي نابلس وعكا من ولاية بيروت القديمة . وتولت السلطات الانكليزية ادارتها مباشرة وعين الجنرال بولز حاكما عليها

المنطقة الشرقية : وتشمل ولاية سورية القديمة من معان جنوبا حتى حدود تركيا شمالا مع أقضية أدلب وجسر الشغور والباب غرباً والفرات شرقا

وجعلت هذه المنطقة عربية وتولى ادارتها العليا الأمير فيصل

المنطقة الغربية : وتضم لواء جبل لبنان ولواء بيروت ولوائي طرابلس واللاذقيـة من ولاية بيروت القديمة وقضائي انطاكية واسكندرونة من ولاية حلب

ووضعت هذه المنطقة تحت النفوذ الفرنسوي مباشرة وعين الكولونيل بياباب حاكما لها . وقد احتج حزب الاتحاد السوري بمصر على هذا التقسيم وقال انه جرى طبقا لمعاهدة سايكس ـ بيكو السرية

الاحتلال الفرنسوى لسورية الساحلية

فى يوم ٥ اكتوبر سنة ١٩١٨ غادر الأميرال فارنه (Varny) بور سعيد مصحوبا بقواه البحرية وهى اليخت اريان و ٤ نسافات وز ورقين حر بيين قاصدا بيروت فبلغها يوم ٧ منه وفى يوم ٨ منه وصل الكولونيل بياباب

ولا بد لنا من القول أن الكبتن كولوندر المندوب الفرنسوى بالنيابة والملحق العسكرى بالحملة المصرية قابل الجنرال بولز يوم ٢٩ سبتمبر طالبا أن يسمح للقوات الفرنسوية باحتلال مدينة دمشق فلم يجبه الى ماطلب . وعلى أثر هذا الرفض عين المسيو مرسيه نائب القنصل الفرنسوى فى بورسعيد ضابطا للارتباط فى دمشق

ووصل الجنرال اللنبى الى دمشق يوم ٥ اكتوبر كما جاءها الكبتن كولوندر المندوب الفرنسوى بالنيابة فقابل هـذا الجنرال كليتن وباحثه فى تعيين شكرى باشا الأيوبى حاكما عسكريا على بيروت فأصدر هذا أمره الى الميجر كورنواليس (ضابط الارتباط البريطانى يومئذ فى دمشق) بأن يغتنم أول فرصة لابلاغ الأمير بأن حق تعيين الحكام منحصر بالقائد العام وحده

وقابل المسيو كولوندر صباح ٧ منه الأمير فيصل وباحثه فى القضية نفسها واحتج لديه على ارسال شكرى باشا الى بيروت فاجابه « انه يدع معالجة الشؤون السياسية للسياسيين وانه منصرف الى مطاردة الترك » وأخيرا تم الاتفاق يوم ٩ منه على انزال العلم العربى باحتفال عسكرى وهكذا غادر الباشا وجنـده عائدين الى دمشق وظل جميل الالشى فى بيروت معتمدا عربيا وتولى الكولونيل بياباب الحكم . وفى ١٠ منه وصلت الى بيروت الفرقة الفرنسوية التى كانت ملحقة بجيش الجنرال اللنبى وفى يوم ١١ نوفمبر احتل الفرنسويون اللاذقية وفى ٢٤ منه احتلوا اسكندرونة وفى يوم ٧ ديسمبر احتلوا انطاكية

٣

العرب ومؤتمر الصلح

سعي الفرنسويين لمنع الأمير من دخول المؤتمر

وتلقى الأمير وهو فى حلب برقيـة من والده بأن يسافر الى أوربا ليمثله فى مؤتمر الصلح فغادرها على الأثر بطريق حمص ـ طرابلس بعد ماأقام أخاه الأمير زيدا نائبا عنه فى دمشق ، وقد جاءها فى أواسط شهر اكتوبر سـنة ١٩١٨ من معان ، حيث تولى قيادة الجيش الشمالى بعد سفر أخيه الى الازرق

وصل الأمير الى بيروت يوم ١٩ نوفمبر فاستقبله الجنرال بولفين قائد الفيلق الحادى والعشرين البريطانى وكبار البيروتيين وأعيانهم وفى يوم ٢٢ منه ركب الطراد البريطانى غلوسستر الى مرسيليا ومعه نورى السعيد رئيس أركان حربه ورستم حيدر رئيس ديوانه والدكتور أحمد قدرى طبيبه الخاص ، وتحسين قدرى مرافقـه العسكرى وفايز الغصين سكرتيره الخاص

وقبل وصول الأمير فيصل الى فرنسا أبلغت الحكومة الفرنسوية الحسين رسميا بواسطة الكومندان كوس معتمدها فى جـده انها وان كانت ستحتفى بالأمير فيصل حين وصوله الى مرسيليا يوم ٢٦ نوفمبر احتفاءها بابن ملك حليف وصديق وتقوم بالواجب عليها إلا أنها تعجب لأن الأمير لم يبلغ أحدا من ممثلى الجمهورية الفرنسوية فى سورية وفلسطين خبر رحلته هذه مع أن الحكومة الفرنسوية هى المختصة باستقباله واعـداد معدات سفره من مرسيليا الى باريس وقالت انه يظهر لها أنه يستحيل عليها فى الوقت الحاضر اعتبار الأمير قائما بمهمة رسمية لم تبلغ عنها شيئا ، فلم يبد الملك ارتياحه الى هذا التبليغ وقال انه يغتنم الفرصة ليصرح بأنهم أخـذوا ينظرون اليه بنظر عدم الاطمئنان منذ وصول الجيش العربى الى سورية مع أنه ليس له أى مطمح فى تلك البلاد وما كان تدخل الجيش العربى فى شؤونها الا بطلب سكانها الذين أعربوا عن هذه الرغبة بملء الحرية وبدون أى ضغط لامن جانبه ولامن جانب ابنه وانهم يعتقدون بانه لابد من رفع العلم العربى على عدة مدن

سورية وأنه لاينسى جميل فرنسا معه وسيتجنب عمل كل مامن شأنه أن يسيء اليها أو يؤدي الى العبث بمصالحها أو اهمالها . ثم كتب على الأثر كتابا رسميا بمثل هذا المعنى سلمه الى المعتمد الفرنسوي

واذا خامر القارىء شك في صحة هذه الرواية أو ظن أنها مشوبة بشيء من المبالغة لشذوذها فنحن مؤيدوها بما كتبه الكولونيل بريمون في كتابه «الحجاز في الحرب العالمية» عن رحلة الأمير الى فرنسا . قال في ص ٣٠ ماملخصه : « تلقيت يوم ٢٤ نوفمبر أمرا بأن أقصد باريس على عجل لأقوم بمهمة استقبال الأمير فيصل نجل ملك الحجاز ومرافقته بضعة أيام فذهبت الى وزارة الخارجية وقابلت المسيو غو معاون مدير الشؤون الأسيوية فألقى علي التعليمات الآتيـة شفاها قال : وصل الأمير فيصـل الى فرنسا بطرادة انكليزية ونزل في مرسيليا ولا أعرف ان كان لا يزال فيهـا أم بلغ ليون فاقصد ليون أو مرسيليا اذا لزم الأمر واجتمع به . وستجد معه المسيو برترام وهو وزير مفوض بالمعاش وقد انتدبناه لاستقبال الأمير حينما علمنا بسفره

« وستعامل الأمير معاملة قائد عسكري (جنرال) ممتاز فقط ولاتعترف له بأي صفة سياسية وقل له ان هـذه الشؤون (السياسية) تعلو مستواك ومستواه وأن الذين أشاروا عليه بالقـدوم الى أوربا لم يمحضوه النصح وانه كان يجب عليه أن يتحادث مع المسيو جورج بيكو قبل المجيء وان الحكومة البريطانية لاتعمل له كل شيء وانه ما كان يجدر به أن يستشيرها وحدها ويهمل الحكومة الفرنسوية

«وابذل الجهد لكي لاتاتي به الى باريس قبل أن تتلقى أوامر جديدة وفي استطاعتك أن تطوف به في كل مكان وأن تهيء له زيارة أي ناحيـة من النواحي بعد ابلاغ ذلك الى الولاة المحليين . واقصد به الى الجنرال غورو قائد الجيش الرابع المرابط في ستراسبورغ فيقلده وسام اللجيون دونور من رتبة غراند أوفيسيه

«وهيء ضابطا عسكريا لمرافقته في كل مقاطعة ينزلها واعتمد على السيارات العسكرية في تنقلاتك وجولاتك وأبلغ المسيو برترام أنني وضعت ١٥ ألف فرنك تحت تصرفه لهذه الرحلة وأنها معك وتجد معه الضابطين المترجين ريموند وجوس

« وزر غرفة تجارة ليون معه واعمل ليقدموا له هدية نفيسة من الأقمشة الحريرية واسع عنده لانشاء علاقة بين جامعة ليون والجامعة العربية التى ستنشأ فى دمشق فتتبادلا الأساتذة والطلاب وابحث معه عن المسيو هريو واعمل هذا على محادثة الأمير

« ويجب أن تكون صريحا كل الصراحة مع لورانس وأفهمه أنه سلك سبيلا غير مستقيم . واستقبله استقبالا وديا اذا جاء لابسا بزة كولونيل بريطانى ولن نقبله اذا جاءنا كبدوى يلبس الملابس العربية واذا أصر على البقاء متنكرا فلا شأن له معنا ولا مكان له عندنا

« وعرفنى عن عدد حاشية الأمير وعن الذين يسافرون معه فنحن لم نتلق البيانات الوافية لصعوبة المواصلات ورداءتها »

وبلغ الكولونيل بريمون ليون فى الساعة الواحدة بعد ظهر يوم ٢٨ نوفمبر فاتصل على أثر وصوله بحاشية الأمير وكان ينزل فى تيرمنيوس وكان المسيو برترام قد أعد كل شىء طبقا لتعليمات المسيو غو — اه

وكان الكولونيل لورانس يرافق الأمير فى غدواته وروحاته وقد سبقه الى مرسيليا قادما من لندن ، وكان قد بلغها فى أواسط شهر اكتوبر لانه غادر دمشق يوم ٤ منه أى بعد الاستيلاء عليها بأربعة أيام فقط قاصدا عاصمة بلاده

ويعتقد الفرنسيون أنه هو الذى سعى فاقنع الحكومة البريطانية بارسال دعوة الى الحسين للاشتراك فى مؤتمر الصلح وهو الذى حمل الأمير فيصلا على القدوم الى أوربا للدفاع عن قضية العرب مما لا يتفق ومصالحهم ولذلك أصدروا التعليمات السرية بطرده والتخلص منه . وقد تم ذلك فعلا لانه جاء مرسيليا بملابسه العربية وسار فى ركاب الأمير الى ليون وهو يلبسها

وأبلغ الكولونيل بريمون المسيو برتران تعليمات وزارة الخارجية الخاصة بلورانس وبوجوب اخراجه من فرنسا اذا أصر على الاكتساء بالملابس العربية فاغتنم هذا أول فرصة وأطلع الأمير على ما هنا لك فقال له على الفور وبلا تردد سيغادر لورانس فرنسا فى هذا المساء عائدا الى انكلترا . ثم استدعاه وأطلعه على قرار الحكومة الفرنسوية فانطلق فقابل المسيو برتران وقال له « انكم تطردوننى وسأسافر هذا المساء » وسافر ولم يقبل أن

يبدل ثوبه العربي بثوب بريطاني بعد ماارد الى الفرنسويين أوسمتهم ونياشينهم

وأبدى الأمير رغبته بزيارة الالزاس فذهب المسيو برتران على الأثر الى باريس للحصول على التعليمات اللازمة وفي الساعة ٣٠ : ١٠ من مساء ٣٠ نوفمبر غادر الأمير وحاشيته محطة ليون بعربة خاصة فبلغ محطة بلفور الساعة ١٠ من صباح أول ديسمبر فكان في استقباله السي قدور بن غبريط ثم ركبوا السيارات في اليوم نفسه الى ستراسبورغ فبلغوها الساعة ٦ مساء

قال الكولونيل بريمون :

« وأثار الأمير مسألة السفر الى باريس صباح ٣ ديسمبر قائلا ألم يحددوا موعدا لزيارتي لها ثم خلا بالكولونيل بريمون وقال له « لقد حار بنا جنبا الى جنب فنحن اخوان سلاح وأنا أثق باخلاصك وصداقتك فقل لي بصراحة ماذا هنالك وأخبرني بجلاء هلا تريد الحكومة الفرنسوية أن أذهب الى باريس ؟ لقد تركت أخي زيدا في دمشق ليقوم مقامي وهو فتى . ولما كانت الحالة غير مستقرة هنالك فالأفضل لي أن أعود اذا كنت أضيع وقتي عبثا هنا»

فأجابه الكولونيل انه سيعرض الأمر على حكومته ويبلغه جوابها عند وصوله بلا ابطاء . وفي الساعة الثامنة من مساء ٤ منه تلقى البرقية الآتية « ضرب رئيس الجمهورية الساعة الخامسة من يوم ٧ ديسمبر موعدا لاستقبال الأمير فدبروا السفر ونظموه على أن تصلوا الساعة الثانية بعد الظهر فيكون مندوبو الحكومة في انتظاركم للاستقبال » وقد نفذ هذا البرنامج فوصل الأمير وحاشيته في الموعد المضروب ونزل في فندق الكنتنتال ثم قصد قصر الاليزة فقابل رئيس الجمهورية مصحوبا بالسي قدور بن غبريط

تلك هي خلاصة رواية الكولونيل بريمون نضيف عليها مارواه لنا أحد الذين رافقوا الأمير في رحلته تلك وهو أن الحكومة الفرنسوية كانت مصممة على أن لاتسمح له بزيارة باريس بيد أن توسط الحكومة الانكليزية وقد تم بسعي لورانس والحاحه جعلها تعدل عن قرارها . على أن هذا ما لبث أن جاء الى استقبال الأمير وصحبه في زيارته لانكلترا فقد روى الكولونيل بريمون في كتابه أنه لما بلغ مع الأمير ميناء بولون مساء ٩ منه نزل لورانس من الباخرة التي كانت راسية بجانب الرصيف وقابل الأمير

الذى أحسن استقباله ثم حيّ لورانس الكولونيل بريمون بكل لطف ودعاه الى السفر معهم الى انكلترا مؤكدا له أنه سيلقى قرى واكراما فشكره وقال انه يأسف لأن مهمته تنتهى عند هذا الحد وانه لا يستطيع السفر معهم

واستقبل الأمير فى لندن استقبالا شائقا ونزل فى فندق كارلتون ثم قابل ملك الانكليز على الأثر ومعه الكولونيل لورانس بالملابس العربية ومما يستحق الذكر بصدد هذه المقابلة أن كبيرا انكليزيا من رجال البلاط عنف لورانس على ظهوره بهذه الملابس فى بلاط بكنجهام قائلا : « أيجوز للكولونيل لورانس أن يظهر فى هذا المكان وهو رجل من رعية التاج بل ضابط بريطانى ببزة رسمية أجنبية » فأجابه بحزم ولباقة « اذا خدم رجل سيدين اثنين وكان عليه أن يسىء الى واحد منهما فالأفضل أن يسىء الى أقواهما أنا هنا ترجمان رسمى للأمير فيصل وهذا اللباس الذى تراه هو لباسه » وزار الأمير فى خلال هذه الرحلة وزارة الخارجية واجتمع بالقائم بأعمالها . وعاد ثانية الى باريس يوم ٦ يناير لشهود مؤتمر الصلح فلقى معارضة فى قبوله من جانب الفرنسويين وقد اعترف بذلك الكولونيل بريمون فى كتابه ص ٣١٨ فقال «ولقد وافق المسيو كلنصو على قبوله فى مؤتمر الصلح بناء على توسط اللورد كرزن مع أنه رفض ذلك فى أول الأمر »

الأمير فى حفلة افتتاح المؤتمر

وقد مثلت الحكومة العربية فى حفلة افتتاح مؤتمر الصلح يوم ١٨ يناير سنة ١٩١٩ بمندوبين لا مندوب واحد هما الأمير نفسه ورستم بك حيدر فقد اشتركا فى الحفلة وجلسا بين مندوبى الدول المتحالفة

٤

المؤتمر يقرر مبدأ الاستفتاء

ويلغي ضمنا معاهدة سايكس - بيكو

ومع أن الانكليز والفرنسويين كانوا يعملون سرا لابقاء قضية البلاد العربية بمعزل عن المؤتمر الا أنهم اضطروا الى مجاراة الرئيس ولسن فوافق مندوبوهم يوم ٣٠ يناير سنة ١٩١٩ أى بعد افتتاح مؤتمر الصلح باثني عشر يوما على قرار اشترك فى توقيعه مندوبو الولايات المتحدة وايطاليا واليابان يقضى بفصل أرمينية و بلاد العرب عن تركيا واستفتاء سكانها فى تقرير مصيرها وفى اختيار وصى لها ونحن نورد الجانب الذى يختص بنا من ذلك القرار :

المادة ١ - لمثل هذه الأسباب ولا سيما لسوء الادارة التركية التاريخية فى معاملة الشعوب الخاضعة لها وللمذابح الارمنية الهائلة وسواها فى السنوات الخمس المتأخرة قرر الحلفاء والدول المشتركة معهم فصل أرمينية وسورية والعراق وفلسطين و بلاد العرب فصلا تاما عن المملكة التركية من دون الحاق ضرر بسكان الأقسام الأخرى من المملكه التركية

المادة ٢ - قررت الدول المتحالفة والدول المشتركة معها أنه نظرا للفرصة السانحة للبت فى مصير المستعمرات والاراضى التى كانت لالمانيا وتركيا وهى مأهولة بسكان لا يستطيعون الوقوف وحدهم بالنسبة لحالات العالم الحاضرة الشديدة - العمل فى هذه الاراضى بمبدأ ترقية واسعاد هذه الشعوب الذين يعتبرون وديعة مقدسة فى ذمة المدنية وأن ينص على ذلك فى دستور جمعية الأمم

المادة ٣ - اقتنع الحلفاء بعد الدرس الدقيق أن أفضل طريقة للقيام بهذا المبدأ هو وضع هذه الشعوب فى عهدة الأمم الراقية التى تكون بالنسبة الى مواردها أو اختبارها أو مركزها الجغرافى أقدر على القيام بهذه المهمة فيجب أن تقوم بهذه المشارفة كوصيات من قبل جمعية الأمم

المادة ٤ ـ تعتقد دول الحلفاء والدول المشتركة معها أن طبيعة الوصاية يجب أن تكون حسب درجة السكان من الرقى ومركز البلاد الجغرافى وحالتها الاقتصادية وما شاكل هذه الظروف

المادة الخامسة ـ لما كان الحلفاء يعتبرون بعض الشعوب التى كانت خاضعة فى السابق للملكة التركية بلغت من الرقى درجة يصلح الاعتراف بها كأمم مستقلة محتاجة الى استمداد النصائح الادارية ومساعدة دولة وصية حتى تصير قادرة على السير وحدها فان رغائب هذه الشعوب يجب أن يكون لها مقام أولى فى اختيار الدولة الوصية

ولما أقر مجلس الحلفاء الأعلى عهد جمعية الأمم فى شهر فبراير سنة ١٩١٩ أدمج هذه المبادىء فى المادة الثانية والعشرين منه تثبيتا لها وتوكيدا ولقطع الطريق على الانكليز والفرنسويين وهذا نصها :

« يجب أن يطبق على المستعمرات والبلدان التى قضت نتائج الحرب الأخيرة بخروجها عن سلطة الدول التى كانت تسيطر عليها فى الماضى والتى تسكنها شعوب لاتزال الى الآن غير قادرة على الوقوف منفردة فى معترك الحياة ـ المبدأ القاضى بجعل سعادة شعوبها وتقدمها وديعة مقدسة فى يد العالم المتمدن ويجب أن ينص فى هذا العهد على الضمانات اللازمة لحسن القيام بهذه الوديعة والطريقة المثلى لتطبيق هذا المبدأ عمليا هو أن يعهد بالوصاية على هذه الشعوب الى الدول الراقية التى تمكنها مواردها المالية أو اختباراتها أو موقعها الجغرافى من القيام بهذه المهمة على منوال أفضل من غيرها وتكون مستعدة لقبول هذه التبعة ، وتقوم بها على سبيل الانتداب من قبل جمعية الأمم

وتختلف طبيعة هذه الوصاية باختلاف درجات هذه الشعوب فى التقدم وباختلاف موقعها الجغرافى واحوالها العمرانية وما اشبه من الظروف ، ولما كان بعض الشعوب الصغيرة التى كانت ضمن السلطنة العثمانية قد بلغت من الرقى درجة يمكن أن يعترف معها مؤقتا بكونها أمة مستقلة على شرط أن تسترشد ادارتها بنصائح ومساعدة تستمدها من دولة منتدبة الى أن تصير أهلا للسير وحدها على أن تحل رغبة هذه الشعوب باختيار الدولة المنتدبة محلها من الاعتبار ويجب فى جميع الأحوال على كل دولة من الدول المنتدبة أن تقدم تقريرا سنويا الى مجلس جمعية الأمم عن البلاد الموضوعة تحت وصايتها . ويجب على هذا المجلس

أن يحدد تحديدا صريحا نوع السلطة أو المراقبة أو الادارة التي تخول الدولة المنتدبة ممارستها

ويجب أيضا انشاء لجنة دائمة لتسلم تقارير الدول المنتدبة سنويا وفحصها وامداد المجلس برأيها في جميع الأمور المختصة برعاية شروط الانتداب

الامير في المؤتمر

وفي يوم ٦ فبراير سنة ١٩١٩ ذهب الأمير ومعه الكولونيل لورانس الى المؤتمر لبسط قضية العرب فتكلم بالعربية نحو ٢٠ دقيقة وكان لورانس ينقل كلامه الى الانكليزية ونقلها مترجم آخر الى الفرنسوية

ودافع ببلاغة وحكمة عن حقوق العرب وقال ان والده لايطلب أن يضم شبر أرض واحد الى مملكته ولكنه يطلب للعرب ــ ويريد بالعرب الشعوب التي تتكلم العربية حق تقرير مصيرها ــ بحسب نظام التوكيل الدولي وهو النظام الذي يعتقد أن البريطانيين مستعدون لتطبيقه على عرب الحجاز . وقال انه لايصر على توكيل دولة دون أخرى ، ولا ينطق باسم عرب أفريقية ولا يعارض الفرنسويين الا حيث يحتمل أن يعارض الفرنسويون في مطالب الذين كانوا حلفاء أكثر من ثلاثة أعوام

ولخص في الختام مطالبه بقوله : انه يطلب الاعتراف ببلاد العرب وحدة جغرافية مستقلة برياسة جلالة والده الحسين بن علي وتطبيق العهود المقطوعة للعرب بالاستقلال التام مع الاعتراف لسورية بالاستقلال التام على أن تستعين بمستشارين أجانب تستخدمهم عند الحاجة وعلى أن تكون متصلة بحكومة الحجاز في شؤونها الخارجية

ورد على سؤال للرئيس ولسن ومعناه هل الأصلح لهذه البلاد أن تكون متحدة أو منقسمة بين دولتين أو أكثر أو تكون تحت انتداب دولة واحدة أو أكثر من دولة فقال ان الأفضل لها أن تكون مستقلة وموحدة

ورد على سؤال آخر له عن السلاح الذي قدمه الفرنسويون لمساعدة الثورة فقال انهم ساعدوها بأربعة مدافع فقط

وفي يوم ١٣ سمع المؤتمر أقوال المسيو شكري غانم بصفته رئيس الجمعية السورية ــ اللبنانية في باريس فطلب انشاء وحدة سورية باشراف فرنسا . وسمع في اليوم نفسه

أقوال المستر هورد بلس رئيس الجامعة الاميركية فى بيروت فقال ان السوريين يريدون أن يمنحوا حكم أنفسهم بأنفسهم ودافع عن هذا المبدأ ببلاغة

وفى يوم ١٥ منه سمع أقوال داود عمون رئيس الوفد اللبنانى الى باريس وتالف هـذا الوفد من بعض أعضاء مجلس ادارة لبنان وبمساعى الفرنسويين وقوامه داود عمون رئيسا وعبد الحليم الحجار ونجيب عبد الملك واميل اده وعبد الله الخورى أعضاء فطلب اعادة لبنان الى حدوده الطبيعية والجغرافية قبل ١٨٦٠ ومنحه استقلالا اداريا مع جمعية تشريعية بمساعدة فرنسا واشرافها

وهكذا سمع المؤتمر أربع أصوات : صوت الأمير فيصل والمستر هوارد بلس ويطلبان الاستقلال لسورية واستفتاء السوريين فى تقرير مصيرهم وصوت شكرى غانم ويطالب بوحدة سورية باشراف فرنسا وداود عمون ويطالب بحكومة لبنانية منفصلة عن سورية باشراف فرنسا

المؤتمر يقرر ارسال لجنة دولية للتحقيق

وعاد المؤتمر فنظر يوم ٢١ مارس فى قضية البلاد العربية وأرمينية وقرر اجابة لالحاح الولايات المتحدة تعيين لجنة دولية من الحلفاء لدرس مسائل آسيا الصغرى والوقوف على رغائب سكانها

ولم يقابل هذا القرار بالارتياح فى الدوائر الفرنسوية فاعترضت عليه وانتقدت الوفد الفرنسوى فى المؤتمر لتسرعه فى اقراره بحجة أن سكان سورية فى حالة لاتمكنهم من الاجابة على الأسئلة التى توجه عليهم . وبذلت مساع شتى عند الرئيس ولسن لحمله على العدول عن ارسال اللجنة فلم تثمر شيئا . وأسرع رستم بك حيدر مندوب العرب فى المؤتمر وقد بقى فى باريس بعد سفر الأمير ــ فأرسل كتابا الى الكولونيل هاوس سكرتير الرئيس ولسن أطلعه فيه على مايجرى وذكر له تعلل الحكومتين الانكليزية والفرنسوية وما يبديانه من الرغبة فى عدم الاشتراك بلجنة التحقيق الدولية . ولما اطلع الرئيس على هذا الكتاب وعرف ماهنالك أمر اللجنة الاميركية بأن تسافر حالا الى الشرق من دون أن تتقيد بسفر اللجنتين الانكليزية والفرنسوية فسافرت فعلا . وبذل المندوب العربى عند

الانكليز مابذله عند الرئيس ولسن لحملهم على ارسال وفدهم — وقد تألف فعلا من السر هنرى مكماهون والاستاذ هوجارث — فأرسل اللورد هاردنج العضو بالوفد البريطانى لمؤتمر الصلح كتابا الى رستم بك حيدر يخبره فيه باستعداد الوفد الانكليزى للحاق بعد قليل باللجنة الاميركية

وعينت الحكومة الفرنسوية المسيو هنرى اوبج العضو بمجلس النواب رئيسا للجنتها ثم عادت فاشترطت عقد اتفاق مقدم بين الحكومات ذات الشأن على طريقة الاستفتاء فى المناطق المحتلة قبل أن يسافر الوفد فأبى الرئيس ولسن أن يتقيد بطلبها فأوقفت سفر وفدها وسعت عند الانكليز أيضا فجاروها فى خطتها ولم يرسلوا وفدهم

الامير فى بروكسل ورومية

واغتنم الأمير الفرصة فزار بروكسل وحل ضيفا على ملكها البرت ثم عاد الى باريس وكان يكثر من الاجتماع بالرجال السياسيين عاملا على اقناع القوم بعدالة قضيته

وزار الأمير المسيو كلمنصو قبل رجوعه الى سورية زيارة طويلة فأبلغه هذا استعداد فرنسا للاعتراف باستقلال سورية مقابل اعتراف السوريين بمصالحها فوعده بأن يعمل للاتفاق والوفاق . وقد صرح الأمير بمثل هذا بعد رجوعه فقال من خطبة خطبها فى بيروت « ولقد قابلت المسيو كلمنصو لجرى التفاهم المطلوب » وكان يكثر من الثناء عليه ويطنب فى وصف مزاياه

وقصد الأمير رومية فزار قداسة البابا فكلفه ابلاغ سلامه الى أبنائه المسيحيين فى سورية كما اجتمع الى رجال السياسة الايطاليين . وفى يوم ٢٧ ابريل غادر ترانتو عائدا الى بيروت للاشراف على الحالة ولاعداد المعدات لاستقبال الوفد الاميركى

٥

الامير فى سورية

أقواله وخطبه

وصلت المدرعة الفرنسوية ادجار غينه المقلة للأمير وحاشيته الى بيروت فى الساعة الثانية بعد ظهر الاربعاء ٣٠ ابريل فاستقبلته المدرعة باريس الراسية فى مينائها باطلاق المدافع ترحيبا فنزل الى البر الساعة الرابعة وقصد فى سيارة والى يساره الجنرال فين البريطانى دار المعتمد العربى وهنالك استقبل وفود البلاد السورية ورد على خطب الخطباء قائلا :

«الاستقلال يؤخذ ولا يعطى لقد أعطانا العالم الاستقلال فعلينا أن ناخذه وأن نطلبه تاما خاليا من كل شائبة وكل من يطلب انكلترا أو اميركا أو فرنسا أو ايطاليا فهو ليس منا نحن لاننكر أننا محتاجون الى المعاونة وسنتفق عليها مع من نريد بحسب مايوافقنا وهذا لا يكون الا بعد أن نأخذ الاستقلال التام المطلق »

وهذا نص البيان الذى أذاعه على أثر وصوله :

ياأبناء سورية العزيزة :

ها قد عدت الى الوطن بعد أن فارقته خمسة أشهر . وقد أبلغت العالم المتمدن ماانتدبتمونى اليه من بيان مطالبكم فتقرر مبدئيا استقلال بلادكم وصحت النية على ارسال لجنة تحقيقية دولية تحقق مانقلت الى الغربيين من رغائبكم وستصل اللجنة فى هذين الاسبوعين . وبهذا ترون أن قد تم القسم الأعظم من المهمة الخارجية التى نعمل لأجلها وذلك بحسن نيات الحكومات الأربع المعظمة وصدقهم فى أقوالهم وتمسكهم بالمبادئ السامية التى جعلوها دستورا لأعمالهم وطبقا لأمانى الأمة

بقيت هنالك المهمة الداخلية التى هى من خصائص هذه الأمة بأجمعها وهى المسؤولة عنها ونجاحها موكول اليها فعلى الشعب أن يقوم بما يقرره المؤتمر السورى العام الموقت الذى ينعقد عما قريب

الأمم تود لكم النجاح وأنا أريد منكم أن تبرهنوا لهذه البعثة المحترمة التي ستشهد بالحق لكم أو عليكم بأنكم تستحقون الاستقلال وأنكم قادرون على ادارة شؤونكم بأنفسكم سجلوا أمام العالم والتاريخ أنكم أمة تفدى كل عزيز فى سبيل أشرف غاية وهى الاستقلال الذى أعاونكم عليه وأنا أحد أفرادكم

أنا لاأشك فى أنكم يد واحدة على المطالبة بحقكم الصريح والسعى للوصول اليه بكل مافى نفوسكم من قوة . تعملون وغايتكم متحدة والصدق رائدكم فى أقوالكم وأعمالكم جريا على ما تقتضيه منكم محبتكم لهذه التربة الطاهرة متمسكين باهداب الحزم متخذين أسباب السكينة والتؤدة والغيرة على هذا الوطن

وانى لآمل أن تثبتوا للعالم أنكم أحفاد أولئك الأجداد الذين كانوا سدنة الحرية ودعاة العدل والتاريخ شاهد لايمارى فى صحة القول . وان ماقامت به الجاليات السورية المنتشرة فى أقطار العالم من جلائل الأعمال ليدخل السرور الى فؤاد كل من يحب هذه البلاد فقد أسمعت أنها لاترى السعادة كل السعادة الا فى الاستقلال التام بدون قيد ولا شرط فاذا كانوا على تفرقهم لايرضيهم الا هذا فأنتم باجتماعكم أكثر استمساكا بحقوق بلادكم . تستقلون فى بلادكم استقلالكم فى بيوتكم فينظر كل صقع من أصقاعكم فى شؤونه بنفسه مع احترام تقاليده وعاداته أما المعاونة التى نحتاج اليها فنبتاعها بأثمانها

هذا ماأحب أن تجعلوه يابنى وطنى نصب أعينكم وأن تكونوا المثال الحى وقدوة الأبناء والأحفاد ــ اهـ

وغادر بيروت صباح السبت ٣ مايو قاصدا دمشق فمشى بين صفوف الشعب تهتف وتصفق حتى بلغ الفيحاء فدخلها دخول الفاتح الظافر وقد خرجت كلها تستقبله فكان يوما تاريخيا مشهوداً

وفى يوم الاثنين ٥ منه دعيت الوفود السورية التى اشتركت فى استقبال الأمير فى بيروت ودمشق مع أعيان البلاد وزعمائها ورجال الرأى فيها الى اجتماع كبير عقد فى بهو دار حكومة دمشق عند الأصيل وقد شهده الأمير بالذات وخطب فيه الخطبة الخطيرة الآتية :

أتشرف بأن ألقى بعض كلمات على مسامعكم الكريمة . وهذه الكلمات ستكون

تاريخية بالنسبة لحياة الأمة العربية الجديدة فى ماضيها واستقبالها . وأرجو العفو والعذر اذا سمعتم بعض أغلاط تقع منى فى أثناء الحديث لكونى لست من رجال هذا الموقف وأرجوكم أن تنظروا الىّ بعين العذر وقد دفعنى الى الكلام :

أولا — ان أكثر هؤلاء الكرام الذين أتشرف بمخاطبتهم مجتمعون هنا من كافة أنحاء سورية وقد أتوا الى بيروت لملاقاتى وأداء التحية باسم جميع المواطنين الذين ينوبون عنهم . وحضروا الى هنا ليسمعوا منى ماحصل فى الغرب فى مؤتمر السلام بخصوص بلاد العرب عامة وسورية خاصة . ولا شك فى أننى مكره على القاء هـذه الكلمات لأطمئن أهل البلاد على بلادهم وعلى استقلالهم مع انى بعض الأحيان لا يمكننى أن أصرح بكل شئ لبعض الموانع السياسية التى تجبرنى على السكوت عنها للوفد القادم . ولما كان أكثر الذوات لا يعرفون ماهى الحركة الثورية التى قامت فى الحجاز وما هو السبب الدافع اليها ولربما انهم قبل يومنا هذا كانت أفكار بعضهم ممن لا يعلم السياسة العمومية داعية الى اتهام هذه الثورة بتهم لا محل لذكرها و بقول ان من قام بهذه الحركة أتى بخيانة للوطن أو للأمة أو للجامعة العثمانيـة التى كنا نحن من أفرادها . ولـكن على أثر انكسار الاتحاديين وتشتت شمل الاتحاد الجرمنى، علم المجموع أن من قام بالثورة هو رجل أو رجال عالمون بسير الحركة السياسية والعسكرية فى العالم . وأن من قام بهذا ماقام إلا لحفظ قسم من جسم البلاد العثمانية وانقاذه مما سيقع به بعـد الحرب . ولا شـك أن المسؤول فى الحركة أى الحركة الثورية العربية هو أولا والدى ثم الحجازيون مادة ، الذين قاموا بهـا فعلا . أما السوريون فانهم مسؤولون عنها معنى لانهم قد شوقوا الحجازيين لهذه الحركة فنرى ولله الحمـد أن الفخر وان كان أولا للحجازيين فهو فخر للجميع . لان هذه الثورة هى ثورة قومية لا يمكن أن نسندها الا الى الأمة جمعاء. نعم ! ان والدى قام بالثورة فى أثناء النزاع العظيم الدنيوى بعد مارأى أن الاتراك انقادوا الى التيار الالمانى وأوردوا الأمة العثمانية موارد الهلاك ورأى أن دوام العرب فى الحرب مع الاتراك المتحدين مع الالمان سيوقع البلاد التركية فى ذات الموقع ورأى أن الأمة العربية التى طالما تمنت الخروج من نير الاستعباد والنهوض الى ما كانت عليه فى سابق التاريخ طامحة بأنظارها الى الافلات من أشراك أعدائها . لهـذا قام بالحركة بعد أن أتيت الى سورية وقابلت بعض الرجال الذين منهم كثيرون فى مجلسنا هـذا سواء

من البدو أو من الحضر عقب مجيء الى هنا ولا شك فى أنهم يذكرون ذلك

ولما وصلت الى دمشق ورأيت ما رأيته من رجال الثورة رجعت الى الحجاز وأخبرت والدى كيف انهم قاموا بواجبهم وعليه قام. ولكن تقدير البارى جعل السوريين فى موقف لا يمكنهم من مؤازرة الحجاز بما قام به لأسباب تعلمونها وهو ضغط الاتراك عليهم وما آتوه من الأفعال التى سيسطرها التاريخ ويخلد ذكر من قتل ومن استشهد فى تلك الاثناء من السوريين باحرف ذهبية . قام والدى ولم يفكر فيما يقع على الحجاز والحجازيين من القيام ضد الاتراك ولم يتيقن من النتيجة . إلا أن البارى سبحانه وتعالى يسر هذه الأمور لجلا الاتراك عن سورية

« لا شك أنه قبل ذلك أتى ببعض مذاكرات أو معاهدات بينه وبين الامم المحالفة أمم الحلفاء . واتكالا على البارى سبحانه وتعالى ثم على العهود التى أخذها قام بالواجب الى أن انتهى الحرب وبدأ فى الصلح . ذهبت عن والدى الى باريس عقب جلاء الاتراك ولتنفيذ الخطط العسكرية فى البلاد المحتلة . جعلت البلاد السورية مقسمة على ثلاث مناطق وهذا لتنفيذ الخطط العسكرية ليس إلا . وأسست الحكومة العربية العسكرية فى داخلية سورية وهى ليست حكومة دائمة . ولذلك ذهبت الى المؤتمر الذى انعقد فى باريس لأخذ كل مستحق حقه . وصلت باريس ودخلت المؤتمر وجعية الامم لبث رغائب الشعب على قدر اجتهادى وتمكنت من قول ما أريد . وعند ذهابى رأيت أمم الغرب فى حالة جهل عميق عن أحوال العرب. كانوا لايعرفون عن العرب إلا ما كانوا يعرفونه عنهم فى حكايات الف ليلة وليلة ليس الا . كانوا يظنون العرب عبارة عن الامم السالفة العربية ولايفتكرون بوجود الامم العربية الحاضرة ولا يعرفون شيئا عن الافكار السياسية والنهضة التى حصلت فيها . يفتكرون العرب هم عبارة عن عرب البادية الذين يسكنون الصحراء وأما باقى سكان البلاد المعمورة فهم يعدونهم غير عرب . ولا شك أن جهلهم هذا جعلنى أصرف وقتا طويلا لأفهم هذه الامم الحقيقة وأثبت أن العرب أمة واحدة تقطن فى البلاد التى تحدها البحار من الشرق والجنوب والغرب وتحدها جبال طوروس من الشمال

« قلت هذا للمؤتمر وأخبرتهم بمقاصد العرب ونواياهم . وبما أنهم قاموا لانصاف المظلوم

فبعد أن فهموا المقاصد والمطالب وما فعله العرب من المعاونة للحلفاء فى هذه الحرب اعترفو باستقلال العرب مبدئيا ولكونهم ليسوا عالمين الدرجة التى حازتها الأمة العربيـة اليوم مر الرقى الأدبى والسياسى ولتأمين السلم فى البلاد بأجمعها رأوا أن ينتدبوا هيئة دوليـة لترى الحقيقة بإبصارها وهاهى قادمة اليكم .

كانت مدافعتى عن بلاد العرب على قسمين : الأول ، البلاد العربية لا يمكن تجزئتها . القسم الثانى ، — بما أن البلاد العربية بين سكانها اختلافات فى طبقات العلم والتعليم ليس الا ، فالظروف ليست كافيـة لتجعلهم أمة واحدة . لذلك رأيت الدفاع كما يلى :

« ان سورية والحجاز والعراق قطعات عربيـة . وكل قطعة منها يطلب أهلها الاستقلال . وقلت ان نجداً والبلاد المساوية للحجاز من الأقطار العربية هى تابعة للحجاز ليس الا . وهـذه يرأسها والدى . أما سورية فيجب أن تكون مستقلة . وكذلك العراق يريد استقلاله ولا يريد معاونة أو حماية . نحن لا نرضى فى سورية أن نبيع استقلالنا بما نحتاج اليه من المعاونات فى ابتداء تكويننا ، بل ان الأمة السورية هى أمة تريد أن تستقل وتأخذ ماتحتاجه من المعاونة بثمنه أى بدراهم معدودات

« دافعت هذا الدفاع ولا حاجة الى غير ذلك . لان مجلسى هذا هو خاص لسورية . فانى أقول عن سورية :

« دافعت عن سورية بحدودها الطبيعية . وقلت ان السوريين يطلبون اسـتقلال بلادهم الطبيعية ولا يريدون أن يشاركهم فيـه شريك وقد توفقنا والحمد لله . العراق بلاد مستقلة بلا علاقة بسورية كما أن سورية لا علاقة لها بسائر البلاد العربية . مع أن العرب أمة واحدة . وكلنا يعلم ان المقاطعات العربية بالنسبة للتاريخ والجغرافية والصلات القومية هى بلاد واحدة . وان هذه المقاطعات تكون جاركها ومصالحها الاقتصادية موحدة لاحاجز يحجز المناسبات الودية والاقتصادية بينها

« كانت مدافعاتى عن البلاد بهذه الصورة وكانت الامم تنظر الى طلباتى نظر الارتياح والقبول . وما حصل من الجدال ماهو إلا من عدم معرفة تلك الأمم مقاصد العرب وطواياها خوفا من وقوع مالا تحمد عقباه بما بذره الاتراك ولكون الأمم الغربية تنظر الى المجموع

التركى العثمانى بمجموع واحد ، وما يحصل من الاتراك يظنونه من العرب . فبعد أن وقفوا على حقيقة الأمر وعرفوا ماهى مقاصد السور يين أذعنوا لهم وأعطوهم كل مايطلبونه . وها أنا بين أيديكم قد قدمت اليكم من مؤتمر السلم أبلغكم ذلك ، وستصل اليكم الهيئة الدولية وتخبركم بما أخبرتكم به ، ونطلب منكم أن تعربوا لها عن ضمائركم بأية صورة كانت لان الأمم لا تريد اليوم أن تحكم أمة أخرى إلا برضاها .

« وقد جعلت جمعية الامم مانعا للحرب ووكلت بحل الاختلافات والنظر فيها وسيكون للعرب مندوب فى جمعية الامم وهذه التى تنظر الى ماهو حاصل أو مايحصل بين الامم من الاختلافات بعد رجوع هذه الهيئة الى باريس . وستسمع رأى كل شعب من الشعوب التى كانت تحت يد الترك وتعلن مطالب العرب وغيرهم اما استعباداً أو حكما ذاتيا ، استقلاليا على قدر علم وعرفان واقتدار الامم التى انسلخت عن الاتراك

« فالموقف اليوم هو بيدكم . ان التسويات الخارجية قد تمت بفضل البارى سبحانه وتعالى وبحسن نية من حالفنا من الدول العظام الذين لا يمكننى أن أفرق بين الواحدة والاخرى فى حسن النية وهم بكل ارتياح قد قبلوا مانثرت بين أيديهم من الاقوال

« أنا الآن سأبتدئ فى قولى عما يجب علينا عمله ولكن قبل كل شئ يلزمنى أن أرجع ثانيا الى الماضى فأقول :

« ان الثوار قاموا ولم يستشيروا الامة لعدم مساعدة الوقت فحملوا المسؤولية وعملوا ماعملوه حتى اليوم

والآن ذكرت ماحصل فى السابق الى تاريخنا هذا . وأريد ممن حضر من ممثلى الامة الذين فى حالتهم الحاضرة ليسوا ممثليها بالصورة الحقيقية ولكنهم بموقعهم الأدبى يمثلون الامة تمثيلا معنويا . أطلب منهم أن يصرحوا لى بافكارهم وأن يقولوا لى هل ماقمنا به فى السابق هو حسن أم لا ؟ ؟ (فأجيب الأمير على سؤاله « حسن ، حسن ! ! » وأعقب بالتصفيق والهتاف)

« وهل هو موافق لرغائب الأمة أم لا ؟ ؟ (فأجابه الحضور : موافق ، موافق مع الهتاف الشديد)

«وهل أعمالنا هي مقرونة برضى الأمة أم لا ؟ [فأجاب الجميع نعم ، نعم ! وكل الرضى وفوق الرضى (تصفيق وهتاف)]

« وهذه أعمالنا فى السابق . ولكن بعد اليوم يجب على رجال الثورة أو رجال الحكومة الحاضرة (قولوا ماشئتم) أن يظلوا سائرين بأعمالهم . لاننا الى الآن ماتمكنا من تأسيس حكومة أساسية . ولكن بما أن الوقت قد ساعد واجتمعت هيئة الوفود فلا يمكننى أن أرجعهم قبل الاطلاع على أفكارهم الخصوصية . هل يريدون أن نداوم على عملنا أم لا؟ (الجواب : نداوم ، نداوم ، نداوم ، مع الهتاف)

« هل الأمة معتمدة على من هو قائم بأمورها أم لا ؟ فأجابوه : معتمدة ، معتمدة ، معتمدة .

« أرجوكم الاصغاء لبعض كلمات تجول فى خاطرى . هل تسمح الأمة بأن أدير الحكومة مع السياسية الخارجية والداخلية بعد اليوم أم لا ؟ (نعم ، نعم، نعم !) تصفيق شديد وهنا قوطع بالهتاف الشديد وقال الجميع : فليحى أميرنا فيصل تكرارا وتكلم بعض الحضور باختصار ، ثم عاد الى الكلام فقال :

« أشكر هذه الهيئة وأشكر هؤلاء الذوات على ماهم ناظرون الىّ به من الارتياح والطمأنينة ولكننى أيضا أجلب نظرهم الى مسئلة وهى : لا شك أن الوكيل أو الشخص الذى يدافع فى الحقوقيات لا يمكنه المدافعة عن حقوق موكله إلا اذا كان بيده وثائق تخوله ذلك ، كذلك السياسيون لا يمكنهم الدفاع عن الأمة إلا اذا كانوا حائزين على الشروط التى تمكنهم من العمل . فالهيئة الحاضرة تسأل الأمة هذا السؤال وتريد الاجابة عليه وهو :

« هل الأمة تؤيد كل أعمالى فى الداخل والخارج قولا وفعلا ؟ وهل تساعدنى باعطاء جميع ما أطلب منها بدون شرط ولا قيد أم لا ؟ (فأجيب نعم لك الامر)

« هذا الذى أريد . لاشك ان هذه هى النقطة الاساسية التى تكون مستنداً للشخص وللذوات أو للهيئة التى ستعمل لتدبير الشؤون بعد اليوم الى حين انعقاد المؤتمر السورى الذى سينعقد فى هذه الايام

« ولكن لكي أعمل الى ذلك الوقت يلزمني الاعتماد وقد طلبته منكم وأعطيتموني إياه وسأعمل .

« أرجو الباري سبحانه وتعالى أن يوفقنا الى مافيه الخير وانى أريد من الامة أن تنظر الى بالنظر السابق . وأنتظر من الامة أن لا تغتر وتقول الامم أعطتنا استقلالنا فان اعتراف تلك الامم ماهو الا اعتراف معنوى فلا نعطى شيئا إلا ما نأخذه بأيدينا . فالامر بيد الامة وعليها القيام . وان لم نقم واتبعنا الاهواء وقلنا نحن مستقلون وكل منا تقاعد عن واجبه الوطني فلا استقلال لنا .

« أقول هذا لانى رأيت الامة عند قدومى قابلتنى بكل ترحيب . وأريد ان الامة تؤيد أقوالها بأفعالها . هذا طلبي مختصراً جدا . ولعدم علمى بما سأطلبه لا يمكن أن أقول شيئا . ولكن بعد ان أحرزت ثقتكم ونلت اعتمادكم فعلى قدر ماأراه من الحاجة سأطلب من الامة أن تؤازرني معا

سعد الدين الخليل (حوران) : ان حوران تقدم لسموه ما يطلب . وقام موفد آخر وتكلم بحماسة شديدة . ثم قام أحد موفدى فلسطين وقال ان دماء الفلسطينيين وأموالهم للأمير . وقال أحد موفدى العامريين . اننا قد لبسنا للحرب عدتها. نحن وجميع العرب من لم يقتل فليمت فقال له الأمير أرجوك التوقف لان ماقيل ليس بلسان العموم أريد أن ينتدب أحد منكم للكلام.

فقام الشيخ نورى الشعلان شيخ مشايخ الروله فقال : « نحن العرب عيالهم و بيوتهم الشعرية فداك وطوع يديك . ومن لا يفعل ذلك يخرج عن دين الأسلام »

وقال نسيب بك الأطرش : « نحن جيع عشائر سورية العربان والدروز نضحى حياتنا تجاه خدمتك وخدمة الأمة العربية والحائد عن ذلك يكون خائن الناموس والشرف والعرب »

الشيخ عبد الحسين صادق (جبل عامل) — انى باسم أهل جبل عامل أبايعك على الموت .

الامير : — لم يحن زمن المبايعة ، نحن اليوم فى دمشق وكلامى موجه للدمشقيين والسوريين

وأريد ان اسأل أهل دمشق ثم أهل المقاطعات

محمد فوزى باشا العظم ومحمد أبو الخير عابدين والشيخ أسعد الصاحب وغيرهم : نحن رهينو أمرك نفديك ونعتمدك .

بطريرك الروم الكاثوليك : كما تأمرون سموكم فأمروا بما تشاؤون

ثم سأل سموه بطريرك الروم الارثوذكس فاجابه « بيننا و بين سموكم اتفاق فى هذه القاعة على شرائط معدودة لا تبرح من ذاكرتكم الشفافة . فنحن عليه راسخون » ثم استأنف بطريرك الروم الكاثوليك وقال : « انى أعتمد نفس الاعتماد الذى اعتمده بطريرك الروم الارثوذكس

مطران السريان الكاثوليك — انى اعتمد نفس الاعتماد الذى اعتمده غبطة بطريرك الروم الارثوذكس

مطران السريان القديم — أقول بلسان أمة السريان فى سورية انهم طوع أمرك . تبايعك بقلوبها وتعتمد عليك

سعيد باشا سليمان (بعلبك) — عموم أهل قضاء بعلبك تحت أمرك ، مئات وألوف رهن اشارتك

عمر بك الأتاسى (حمص) — قدمت من حمص وما ودعت الحمصيين إلا بعد ان اعتمدونى وهم يسلمونك دماءهم وأرواحهم .

ابراهيم الخطيب (جنوب لبنان) — فوضناك ان تكون سلطانا (سموا الأمير باسما ابق ذلك الآن) جبل لبنان جزؤ متمم لسورية لا ينفك عنها

وهكذا صرح جميع أعيان البلاد ووجوهها الذين كانوا حاضرين باعتمادهم واحدا تلو الآخر وأبانوا جميعا ان أرواحهم ودماءهم طوع إشارة سموه . وفى النهاية قال سمو الأمير : « لقد حصل المطلوب » ثم تكلم مطران الأرمن باللغة التركية فشكر مالقيه مهاجرو الأرمن من عطف العرب وانسانيتهم خلال سنى الحرب الأربع وقال ان تاريخنا سيكتب اسم العرب بمداد من ذهب فانا ابارك لكم واشكركم .

ثم استأنف الأمير الكلام فقال :

« لا شك انى بعد ماأخذت هذا الاعتماد من هذه الهيئة سأداوم واثابر على أعمالى كما سبق حتى انعقاد المؤتمر العام الذى اخبرتكم عن انعقاده فى هذه الأيام والذى سيسن القوانين التى توضع لادارة شؤون سورية كافة

« ولا شك ان فكرى فى ادارة سورية هو انى أرى مطالب الأقليـة من الشعب تكون مرجحة على آراء ورغائب الأكثرية . وهذا أولا بالنسبة لما بذل الأتراك من الشقاق والنفاق بين العناصر . البلاد ستقسم الى مناطق بموجب الحالة الجغرافية والسياسية التى اكتسبها السكان بالنسبة الى اختلاف مناطقهم . وانى أعلم يقينا ان القسم الجنوبى من البلاد السورية لا يدار كما يدار الساحل ولا يدار الساحل كما يدار داخل سورية مثلا وحوران وجبل الدروز والمنطقة الجنوبية . وقولى هذا قول شخصى لانى فرد ولكننى أؤثر على المجموع بما له من الاعتماد على . وان شاء الله أرى منهم اعتمادا دائما ويأخذون أقوالى ويعملون بها لأن النتيجة حسنة ان شاء الله (تصفيق وسكوت برهة)

« وانى اطلب من الجميع كبيرا كان أو صغيرا أن يعتمدوا على البارى سبحانه وتعالى ثم على من هو منهم أى شخصى الحقير . لأنى سأدافع عنهم وسأنظر اليهم على اختلاف أديانهم نظرة واحدة

« لا فرق عندى بينهم . بل أرى الصالح والمتعلم مقدمين فى نظرى . أقسم على هذا بشرف آبائى وأجدادى، كما انى اطلب من الأمة أن لاتنظر الى شخصياتها فى المعاملات العامة وليس لاحد منا أن يقول كنت كذا ناظرا لشأنه العائلى . بل لينظر كل منا الى النفع العام فى جميع الامور التى يجب أن تقدم على المصالح الخاصة . ولا شك ان الشخص بذاته محترم عند الجميع . ولكن العمل يجب أن يكون بالعلم . فقد يكون الرجل وجيها فى البلاد وهو غير قادر على ادارة وظيفة فليعلم كل انسان انى لا أتحزب لشخص لانه من عائلة أو أسرة ذات شأن وقوة ، بل انظر الى اقتداره الشخصى لا لمقامه الاجتماعى فى الامة فاستخدمه فى العمل الذى يليق به . لان الحرمة الشخصية معنوية والعمل عائد للامة جميعا فلا يمكن إدخال الشخصيات فى العموميات

« وأرجو أن تعتمد الامة على الامم التى حالفتها وناصرتها والتى لولاها لم نستطع الاجتماع الآن . ولكننا واثقون ان حلفاءنا لا يريدون لنا إلا الفلاح ولا طمع لهم بغير نجاحنا . فعلينا أن نثبت لهم انا أمة تريد ان تستقل ولنحافظ على كبيرنا وصغيرنا وجارنا ومستجيرنا ونحترم كل من يأتينا من الأمم الغربية لخدمتنا فى بلادنا

« هذا وأرجوكم رجاء خاصا ادعوكم به الى الاتحاد وجمع الكلمة . فهذه وظيفة الامة لا وظيفتى الخاصة . إذ أنا فرد منكم . ولا استقلال لكم إلا اذا لزمتم السكون وعملتم بما يقوله من انتم معتمدوه

« هذه اقوالى وربما اطلت او أخطأت ولو خطب فى هذا الموقف غيرى لتكلم الساعات الطوال ولكن عجزى يجعلنى اقول السلام عليكم »

٦

الحالة فى سورية بعد عودة الامير

نشاط الحركة الوطنية وتأليف الأحزاب والأندية

عملت الحكومة الجديدة فى خلال غياب الأمير فيصل فى أوربا ـ وقد امتد خمسة أشهر ـ على اكمال التنظيم الادارى فأنشأت ديوانا للشورى الحربى للنظر فى شؤون الجيش كما أنشأت مجلسا للشورى يساعد الحاكم العسكرى العام فى درس القوانين والأنظمة وأسست ديوانا عاما للمعارف ومديرية للحقانية وأخرى للأشغال العمومية فخطت خطوات واسعة فى سبيل الاستقرار كما وطدت الأمن وكانت باتفاق الكلمة أفضل حكومة بين الحكومات الموقتة التى أنشئت فى لبنان أو فى فلسطين أو فى العراق فاطمأن اليها الناس وارتاحوا وأقاموا يرقبون نتائج المفاوضات الدائرة فى باريس لتقرير مصيرهم

ونشطت الحركة الوطنية فى خلال تلك الفترة نشاطا يستوقف الأنظار فصدرت صحف عديدة وتألفت احزاب سياسية وأنشئت الأندية الوطنية وانبث الدعاة فى كل مكان يعملون لايقاظ الروح الوطنية ويدعون الى مقاومة كل دعاية أجنبية ويطالبون بالاستقلال التام لسورية وفلسطين استقلالا مجردا من كل شائبة

ونتكلم أولا عن الأحزاب السياسية التى تألفت فى تلك الفترة وساهمت فى الحركة الوطنيـة وهى :

١ ـــ حزب العربية الفتاة

أعيد تأليف هذه الجمعية على أثر دخول دمشق وتولت العمل باسمها لجنة ادارية هذه أسماء أعضائها :

على رضا الركابى . ياسين الهاشمى . الدكتور أحمد قدرى . نسيب البكرى . رفيق التميمى . توفيق الناطور . والخامس هو السكرتير العام والسادس هو أمين الصندوق

وكانت هـذه اللجنة تسيطر على الحكومة سيطرة فعليـة وكانت منها بمنزلة جمعية الاتحاد والترقى من الحكومة التركية فما كان يتم شيء الا بأمرها وارادتها

وتبدلت هـذه اللجنة على أثر عودة الأمير من أوربا فى شهر مايو سنة ١٩١٩ فتألفت فى الدور الجديد على المنوال الآتى :

ياسين الهاشمى والدكتور أحمد قدرى ورفيق التميمى وسعيد حيدر وأحمد مريود وعزت دروزه وشكرى القوتلى وهذا أمين الصندوق ودروزة السكرتير العام

واستقالت هذه اللجنة فى شهر مارس سنة ١٩٢٠ على أثر حملات شديدة وجهت اليها فخلفتها لجنة جديدة اختارها الأعضاء فى اجتماع كبير عقدوه فى منزل على رضا الركابى برئاسة الأمير زيد وهى :

على رضا الركابى ونسيب البكرى وسعيد حيدر وخالد الحكيم والدكتور أسعد الحكيم ومحمد الشريقى (السكرتير) وجميل مردم بك (أمين صندوق)

وكان فى صندوق هذه الجمعية يوم أسندت أمانة صندوقها الى جميل مردم بك ١٦ ألف جنيه أبى شكرى القوتلى فى أول الأمر أن يسلمها لاعتبارات رآها على أنه قبل ـ بعد توسط والحاح ـ أن يسلمها وكانت فى عهده جميل بك يوم دخول الفرنسويين دمشق

وكذلك كان فى عهدة توفيق الناطور ألفا جنيه من أموال الجمعية لم يقـدم عنها حسابا للهيئة الادارية التى اجتمعت فى القاهرة بعد الجلاء عن دمشق لانه ظل فى سورية ولم يبرحها مع اخوانه الذين هجروها حين دخول الفرنسويين فقد عاد الى بيروت وتقلد على الأثر منصبا قضائيا فى حكومة لبنان

ومن الذين دخـلوا جمعية الفتاة فى ذلك الدور الدكتور عبـد الرحمن الشـهبندر وحسن الحكيم وعمر الأتاسى وخالد الحكيم والأمير عادل ارسلان وأسعد الحكيم ويوسف حيدر ورشـيد طليع

ب ـــ حزب الاستقلال العربى

أنشىء هذا الحزب فى دمشق سـنة ١٩١٩ ليكون ردءا لجمعية الفتاة فتظل سرية ويظل أمرها مجهولا عن الجمهور فيتولى هو العمل الظاهرى ويقوم بالأعمال الاخرى وقد اشترك عدد من أعضائها فى تأسيسه

وهذه أسماء أول لجنة ادارية له : سعيد حيـدر وأسعد داغر وعزت دروزه وزكى التميمى وفوزى البكرى وعبد القادر العظم وسليم عبد الرحمن وفايز الشهابى

وقد كثر عدد الذين دخلوا فيه تلك الأيام وكان شعاره العمل لاستقلال بلاد العرب وتحريرها من كل نفوذ أجنبى

ج — حزب العهد السورى

حزب العهد من الأحزاب العربيـة التى نشأت فى الاستانة خلال العهد التركى وعملت لمصلحة العرب وقد بسطنا تاريخه وأغراضه بسطا وافيا فى المجلد الاول

فلما تم فتح سورية وظهرت نيات الحلفـاء وأغراضهم اجتمع مؤسسو هذا الحزب وأعضاؤه القدماء من الضباط العرب الذين اشتركوا فى الثورة عراقيين وسوريين وقرروا أن ينقسم العهد الى حزبين : سورى وعراقى فيعمل كل منهما لخدمة قضية بلده مستقلا عن الآخر

وتألف حزب العهد السورى فى هذا العهد من الضباط السوريين سواء منهم الذين كانوا فى الجيش العربى واشتركوا فى الثورة والذين ظلوا فى الجيش التركى وجاءوا بعد الحرب الى بلادهم . واشترك عـدد من غير العسكريين فى أعماله نذكر منهم الأمير فؤاد الشهابى وحسن الحكيم وحسنى البرازى وغيرهم وكانت غايته السعى لاستقلال سورية

وهذه أسماء أعضاء لجنته الادارية : حسنى البرازى . محمد اسماعيل . لطفى الرفاعى . عارف التوام . رشيد بقدونس . الأمير فؤاد شهابى . حسن الحكيم

د — حزب الاتحاد السورى

نشأ هذا الحزب فى مصر رسميا فى شهر ديسمبر سنة ١٩١٨ أى بعد طرد الترك من الشام وقدضم نخبة من رجال القضية العربية القدماء،الذين انفضوا تدريجا من حول الحسين خلال السنة الأولى والثانية للنهضة لما تبينوه من صلابته وتشدده فى آرائه وعـدم ميله الى الأخذ بآراء ذوى الرأى ، ولأنهم أدركوا أن الانـكليز والفرنسويين مصممون على اقتسام العراق وسورية

وجاء نشر البـلاشفة للوثائق السرية بعـد خروجهم على الحلفاء وفى جملتها معاهدة

سايكس ـ بيكو فزادهم ايمانا على ايمانهم وحملهم على مضاعفة الهمة لانقاذ سورية من دون أن تكون لهم صلة بحكومة مكة وكان هنالك اجماع بأن الحلفاء سيتركون الحجاز للحسين ولن يمكنوه من التدخل فى غيره

وبدأ هؤلاء العمل فى أوائل سنة ١٩١٨ ـ وكانت الحرب دائرة ـ فاختاروا منهم لجنة هذه أسماء رجالها : رفيق العظم والدكتور عبد الرحمن الشهبندر . وفوزى البكرى . والشيخ كامل القصاب . وخالد الحكيم . ومختار الصلح . وحسن حماده ، اشتغلوا شهرين أو ثلاثة لجمعوا فى خلالها الوثائق الخاصة بالجمعيات العربية وترجموا بعض رجال العرب من الشهداء والغاية التى رموا اليها ثم كتبوا كتابا الى اللورد ملنر وزير الحربية البريطانية يومئذ بواسطة سكرتيره سالوه فيه بعد ماوصفوا القلق المستحوذ على البلاد العربية الأسئلة الآتية :

١ ـ هل باستطاعتنا أن نؤكد لقومنا أن غاية الحكومة البريطانية أن يتمتع العرب فى البلاد العربية بالاستقلال التام ونحن نتعهد باعتبارنا الممثلين للجمعيات العربية المتعددة بأنه بعد التصريح الايجابى نقوم بالخدم اللازمة التى نكلف بها من جانب حلفائنا وتعود منفعتها علينا جميعا

٢ ـ يطلق القائمون بالحركة العربية كلمة بلاد العرب على شبه جزيرة العرب والعراق وسورية وقسم من ولاية الموصل

٣ ـ هل من سياسة حكومة انكلترا مساعدة أهالى هذه البلاد على استقلالهم استقلالا تاما وتأليف حكومة عربية لامركزية تشبه حكومة الولايات المتحدة أو غيرها من الحكومات الحليفة التى توافق طبيعة الأهلين أم هى تعتبر كل البلاد العربية على السواء

٤ ـ ان السوريين مع تمنيهم لأن تكون سورية جزءاً من المملكة العربية الحليفة فانهم كانوا من قبل الحرب يعملون لتطبيق قانون اللامركزية على البلاد السورية وتقسيمها الى ولايات تحكم نفسها بنفسها حكما اداريا فقط واذا استقلت البلاد العربية فيجوز تطبيق مثل هذا القانون على ولاياتها وأمارتها كلها

٥ ـ ان العرب كانوا ولا يزالون يعتمدون على بريطانيا العظمى ويثقون بتقاليدها

التى تقضى بسلامة البلاد العربية واعتبار صونها ضرورة سياسية ولذا فان قومنا يمدون يد الموالاة والصداقة الى حكومة بريطانيا والى شعبها ويأملون منهما أن يكونا نصيرى هذا الشعب ذى التاريخ العظيم الذى اذا وقف على أبواب الشرق كان حارسا أمينا وصديقا صدوقا لمعاضديه على استقلاله

٦ ـ ان التصريحات الرسمية التى صرح بها ساسة الحكومة الانكليزية الخاصة بسلامة الولايات التركية الآهلة بالعنصر التركى وعدم التحدى لاستقلالها واغفال سائر العناصر العثمانية تجعل الامة العربية فى يأس شديد من سلامة حياتها السياسية اذ لانرى من الانصاف أن يصرح لتركيا التى هى حليفة الألمان بسلامة بلادها وتهمل الأمة العربية التى هى حليفة بريطانيا العظمى والتى ضحت بالكثير من رجالها لأجل استقلالها

وهنا مجال للقول فى اختلاف الأحوال فى البلاد العربية والخلاف القائم بين بعض أمرائها ولكننا نقدر أن نقول ان الوفاق بين أمراء العرب غير متعذر على المبادىء الأساسية التى تقوم عليها حكومة البلاد العربية المتحدة ، هذا اذا أمدتنا دولة انكلترا بالمساعدة وأطلقت لنا يد العمل بصدق واخلاص فى شبه جزيرة العرب واستعانت بجلالة الملك الحسين بن على المعظم على التأليف بين قلوب أمراء الجزيرة وجمع كلمتهم

هذا واننا مع متنورى العرب عامة والسوريين منهم خاصة سواء كانوا فى سورية أم فى مصر أم فى البلاد التى لا تزال تحت النير التركى أم فى البلاد التى تشغلها الجيوش البريطانية مستعدون لكل مساعدة وكل عمل تترتب عليه مصلحة بلادنا ووفاؤنا الى حلفائنا الذين يأخذون بناصرنا

٧ ـ ان الثورة العربية وان ظهرت من الحجاز فسورية أساسها ولها اليد الطولى فى الحركة الفكرية التى انتجتها وكان الاتصال مستمرا بينها و بين الحجاز وكان جلالة الملك المعظم وأنجاله الأمراء على اتفاق تام مع الجمعيات العربية فى سورية ومصر ولولا ثقة السوريين بوفاء انكلترا للعرب عامة وللسوريين خاصة لما قدم هؤلاء منذ نشبت الحرب الى يومنا هذا عددا عظيما من نوابغ رجالهم وعلمائهم وأفاضلهم ضحايا من أجل استقلال البلاد العربية

ونحن لانتصور أبدا أن رجال بريطانيا العظمى المنصفين يدعون تلك النفوس

الشريفة تذهب هدرا مهما كانت الاعتبارات السياسية التى تتطور اليوم فى أوربا . ومن البيانات المهمة التى نكتفى بالاشارة اليها فى هـذا البيان أن الجمعيات السورية لم ترسل مندوبيها الى مصر بعد اعلان الحرب (اشارة الى سفر الاستاذ الشيخ كامل القصاب وغيره الى مصر) الا للاستيثاق من معونة انكلترا وتحقيق الآمال التى عقدتها الأمة العربية على رجال بريطانيا العظمى

ويكفى أن نلفت نظركم الى الايضاحات السياسية التى صرح بها جمال باشا فى كتابه الذى طبع أثناء الحرب وشوه به وجه الحقيقة ومنه تعلمون طرفا من أخبار هـذه الجمعيات التى نقدم لكم تاريخها الحقيقى

العهد البريطانى للسوريين السبعة

وفى يوم ٢٢ يونيو سنة ١٩١٨ دعا الكومندور هوغارث عميد جامعة اكسفورد ، وكان منتدبا للعمل فى المكتب العربى بمصر الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وأحد اخوانه الى منزل المستر والرند كاتم أسرار اللورد ملنر وأبلغه جواب الحكومة البريطانية الرسمى الصادر يوم ١٦ يونيو سنة ١٩١٨ من وزارة الخارجية وهو :

١ ـ ان حكومة جـلالة الملك ترغب فى أن تكون عامة الشعوب التى تتكلم اللغة العربية منقذة من السلطة التركية وأن تعيش فيما بعد وعليها الحكومة التى ترغب فيها

٢ ـ أن بعض البلاد العربية اما كانت تتمتع باستقلالها التام منـذ مدة أو حصلت عليه الآن وهو استقلال اعترفت به انكلترا اعترافا تاما وهـذا يكون شأنها أيضا مع البلاد التى تحصل على استقلالها من الآن حتى نهاية الحرب

٣ ـ ان سائر البلاد العربية هي الآن اما خاضعة للترك أو تحتلها جيوش الحلفاء فحكومة جلالة الملك تأمل ولها الثقة أن شعوب هذه البلاد تحصل أيضا على حريتها واستقلالها وأن يتخذ بشأنها عند انتهاء الحرب قرار يتفق مع رغائبها

٤ ـ ان حكومة جلالته تعتقد أن العوائق والصعوبات المقدرة التى تقف فى سبيل احياء هـذه الشعوب سيتغلب عليها تغلبا ناجحا . وهى تعد بكل مساعدة لمن يسعى فى ازالتها ومستعدة لأن تنظر فى أى خطة لعمل مشترك يلتئم مع الحركات العسكرية الحاضرة ويتفق مع المبادىء السياسة لبريطانيا وحلفائها

و بعد الحصول على هذه الوثيقة السياسية الخطيرة وقد سماها لورانس « العهد البريطانى للسوريين السبعة » اجتمع عدد كبير من السوريين فى مصر فتذاكروا فى الشؤون السياسية الى أن انتهوا الى انشاء حزب الاتحاد السورى و وضعوا له المبادىء الآتية :

١ ـ تكون سورية بجملتها على وحدتها القومية من جبال طوروس شمالا والخابور فالفرات شرقا والصحراء العربية فمدائن صالح جنوبا والبحر الأحمر فخط العقبة ورفح فالبحر المتوسط غربا

٢ ـ تكون سورية مستقلة استقلالا تاما تضمنه جمعية الأمم وتضمن قانونه الأساسى ضمانا لايخل بهذا الاستقلال

٣ ـ يكون الحكم فيها على مبدأ الدمقراطية اللامركزية ويكون أساس قوانينها وأحكامها مدنيا بحتا ماعدا أحكام الأحوال الشخصية فانها تبقى على ماهى عليه

٤ ـ يكون قانون حكومتها الأساسى ضامنا حقوق الأقليات

وقد اختير الأمير ميشيل لطف الله رئيسا له والسيد رشيد رضا وكيلا والدكتور عبد الرحمن الشهبندر وسليم سركيس سكرتيرين وانضم اليه رفيق العظم والشيخ كامل القصاب وخالد الحكيم و وهبه عيسى المحامى وغيرهم

وما كاد يذاع خبر تأليف هذا الحزب حتى أرسل اليه الأمير جورج لطف الله يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٨ حوالة مالية بألفى جنيه مع كتاب رقيق «أعرب فيه عن سروره بقيام طائفة من رجال الوطن بعمل نافع لسورية وقال انه لما كان يعلم أن مايقومون به يحتاج الى نفقات فهو يرجوهم قبول نصيبه من الاشتراك معهم فى المسعى الوطنى الجليل وذلك بتسلم الحوالة التى أرسلها على بنك الانجلو بألفى جنيه مصرى» فقررت لجنة الحزب فى جلستها فى اليوم نفسه إبلاغه شكرها وقالت « ان الأمير بعمله وضع الحجر الذهبى الأول فى أساس الحزب الذى ألف لجمع كلمة السوريين على طلب الاستقلال التام لوطنهم بالفعل فى الفرصة السانحة الآن »

ولقد كان هـذا الحزب أول حزب احتج على تقسيم سورية الى مناطق على أثر الاحتلال كما كان أول من طالب باستفتاء السوريين فى تقرير مصيرهم . ولما قدمت اللجنة الاميركية الى سورية سافر رئيسه الأمير ميشيل لطف الله الى دمشق وانضم الى العاملين . وانشأ

هـذا الحزب فرعا فى دمشق برئاسة الدكتور عبد الرحمن الشهبندر اشترك فى تلك الحركة وساهم فيها

٥ — الحزب الوطنى السورى

نشأ هـذا الحزب فى دمشق يوم ٢٥ يناير سنة ١٩٢٠ وقد جاء فى المادة الثانيـة من برنامجه ان غايته هى :

١ ـ السعى الى استقلال سورية السياسى التام بحدودها الطبيعية والمطالبة بذلك والدفاع عنه بكل الوسائل الفعالة

٢ ـ تقوية الصلات القومية والأدبية والاقتصادية بين الشعوب العربيـة عامة والبلاد السورية خاصة والسعى فى تقوية الفكرة العلمية فى الأمة العربية لتنهض الى مستوى الأمم الراقية

٣ ـ التساوى فى الحقوق المدنيـة والسياسية بين جميع أبناء الوطن السورى على اختلاف المذاهب والعناصر

٤ ـ تأييد المبدأ الملكى الديمقراطى بتأليف حكومة ملكية نيابية تكون من الشعب ومسؤولة أمام الشعب يرأسها سمو الأمير فيصل باسم ملك سورية ويمثلها تمثيلا سياسيا كما هو الحال فى الحكومات الملكية المقيدة .

٥ ـ صيانة الحق القانونى فى جميع أوضاع الحكومة والأمة والسعى لتحسين حالة النظام الاجتماعى فى سورية بتأسيس صناديق للتعاون الاقتصادى والخيرى وتنشيط النقابات الزراعية والتجارية وجمعيات العمال

٦ ـ مؤازرة سمو الأمير فى مايطلبه لمصلحة البلاد واستقلالها وتشويق الأهلين على الاقبال على التجنيد وما يلزمه من التكاليف حتى يتسنى الدفاع عن الوطن وتوطيد الأمن فى ربوعه والظهور بمظهر الحكومات المنتظمة الراقية الخ

وقد تولى محمد الشريقى سكرتارية هذا الحزب وكان ذا هيئتين ادارية وتتألف من ١٦ عضواً واستشارية وتتألف من ٢٥ عضوا معظمهم من وجهاء دمشق وأعيانها و بينهم عدد من الأحرار ومن الأشراف الحجازيين

٦ — الجمعية العربية الفلسطينية

وكانت فى دمشق خلال تلك الفترة جالية فلسطينية كبيرة لها صوت مسموع فى الدوائر السياسية كما كان عدد كبير من رجالها يتبوأون مناصب رفيعة فى دوائر الحكومة وفى الأحزاب وفى الجمعيات والنوادى والصحافة

ومع أنهم أنشأوا فى أول الأمر جمعية باسم جمعية النهضة الفلسطينية لمناصرة القضية الفلسطينية والدفاع عنها واسماع صوت فلسطين الا أنهم عادوا أخيرا فأنشأوا فى أول يونيو سنة ١٩٢٠ جمعية باسم الجمعية العربية الفلسطينية تعمل لجمع كلمة الجمعيات الفلسطينية وتوحيد غاياتها وتسعى لمقاومة الهجرة الصهيونية وادخال فلسطين ضمن الوحدة السورية وانتخبوا لها هيئة ادارية هذه أسماء أعضائها :

ابراهيم القاسم عبد الهادى . أمين الحسينى (مفتى القدس) سليم عبد الرحمن. معين الماضى. عزت دروزة . عارف العارف

وقد أدت هذه الجمعيات خدمات ذات شأن للقضية الفلسطينية

تلك هى الأحزاب والهيئات الرسمية التى كانت تعمل فى سورية يومئذ وكانت ذات برامج معينة وخطط مقررة ، وقد كان لكل حزب منها جريدة تمثله وتنطق بلسانه فجريدة المفيد كانت لسان حزب الاستقلال العربى والكنانة كانت لسان حزب العهد والأردن كانت لسان الحزب الوطنى والدفاع لسان الاتحاد السورى

٧ — الحزب السورى المعتدل بمصر

ونشأ أيضا فى خلال تلك الفترة حزب سياسى فى مصر باسم الحزب السورى المعتدل شعاره العمل لتوحيد سورية فى ظل الانتداب الأميركى وقد ضم خيرة السوريين فى مصر وكبارهم وفى مقدمتهم الدكتور فارس نمر صاحب المقطم والدكتور يعقوب صروف وميشيل أيوب باشا وسعيد شقير باشا وأنطون مشاقه باشا وخليل خياط باشا (رئيس فرع الاسكندرية) وسليمان نصيف ونسيم صيبعة وأمين مرشاق ونقولا دياب وسليم حداد والياس عيساوى وغيرهم . ولم يكن لهذا الحزب رئيس معين وانما كان أعضاؤه ينتخبون رئيسا لكل جلسة يعقدونها وكانت السكرتارية العامة بيد الاستاذ سامى الجريديني

ولما وصلت اللجنة الأميركية الى بيروت انتدب هذا الحزب وفدا من رجاله تالف من الدكتور فارس نمر وخليل باشا خياط وأنطون مشاقه باشا ونسيم صيبعه فوصلوا صباح ١٠ يوليو اليها

وقابل خياط باشا والدكتور نمر المستر كراين مقابلة طويلة بسطا فيها مطالب الحزب ورغائبه وهى تنحصر فيما يأتى :

١ ـ أن تكون سورية من جبال طوروس شمالا الى حدود صحراء سينا جنوبا ومن البحر المتوسط غربا الى الصحراء العربية شرقا بلادا واحدة غير متجزئة

٢ ـ أن يعلن مؤتمر الحلفاء استقلال سورية التام ويوكل دولة لتساعد حكومتها حتى تبلغ الدرجة التى تتمكن بها من حفظ هذا الاستقلال والتمتع به وأن تكون تلك الدولة هى الولايات المتحدة الأميركية لأنها غير مقيدة باتفاقات تستلزم تجزئة سورية

٣ ـ أن تقسم البلاد الى ولايات متحدة مستقلة كل منها بشؤونها الداخلية وضمها جميعها الى حكومة واحدة مركزية نيابية مدنية

٤ ـ أن تكون اللغة العربية هى اللغة الرسمية الوحيدة للبلاد كلها

٥ ـ أن تكون الديانة مفصولة فصلا تاما عن الحكومة وسياستها مع المحافظة على أحكام الأحوال الشخصية

وكانت فى دمشق أيضا اللجنة الوطنية وهى ذات مهمة خاصة وسنتكلم عنها فى موضعها

الأندية العربية

ونشأت على أثر قيام الحكومة العربية أندية وطنية تضم الشباب وتعمل على اذكاء الروح الوطنية فى صدره وتنظم حركته وكان النادى العربى فى دمشق رأس هذه الأندية كما كان قطب رحى الحركة السياسية ومحل عقد الاجتماعات الوطنية والحفلات العمومية

وكذلك كان فى حلب ناد بهذا الاسم ومثله فى حمص و بقية المدن الأخرى وكانت مرتبطة بنادى دمشق تسير طبق تعليماته وأوامره

وغنى عن البيان أن وجود هذه الأحزاب والصحف والأندية ساعد على تنمية

الروح الوطنية واذ كانها كما ساعد على نشر الفكرة الاستقلالية سواء فى الجنوب (فلسطين) أو فى الساحل فلم يرق ذلك للفرنسويين والانكليز وخافوا العاقبة ولذلك رأينا المسيوجورج بيكو نفسه يبرق فى أواخر شهر يناير سنة ١٩١٩ الى وزارة الخارجية الفرنسوية قائلا ان غياب الأمير فيصل شجع المتطرفين

ويقول الكولونيل بريمون فى كتابه (ص ٣٢٥) ان اللورد اللنبى زار دمشق فى أوائل شهر فبراير سنة ١٩١٩ مع المسيوجورج بيكو فقال اللورد لصاحبه : سيعود الأمير فيصل الى دمشق لاقامة قصيرة وانى أعتمد شخصيا على نفوذه (الأمير) فى مقاومة الحركة العربية التى تنمو باطراد فى الخارج وتبعث على قلقى

السعى للتفاهم بين الامير وفرنسا

وعاد المسيو جورج بيكو الى دمشق فى النصف الأخير من شهر مايو أى بعد عودة الامير باسبوعين فقابله مقابلة طويلة ودار البحث على ايجاد صيغة للاتفاق بينه وبين فرنسا ويقول الكونت غونتنيرون فى كتابه « كيف استقرت فرنسا فى سورية » وهو من الذين عملوا مع المسيو جورج بيكو فى تلك الايام : ان هذه المقابلة جرت بطلب الأمير وأنه اقترح الشروط الآتية للتفاهم مع فرنسا

١ ـ تلغى فرنسا معاهدة سايكس ـ بيكو فى مقابل الاعتراف بالانتداب على سورية
٢ ـ تلغى الادارة العسكرية فى الساحل وتنشأ ادارة محلية وطنية كادارة المنطقة الشرقية

فرد عليه المسيو بيكو بانه لايسع فرنسا الغاء تلك المعاهدة لأنها ذات طرف واحد فيها على أنه وعده بدرس هذا الاقتراح والنظر فيه وادخال بعض تعديلات على المعاهدة بعد الاتفاق على ذلك مقدما مع القيادة البريطانية العليا لان انكلترا احد الفريقين المتعاقدين

وطلب الأمير فى هذه المقابلة أن تذيع المفوضية الفرنسوية بلاغا تعلن فيه قبولها لاقتراحاته قبل وصول لجنة الاستفتاء الأميركية ليطمئن الرأى العام السورى فأجابه المسيو بيكو أن منشور الحلفاء الصادر يوم ٩ نوفمبر سنة ١٩١٨ (انظر ص ٥) يكفى من هذه الناحية لتطمين سموه فأجابه انه مختصر ومبهم

ودار البحث أيضا على مسألة الحدود فأظهر الأمير رغبته فى توحيد سورية

وفلسطين وكيليكية والموصل وجعلها ضمن الحدود السورية وطلب مساعدة فرنسا لعرب العراق فوعده المسيو جورج بيكو بأن يبذل جهده بالاتفاق معه لانشاء « سورية كاملة » رغم ما تبديه انكلترا من عدم التساهل فى ترك الموصل وفلسطين . وقال فيما يتعلق بالعراق انه لايشترك فى عمل لاتقره انكلترا

ولم تسفر هذه المباحثات عن أى اتفاق على أن المسيو بيكو أبرق على الفور الى وزارة الخارجية بما دار . وفى يوم ١٨ يونيو أى بعد انقضاء شهر أو أكثر على تلك المقابلة تلقى تعليمات من باريس فزار الأمير وأبلغه استعداده لنشر البيان الذى اقترحه وللموافقة على تعيين موظفين سوريين فى المنطقة الساحلية فلم يقبل وهكذا فشلت المفاوضات بين الأمير والفرنسويين

دعوة مؤتمر سورى عام

وأول ماالتجهت اليه أنظار الأمير فى هذه المرحلة دعوة الأمة السورية الى انتخاب ممثلين رسميين لها يجتمعون فى دمشق ويبدون رأيهم فى مصيرها ونوع الحكم الذى تختاره ويقدمون مطالبها الى اللجنة الدولية القادمة فى الطريق . فجرت الانتخابات فى المنطقة الشرقية طبقا لقانون الانتخاب التركى القديم فدعى الناخبون الثانويون الذين انتخبوا النواب للبرلمان العثمانى الى اختيار النواب الجدد بالنظر لضيق الوقت وجرت هذه العملية فى الداخل طبق المرام . أما فى الساحل وفلسطين وكانتا تحت الاحتلال الأجنبى فقد اجتمع كبار القوم وذوو الرأى والمكانة وانتخبوا مندوبين عنهم بموجب مضابط وضعوها فجاء نواب بيروت وطرابلس واللاذقية وفلسطين الى دمشق ودخلوا المؤتمر بموجبها

وفى يوم ٧ يونيو افتتح المؤتمر رسميا فى دار النادى العربى افتتحه الأمير بخطبة ضافية بسط فيها الغاية من دعوته وتكلم عن اللجنة الأميركية ومهمتها وقال ان مهمة المؤتمر تنحصر فى تمثيل البلاد أمام اللجنة الأميركية وعرض أمانيها وفى سن القانون الاساسى فيكون دستور سورية المستقبل ويحفظ حقوق الأقليات

٧

وصول اللجنة الاميركية ومطالب البلاد

في يوم الأربعاء ١٠ يونيو وصلت الى يافا اللجنة الأميركية قادمة بباخرة خاصة فنزلت الى البر وبدأت عملها الرسمي باذاعة البيان الآتي :

ان الشعب الأميركي ليس له مطامع سياسية في أوربا أو الشرق الأدنى بل يفضل — على قدر الامكان — تجنب كل علاقة بالمشاكل الأوربية والأسيوية والأفريقية ويرغب باخلاص في أن يسود السلام الدائم وانه بهذه الروح يدنو من مشاكل الشرق الأدنى

« لقد عين مجلس الأربعة لجنة دولية لدرس الحالة في المملكة التركية لعلاقتها بالوصايات فغاية القسم الأميركي الموجود الآن هي الوقوف جهد المستطاع على أحوال السكان والطبقات وعلاقاتهم ليكون الرئيس ولسن والشعب الأميركي على بينة من الحقائق في كل سياسة يدعى الى السير عليها فيما يتعلق بمشاكل الشرق الأدنى سواء كان ذلك في مؤتمر الصلح أو في جمعية الأمم »

وانضم الى اللجنة في يافا الكولونيل ويلسن السكرتير العسكري للورد اللنبي

وهذه أسماء رجال اللجنة

مستر تشارلس كراين ومستر هنري كنغ — مندوبان

مستر البرت يساو — مستشار فني

مستر جورج منتغمري — مستشار فني

الكبتن وليم ياي — ملحق

المستر لورانس مور — مدير أعمال

ولقد رج وصول اللجنة الأميركية البلاد من أقصاها الى أقصاها فكثرت الاجتماعات ونشطت الدعايات ووزعت المنشورات وتعددت الرسل وتنوعت الأسباب وحاول الفرنسويون

فى خلال هـذه المرحلة أن يفوزوا ولو باليسير من عطف الشعب السورى فاخفقوا رغم ماذلوه وما أنفقوه وقدر بعشرات الألوف من الجنيهات

ولقد اتفقت كلمة معظم أهالى فلسطين وجنوبى سورية على توكيل المؤتمر السورى العام وكان ممثلوهم يقولون لرجال اللجنة : اذهبوا الى دمشق وقابلوا المؤتمر فهو الذى يتكلم بلساننا .

وبعد ماوصلت الى دمشق قابلها رئيس المؤتمر يوم ٣ يوليو سنة ١٩١٩ وسلمها قراره وكان على رأس وفد يتألف من ٢١ عضوا يمثلون مناطق سورية المختلفة وهذا هو بنصه :

« اننا نحن الموقعين أدناه بامضاءآتنا وأسمائنا أعضاء المؤتمر السورى العام المنعقدفى دمشق الشام والمؤلف من مندوبى جميع المناطق الثلاث الجنوبية والشرقية والغربية الحائزين على اعتمادات سكان مقاطعاتنا وتفويضاتهم من مسلمين ومسيحيين وموسويين قد قررنا فى جلستنا المنعقدة فى نهار الأربعاء المصادف لتاريخ ٢ يوليو سنة ١٩١٩ وضع هذه اللائحة المبينة لرغبات سكان البلاد الذين انتدبونا ورفعها الى الوفد الأميركى المحترم من اللجنة الدولية :

« أولا ــ اننا نطلب الاستقلال السياسى التام الناجز للبلاد السورية التى تحدهاشمالا جبال طوروس وجنوبا (رفح) فالخط المار من جنوب (الجوف) الى جنوب (العقبة الشامية) و (العقبة الحجازية) وشرقا نهر الفرات فالخابور والخط الممتد شرقى (أبى كمال) الى شرقى (الجوف) وغربا البحر المتوسط، بدون حماية ولا وصاية

« ثانيا ــ اننا نطلب أن تكون حكومة هذه البلاد السورية ملكية، مدنية، نيابية تدار مقاطعاتها على طريقة اللامركزية الواسعة وتحفظ فيها حقوق الأقليات على أن يكون ملك هذه البلاد الأمير فيصل الذى جاهد فى سبيل تحرير هذه الأمة جهادا استحق به أن نضع تمام الثقة بشخصه وان نجاهر بالاعتماد التام على سموه

« ثالثا ــ حيث ان الشعب العربى الساكن فى البلاد السورية شعب لا يقل رقيا من حيث الفطرة عن سائر الشعوب الراقية وليس هو فى حالة أحط من حالات شعوب البلغار والصرب واليونان ورومانيا فى مبدأ استقلالها فاننا نحتج على المادة (٢٢) الواردة فى عهد

جمعية الأمم والقاضية بإدخال بلادنا فى عداد الأمم المتوسطة التى تحتاج الى دولة منتدبة

« رابعا ــ اذا لم يقبل مؤتمر الصلح هذا الاحتجاج العادل لاعتبارات لا نعلم كنهها فاننا بعد ماأعلن الرئيس ويلسن ان القصد من دخوله فى الحرب هو القضاء على فكرة الفتح والاستعمار ، نعتبر مسألة الانتداب الواردة فى عهد جعيـة الأمم عبارة عن مساعدة فنيـة واقتصادية لا تمس باستقلالنا السياسى التام . وحيث اننا لا نريد أن تقع بلادنا فى أخطار الاستعمار . وحيث اننا نعتقد ان الشعب الاميركى هو أبعد الشعوب عن فكرة الاستعمار وانه ليس له مطامع سياسية فى بلادنا، فاننا نطلب هذه المساعدة الفنية والاقتصادية من الولايات المتحدة الاميريكية على أن لا تمس هذه المساعدة استقلال البلاد السياسى التام ووحدتها وعلى أن لا يزيد أمد هذه المساعدة عن عشرين عاما

« خامسا ــ اذا لم تتمكن الولايات المتحدة من قبول طلبنا هـذه المساعدة منها فاننا نطلب أن تكون هذه المساعدة من دولة بريطانيا العظمى على أن لا تمس استقلال بلادنا السياسى التام ووحدتها وعلى أن لا يزيد أمدها عن المدة المذكورة فى المادة الرابعة

« سادسا ــ اننا لا نعترف باى حق تدعيـه الدولة الفرنسـية فى أى بقعة كانت من بلادنا السورية ونرفض أن يكون لها مساعدة ويد فى بلادنا باى حال من الاحوال

« سابعا ــ اننا نرفض مطالب الصهيونيين بجعل القسم الجنوبى من البلاد السورية أى فلسطين وطنا قوميا للاسرائيليين ونرفض هجرتهم الى أى قسم من بلادنا . لانه ليس لهم فيها أدنى حق ولانهم خطر شـديد جدا على شعبنا من حيث الاقتصاديات والقوميـة والكيان السـياسى . أما سكان البلاد الأصليون من اخواننا الموسويين فلهم مالنا وعليهم ماعلينا .

« ثامنا ــ اننا نطلب عدم فصل القسم الجنوبى من سورية المعروف بفلسطين والمنطقة الغربية الساحلية التى من جلتها لبنان ، عن القطر السورى ونطلب أن تكون وحـدة البلاد مصونة لا تقبل التجزئة باى حال كان

« تاسعا ــ اننا نطلب الاستقلال التام للقطر العراقى المحرر ونطلب عدم إيجاد حواجز اقتصادية بين القطرين

« عاشرا ـ ان القاعدة الأساسية من قواعد الرئيس ويلسن التى تقضى بالغاء المعاهدات السرية تجعلنا نحتج على كل معاهدة تقضى بتجزئة بلادنا السورية أو كل وعد خصوصى يرمى الى تمكين الصهيونيين فى القسم الجنوبى من بلادنا . ونطلب أن تلغى تلك المعاهدات والوعود باى حال كان.

« هذا وان المبادئ الشريفة التى صرح بها الرئيس ويلسن لتجعلنا واثقين كل الثقة فى أن رغائبنا هذه الصادرة من أعماق القلوب ستكون هى الحكم القطعى فى تقرير مصيرنا. وان الرئيس ويلسن والشعب الامريكى الحر سيكونون لنا عونا على تحقيقها فيثبتون للملأ صدق مبادئهم السامية وغايتهم الشريفة نحو البشرية بنوع عام ونحو شعبنا العربى بنوع خاص . وان لنا الثقة الكبرى فى أن مؤتمر السلام يلاحظ أننا لم نثر على الدولة التركية التى كنا وإياها شركاء فى جميع الحقوق التمثيلية والمدنية والسياسية إلا لانها تحاملت على حقوقنا القومية فيحقق لنا رغائبنا بتمامها فلا تكون حقوقنا قبل الحرب أقل منها بعد الحرب بعد ان أرقنا من الدماء ما أرقناه فى سبيل الحرية والاستقلال ونطلب السماح لنا بارسال وفد يمثلنا فى مؤتمر السلام للدفاع عن حقوقنا الثابتة تحقيقا لرغباتنا هذه والسلام »

وبعد ما أتمت اللجنة مهمتها فى دمشق ووقفت على رغائب الشعب وأمانيه سافرت الى بعلبك ثم قصدت بيروت وقامت بجولة فى أنحاء المنطقة الغربية وسمعت أقوال سكانها وقد أجمعت كلمة المسلمين ويؤلفون الأكثرية على رفض الانتداب الفرنسوى رغم سعى الفرنسويين وتهديدهم ومحاولتهم صد الناس عن اللجنة بالقوة وكانت أكثرية الموارنة والكاثوليك فى جانب الانتداب الفرنسوى وقال بعضهم بانشاء لبنان الكبير فى ظل فرنسا وقال آخرون بالانضمام الى الوحدة السورية

وغادرت اللجنة بلاد الشام بعد ماقضت فيها ٤٢ يوما وزارت ٣٦ بلدا من أكبر بلدانها وتلقت ١٨٣٦ عريضة وبعد ماسمعت آراء السكان وقد أجمعت أكثريتهم المطلقة على طلب الاستقلال التام لسورية المتحدة على أن تستمد الدولة السورية المساعدة الفنية من اميركا فاذا أبت فمن انكلترا مع رفض الانتداب الفرنسوى والهجرة الصهيونية ، وتقول اللجنة فى تقريرها أن ٥ ـ ٧٥ فى المائة من مجموع السكان وعددهم ٣٤٧٥٠٠٠ نسمة أجمعوا على هذه المطالب مما يدل على يقظة الشعب السورى وتضامنه واتحاده فانه رغم الوسائل

العديدة التي بذلها الفرنسويون لم يوفقوا الى اكتساب ثقة سوى الموارنة اقترعوا لهم مراعاة لتقاليد قديمة ولانهم نشأوا في مدارسهم أما الأكثرية الساحقة من السوريين وخصوصا المسلمين فقد وقفوا صفا واحدا ينادون بطلب الوحدة والاستقلال ورفض كل وصاية وحماية مما يسجل لهم بالفخر

وقصدت اللجنة أطنه فأقامت مدة تبحث وتنقب ثم سافرت الى الاستانه ومنها عادت الى باريس في أوائل شهر سبتمبر سنة ١٩١٩ لتقديم تقريرها فاذا كل شيء قد تبدل وتحول واذا القوم غير القوم والرجال غير الرجال . فأسقط في يدها فحملت تقريرها الى واشنطن وسلمته الى وزارة الخارجية فألقته في سلة المهملات وظل أمره مكتوما حتى سنة ١٩٢٤ إذ نشرته جريدة التيمس الاميركية وقدمت له بمقدمة قالت فيها « ان السر في إقناع وزارة الخارجية الاميركية بالعدول عن نشره هو مااشتمل عليه، ولو نشر في حينه لغير مجرى الحوادث في تركيا وربما أنقذ مليونا من الأشخاص الذين هدرت دماؤهم ظلما بعد الحرب . ويزيح هذا التقرير الغطاء عن مطامع الحلفاء ويبين مساوىء المعاهدات السرية ويوضح التناقض بين العهود التي قطعتها أوربا لشعوب الشرق والخطة الاستعمارية التي سارت عليها وينبئ مقدما بحبوط الحركة الصهيونية ويصور الاتحاد المكين بين المسلمين والمسيحيين للحصول على الاستقلال ويثبت بطلان دعاوى أوربا »

ونثبت هنا الجانب الأعظم من هذا التقرير لخطورته ولأنه يمثل صفحة من صفحات الوطنية السورية الخالدة ويثبت أن العرب السوريين في قيامهم على الترك ما كانوا آلة بيد الأجانب وانما كانوا يطلبون الاستقلال الحقيقي ويسعون اليه ، واذا لم يف لهم حلفاؤهم بما وعدوهم فالذنب ليس ذنبهم . ولا بد من يوم يصلون فيه الى استقلالهم الحقيقي الكامل

تقرير اللجنة الاميركية

بدأ التقرير بذكر الغاية من إرسال اللجنة ثم ذكر أسماء موظفيها وقد قسم الى أربعة أقسام :

المقدمات والمسائل العامة بوجه الاجمال فالاستنتاجات فالملاحظات وقال ان الطريقة التي اتبعتها اللجنة في أعمالها هي الاجتماع بالافراد والوفود الذين يمثلون الطبقات المختلفة، وقد

كانت هذه الطريقة فى طبيعتها نوعا من التدرب السياسى للشعب فضلا عن تأثيرها الفعال فى ظهور رغائب السكان الذين أدركوا أن لرغائبهم قيمة . وقد عرفت اللجنة أن هناك دعوة قوية وأن أفراداً وجماعات أصيبت بضغط شديد كما حيل أحيانا بين بعض الوفود واللجنة وهناك كثير من العرائض مدعاة للشك والريب ولكن اللجنة تعتقد أن هذه العرائض ينسخ بعضها بعضا حين عرضها على محك النقد واقيت اللجنة من جهة أخرى صراحة فى التعبير عن الأفكار كانت تدهشها حيث كان الموقف يدعو الى الخوف من النتائج وكان الاستحسان عاما للحقيقة القائلة « ان أميركا لا تطلب الاستيلاء على شبر جديد من الارض »

و بلغ مجموع السكان فى سورية ثلاثة ملايين و ٣٤٧٥٠٠ نسمة ينقسمون هكذا « مسلمون ٢٣٦٥٠٠٠ نسمة ومسيحيون ٥٨٥٥٠٠ ودروز ١٤٠ ألفا ويهود ١١٠ آلاف وطوائف أخرى ٤٥ ألفا . ويجب اعتبار هذه الأرقام فى كل حال على وجه التقريب ويمكن اعتبارها أقرب الى الصواب فى مايتعلق بنسبة السكان فى كل مقاطعة

ومع التقرير خارطة توضح حدود المناطق العسكرية وحدود (فلسطين الكبرى) التى يطلبها الصهيونيون و (لبنان الكبير) الذى يطلبه اللبنانيون ولا يمكن أن يكون عدد الوفود قياسا نسبيا للسكان فان المسيحيين منقسمون الى طوائف صغيرة كثيرة حتى ان وفودهم كانت أكثر عدداً من وفود الأكثرية الاسلامية

١ — العرائض وقيمتها * تلقت اللجنة ١٨٦٣ عريضة مدة وجودها فى سورية لايمكن اعتبارها حاوية لرغائب السكان الحقيقيين لأسباب أهمها : أن عدد العرائض من الجهات المختلفة ليس بنسبة عدد السكان فقد زارت اللجنة فى المنطقة الجنوبية ١٣ مدينة لم تتلق فيها سوى ٢٦٠ عريضة ولم تزر فى المنطقة الشرقية غير ثمانى مدن جاءها منها ١١٥٧ عريضة وكثرت هذه العرائض على اللجنة عند اتجاهها نحو الشمال لان الوقت اتضح أمام الناس لمعرفتها وتكوين الفكرة العامة كما اتسع لدعاة البر وبأغندا واعداد العرائض ، وكذلك فان عدد العرائض من الهيئات الدينية المختلفة لايتناسب مع عدد المذاهب والأديان ، وهذا أيضا يصدق على المطالب الشفهية التى عرضتها الوفود واللجان فى المنطقة الجنوبية كان عدد الوفود المسيحية ٥٣ وفدا فى حين أنه لم يكن للمسلمين غير ثمانية وهم ثمانية أضعاف

المسيحيين هناك . وهذا التفاوت غير موجود فى مجموع العرائض كلها شفاهية وكتابية إذ تلقت اللجنة عرائض كثيرة من القرى الاسلامية فى حلب والجهات الشمالية الشرقية الأخرى وكذلك فان تاثير البرو باغندا المنظمة ظاهر فى بعض هذه العرائض فان العبارات فى كثير منها واحدة وهناك فقرات مطبوعة كصورة للنسج على منوالها وقد تلقتها اللجنة مطبوعة وليس فيها شيء خطي غير التوقيع. ومن المؤكد أن عدداً صغيراً من العرائض استحضر بغير طرق شرعية إذ كانت التواقيع بخط واحد فى عريضتين وفى ثلاث . وزد على ذلك تواقيع الجمعيات الجديدة التى قيل انها نقابات صناعية فى بيروت فقد عرفت اللجنة أن هذه الأختام صنعها أحد سماسرة البرو باغندا قبل وصول اللجنة ببضعة أيام

وقد اتخذت اللجنة جميع الوسائل للتثبت من صحة العرائض والتواقيع ولكنها بالنظر الى طبيعة مهمتها والتسهيلات المحدودة لا تستطيع أن تضمن سلامتها من الغش ، ولان قيمة العرائض الفردية تختلف فى عدد التواقيع الا أن العدد نفسه لا يصح اتخاذه قياسا . مثال ذلك أن بعض العرائض التى لم يوقعها غير أعضاء المجلس البلدى قد تعبر عن الرأى العام أكثر من عريضة يوقعها ألف قروى

ويبلغ مجموع التواقيع ٩١٠٧٩ تنقسم هكذا : ٢٦٣٢٤ من المنطقة الجنوبية و ٢٦٨٨٤ من الغربية و ٣٧٨٧١ من الشرقية ومعدل التواقيع فى كل عريضة ٤٩ اسما

وتشتمل هذه العرائض مع ماتقدم على صورة الرأى السياسى الحاضر فى سورية لان أكثر العرائض الشاذة ينسخ بعضها بعضا ، فان عرائض المسيحيين فى فلسطين تساوت مع عرائض المسلمين بعد التيار الذى تدفق على اللجنة فى حلب . ولم تؤثر حركات أعوان الفرنسويين فى طرابلس على طبقة هذه العرائض أكثر من المساعى المعاكسة لأنصار الاستقلال فى عمان

ومما لاخلاف فيه أن صفة هذه العرائض تمثيلية كما تدل عليه لائحة الوفود التى استقبلتها اللجنة ، ولأنها جاءت من الطبقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمدنية كافة والجمعيات لان القوم علموا أن اللجنة لاتذيع أى عريضة يقدمها فرد أو جماعة وحدث فى بعض المدن أن السلطة العسكرية حاولت السيطرة على اللجنة مباشرة أو بواسطة أخرى ولكن الأحزاب المعارضة كانت تعرض أفكارها ومطالبها خطابة أو كتابة

٢ — محتويات هذه العرائض * ويجمل بنا قبل النظر فى المطالب الخاصة تبيان الخطط السياسية التى ظهرت جليا فى العرائض فانه كان فى ١٣٦٤ من ١٨٣٦ عريضة هذه الخطط بالحرف الواحد . وهناك عرائض أخرى كثيرة فيها شبه قريب منها

ولم يكن فى العرائض الأولى التى تلقتها اللجنة فى يافا يوم ١١ يونيو - باستثناء العرائض الصهيونية - برهان على وجود سياسة معينة يتفق عليها لمستقبل سورية بل كان هناك تفاوت عظيم فى المعانى والمبانى . وقد وجد بينها أربع عرائض تشتمل على ما يمكن تسميته برنامج الاستقلال وهو يتضمن :

١ - وحدة سورية السياسية ومن ضمنها كيليكية شمالا والصحراء السورية شرقا وفلسطين حتى دجلة جنوبا

٢ - الاستقلال الناجز لسورية

٣ - مقاومة الوطن القومى الصهيونى والهجرة اليهودية

ثم صار هذا البرنامج العلامة الواضحة فى عرائض المنطقة الجنوبية فاشتملت عليه ٨ من ٢٣ فى القدس و١٠ من ٣٥ فى حيفا والناصرة وكانت ٨٣ من ٢٦٠ فى المنطقة الجنوبية أو ٣٢ بالمئة استقلالية بينما هناك عرائض تضرب على مايشبه هذا الوتر

٣ — برنامج دمشق * صار برنامج الاستقلال الأصلى بعد تأييد المؤتمر السورى له فى دمشق يعرف ببرنامج دمشق ، وهو يشتمل على ثلاث مواد من برنامج الاستقلال مع ادخال لفظة « المساعدة » من أميركا واذا رفضته فانكلترا . وفيه أيضا مايأتى :

رفض المادة ٢٢ من عهد جمعية الأمم . رفض المطالب الفرنسوية كلها فى سورية الاحتجاج على المعاهدات السرية والاتفاقات الخاصة مثل اتفاق سايكس بيكو وتصريح بلفور . مقاومة استقلال لبنان الكبير . إنشاء حكومة دمقراطية لامركزية برئاسة الأمير فيصل . المطالبة بالاستقلال والحرية الاقتصادية للعراق

وقد تلقت اللجنة ثلاث عرائض تحتوى على (برنامج دمشق) قبل تأييد المؤتمر السورى له ولكنها تلقت بعد ذلك ١٤٧٣ عريضة تضمنت ١٠٤٧ منها مواد هذا البرنامج منها ٩٦٤ مطبوعة

٤ — برنامج لبنان * ينقسم البرنامج اللبنانى الى ثلاثة أقسام كما تدل على ذلك العرائض :

ا ـ لبنان كبير فرنسوى مستقل

ب ـ لبنان كبير مستقل

يطلب أصحاب البرنامج الأول فصل لبنان الكبير عن سورية واستقلاله التام مع سهول البقاع وضم طرابلس أحيانا وأن يكون تحت الوصاية الفرنسوية وقد تلقت اللجنة ١٣٩ عريضة تؤيد هذا البرنامج من ١٤٦ رفعت اليها فى المنطقة الغربية المحتلة كانت عشرون منها ذات صيغة واحدة

وبرنامج الحزب الثانى كبرنامج الحزب الأول الا انه خال من طلب الوصاية الفرنسوية و ٣٣ من ٣٦ عريضة من هذا البرنامج مطبوعة فى شكلين و ٨ منها مضاف اليها طلب الوصاية خطا

وأما برنامج لبنان الادارى فيطلب لبنان الكبير كمقاطعة مستقلة إداريا ضمن الوحدة السورية . ولم يرد ذكر للوصاية فى هذا البرنامج على الاطلاق . وعدد العرائض التى اشتملت عليه ٤٩ وهى خطية ليس منها غير ٣ مطبوعة .

٥ — البرنامج الصهيونى * تلقت اللجنة ١١ عريضة تستحسن البرنامج الصهيونى وهو إنشاء وطن قومى لليهود وفتح باب المهاجرة لهم . وجميع هذه العرائض من اللجان اليهودية . و ٨ عرائض أخرى تستحسن إنشاء المستعمرات اليهودية فى فلسطين بدون موافقة على البرنامج الصهيونى كله . وقد رفع فلاحو العرب الذين هم على ولاء مع النزلاء اليهود ٤ من هذه الثمان

الحدود الجغرافية

١ ـ سورية المتحدة ـ نالت سورية المتحدة أكبر نسبة فى ١٥٠٠ عريضة وهى ٨٠ر٤ بالمئة من مجموع العرائض . وسورية المتحدة هنا يدخل فيها كيليكية والصحراء وفلسطين . وتحدد عادة : جبال طوروس شمالا ونهر الفرات والخابور والخط الممتد من أبو كمال الى شرقى الجوف شرقا ورفح ـ العقبة جنوبا والبحر الأبيض المتوسط غربا . ومع

أن وحدة سورية هي المادة الاولى فى برنامج استقلال دمشق فان أعددا كبيرا من المسيحيين فى المقاطعات كلها يؤيدونها كما تدل عليه العرائض .

٢ ـ العرائض التى تؤيد الصهيونيـة وعددها ١٩ طلبت ٦ منها فصـل فلسطين عن سورية

٣ ـ طلبت جماعتـان مسيحيتان فى فلسطين وضع فلسطين منفصلة تحت الوصاية البريطانية تفضيلا لذلك على سورية المتحدة تحت الوصاية الفرنسوية

٤ ـ تضمنت ٢٤ عريضة أكثرها من مسيحيي الجنوب طلب الاستقلال الادارى لفلسطين ضمن سورية ، وهذا ولا شـك يندمج فى طلب الوفود الأخرى الاسـتقلال والحـكم اللامركزى

٥ ـ وتلقت اللجنة ٢٠٣ عرائض ضد الوحـدة السورية أو ١٠ ر٩ بالمئة يطلب أصحابها لبنانا كبيرا مستقلا

٦ ـ زاد طلب الوحدة السورية ظهورا وتأكيدا فى العرائض التى رفعت الى اللجنة احتجاجا على اسـتقلال لبنان الـكبير وعددها ١٠٦٢ بعضهـا مندمج فى برنامج دمشق و بعضها من البروتستانت والمصادر المسيحية الاخرى فى لبنان

٧ ـ أظهر ٣٣ وفـدا من اللبنانيين الممثلين للمسلمين والمسـيحيين خوفهم من المستقبل الاقتصادى اذا فصل لبنان عن سورية وطلبوا أن يكون مستقلا ضمن الوحـدة السورية . وفسر بعضهم الاستقلال الادارى باستقلال فى حكومة لامركزية

٨ ـ كان سهل البقاع معتبرا عادة جزءاً من لبنان الـكبير لاينفصل عنه وقد أشارت ١١ عريضة بوجوب ضمه الى لبنان وطلبت ٨ من دمشق بقاءه فى منطقة دمشق

٩ ـ كانت كيليكية تعد من سورية مثل سهل البقاع وقد طلب ذلك أصحاب ١٥٠٠ عريضة من القائلين بسورية المتحدة . وقد سمتها عريضتان باسماء مدنها ووجـدت ٣ عرائض تطلب اعطاءها لأرمينية

الاستقلال الناجز

١ ــ النسبة الكبرى الثانية هي للاستقلال الناجز فانها ٧٥،٥ بالمئة وقد أيدته الوفود الاسلامية كلها . ومن المؤكد كما دلت عليه الاحاديث الشفهية ان كلمة « الاستقلال الناجز » لم تستعمل بمعنى الحرية التامة من كل ارشاد أجنبي كالوصاية مثلا . فان كثيرا من هذه العرائض كانت تشير أحيانا الى اختيار الدولة الوصية أو طلب (المساعدة) الأجنبية . وهناك جماعة الاندية العربية رغبت فى التحرر التام من كل سلطة أجنبية بيد ان السواد الاعظم يطلب الاستقلال و يحدد الوصاية كمساعدة اقتصادية وتعليم اداري

٢ ــ يكاد عدد العرائض التي طلب فيها استقلال العراق يوازي عدد العرائض التي تقدم ذكرها فقد بلغ ١٢٧٨ أو ٦٨،٥ بالمائة . و يجب ان يضاف الى هذا ٩٣ من ٩٧ عريضة تطلب الاستقلال لسائر البلدان العربيـة وقد استعملت عبارة « كل البلدان العربية » فى عرائض فلسطين ثم استبدلت « بالعراق » فى برنامج دمشق فيكون مجموع العرائض التي طلب فيها الاستقلال والحرية الاقتصادية للعراق ١٣٧١

شكل الحكومة

١ ــ بلغ عدد العرائض التي طلب فيها انشاء مملكة ديموقراطية دستورية لامركزية ١١٠٧ أو ٥٩،٥ بالمئة وكلها عدا ٥ تطلب الامير فيصلا ملكا . وقد كانت هذه العرائض كثيرة فى المنطقة الشرقية ولم يكن الامر كذلك فى فلسطين حينما وصلت اللجنة اذ لم يرد ذكر المملكة فى غير خمس عرائض من ٢٦٠ ذكر الأمير فيصل فى اثنتين منها

٢ ــ طلب ٢٦ وفدا من المسيحيين فى المنطقة الغربية « حكومة تمثيلية ديمقراطية ذات شكل جمهوري » ورفع مثل هـذا الطلب الى اللجنة من وفود فى المنطقة الشرقية فالمجموع ٣٤ أو ١،٨ بالمئة والغرض من هـذا الطلب مقاومة فكرة المسلمين أو المملكة السورية برئاسة فيصل

٣ ــ اشتمل البرنامج الدمشقي على طلب الضمانات الكافية لحماية حقوق الأقليات وأيد هـذا الطلب عدد كبير من الوفود المسيحية فى لبنان فبلغ المجموع ١٠٢٣ أو ٥٤،٩ بالمئة وقد نال هذا الطلب من المسلمين والمسيحيين تأييدا لم ينله سوى معارضة الصهيونية

٤ ــ طلبت ٥ عرائض فى الجنوب ان تظل اللغة العربية لغة رسمية بدلا من العبرانية وطلب فى ١٠ الغاء الامتيازات الأجنبية

٥ ــ رفعت الى اللجنة ١٩ عريضة أو ٢ ، ١ بالمئة تطلب الاستقلال الادارى لسائر المقاطعات السورية وذلك علاوة على العرائض التى طلبت فيها الاستقلال الادارى لسورية وفلسطين

الوصاية

انقسم القوم خمس فرق تجاه الدولة الوصية فكان بعضهم يقول اذا كانت الوصاية اجبارية فاننا نطلب هذه الدولة أو تلك ومعنى ذلك انهم يقبلون الوصاية محتجين . وقد كانت الاكثرية الكبرى تطلب « المساعدة » بدلا من الوصاية لخوفها ان تكون هذه رداء للمقاصد الاستعمارية

١ ــ مجموع العرائض التى طلبت فيها انكلترا بالدرجة الاولى ٦٦ عريضة أو ٥ ، ٣ بالمئة منها ٤٨ من الوفود الأرثوذكسية بفلسطين و ٤ من الدروز ومجموع العرائض التى طلبت فيها انكلترا بالدرجة الثانية ١٠٧٣ أو ٥٥،٧ بالمئة منها ١٠٣٢ تطلب مساعدة انكلترا واذا امتنعت فامريكا

٢ ــ مجموع العرائض التي طلبت فيها فرنسا بالدرجة الاولى ٢٧٤ أو ٦٨ ، ١٤ بالمئة منها ٥٠ من لبنان فقط . و بلغ مجموع العرائض التى طلبت فيها فرنسا بالدرجة الثانية ٣ فقط

أما مجموع العرائض التى طلبت فيها مساعدة اميركا فى الدرجة الاولى فهو ١١٢٩ عريضة أو ٥ ، ٦٠ بالمئة منها ٥٧ تطلب أميركا كدولة وصية و ٨ تفضل وصايتها اذا كانت الوصاية اجبارية

الصهيونية

تكلمنا عن الصهيونية آنفا ، ونقول الآن : انه بلغ عدد العرائض التى تقاومها ١٨٥٠ أو ٣ ، ٧٣ بالمئة . وهذا العدد الأكبر هو الثالث فى أى مطلب آخر وهو يمثل الرأى العام المسيحى الاسلامى اكثر من سواه . وكانت حركة المقاومة للصهيونية قوية فى فلسطين على الأخص ، اذ كانت ٢٢٢ من ٢٦٠ عريضة ضدها أو ٣ ، ٨٠ بالمئة وهذه اكبر نسبة لأى مطلب آخر

الاحتجاجات والانتقادات

تنقسم الانتقادات على الدول الى ثلاثة أقسام :

أولا – انتقاد مطالب الدول ونوعيتها وسياستها بلا تحديد أو تعيين

ثانيا – انتقاد معين على سوء الادارة والخلل والرشوة فى الادارة العسكرية

ثالثا – احتجاجات على تدخل السلطات العسكرية المحلية ومضايقتها للجنة

١ – عرضت على اللجنة ثلاث شكاوى عامة ضد الانكليز

٢ – كانت الشكاوى العامة على الفرنسويين كبيرة جداً، بلغ عددها ١١٢٩ أو ٦٠،٥ بالمئة وهذا ناتج بالاكثر عن وجود احتجاج من هذا النوع فى برنامج دمشق . وعرضت على اللجنة ٢٤ شكوى ضد أعمال معينة أتاها الفرنسويون و ١١ شكوى ضد النفى والحرس المسلح والتهديد والارهاق وما شاكل ذلك من الوسائط التى قال الشاكون ان السلطات الفرنسوية لجأت اليها لتمنع الذين لا يمالئون الفرنسيين من الظهور أمام اللجنة .

٣ – ظهر الانتقاد العام على الحكومة العربية فى ٣٥ عريضة من المسيحيين وفيها يتخوفون من سوء مصير المسيحيين فى الحكم العربى . وانتقدت الحكومة العربية أيضا فى ٤ عرائض أخرى

٤ – اشتملت ١٠٣٣ عريضة على الاحتجاج على المادة ٢٢ من عهد جمعية الأمم المتضمنة « وضع بعض الجماعات المنفصلة عن تركيا تحت إشراف إحدى الدول » وهذا الاحتجاج يؤيد طلب الاستقلال التام لسورية الوارد فى برنامج دمشق

٥ – اندمج فى ٩٨٨ عريضة احتجاج على المعاهدات السرية التى تقسم سورية بدون معرفة أهلها أو رضاهم على الاتفاقات الخاصة والمقصود بذلك اتفاق سايكس – بيكو وتصريح بلفور وان لم يرد لهما ذكر . وقد ورد هذا الاحتجاج فى برنامج دمشق وأيدته الأحزاب الأخرى أيضا

طواف اللجنة

طافت اللجنة سورية فى ٤٢ يوما من ٢٠ يونيو الى ٢١ يوليو والسلطة العليا فى هذه البلاد للجنرال اللنبى ، ولكن الأحكام المدنية تجرى فيها طبقا للأنظمة التركية مع تعديلات موضعية طفيفة . وقد ظلت بعض مقاليد الادارة فى أماكن كثيرة بأيدى الموظفين الذين تركهم الترك ، وللحكام العسكريين والضباط واجبات أخرى خاصة كالأعمال الطبية والاقتصادية والمواصلات وغيرها . وتقسم هذه البلاد الى أربع مناطق :

الجنوبية ، ويقوم بادارتها ضباط بريطانيون

والغربية ، ويتولى شؤونها الفرنسويون

والشرقية ، وهى بأيدى العرب

والشمالية ، وهى بادارة الفرنسويين أيضا

وقد قضت اللجنة فى الجنوبية (١٥) يوما ومثلها فى الشرقية و (١٠) فى الغربيـة ويومين فى الشمالية

الكلام على المناطق

المنطقة الجنوبيـة ـ وصلت اللجنة الى يافا فى وقت متأخر بسبب التغيير الذى طرأ على الخطة المرسومة . ولم تكن السلطة البريطانية تتوقع وصولها فوضعت برنامجها الذى جرت عليه من دون مساعدة البريطانيين وكانت تجتهد لمعرفة آراء ورغائب كل جماعة ذات شان وكل طائفة وهيئة منظمة وبعض ذوى العلم والاطلاع ، وممثلى الأقليات أو الشيع ، ولا سيما فى الأماكن التى يبـدو فيها ميل الى منع هذه الآراء من الظهور باحد الأسـباب . ولما كانت الشيع المسيحية ولا سيما الكاثوليكية منها كثيرة كان من المرتقب أن لا تكون النسبة متعادلة فى عدد اللجان والوقت الذى خصص لها فلذلك أعدت البعثة بيانا بأغراضها كانت تلقيه على الوفود والجماعات وأذاعته أيضا فى الصحف بشكل أحاديث واتخذت أنواع الحيطة لتكون مهمتها واضحة وجلية فكانت تجيب على الأسئلة المختلفة التى تطرح عليها قائلة : لا صحة لما يقال من أن من سياسـة أميركا قبول الوصاية وأنه لا يمكن التنبؤ بقبولها

وأنه لا قوة للجنة للحكم . واستخدمت اللجنة فى أسفارها سيارات لجنة اغاثة الشرق الأدنى الأميركية لـكى لا تعتمد فى شئ على غير أميركى ما استطاعت وأعلنت أنها لا تقبل دعوات اجتماعات عامة ولا ترضى عن المظاهرات

وقضت اللجنة أسبوعا فى القـدس أمضت يومين منه فى زيارة بيت لحم والخليـل و بير السبع ، ولم تقبل سوى اكرام محدود من الموظفين الانـكليز والفرنسويين، واستفتت رؤساء الطوائف المختلفة وان لم يكن لبعضهم مايقولون فى الاستفتاء مثل القبض والحبس . وطافت شمالى فلسطين بسرعة فاستقبلت الوفود فى رام الله ونابلس وجنين والناصرة وحيفا وعكا . وقد كان بعض هذه الجماعات يأتى من أماكن بعيدة يستحيل على اللجنة زيارتها واجتمعت فى مستعمرة « ريشون لزيون » الصهيونيـة بزعماء عدة مستعمرات يهودية و باعضاء اللجنة الصهيونية المركزية

١ ـ الحـكومة المحتلة * كان الموظفون البريطانيون ـ من الميجر جنرال السر ارثر مونى قائد منطقة بلاد العدو المحتلة الجنوبيـة الى أصغر موظف ـ لطفاء مجاملين وأكثرهم ذو خبرة سابقة قبل الحرب فى الهند أو فى مصر والسودان ، و بصفتهم مجموعا فهم هيئة ذات أهلية واقتدار تعمل فى البلاد لمصلحة أهلها

٢ ـ مطالب الشعب * اجتمعت كلمة المسـلمين فى فلسطين وهم حسب الاحصاء الانـكليزى الأخير نحو أربعة أخماس السكان على المطالبة باستقلال سورية المتحدة ولم تشذ منهم سوى فئـة معروفة من الموظفين كانت تسـير مع تيار النفوذ السـياسى . وقررت الاحزاب التى اجتمعت فى يافا ان سورية أهل لحـكومة مستقلة بلا دولة وصية ، وانه اذا أصر مؤتمر الصلح على تعيين دولة فانهم يفضلون الولايات المتحدة

وقد أيد الناس فى القـدس وغيرها من فلسطين هـذا القرار وكانوا يحيلون مسالة الوصاية الى المؤتمر السورى الذى ينطق بلسانهم ورفض بعض المسلمين ولا سيما فى الجنوب قبول الوصاية رفضا باتا مهما كان نوعها . وقد ظهر منـذ أعلن المؤتمر السورى رغبة فى مساعدة أميركا بالدرجة الأولى وانـكلترا فى الدرجة الثانية ورفض الوصاية الفرنسوية بتاتا ان هذا مايطلبه سواد المسلمين فى فلسطين . ويرجح أن ذلك كان يجول فى خواطرهم حينما أحالوا اللجنة على المؤتمر

وكانت مطالب المسيحيين فى فلسطين وهم (١٠) بالمائة من مجموع السكان مختلفة فكانت جماعات الشمال كاللاتين الكاثوليك فى طبريا وحيفا وأكثر مسيحيي الناصرة مع المسلمين فى طلب الاستقلال وترك تقرير مسألة الوصاية الى المؤتمر السورى . وكان الروم الكاثوليك والموارنة يطلبون الوصاية الفرنسوية وكان الارثوذكس فى كل مكان متفقين على طلب الوصاية الانكليزية . وهناك جماعات أخرى لم يطلب أحد منها وصاية أميركا مباشرة ولكنها كانت تقول بانها لو تأكدت من قبول الولايات المتحدة فانها لا تختار سواها وأكثر المسيحيين من هذا الرأى وكلهم فى جانب الوصاية يريدون دولة ذات حكم صحيح .

وكان اليهود الذين يؤلفون أكثر من (١٠) بالمائة من سكان فلسطين يؤيدون الصهيونية الانكليزية فى الحين الذى اتفقت فيه كلمة المسلمين والمسيحيين على مقاومة الصهيونية ، وهذه المسألة ذات علاقة كبيرة بوحدة سورية

٣ ـ الصهيونية * أعلن يهود فلسطين تأييدهم الصهيونية بوجه عام واختلفوا فى التفاصيل والطرق الموصلة الى تحقيقها ويمكن وصف الأمور التى اتفقوا عليها فيما يلى :

جعل فلسطين (وطنا قوميا) فى الحال وأن يصير الحكم السياسى فى البلاد عاجلا أو آجلا معروفا باسم الحكومة اليهودية . والسماح لليهود بالمهاجرة الى فلسطين من كل مكان فى العالم وأن يكون شراء الأراضى مباحا لهم وأن تكون العبرانية لغة رسمية . وأن تكون بريطانيا الدولة الوصية لفلسطين لتحمى اليهود وتساعدهم على تحقيق مشروعهم . ولما كانت الدول الكبرى فى العالم قد استحسنت فكرة الصهيونية فلا تحتاج الى غير تنفيذ . أما الذى اختلف عليه اليهود فهو : مسألة الحكومة اليهودية وهل يجب انشاؤها عاجلا أو بعد زمان طويل . وهل يسيرون على حسب الطقوس والتقاليد اليهودية القديمة أم على الطريقة العصرية فيهتمون بالمسائل الاقتصادية واستثمار الموارد واستخراج القوات الكهربائية من الأنهار .

٤ ـ الأماكن المقدسة * ذهبت سلطة التركى عن البلاد وقد حافظ على الحالة القديمة من جهة الأماكن المقدسة وتركها كما هى فمن يقوم مقامه ؟ قد تكون الدولة الوصية : فاذا أخذت الوصاية دولة كاثوليكية فلا بد من وقوع مشاكل لان الكاثوليك يعتقدون أنهم

مظلومون ويطلبون زيادة حقوقهم على حساب الروم فوجود دولة كاثوليكية يفقد التوازن الموجود ولا سيما فى غياب روسيا . وبما أنه يوجد الآن وكيل محافظ للاماكن الكاثوليكية المقدسة أفلا يمكن توسيع نطاق هذه الفكرة وجعلها دستورا لهيئة دائمة تحافظ على الاماكن المقدسة يكون للروم الارثوذكس والبروتستانت والمسلمين واليهود ممثلون بها واعطاؤها سلطة ووسائل تستعين بها على العناية بهذه الاماكن كلها للاديان الثلاثة . ويجب أن يراعى فى تأليفها أسباب الألفة والمحبة لئلا يبقى موضوع النزاع والخلاف

المنطقة الغربية

وصلت اللجنة الى بيروت بعد ان جابت فلسطين والنصف الجنوبى من منطقة الاحتلال الغربية فقضت يومين فى مقابلة اللجان فكانت تزور الاماكن من صور الى البترون بالسيارة وقد تلطف الجنرال اللنبي فوضع يختته تحت أمرها فزارت به طرابلس واللاذقية والاسكندرونة وقابلت الوفود وسمعت أقوالهم فى كل جهة من المنطقة الغربية ولم يكن فى منهجها شئ يختلف عما سارت عليه فى المناطق الأخرى من حيث المقابلات والتدابير . وقد بذل الموظفون الفرنسويون الجهد لتوفير أسباب الراحة لها

١ – مطالب الشعب * كانت الحالة فى المنطقة الغربية كالحالة فى فلسطين إلا أن بعض المسلمين طلبوا المساعدة الاميركية أو الانكليزية ، وطلب الدروز الوصاية الانكليزية ، والموارنة وسائر الشيع الكاثوليكية طلبت وصاية فرنسا ، وانقسم الارثوذكس فلم يجمعوا كلمتهم على طلب الوصاية الانكليزية كما فعلوا فى فلسطين ودمشق وانقسم النصيرية أيضا وكان أكثر الاسماعيليين مع فرنسا . وكانت آراء الذين يطلبون الوصاية الفرنسوية مختلفة فى مصير لبنان وعلاقته بسورية فان أكثر القوم من صور الى طرابلس طلبوا استقلال لبنان الكبير وفصله عن سورية ووضعه تحت وصاية فرنسا ولم يكترث أنصار هذا المبدأ لفكرة الوحدة الوطنية بل كان من أمانيهم فيما يظهر أن يصيروا رعايا فرنسويين فى القريب العاجل ورغب الآخرون أن تكون سورية متحدة تحت الوصاية الفرنسوية مع تكبير لبنان واعطائه نوعا من الاستقلال الادارى الواسع

أما فى لبنان الاصلى فالاكثرية مخلصة للفرنسويين معارضة للانكليز ولم تستطع اللجنة سؤال الذين يميلون الى فرنسا رأيهم فى الوصاية الاميركية فيما اذا كانت ممكنة وكانت

الوصاية الفرنسوية غير مرغوب فيها بسبب براهين أكيدة تدل على أن السواد الاعظم من السكان حتى الموارنة يفضلون أميركا على سواها ويقال ان سبب هـذا التفضيل هو تجرد أميركا عن الاغراض الذاتية فى الحرب وكرمها قبل الهدنة وبعدها والعلاقات الشخصية التى أنشأها عدد كبير من اللبنانيين الذين قضوا وقتا طويلا أو قصيرا فى الولايات المتحدة ورجعوا الى بلادهم محافظين على الاخلاص لاميركا

وجاهر الدروز بطلب الانفصال عن لبنان اذا أعطى لفرنسا

هذا فى لبنان الاصلى أما فى المناطق الاخرى التى يراد ضمها الى لبنان الكبير مثل صور وصيدا وطرابلس فان فيها أكثرية كبرى من السكان تعترض على الحكم الفرنسوى وتقاومه ويدخل فى هـذه الاكثرية جميع المسلمين السنيين وأكثر الشيعيين وقسم من الروم الارثوذكس وطائفة البروتستانت ، وأكثر هؤلاء يريدون أميركا أولا وانكلترا بالدرجة الثانية

والاكثرية فى باقى المنطقة الغربية الى شمال لبنان الكبير المراد انشاؤه ضد الوصاية الفرنسوية فى كل الاحوال ومن الباقين قسم كبير يعترض على الانفصال عن داخلية البلاد ويضع وحدة البلاد فوق فرنسا

ومما يجدر ذكره أنه بينما السوريون الوطنيون يرفضون مساعدة فرنسا ذاكرين اسمها لم يتعرض أحـد من نصراء فرنسا والراغبين فى وصايتها لرفض أميركا أو انكلترا باسمهما . على أن المسيحيين أظهروا فى أحيان مختلفة أنهم يخافون اذا صارت انكلترا وصية على البلاد أن تمالئ المسلمين على المسيحيين

لبنان

صارت هذه المنطقة الجبلية التى وضعت منـذ سنة ١٨٦١ تحت حماية الدول الأوربية الست وجعل حاكمها مسيحيا موضع اهتمام فرنسا من ذاك العهد ، لان أكثر سكانها من الموارنة والكاثوليك . وقد ظهرت فى هذه المنطقة كسائر البلاد التى فصلت عن سلطة الباب العالى مباشرة آثار العمران فأنشئت الطرق وغرست الأشجار وشيد عدد كبير من البيوت الحجرية وكان المال الذى يربحه المهاجرون فى الولايات المتحدة عاملا كبيرا فى هذا

التقدم وقد ازدادت ثروة الرهبنات المارونية والأديرة فى هذه السنين واعفى لبنان من الخدمة العسكرية وكانت الضرائب التى يدفعها خفيفة . ولما كان قطرا مسيحيا وكان للمسيحيين فيه من وظائف الحكومة أكثر مما تخولهم نسبتهم العددية مال الدروز الى الهجرة واللحاق باخوانهم فى حوران استياء من عدم المساواة

وقد ظهرت آثار سياسة فرنسا الاستعمارية فى كثير من سكان هذه المنطقة وفى بيروت والأقسام الأخرى من سورية فهم يشعرون أنهم يعرفون اللغة الفرنسوية أكثر من اللغة العربية وأنهم أرقى من سكان الداخلية ! هؤلاء هم الذين يطلبون فصل لبنان عن سورية ، أوهم البقعة التى نمت فيها هذه الفكرة

وقد حمل قرب المنطقة الحكومة التركية على التساهل واللين مع المسيحيين وغيرهم فى المناطق الأخرى لئلا يكون فارق كبير بينهما فى العمران ولكن اعفاء لبنان من الخدمة العسكرية واتساع المجال أمام طلاب الوظائف وقلة الضرائب أوصغرها مال بالكثيرين الى فكرة لبنان الكبير تحت وصاية فرنسا . غير أن هناك حزبا كبيرا بين الميالين الى فرنسا يقاومون فكرة جعل لبنان قسما من فرنسا ، وهذا يصدق على ذوى المراتب الرسمية من الموارنة

ان كل تعديل فى الحالة يجب أن ينيل باقى سورية مثل هذا الضمان لا أن يحرم منه سكان لبنان ، وذلك مستطاع توفيره فى سورية المتحدة بواسطة نوع كاف من الاستقلال الادارى . ويجب توقى ابقاء هذه المقاطعة ذات مركز ممتاز عن سواها لئلا يزداد ثقل الاعباء على المناطق الأخرى

منطقة الاحتلال العربية

أقامت اللجنة فى دمشق تسعة أيام قضت ستة منها فى مقابلة الوفود الدينية والسياسية والهيئات الرسمية وأصحاب المراكز السامية من كل الطبقات ، حتى الأمير فيصل نفسه والجنرال اللنبى ، ومكثت هنا أكثر من كل مكان آخر فى سورية لان دمشق ستكون عاصمة « سورية المتحدة » اذا تم انشاؤها ، هذا فضلا عن أن فى المنطقة الشرقية حكومة

عربية عاملة تسعى وتجتهد لتمهيد الطريق الى « الوحدة الكبرى »

وعقد المؤتمر السورى فى أثناء وجود اللجنة فى دمشق وعلقت فى الشوارع ألواح كتب عليها « نريد الاستقلال التام » وقد نزعت بأمر الحكومة . ونشرت الصحف المحلية مادار بين اللجنة والقاضى والمفتى والعلماء من الاحاديث فاحتدم الجدال حولها بين القوم وفى الصحف (وبالطبع فقد نشرت هذه الأحاديث من دون اذن اللجنة أوسماحها) وأجابت اللجنة دعوة الأمير فيصل الى الطعام مرتين

وأعدت اللجنة فى خلال تلك المدة التدابير لرحلة الى أطراف الصحراء للوقوف على آراء السكان وكانت خلاصة مطالب المسلمين منهم الاستقلال الناجز بلا حماية ولا وصاية . ولكنهم لما كانوا يشعرون بحاجتهم الى الارشاد الاقتصادى والمالى ، يطلبون مايلزم من المستشارين — بعد الاعتراف باستقلالهم — من أميركا . وكان خطباء العرب الفصحاء يسألون أميركا التى عملت على تحريرهم أن تؤيد استقلالهم فى مؤتمر الصلح قائلين انهم يعدونها مسؤولة أمام الله عن تتميم مابدأت به . والمسيحيون فى هذه المنطقة وهم فئة قليلة كانوا فى خوف عظيم يطلبون تعيين دولة قوية وصية على سورية ليحصلوا على الحماية التامة ، وهم يفضلون أن تكون بريطانيا العظمى تلك الدولة وأن تضم المنقطة الشرقية الى فلسطين .

وقضت اللجنة يوما واحدا فى بعلبك بعد سفرها من دمشق لسماع النزاع القائم على ضم البقاع الى لبنان الكبير . وبعد أن ظلت عشرة أيام فى المنطقة الغربية عادت ثانية الى المنطقة الشرقية فى الطريق الممتد من حمص الى طرابلس وقصدت حلب بعد أن أصغت لأقوال الوفود فى حمص وحماه . ومكثت ثلاثة أيام فى حلب وقفت فيها على آراء الوفود واللجان ، وقد طلب القوم فى الشمال الاستقلال للعراق بقوة ، وكان بعض الجماعات فى حلب يهتم كثيرا بتوسيع حدود سورية شرقا حتى تشمل الصحراء الشرقية

الحلومة العربية

بين كبار موظفى العرب عدد من ذوى الانفة والاقتدار والتهذيب تبدو عليهم مظاهر الاستقامة الوطنية وكلهم سوريو المولد وقد تمرن بعضهم على الادارة فى مصر

كالجنرال حداد باشا مدير الامن العام وسعيد باشا شقير المستشار المالى . أما الآخرون مثل القائمقام يوسف بك العظمة مساعد الأمير فيصل (حاجبه) والجنرال جعفر باشا العسكرى حاكم حلب واحسان بك الجابرى رئيس بلدية حلب فقد تلقوا علومهم واختباراتهم فى العهد التركى

وأكثر الموظفين الصغار فى هذه المنطقة والمناطق الأخرى من بقايا العهد التركى وسيرتهم فى بعض الأحيان أشر من قبل . وقد بذلت الحكومة كل واسطة لأكرام اللجنة وتحقيق أمانيها وكان الموظفون يتباهون أحيانا بأنهم تركوا للناس الحرية المطلقة فى بسط أفكارهم أمام اللجنة

رغائب الشعب

كانت المطالب فى المنطقة الشرقية أقرب الى الاجتماع من مثلها فى المنطقة الغربية أوالجنوبية كما يظهر ذلك من النظرة الأولى الى جداول العرائض ويؤيد الجانب الأكبر من هذه المطالب ـ بين شفهى وخطى ـ قرار المؤتمر السورى الذى سيأتى الكلام عنه فى موضع آخر . وقد اتفقت على هذا البرنامج أحزاب مختلفة متضاربة لان الكل شعروا بوجوب الاتحاد والتضامن لسلامة الوطن . وكان لسعى الحكومة والأحزاب الأخرى تأثير على الأحزاب المتطرفة فسارت فى الصف بعد نشوزها مثل الذين كانوا يطلبون الاستقلال التام بلا وصاية أوالذين يطلبون الوصاية وحدها . ومما لاريب فيه أن مواد البرنامج الرئيسية تعبر عن فكر الجمهور العام ما أمكن التعبير عنه فى أى بلاد كانت

طلب القوم فى هذه المنطقة « سورية المتحدة » بالاجماع تقريبا وطلبوا لها الاستقلال الناجز ورفضوا كل مساعدة فرنسوية وأعلنوا أنهم ضد البرنامج الصهيونى . واتفق المسلمون كلهم على طلب المساعدة من أميركا . وأيد اليهود المشروع الصهيونى لاخوانهم فى فلسطين وطلبوا لأنفسهم الاستقلال الادارى . وطلب الدروز حكومة عربية تحت الوصاية البريطانية . وانقسم المسيحيون حسب الطوائف حينا وحسب المكان حينا آخر وكان مسيحيو الجنوب كلهم حتى الكاثوليك واللاتين يطلبون الوصاية البريطانية أوأميركا اذا كان الانكليز لا يستطيعون المجيء لسبب ما. وكان ذلك شأن أرثوذكسي دمشق وقسم

منهم فى الشمال . أما طوائف البروتستانت الصغيرة فكانت تطلب وصاية انجلوسكسونية أمريكية أوانكليزية وكان الأرثوذكس السوريون كلهم فى جانب أمريكا وكل الموارنة والكاثوليك (خلا الذين فى عمان ودرعا) فى جانب فرنسا كما أن المسيحيين كلهم تقريبا كانوا فى جانب الوصاية

المؤتمر السورى

علمت اللجنة منذ وصولها الى القدس أن مؤتمرا سيعقد فى دمشق للفصل فى مسألة الوصاية بالنيابة عن جانب كبير من السكان . وقد تألف هذا المؤتمر وعقد جلساته إبان وجود اللجنة فى دمشق ، وجاء اليها فى آخر يوم من أيامها هنالك وقدم اليها البرنامج الذى أعده

لم ينتخب الشعب أعضاء هذا المؤتمر مباشرة أو بدعوة جديدة ، والسر فى ذلك عدم مساعدة الوقت لتنقيح لوائح الاقتراع بل عهد الى بقايا الناخبين فى الانتخاب التركى الأخير فانتخبوا أعضاء هذا المؤتمر كما كانوا ينتخبون أعضاء مجلس النواب التركى . وقد انتقد بعضهم هذه الطريقة قائلين انها غير قانونية وان معظم الناخبين من رجال جمعية الاتحاد والترقى وأن الأعضاء ليسوا بنسبة السكان

واشترك فى هذا المؤتمر (٦٩) عضوا وتأخر (٢٠) عضوا انتخبوا فى الغرب والشمال عن الوصول الى دمشق فى الوقت المعين و بين الأعضاء عدد من المسيحيين ولكن لايوجد بينهم يهودى . ويقال إن بين الناخبين الثانويين يهودا وافقوا على انتخاب النواب فى المجلس . والأدلة كثيرة على أن البرنامج الذى وضعه المؤتمر السورى يعبر عن أفكار القوم فى سورية أتم التعبير

ثم أوردت اللجنة نص قرار المؤتمر المنشور فى أول الفصل ثم قالت :

وقد اتضح للجنة جليا فى درسها أحوال سورية أنه كان للبلاغ الفرنسوى البريطانى [١] وما ماثله من تصريحات مؤتمر الصلح وقواعد الرئيس ولسن الأربعة عشرة تأثير عظيم فى نفس الأمة السورية فبنت عليها مطالبها ، فلذلك لايستطيع مؤتمر الصلح

---

(١) بلاغ ٩ نوفمبر سنة ١٩١٨ المنشور على ص ٥

أن يتجاهلها بل يجب عليه أن يحققها بأمانة ولا سيما البلاغ الذى هو على اتفاق تام مع تصريحات الحلفاء المتكررة من مقاصدهم فى المملكة التركية السابقة ولا سيما سورية والعراق

ومن الثابت أن قرارات ٣٠ يناير وهذا البلاغ يرميان الى فصل المناطق العربية عن تركيا فصلا تاما ويقضى بأن لا تكون سورية والعراق مستعمرتين بالمعنى القديم على الاطلاق وأن لاتستثمرا لمنفعة الدولة المحتلة بل يجب تشجيعهما ومساعدتهما فى بلوغ الاستقلال الوطنى بأسرع مايستطاع . والوعود فى البلاغ مبذولة لسورية والعراق على التساوى

وقد وضع هذا البلاغ مع القرارات المشار اليها خطة العمل للجنتنا تلك الخطة التى قضت بارسالها للوقوف على رغائب السكان

فلذلك و بناء على ماتقدم لابد من امتحان اخلاص الحلفاء فى المقاصد التى أذاعوها فى أثناء الحرب وذلك بدعوتهم لانفاذ هذه المقاصد فى الأقسام العربية من الأراضى التركية لأن وعودهم واضحة معينة لايمكن الخطأ فى تأويلها

ومما يستحق الاهتمام أيضا أنه يستطاع العمل بنجاح فى طريقة الوصايات باشراف جمعية الأمم ولا شك أن نجاحها هنا يساعد على الأخذ بها فى مواضع أخرى وهى خدمة كبيرة فى سبيل تقدم العالم تساعد على تبرير ضحايا الحرب العظيمة . وربما كان الحلفاء غير قادرين على ايجاد منطقة يستطيعون فيها تقرير خطتهم حسب المبادىء التى أعلنوها مثل هذه المنطقة

مهد الاديان الثلاثة

ان خطورة المسألة السورية ظاهرة فى الحقائق المعروفة جيدا فان فى هذا القسم من المملكة التركية مهد الديانات الثلاث الكبرى وهى « اليهودية والمسيحية والاسلام » ولما كانت فلسطين تضم أماكن تقدسها الأديان الثلاثة فستكون موضع اهتمام العالم المتمدن كله فلذلك يكون كل حل موضعى أو خاص بشعب واحد عديم الفائدة

لسورية مقام جغرافى عظيم سياسيا وتجاريا ومدنيا فهى الجسر الذى يصل بين أوربا وآسيا وافريقية فيجب أن يكون العدل أساس الحكم فى قضيتها لتنجم عنه فائدة للمدنية فى العالم. ويجب أن يعطى كل قسم من المملكة التركية السابقة حياة جديدة ويفسح المجال له بعد تبديل الأحوال السياسية لانه ربما كان انحلال المملكة التركية فرصة عظيمة - قد لاتعود - لانشاء حكومة شرقية فى سورية على مبدأ الحرية الدينية التامة التى تشمل سائر الأديان وتصون حقوق الأقليات بنوع خاص. ومن الانصاف للعرب الاعتراف بالأمة العربية ورغائبها الوطنية كما أنه من مصلحة العالم أن تتألف حكومة عربية على القواعد السياسية الحديثة. نعم ان العناصر متعددة والمصالح متباينة وان كثيراً من السكان غير صالحين الآن للحكم الذاتى ومع ذلك فان الأحوال ملائمة للقيام بهذه التجربة الآن لان هؤلاء السكان كانوا على اختلاف مذاهبهم وطبقاتهم على نوع واحد من الاتفاق تحت الحكم التركى رغم سياسة التفريق التركية

ولا بد أن يكونوا أحسن حالا فى عهد حكومة حديثة ووصاية راقية

وعلى كل فان مشارفة دولة تنتدبها جمعية الأمم يمنع هذه النهضة من السير فى الطريق التى سارت عليها تركيا الفتاة. وحينئذ يدرك العرب أيضا أن هذه أفضل فرصة سانحة لتأليف حكومة عربية فيجتهدون لتكلل حركتهم بالفوز المبين. وما ظهر الآن من مقاصد الأمير فيصل يجعله جديرا كل الجدارة برئاسة حكومة جامعة بين المبادىء الشرقية والغربية ويضمن نجاح هذه التجربة بواسطة دولة وصية مخلصة. ويبقى فى الامكان اذا فشلت هذه التجربة الرجوع الى تجزئة الأراضى. بيد أن تجزئة الأراضى حسب المذاهب يولد مشاكل لاعداد لها كما قال الدكتور اماس عن بعض الأقسام التركية الأخرى:

« ان الفصل بين أبناء المذاهب وإسكان كل فريق فى موضع خطأ وخطل وخطر. ان العمران التاريخى قائم على تنوع المذاهب فى كل منطقة » وهناك خطر لاريب فيه ينشأ عن تقسيم سورية الى أجزاء لاقيمة لها ولا معنى

الاختيار الذاتي

لذلك يجب أن يكون الغرض من كل سياسة يسار عليها فى المسألة السورية (انشاء حكومة وطنية تستمد سلطتها من مشيئة الشعب الحرة) وأن تكون هذه السياسة متفقة جهد الامكان مع وحدة البلاد الجغرافية والاقتصادية.

هذه هى الخطة الطبيعية التى ينبغى السير فيها — هذا اذا كان السير ممكنا — لانها تطبق على رغائب مؤتمر الصلح ورغائب السواد الأعظم من السكان.

ومن الملاحظات المهمة أن الموظفين الفرنسيين والانكليز فى سورية مجمعون على استحسان الوحدة السورية تحت وصاية دولة واحدة إذ من المؤكد وقوع مشاكل بين الانكليز والفرنسويين والعرب تضر بالسلام إذا بقى الانكليز والفرنسويون فى البلاد.

ان الصعوبات العارضة فى طريق الوحدة السورية هى :

امتناع الفرنسويين عن الجلاء عن سورية و بيروت ولبنان . والانكليز عن مغادرة فلسطين . ومقاومة المسلمين والمسيحيين الشديدة للبرنامج الصهيونى . ومطالبة اللبنانيين بالاستقلال التام عن سورية وكره العرب العظيم فى الشرق للسيطرة الفرنسوية . وخوف كثير من المسيحيين من تسلط المسلمين وضعف الشعور الوطنى وسيأتى الكلام عن هذه الأمور فى مكان آخر.

آراء

تقدم اللجنة الى مؤتمر الصلح الآراء الآتية لمعالجة المسئلة السورية :

ان أول وأهم ماتشير به هو انه مهما كانت الادارة أجنبية سواء كان ما يؤتى به الى سورية دولة أو أكثر — أن لاتأتى كدولة مستعمرة بل كدولة وصية من قبل جمعية الأمم غايتها ومهمتها المقدسة (خدمة الشعب السورى وترقيته)

ويجب أن تكون مدة الوصاية محدودة تعينها الجمعية حسب الحقائق التى تراها فى تقارير الدولة الوصية وأن تكون للدولة الوصية سلطة كافية ذات زمن محدد أيضا لتكفل نجاح الحكومة الجديدة وتتمكن من القيام بالمشاريع الأدبية والاقتصادية اللازمة لحياة البلاد وأن تصرف الدولة الوصية همها الأكبر الى التعليم الضرورى لأبناء البلاد الديمقراطية وتكوين

روح وطنية قوية وهذا لازم بنوع خاص فى سورية التى استفاق ضميرها حديثا . وعلى الدولة الوصية أن تسعى منذ البداية لتدريب الشعب السورى على الحكم الذاتى المستقل بأسرع ماتسمح الأحوال وذلك بانشاء جميع مايقتضى لحكومة ديمقراطية من الدساتير واشراك السكان فى الادارة وزيادة نصيبهم من الحكم شيئا فشيئا حتى تنشأ بالتدريج روح وطنية متنورة فى الوطنيين لا تنظر الى مصلحتها الشخصية عند النظر فى مصلحة البلاد . وتتألف فى الوقت نفسه قوة كبيرة منظمة لخدمة البلاد . ولما كان من الواجب أن لا يطول زمن المشارفة بلا سبب مشروع فمن الضرورى انشاء حكومة ذاتية مستقلة حالما يمكن الاقدام على هذا الأمر مع العلم بأن الغرض الأول من الحكومات ليس الحصول على أشياء معينة بل ترقية الوطنيين

ومن واجب الدولة الوصية فى سورية وفى هذا العصر المتمدن أن تجعل الحرية الدينية التامة فى مأمن قولا فى الدساتير ، وعملا فى الادارة . وأن تكون عنايتها شديدة بالمحافظة على حقوق الأقليات إذ لاشىء أكثر أهمية من هذا فى نجاح الحكومة العربية الجديدة

ويجب التوقى من تراكم الديون الكبيرة على الحكومة الجديدة فى ترقيتها الاقتصادية. كما يجب التوقى من غمسها فى شؤون الدولة الوصية الاقتصادية والمحافظة من جهة أخرى على امتيازات الأجانب كحقوقهم فى إنشاء المدارس والمشاريع الاقتصادية الخ ومن الواجب عرضها على جمعية الأمم لتعدلها كما تقتضى مصلحة سورية . ولا ينبغى للدولة الوصية أن تستخدم سلطتها لتأييد مشاريع احتكارية الى حد يضر بسورية أو الأمم الأخرى بل يجب أن تعمل للسير بالحكومة الجديدة الى الاستقلال الاقتصادى سريعا كالسير بها الى الاستقلال السياسى

ومهما كان نصيب الآراء الأخرى فانه يجب العمل بهذه الآراء اذا كان مؤتمر الصلح وجمعية الأمم مخلصين لمبدأ الوصايات (الموضوع فى دستور الجمعية) وتجب المحافظة على مصالح سورية الجوهرية كيفما كان شكل الادارة فيها فان المؤتمر السورى فى دمشق تساوره المخاوف من جعل سورية مستعمرة لاحدى الدول تحت اسم آخر غير الاستعمار ، فلذلك يجب نزع هذا الخوف بنزع أسبابه

وتشير اللجنة فى الدرجة الثانية بالمحافظة على وحدة سورية حسب رغائب السواد.

الأعظم من سكانها كما تدل على ذلك عرائضهم لأن البلاد المشار اليها محدودة وعدد سكانها قليل جداً ووحدتها الجغرافية والاقتصادية والجنسية واللغوية واضحة بينة لا تحتمل إنشاء حكومات مستقلة ضمن حدودها المطلوبة . واذا كان فى الوسع تجنب هذا التقسيم فان البلاد عربية بلغتها ومدنيتها وتقاليدها وعاداتها .

ان هذا الرأى مطابق للنظريات العامة التى سبق ورودها كما انه ينطبق على مبادىء جمعية الأمم ويتفق مع رغائب الأكثرية فى البلاد

يجب أن ترسم حدود سورية الجغرافية لجنة خاصة وتعتقد اللجنة ان طلب المؤتمر السورى ادماج كيليكية فى سورية لامسوغ له تاريخيا ولا تجاريا ولا من حيث العلاقات اللغوية لأن الحد الفاصل بين أبناء اللسان العربى وأبناء اللسان التركى يضع كيليكية مع آسيا الصغرى أكثر مما يضعها مع سورية . وعلاوة على ماتقدم فليست سورية محتاجة الى شاطىء بحرى آخر مثل أقسام آسيا الصغرى

ولا ينبغى حين الاعتراف بوحدة سورية نسيان الأمانى الطبيعية فى المناطق التى تشبه لبنان الذى له نوع من الاستقلال . وتكون الوحدة أصح وأمتن اذا أعطى لبنان وما شاكله نوعا واسعا من الاستقلال الادارى فان برنامج دمشق نفسه يطلب حكومة على قاعدة اللامركزية الواسعة . تمتع لبنان بكثير من الرخاء والحكم الادارى فى المملكة التركية فمن الضرورى أن لا يكون حظه فى المملكة السورية أقل من حظه فى المملكة التركية ، بل يجب أن يعتقد بان علاقاته الاقتصادية والسياسية مع باقى سورية تكون وهو عضو فى سورية أفضل منها اذا انفصل عنها انفصالا تاما

وبالطبع ان لبنان كبلاد أكثر سكانها مسيحيون يخشى تسلط المسلمين فى سورية المتحدة وهناك موانع أربع تقيه هذا الخوف :

أولا ــ استقلاله الادارى الواسع

ثانيا ــ وجود دولة وصية قوية مدة طويلة يتألف فيها الدستور الذى تسير عليه الحكومة الجديدة

ثالثا ــ مشاركة جمعية الأمم التى تحافظ على الحرية الدينية وحقوق الأقليات

رابعا ـ شعور الحكومة العربية بضرورة المحافظة على لبنان لكى تستطيع الدخول فى جمعية الأمم

وعلاوة على ذلك فاذا كان عدد المسيحيين كبيرا فى داخل المملكة يزول الخطر من جنوح المسلمين الى الاستياء الذى لابد منه اذا كان عدد المسيحيين كبيرا خارج المملكة وهذا الأمر تؤيده الحوادث فى الهند فى علاقات الأديان المختلفة

ثم ان لبنان كبلاد أكثر سكانها مسيحيون يكون أقوى وأفيد اذا كان ضمن سورية المتحدة مما لو كان خارجها منفردا لوحده إذ يكون شريكا لها فى كل منافعها ومصالحها الحيوية ولذلك نرى أن تكون سورية ولبنان متحدين معاً لفائدتهما وهذا رأى اللبنانيين المتنورين أنفسهم

ومثل هذا الكلام يقال عن فلسطين وهى وان كانت (الارض المقدسة) عند المسلمين والمسيحيين واليهود على السواء فانها ذات موقف دقيق يحتاج الى معالجة دقيقة وسيأتى الكلام عنها فى سياق الحديث عن الصهيونية

الوحدة السورية والوصايات

تشير اللجنة فى الدرجة الثالثة بوضع سورية تحت وصاية دولة واحدة كواسطة طبيعية لتأمين الوحدة وفائدتها . ولا ترى تقسيم ادارة المقاطعات السورية بين عدة وصيات ولو كانت الوحدة الوطنية معترفا بها فليست هذه ولا تلك بالطريقة الطبيعية التى تعتقد اللجنة أنها الفضلى لتوحيد الحكومة الجديدة أو الشعب كله وليس من المستبعد أن ترغم الظروف مؤتمر الصلح على الأخذ بوصاية مقسمة وهذا ليس بالحل الذى يجب اختياره عن طواعية لعدم اتفاقه مع مصلحة السكان الكبرى

ويجب أن لاننسى أن السوريين هناك وأنهم مضطرون الى الاتفاق معاً على صورة ما ولا بد لهم من العيش بعضهم مع بعض سواء العرب فى الجهة الشرقية أو الذين على الساحل من المسلمين والمسيحيين . فهل يعاونون على ذلك أم يعرقلون بانشاء علاقات ودية ولائية بواسطة دولة وصية واحدة ؟ لاريب فى أن الحل الادارى السريع لمسألة العلاقات الصعبة هو تقسيم القوم الى أجزاء صغيرة مستقلة و بعض الأحيان لابد أن يكون الفصل جلياً واضحا

كما فى قضية العلائق بين الترك والأرمن ولـكن الفصل التام بين تلك الأجزاء لاينتج عنه غير اشتداد الخلاف وزيادة العداوات بين العناصر

ان العبرة التى يلقيها علينا درس الشعور الاجتماعى الحديث توجب ادراك (النصف الآخر) على قدر مايستطاع ادراكه بالعلاقات المـكينة الحية فعلى الدولة الوصية التى تمنح بعض الجماعات استقلالا اداريا محليا معقولا أن تعمل فى الوقت نفسه على تقوية وحـدة الشعور الوطنى فى سائر البلاد وعلى تحسين العلاقات الودية بين تلك الجماعات المختلفة لان سكان سورية كما سمعناهم أكدوا لنا مرارا أن العلاقات القديمة بين الجماعات المختلفة ناشئة عن سياسة الحـكومة التركية السيئة فاذا شمل العدل الجميع على السواء ووضح أن غرض الحـكومة هو خدمة جميع الطبقات بلا تفضيل ولا تمييز ـ تحسنت العلاقات وزال سوء التفاهم ولا يتم الوصول الى هذا الأمر بتفريق الناس بعضهم عن بعض وجعلهم أعداء

بناء على ماتقدم يلح رجال اللجنة فى وضع سورية تحت وصاية واحدة وذلك لفائدة المذاهب والجماعات كلها

الامير فيصل

وتشير رابعا بأن يكون الأمير فيصل رئيس حكومة سورية المتحدة للأمور الآتية :

١ ـ طلب المؤتمر السورى التمثيلى هذا الطلب بالاجماع باسم الشعب السورى وليس هناك ما يحمل على الشك بأن السواد الأعظم من سكان سورية يرغبون رغبة صادقة فى أن يكون الأمير فيصل حاكما

٢ ـ ان المملـكة الدستورية القائمة على مبادئ الديمقراطية ملائمة للعرب بطبيعة الحال ولما ألفوه من أحوال القبيلة ولاحترامهم لزعمائهم فانهم يحتاجون أكثر من كل شعب الى ملك كمركز شخصى لسلطة الحـكومة

٣ ـ ان الأمير فيصلا وصل الى سلطته الحاضرة وصولا طبيعيا ، ولا يوجـد شخص آخر يقوم مقامه

ومن مميزاته أنه ابن شريف مكة وله مقام كبير فى العالم الاسـلامى وكان أحـد زعماء العرب الـكبار الذين حملوا التبعة فى ثورة العرب ضد الترك واشتركوا فى تحرير الشعوب

الناطقة بالعربية فى المملكة التركية ولذلك وضع فيه المؤتمر السورى ثقته التامة ولقد أخذ الانكليز بناصره وتوسموا خيرا من تقلده رئاسة الحكومة العربية الجديدة فهو أعربى عصرى يميل الى الأخذ بفضائل المدنية الغربية . وصلاته مع العرب فى شرق سورية ودية فلا خوف على مملكته من هذا الجانب ولكنه بالطبع غير محبوب من المسيحيين فى الشواطئ كما هو محبوب من العرب فى المنطقة الشرقية ولكن هيهات أن يوجد رجل يتفق الناس على محبته أكثر منه فهو متساهل حكيم حاذق فى سلوكه مع الناس واكتساب مودتهم وثقتهم وهو رجل مخلص بعيد النظر . ولا يمكن الجزم الآن فيما اذا كانت له القوة الكافية التى يحتاج اليها فى معالجة الصعوبات ولكن مما لاشك فيه انه لايوجد زعيم عربى آخر فيه من عناصر القوة مافيه وسيكون أكبر معين فى زمن الوصاية

يستطيع مؤتمر الصلح أن يثق كل الوثوق بأن وجود عربى له هذه الصفات على رأس هذه الحكومة الجديدة فى الشرق الأدنى مفيد

الصهيونية

تشير اللجنة بوجوب تنقيح البرنامج الصهيونى لفلسطين تنقيحا كبيرا لاسيما مهاجرة اليهود غير المحدودة التى ترمى الى جعل فلسطين بلادا يهودية

١ ـ باشرت اللجنة درس الصهيونية وهى ميالة الى استحسانها ولكن الحقائق الحسية التى وجدتها فى فلسطين مع قوة المبادىء العامة التى أعلنها الحلفاء وقبلها السوريون حملتها على وضع المشورة الآنفة

٢ ـ تلقت اللجنة من اللجنة الصهيونية فصولا إنشائية كثيرة عن البرنامج الصهيونى وسمعت كثيرا عن المستعمرات الصهيونية ومطالبها فى المؤتمر ورأت بنفسها شيئا مما فعلته و وجدت عددا كبيرا يؤيد أمانى الصهيونيين وخططهم وهى تعجب من انصراف تلك الجوالى الى العمل وتغلبها بالوسائط الحديثة على العقبات الطبيعية

٣ ـ تعتقد اللجنة أن الصهيونيين حصلوا على تشجيع معلوم من الحلفاء فى تصريح اللورد بلفور الذى كثر اقتباسه والاستشهاد به وتصديق ممثلى الحلفاء الآخرين عليه . انما اذا عمل بهذا التصريح الذى يقضى بانشاء « وطن قومى لليهود فى فلسطين مع الفهم

الصريح بانه لايجب أن يعمل شيء يمس بالحقوق المدنية والدينية التي للجماعات غير اليهودية في فلسطين »

اذا عمل بهذا النص لايبقى شك في أنه يجب ادخال تعديل كبير على البرنامج الصهيوني ان إنشاء وطن قومي « للشعب اليهودي » لايعني جعل فلسطين بلادا يهودية كما انه لايمكن اقامة حكومة يهودية بدون اهتضام الحقوق المدنية والدينية التي للجماعات غير اليهودية في فلسطين . والحقيقة التي وقفت اللجنة عليها في أحاديثها مع ممثلي اليهود هي أن الصهيونيين يتوقعون أن يجلوا السكان غير اليهود من فلسطين بشراء الأراضي منهم

ان الرئيس ولسن في خطبته التي ألقاها في ٤ يوليو سنة ١٩١٨ وضع المبدأ التالي كواحد من المقاصد الأربعة الكبرى التي يحارب الحلفاء من أجلها وهو :

« حل كل مسألة سواء كانت تتعلق بالارض أو السيادة أو المسائل الاقتصادية والسياسية يجب أن يبنى على قبول الناس الذين يتعلق بهم قبولا حرا لا على المصالح المادية أو لفائدة أي دولة أو أمة أخرى ترغب في حل آخر خدمة لنفوذها الخارجي أو لسيادتها » فاذا كان هـذا المبدأ سيسود واذا كانت رغائب السكان في فلسطين سيعمل بها فيما يتعلق بفلسطين فيجب الاعتراف بان السكان غير اليهود في فلسطين ـ وهم تسعة أعشار السكان كلهم تقريبا ـ يرفضون البرنامج الصهيوني رفضا باتا والجداول تثبت ان سكان فلسطين لم يجمعوا على شيء مثل اجماعهم على هذا الرفض فتعريض شعب هذه حالته النفسية لمهاجرة يهودية لاحدّ لها ولضغط اقتصادي اجتماعي متواصل ليسلم بلاده ـ نقض شائن للمبدأ العادل الذي تقدم شرحه ، واعتداء على حقوق الشعب وان كان ضمن صور قانونية

وقد اتضح أيضا أن الشعور العدائي ضد الصهيونية غير قاصر على فلسطين بل يشمل سكان سورية بوجه عام فان ٧٢ بالمئة من مجموع العرائض في سورية ضد الصهيونية ولم ينل مطلب نسبة أكبر من هذه النسبة غير الوحدة السورية والاستقلال . وقد أعرب المؤتمر السوري الدمشقي عن هذا الشعور العام في المواد ٧ و ٨ و ١٠ من بيانه

ولاينبغي لمؤتمر الصلح أن يتجاهل أن الشعور ضـد الصهيونية في فلسطين وسورية بالغ أشده وليس من السهل الاستخفاف به فان جميع الموظفين الانكليز الذين حادثتهم اللجنة يعتقدون أن البرنامج الصهيوني لايمكن تنفيذه الا بالقوة المسلحة ويجب أن لاتقل

هذه القوة عن خمسين ألف جندي ، وهـذا فى نفسه برهان واضح على مافى البرنامج الصهيونى من الاجحاف بحقوق غير اليهود . لابد من الجيوش فى بعض الأحيان لتنفيذ القرارات ولكن ليس من المعقول أن تستخدم الجيوش لتنفيذ قرارات جائرة . هذا فضلا عن أن مطالب الصهيونيين الأساسية فى حقهم على فلسطين مبنية على كونهم احتلوها منذ ألفى سنة وهذه دعوى لاتستوجب الاكتراث والاهتمام

وهناك أمر لايجوز اغفاله اذا كان العالم يريد أن تصير فلسطين مع الوقت بلاداً يهودية وهو أن فلسطين هى الأرض المقدسة عند اليهود والمسيحيين والمسلمين على السواء يهم أمرها ملايين من المسيحيين والمسلمين فى العالم ولا سيما مايتعلق من تلك الأحوال بالعقائد الدينية والحقوق فمسألة فلسطين وما يتفرع منها مسألة دقيقة حرجة ومن المستحيل أن يرضى المسلمون والمسيحيون بوضع الأماكن المقدسة تحت رعاية اليهود مهما حسنت مقاصد هؤلاء . والسبب فى ذلك هو أن الأماكن الأكثر تقديسا عند المسيحيين هى ماله علاقة بالمسيح والأماكن التى يقدسها المسلمون غير مقدسة عند اليهود بل مكروهة . ولايستطيع المسيحيون والمسلمون فى هذه الأحوال أن يرضوا عن وضع تلك الأماكن تحت اشراف اليهود . ثم هناك أماكن أخرى لها فى نفوس المسلمين مثل هذا الشعور ولما كانت هذه الأماكن كلها مقدسة ومحترمة من المسلمين كانت وصايتهم عليها فيما مضى أمرا طبيعيا فالذين يطلبون صيرورة فلسطين يهودية لم يحسبوا للنتائج حسابها ولا للشعور العدائى ضد الصهيونية فى جميع أنحاء العالم التى تعتبر فلسطين أرضا مقدسة

و بناء على ماتقدم تشعر اللجنة مع عطفها على مسألة اليهود أن الواجب يقضى عليها بأن تشير على المؤتمر أن لايؤيد غير برنامج صهيونى معتدل يجب العمل فيه بالتدريج و بعبارة أخرى يجب تحديد المهاجرة اليهودية الى فلسطين والعدول بتاتا عن الخطة التى ترمى الى جعل فلسطين حكومة يهودية

ولا يوجد هناك سبب يمنع ضم فلسطين الى سورية المتحدة كأقسام البلاد الأخرى ووضع الأماكن المقدسة تحت ادارة لجنة دولية دينية تكون كما هى الحال فى الوقت الحاضر تحت اشراف الدولة الوصية وجمعية الأمم ويكون لليهود بالطبع عضو فى هذه اللجنة

لمن تكون الوصاية على سورية ؟

ان هـذه الآراء الآن تؤدى بالطبع الى ضرورة الاشارة الى الدولة التى يجب أن تـكون وصية على سورية كلها

١ ـ ان الاعتبارات التى سبق الكلام عنها تبين الصفات المطلوبة فى الدولة الوصية وأول هذه الصفات أن يكون مرغوبا فيها من السكان وأن تتقيد بروح نظام الوصاية قلبا وقالبا وتعمل للغرض الذى وضع النظام لاجله وترضى بالجلاء بعد زمن معـلوم ولا تحاول استغلال البلاد لمصالحها الشخصية ويجب أن يكون لها شغف بالديموقراطية وترقيـة الجمهور العام واحياء الروح الوطنية وتحتاج فى هذه المهمة التى لاشكر عليها الى رغبة غير محدودة وصبر طويل اذ لاتستطيع دولة أن تنظر نظرات صادقة فى الأحوال المحسوسة ـ كملكية الأراضى مثلا ـ وتحاول أن تصلح تلك الأحوال بدون أن يكون لها كثير من الأعداء ويجب أن تـكون قد سبقت لهـا خبرة فى سياسة قوم أقل ارتقاء وأن تـكون ذات موارد كبيرة فى الرجال والمال

٢ ـ من المرجح أن هذه الصفات لم تجتمع فى دولة ؛ ومن المؤكد انها لم تجتمع فيها متناسبة متوازية . وهـذه الصفات مطلوبة كثيرا أو قليلا كما ظهر لنا من أحاديثنا مع الأمة السورية ووجود هذه الصفات يؤدى الى طور جديد فى العلاقات بين الأمم بحيث تدخل فيها روح التضحية . والدولة التى تأخذ الوصاية على سورية كلها على هذه الشروط لا تخدم سورية وحدها بل العالم كله وفى الوقت ذاته تخدم نفسها لانها تعمل على تحقيق مقاصد الحلفاء السامية فى الحرب وتعطى برهانا دامغا على أن هذه المقاصـد لم تهمل الأمر الذى يساعد كثيرا على استبقاء الأمم متحدة متمسكة بمبادئها العالية

٣ ـ ان قرارات مؤتمر الصلح فى ٣٠ يناير سـنة ١٩١٩ مندمجة فى الأوامر المعطاة لنا وهى توضح حالة المناطق التى ستفصل فصلا تاما عن المملـكة التركية وقد جاء فيها « انه يجب أن تراعى رغائب هذه الجماعات فى اختيار الدولة الوصية أولا »

ان ماوصلنا اليه فى درسنا لايدع مجالا للشك فى رغبة أكثرية الشعب السورى فانه بالرغم من كون قبول أميركا الوصاية أمرا مجهولا كل الجهـل وبالرغم من كون اللجنة لم تشجع الأفـكار على الاتجاه نحو هذه الجهة أو الأخـذ بها بل ثبطتها ـ انه مع ذلك فقد

كانت أميركا الدولة التي اختارها السوريون في الدرجة الاولى وكانت نسبة العرائض التي تطلبها ٦٠ بالمئة في المجموع كله بينما لم تنل دولة أخرى أكثر من ١٥ بالمئة من المجموع

وقد ثبت أن القوم يعرفون الأسباب التي بنوا عليها اختيارهم أميركا فهم يقولون انما اختاروها لانهم يعرفون سيرتها ومقاصدها السامية التي لاتشوبها شائبة والثقة التي لها عند الجماهير السورية التي كانت في أميركا والروح الطيبة التي ظهرت من المعاهد الأميركية التهذيبية في سورية ولاسيما كلية بيروت التي تواصل تشجيع الروح الوطنية السورية مما أثبت لهم أن أميركا ليس لها مطامح جغرافية ولا استعمارية وانها لاتلبث أن تتخلى من تلقاء نفسها حالما يثبت بناء الحكومة السورية . ويتخذون كوبا والفيلبين مثلين على روحها الديموقراطية النبيلة وما لها من الموارد الغزيرة وهكذا يتضح من النظر في رغائب الشعب السوري أن الوصاية يجب أن يعهد بها الى أميركا

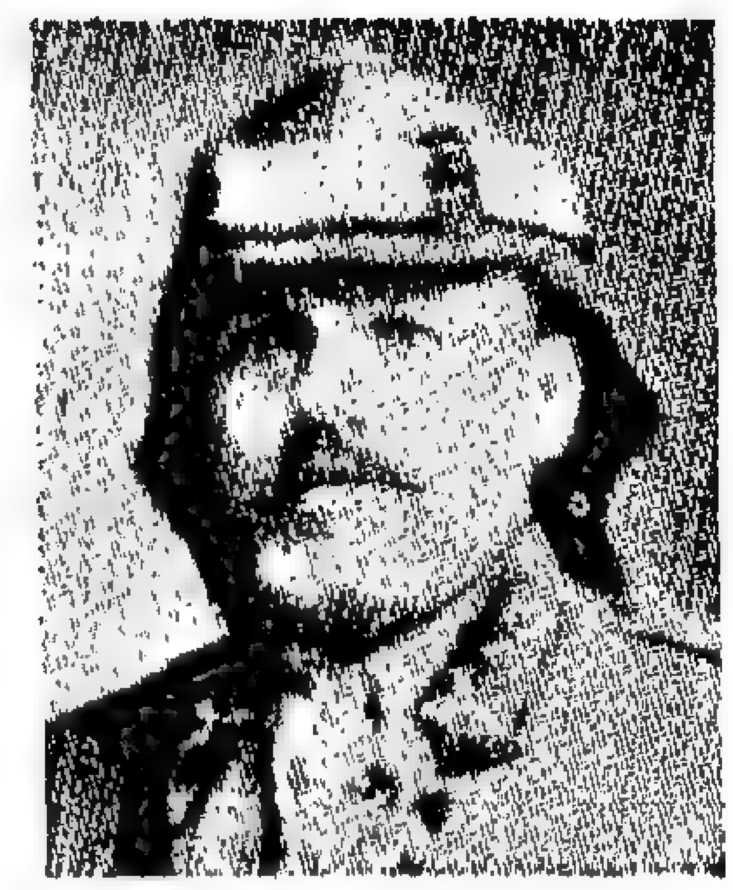
٤ — أما من حيث الصفات المطلوبة في الدولة الوصية على سورية فأميركا التي اختارها الشعب بالدرجة الأولى لاخوف عليها من تقديم كل امتحان دقيق على المقياس الذي أشرنا اليه في كلامنا السابق فهي وان كانت أقل خبرة من انكلترا في هذا العمل وربما كانت علاقاتها مع سورية غير كثيرة ولامتينة مثل علاقات فرنسا فهي على الأقل حاصلة على الصفة التي يتطلبها نظام الوصاية الجديد الذي يحدد العلاقات التي يجب أن تكون لدولة كبيرة مع شعب ضعيف

وهي وان قبلت الوصاية مع التردد فانها سترى كيف ان المنطق يقضي بحمل هذه التبعة التي نجمت عن المقاصد التي خاضت الحرب من أجلها وعن دعوتها الى تاليف جمعية الأمم

٥ — وهناك مسألة أخرى وهي أن أميركا هي الدولة التي تقدر أن تعالج المسألة السورية — في البدء على الأقل — بدون اعتراض عليها من الشعب السوري فقد ظهر أن الأكثرية ترغب في مجيئها أكثر من رغبتها في مجيء أية دولة أخرى

وانه لاسهل على انكلترا وفرنسا معا أن تتنازلا عن مطالبهما لأميركا من أن تتنازل احداهما للأخرى وهي الدولة التي ليس لها منافس ولها موارد غزيرة تساعدها على نشر العمران في سورية ، الأمر الذي يفيد الأمم التي لها صلات مكينة مع سورية ويساعد على

فريق من رجال العهد الفيصلي



رضا الركابي



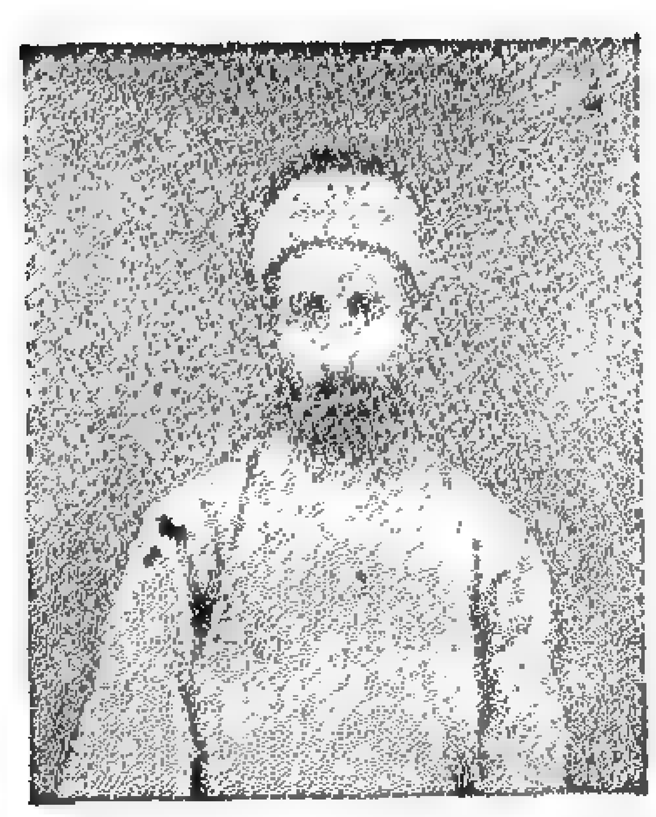
ياسين الهاشمي



هاشم الاتاسي



يوسف العظمة



الشيخ كامل القصاب



المستر كراين رئيس لجنة
الاستفتاء الامريكية

حفظ العلاقات الودية بين الحلفاء يضاف الى ذلك أن الانكليز الذين لهم مصالح كبيرة فى مصر و بلاد العرب والعراق لايرحبون بدولة أخرى مثلما يرحبون بصيرورة أميركا جارة لهم وكذلك العرب والسوريون فى تلك المناطق والفرنسويون الذين لهم مصالح كثيرة خصوصية فى بيروت ولبنان

المصاعب التى امام أميركا

ترد على الاشارة بوصاية أميركية واحدة على سورية كلها جملة اعتراضات أولها ان ارضاء الشعب الأميركى بقبول الوصاية غير مؤكد ، وثانيها أن رضاء الانكليز أوالفرنسويين بالجلاء وترحيبهم بمجيء أميركا غير مؤكد أيضا وهذه حالة قد تسبب تعبا دائما لادارة أميركية علاوة على أن التشجيعات الكثيرة التى أعطيت للصهيونيين وان كانت مبهمة قد تؤدى الى عرقلة أميركا بالنظر الى سكانها اليهود ذوى النفوذ . ثم اذا كانت أميركا ستقبل وصاية ما فعلى الغالب أن الوصاية على آسيا الصغرى أكثر ملاءمة وأكبر أهمية لأن هناك مهمة عظيمة تحتاج الى ما عند أميركا من المقدرة فتخرج عن سياستها التقليدية فيما يتعلق بشؤون القارة الشرقية . وتعتقد اللجنة انه لادولة غير أميركا تقدر أن تذهب الى آسيا الصغرى ولها حرية تامة لتعامل سائر العناصر بالعدل على السواء

و يمكن القول عن هذه الاعتراضات بوجه عام أنها قد تكون من النوع الذى يحل نفسه أو من العراقيل التى يجب توقعها فى مهمة عظيمة كهذه ، ولكن هذا لايمنع اللجنة من القيام بواجبها وهو الاشارة الى ماتعتقد أنه الطريقة الفضلى التى ينبغى السير فيها . لذلك تشير بان تسأل الولايات المتحدة الأميركية أن تأخذ الوصاية على سورية كلها

نبوءة تمت

اذا لم تعط أميركا الوصاية على سورية لسبب ما تشير اللجنة فى هذه الحالة عملا برغائب أكثرية الشعب السورى أن تعطى الوصاية لبريطانيا العظمى ، فان الجداول تبين أن هناك ١٠٧٣ عريضة فى سورية تطلب وصاية بريطانيا العظمى اذا لم تأخذ أميركا

الوصاية وهـذا يزيد كثيرا على العرائض التى تطلب فرنسا ، بل ان ستين فى المئة من العرائض تحتج بشدة على وصاية فرنسوية مباشرة وتتحاشى اللجنة البحث فى أسباب هذه الحالة مضطرة الى الاعتقاد بان الموقف نفسه تستحيل معه الاشارة بأن تكون سورية كلها تحت وصاية فرنسوية . ان شعور العرب فى الجهة الشرقية شديد ضد فرنسا . وهناك سبب خطير يدعو الى الاعتقاد بان السعى لاكراه القوم على قبول الوصاية الفرنسوية يؤدى الى حرب بين العرب والفرنسويين ويوجد بريطانيا فى مأزق حرج

ولعل اللجنة يسمح لها أن تقول ان هذا الاستنتاج يخالف ما كانت ترجوه فى البدء فقد كانت تأمل — بالنظر الى علاقات فرنسا القديمة والودية مع سورية ، والى تضحياتها الفائقة فى الحرب ، والى ماينتظر أن تناله المملكة الانكليزية من الأراضى بعد الحرب — ان تتمكن من الاشارة على المؤتمر بوضع سورية كلها تحت وصاية فرنسا ولكن كلما طال مقام اللجنة ، فى سورية تأكدت ان هذا الأمر لايمكن الاشارة اليه ولا العمل به

بناء على ماتقدم ترى اللجنة انه اذا كانت أميركا لاتستطيع قبول الوصاية أن تعطى لبريطانيا العظمى لأن الأكثرية تطلبها ثم لانها هناك ولديها رجال اداريون متمرنون وهى ذات خبرة كافيـة فى معاملة الشعوب الأقل منها ارتقاء ومتوفرة فيها صفات كثيرة مما يجب أن تكون فى الدولة الوصية كما تقدم البيان

الاعتراضات على بريطانيا العظمى

غير اننا لا ننصف الشعب السورى اذا نحن لم نصف بعبارة صريحة بعض الأسباب التى حملت القوم فى سورية على تفضيل أميركا على انكلترا فان القوم أظهروا فى أحاديثهم معنا خوفهم من أن وضع الوصاية فى أيدى الانكليز يحول الدولة الوصية الى دولة استعمارية من الطراز القديم ويصعب على بريطانيا العظمى أن تتخلى عن مبدأ الاستعمار لا سيما فى بلاد تحسب أهلها غير راقين وترهق الشعب الفقير لكى تزيد عدد الموظفين الاداريين وتصبح مصالح سورية تبعا لمصالح الامبراطورية وتستثمر البلاد أخيرا لمنافعها ولا تنجلى عنها أبدا لتعطى أهلها الاستقلال الحقيقى ، كما انها لا تعنى بالتعليم العمومى فلا تهيىء له أسبابه الكافية فضلا عن ان تحت سيطرتها من الأراضى أكثر مما يجب أن يكون لفائدتها

وفائدة العالم بالرغم من تاريخها الاستعماري الجيد . وهـذه المخاوف التي تساور نفوس السوريين توضح لماذا يطلبون « الاستقلال الناجز » ومساعدة محدودة الأمد ، عشرون سنة فقط ، كما توضح احتجاجاتهم على المادة ٢٢ من دستور جمعية الأمم وكلهم يعتقد ان الدولة التي يرسلها مؤتمر الصلح الى سورية يجب أن تأتي كوصية حقيقية تحت اشراف الجمعية ولأجل محدود . وكل ما خالف هذين فهو خيانة للشعب السوري

ويجب الايضاح أيضا بان المصالح المشروعة لفرنسا في سورية تكون مضمونة تحت الوصاية الحقة إذ لا يوجـد سبب يدعو الى قطع رابطة من الروابط التي لفرنسا مع سورية أو اضعافها سواء كانت سورية تحت وصاية دولة أخرى أو مستقلة

بقي أمر واحـد تجب اضافتـه وهو انه اذا كانت فرنسا تتشبث بمصالحها في سورية تشبثا لا تبالي معه بالعلاقات الودية التي بين الحلفاء فانه من الممكن بالطبع أن تعطى وصاية على لبنان « غير مكبر » بالانفراد عن سورية كما ترغب جماعات كبيرة في هذه المنطقة . ولا تستطيع اللجنة للأسباب التي تقدم شرحها أن تشير بهذا الأمر على المؤتمر ولكنه ترتيب ممكن

هنري س . كنغ ـ تشارلس ر . كراين

٨

اتفاق لويد جورج وكلمنصو

وسفر الأمير الى أوربا ثانية

ريع الفرنسويون من نتيجة الاستفتاء وأدركوا ان أملهم باستمالة الشعب السورى قد خاب وضاع كما عرفوا أن دون تطبيق خططهم الاستعمارية مصاعب لا تذلل فوجهوا وجههم نحو لندن ودبروا حملة فى صحافتهم على الانكليز ملحين بتنفيذ العهود المعقودة بينهما بشأن سورية

وأسرع الانكليز فابلغوا مؤتمر الصلح ـ ارضاء للفرنسويين ـ بانهم لا يقبلون الانتداب لسورية وقامت صحف الانكليز الكبرى وفى مقدمتها جريدة التيمس تدعو الى استرضاء الفرنسويين واجابة مطالبهم

وبينما كانت المناقشات القلمية دائرة على هذا المنوال بين صحافتى لندن وباريس وبينما كان رجال السياسة من الحكومتين يعملون للوصول الى تفاهم حاسم كان الموظفون الفرنسويون فى لبنان يبثون دعاية واسعة النطاق لتكبير لبنان فى ظل الانتداب الفرنسوى ولعلهم خشوا أن لا ينالوا منالا من سورية فأرادوا أن يمهدوا لانشاء دولة لبنانية تدخل تحت حمايتهم فيفوزون ببعض ما يريدون . واليك صورة القرار الذى حملوا مجلس ادارة لبنان على اصداره يوم ٢ مايو سنة ١٩١٩ بالمطالبة بتوسيع حدود لبنان وقد أبلغ رسميا بواسطة الحكومة الفرنسوية الى مؤتمر الصلح وهذا نصه :

لما كان جبل لبنان مستقلا من القديم بحدوده التاريخية والجغرافيــة والقطع التى فصلت عنه انما سلخت منه عنوة واغتصابا بأمر الدولة التركية

ولما كانت الدولة الغاصبة قد تقلص ظلها واضمحلت سيطرتها عن هذه البلاد

ولما كان لبنان لا يتسع له العيش والرخاء مالم تعد اليه القطع المفصولة عنه

ولما كانت دول الحلفاء قد أعلنت أنها تساعد على تحرير الشعوب المظلومة واعادة الأراضى المغصوبة لبلادها الأصلية وكانت القطع المغتصبة من لبنان تعد قسما منه ومعظم سكانها هم من اللبنانيين أصلا

فبناء على ذلك وعلى طلبات والحاح اللبنانيين المتواصلة والمعلنة فى جميع أنحاء الجبل قد اجتمع هذا المجلس بصفته ممثلا للشعب اللبنانى وأصدر القرار الآتى :

١ ـ المناداة باستقلال لبنان السياسى والادارى بحدوده التاريخية والجغرافية واعتبار البلاد المغصوبة منه بلادا لبنانية كما كانت قبل سلخها عنه

٢ ـ جعل حكومة لبنان هذه دمقراطية مؤسسة على الحرية والاخاء والمساواة مع حفظ حقوق الأقلية وحرية الأديان

٣ ـ ان الحكومة اللبنانية والحكومة الفرنسوية متفقتان على تقرير العلائق الاقتصادية بين لبنان والحكومات المجاورة

٤ ـ مباشرة درس وتنظيم القانون الأساسى بطرقه الأصولية

٥ ـ تقديم هذا القرار لمؤتمر الصلح

٦ ـ اعلان هذا القرار فى الجريدة الرسمية وفى غيرها من الجرائد الوطنية تطميناً لأفكار اللبنانيين وبيانا للمحافظة على حقوقهم

يضاف الى هذا وهذا حمل الفرنسويين بطريرك الموارنة الياس الحويك على السفر الى باريس والمطالبة بانشاء لبنان الكبير تحت الحماية الفرنسوية مما هو معلوم ومأثور[١]

---

(١) حمل الفرنسويون البطريرك على السفر فقصد باريس ومعه لفيف من المطارنة وذلك فى شهر اكتوبر سنة ١٩١٩ فقابل المسيو كلمنصو وباحثه ثم عاد الى لبنان فوصل بيروت يوم ٢٥ دسمبر من تلك السنة يحمل الكتاب الآتى :

باريس فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩١٩

أيها السيد

«ان المفاوضات التى جرت من يوم وصول غبطتكم الى باريس فيما بينكم و بين وزير الخارجية و بينى أنا قد وطدت ولا شك فيكم الاعتقاد أن حكومة الجمهورية متمسكة تمسكا لا تنفصم عراه بتقاليد الولاء المتبادل منذ قرون بين فرنسا ولبنان

فاخفاق السياسة الفرنسوية وعمالها ذلك الاخفاق المشين ، أمام اللجنة الاميركية وظهور الشعب السوري بمظهر المتحد المتضامن الرافض لكل حماية فرنسوية ، وحدوث اضطرابات على حدود المنطقة الغربية واتساع نطاق الدعاية العربية فى ارجائها وتظاهر المسلمين لا فرق بين السنيين والشيعيين والدروز وتظاهر النصيرية - ويؤلفون مع المسلمين الجانب الاكبر من سكان تلك المنطقة - بالميل الى حكومة دمشق وتردد زعمائهم

« تلك المفاوضات التى أكدت لكم أيضا ان حل المشكل الذى نسعى اليه فى مؤتمر الصلح هو على وجه الاجمال مطابق لأمانى الشعب الذى أنت ممثله السامى

« ان رغبة اللبنانيين فى المحافظة على حكومة ذاتية ونظام وطنى مستقل تتفق كل الاتفاق مع تقاليد فرنسا الحرة وان اللبنانيين لمتأكدون من مساعدة فرنسا ومؤازرتها وبالاستقلال عن كل مجموع أهلى أيا كان أن يحافظوا على تقاليدهم ويوسعوا نطاق نظاماتهم السياسية والادارية وأن يستعجلوا بأنفسهم زمن الانتفاع التام من مرافق بلادهم وأخيرا أن يروا أولادهم يتأهبون فى مدارسهم الخاصة للقيام بالوظائف العمومية

« أما الحدود التى سيجرى فيها هذا الاستقلال فلا يمكن تعيينها نهائيا قبل أن يقرر ويحدد أمر الوصاية على سورية

«على ان فرنسا التى بذلت كل مافى وسعها سنة ١٨٦٠ لكى تخول لبنان أرضا أوسع لا تنسى أن تضييق حدوده كما هو الان نتيجة الضغط الذى أن تحته لبنان زمنا طويلا

« وان فرنسا التى ترغب فى تحسين الصلات الاقتصادية بين البلاد الموضوعة تحت وصايتها ستنظر أيضا بغاية العناية عند تحديد تخوم لبنان فى ضرورة تخويل الجبل الاراضى السهلية والمرافىء البحرية اللازمة لعمرانه

« وانى على ثقة من أن التأكيدات التى أبديها لغبطتكم توافق العواطف التى حملت الشعب اللبنانى فى هذه المرة أيضا على طلب وصاية فرنسا لبلاده. ولى الامل ان الحل النهائى الذى سيبته مؤتمر الصلح فى المسألة السورية يفسح المجال للحكومة الفرنسوية ويمكنها أن تحقق كل التحقيق أمانى هذا الشعب الباسل ، واقبل ياصاحب الغبطة فائق اعتبارى »

« كلمنصو »

ووجهائهم وأصحاب الرأي منهم على عاصمتها ـ ان ذلك كله زاد فى قلق الفرنسويين وجعلهم يلحون على الانكليز فى تسوية القضية السورية على قاعدة العهود المقطوعة . وبما أن موقف الولايات المتحدة كان غير واضح حتى ذلك الحين ـ فهى لم تعلن ان كانت تقبل انتدابا أملا ـ رأى ولاة الأمور الانكليز أن يستدعوا الأمير الى أوربا ثانيـة لعقد اتفاق نهائى فأبرق اليه المسترلويد جورج رئيس الوزارة البريطانية يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٩١٩ يدعوه الى القدوم ويلح عليه بأن يصل الى لندن يوم ١٦ منه . ومع انه تلقى البرقية فى ساعة متأخرة من ليلة ١١ فقد أعد معدات السفر على الفور وغادر دمشق فى الساعة التاسـعة والنصف من صباح ١٢ منه بقطار خاص الى حيفا ومعه الشيخ فؤاد الخطيب أمين الخارجية والجنرال حداد باشا مدير الأمن العام والدكتور أحمد قدرى طبيبه الخاص والقائد أركان حرب محمد اسماعيل والخورى يوسف اسطفان والمحامى توفيق الناطور والمرافق العسكرى تحسين قدرى . ولحق به بعد يومين الأمير امين أرسلان وامين التميمى والدكتور سامح الفاخورى والأمير فايز شهاب (لبنان) وامين الكسبانى

وبلغ الأمير الاسكندرية يوم السبت ١٣ منه وأبحر فى الأصيل على نسافة بريطانية الى مرسيليا وقد سافر اللورد اللنبي قبله بأسبوع وتوقفت النسافة فجأة يوم الاثنين ١٥ منه قرب مالطه بحجة نفاد الفحم والحاجة الى بعض اصلاحات وقضت هنالك يومين أبحرت بعدهما الى مرسيليا فبلغها الأمير يوم ١٨ منه وسافر الى باريس على الفور، وقد ظهر بعد أن توقفها كان مقصودا وانه جرى باشارة لاسلكية تلقتها وهى فى عرض البحر من حكومة لندن ، لعدم اقتران المفاوضات التى كانت تدور بين المسترلويد جورج والمسيو كلمنصو بنتيجة نهائية . ولما كانا ينويان مفاجأته بالأمر الواقع فقد رأيا تأخير سفره ريثما يتم الاتفاق وهو ما وقع

ومما يستحق الذكر هنا ويدل على رغبة الانكليز فى استرضاء الفرنسويين زيارة الكولونيل ماين هيرزاكن يوم ٩ سبتمبر للامير فيصل ـ أى قبل سفره الى أوربا بيومين ـ مصحوبا بالكبتن كولوندر الفرنسوى ، وابلاغه شفاها الانذار الآتى باسم اللورد اللنبي :

١ ـ تعلن بريطانيا انها ترفض الانتداب على سورية بأى شكل كان

٢ ـ تؤيد بريطانيا فكرة إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين

٣ ـ تقاوم بريطانيا فكرة إنشاء حكومة تخالف رغبات الشعب السورى

٤ ـ لما كان المارشال اللنبي هو المسؤول عن أمن هذه البلاد أمام المجلس الأعلى فهو عازم على اعادة الأمن الى نصابه عند حدوث اضطراب أو قلاقل»

فاحتج الأمير على هذا الانذار وقال ان المظاهرات التى يقوم بها الشعب منشؤها وجله على مصيره وتخوفه من هضم حقوقه وانه لايوافق على تقسيم البلاد العربية بوجه من الوجوه ولا يساعد على استعمارها فأجابه الكولونيل الانكليزى « سيعاقب المارشال الذين يحاولون ايقاد الاضطرابات مشروعة كانت أم غير مشروعة »

ولقد أثر هذا الانذار أثراً بليغاً فى نفس الأمير وجعله يحسب للحوادث حسابها كما جعله يشعر بأن هنالك تفاهما بين الفرنسويين والانكليز على سورية والعراق مما أيدته الحوادث فانه لم يكد يبلغ باريس يوم ١٩ سبتمبر سنة ١٩١٩ حتى عرف أن كل شيء قد انتهى وانه إزاء سياسة جديدة تم الاتفاق على تفاصيلها بين الحكومتين وتقضى بجلاء الجيش البريطانى عن المنطقتين الشرقية والغربية وعن كيليكية وحلول الجيش الفرنسوى محله ، ومعنى ذلك أن تحتل فرنسا البلاد التى اختصت بها بموجب معاهدة سايكس ـ بيكو وفى جلتها أقضية بعلبك والبقاع وراشيا وحاصبيا لانها داخلة فى حدود المنطقة الساحلية الخاضعة مباشرة لفرنسا ويستثنى من ذلك المدن الأربع وهى دمشق وحمص وحماه وحلب مع ولاية الموصل وقد تقرر أن تظل تحت الاحتلال البريطانى مع انها من الأراضى الداخلة فى شقة سورية الداخلية فيقتصر الاحتلال العسكرى البريطانى فى هذا الدور على العراق وفلسطين وقد كان مصيرها غير جلى كما لايخفى وهذا نص الاتفاق العسكرى الذى عقد فى باريس يوم ١٥ سبتمبر بهذا الشأن :

« لقد قبل المسيو كلمنصو باسم الحكومة الفرنسوية اقترحات المستر لويد جورج بجلاء الجيش البريطانى عن سورية وكيليكية واستبدال هذه القوى بجنود فرنسوية فى كيليكية وفى غرب خط سايكس ـ بيكو فى سورية

« ومن المعلوم أن الحكومة الفرنسوية بقبولها هذه الاقتراحات لاتتعهد بقبول أى قسم آخر من المواد المقترحة فى مذكرة المستر لويد جورج فى ١٣ سبتمبر سنة ١٩١٩ والخاصة باحتلال سورية وفلسطين والعراق الى أن يصدر القرار فى قضية الانتداب . فالمؤتمر

يسجل هذا الاتفاق بصفته تدبيرا عارضا وموقتا لتسوية الاحتلال العسكرى لاغير ، وهو لايؤثر فى حل القضايا الخاصة بالانتداب والحدود التى يجب النظر فيها باعتبارها جزءا من قضية الصلح العامة مع تركيا »

وفى يوم ١٧ منه نشر فى باريس البلاغ الرسمى الآتى :

« تقرر فى الاتفاق الذى عقد بشأن الحلول محل الجنود البريطانية فى سورية وكيليكية أن تترك من الآن المدن الأربع وهى دمشق وحمص وحماه وحلب خارج منطقة الاحتلال العسكرى الفعلى »

وزيادة فى البيان والايضاح نقول ان الانكليز نالوا من الفرنسويين فى مقابل هذا الجلاء المزايا الآتية :

١ — عدم المطالبة بادخال ولاية الموصل ضمن الحدود السورية

٢ — عدم المنازعة فى تقرير مصير فلسطين أى أن تكون لبريطانيا

٣ — عدم المنازعة فى وضع العراق تحت الانتداب البريطانى

٤ — ابقاء مقاطعة شرقى الأردن — وكانت يومئذ جزءا من سورية — تحت الاحتلال البريطانى

نعم هذا ماناله الانكليز من الفرنسويين مقابل موافقتهم على احلال الجيش الفرنسوى محل الجيش البريطانى بشرط أن يتم الجلاء والحلول فى أول شهر نوفمبر من تلك السنة . وأبلغ هذا الاتفاق — وقد تم بموافقة اللورد اللنبى — الى مجلس الحلفاء الأعلى رسميا فأقره وجاء فى المذكرة الخاصة به انه سيظل نافذا الى أن تفرغ أميركا من ابرام معاهدة الصلح وتعلن قرارها الخاص بقبولها الانتداب أو رفضه له . والقصد من كل ذلك جعل الأمير أمام حالة واقعة واجباره على الرضا والتسليم بما قدر وقسم

وعلم الأمير بما تم وهو فى مرسيليا فسافر الى باريس على الفور ولم يقم فيها بل غادرها مباشرة الى لندن فاجتاز بحر المانش بمدمرة انكليزية وبلغ لندن يوم ١٩ منه فاستقبل استقبالا رسميا فخما وحل فى فندق كارلتون وقابل يوم وصوله اللورد اللنبى وذهبا معا الى دوننج ستريت وقابلا رئيس الوزارة مقابلة طويلة

وقد احتج الأمير على ماوقع فطيب الانكليز خاطره وقالوا له انه لم يكن بامكانهم

أن يفعلوا غير مافعلوه ثم أشاروا عليه أن يذهب الى باريس ويفاوض الفرنسويين ويتفق معهم فأبى فى أول الأمر

ودارت محادثات طويلة فى تلك الأثناء بينه وبين أقطاب الانكليز اقترح فى ختامها تأليف لجنة عسكرية تؤلف من أربعة ضباط : أميركى وعربى وانكليزى وفرنسوى وتجتمع فى لندن للبحث فى مايلزم اتخاذه من التدابير لاتقاء ماقد يحدث من حوادث بسبب جلاء الجنود البريطانية وحلول الجنود الفرنسوية محلها، فوافق الانكليز مبدئيا على هذا الاقتراح وأبلغوا الأمير بأن يسافر الى باريس لمفاوضة المسيو كلنصو والاتفاق معه على تفاصيله وجاؤوه بدعوة خاصة منه فاجتاز المانش يوم ٢٠ اكتوبر وفى يوم ٢٣ منه قابل المسيو كلنصو مقابلة طويلة لم تؤد الى اتفاق لان هذا أبى الاشتراك فى اللجنة العسكرية التى يقترح الأمير تأليفها. وزار عونى عبد الهادى بصفته مندوبا عربيا فى مؤتمر الصلح المستر فولك رئيس الوفد الأميركى بعد سفر ولسن الى بلاده وأبلغه خبر اتفاق ١٥ سبتمبر ورجاه التوسط لحل الخلاف القائم بين العرب والفرنسويين والانكليز حوله وقال له ان هذا الاتفاق يعد بمثابة مقدمة لتقسيم البلاد العربية فأجابه انه لايستطيع أن يتكلم رسميا لان المسألة العربية مرتبطة بالمسألة التركية ولم يحن زمن البحث فيها وان غاية مايفعله هو التكلم مع الانكليز والفرنسويين بصفة خاصة

وعلى أثر ذلك وخوفا من انسحاب الأميركان من مؤتمر الصلح فيخسر العرب عضدا قويا رفع عونى عبد الهادى تقريرا الى المؤتمر اقترح فيه فصل القضية العربية عن القضية التركية وأن يعجل بنظر الأولى لاعتبارات سردها . ومع أن بعض كبار الأميركيين وعدوه بالتأييد الا ان الكلمة العليا ظلت للانكليز والفرنسويين فارجىء النظر فيها ثم كان بعد ذلك ما كان من انسحاب الاميركيين ورفضهم ابرام معاهدة فرسايل فكان هذا الانسحاب من سوء حظ العرب

لقد باع الانكليز العرب وصداقتهم بزيت الموصل وجحدوا عهودهم لهم . ووصف المستر كراين رئيس اللجنة الاميركية الى بلاد الشرق ماجرى أبلغ وصف بقوله « لما خرجنا من باريس فى صيف سنة ١٩١٩ الى الشرق كنا كلنا آمالا بنجاة سورية وتحريرها فلما عدنا وجدناها بيعت بيع السلع ، باعها الانكليز بزيت الموصل وهو الزيت الذى

تنازل عنه الفرنسيون ثمنا لاطلاق يدهم فى سورية » ويمثل هذا صرح أحد أصدقاء الكولونيل لورانس فقال « لو لم تكن الموصل داخلة فى منطقة النفوذ الفرنسوى لقبل المستر لويد جورج نظرية الكولونيل لورانس باستقلال سورية »

الجنرال غورو يعين لقيادة جيش الشرق

وبينما كان الأمير يعمل فى باريس ولندن لتعديل اتفاق ١٥ سبتمبر والتخلص منه فوجىء يوم ١٢ اكتوبر سنة ١٩١٩ بتعيين الجنرال غورو قائدا عاما للجيش الفرنسوى فى الشرق ومندوبا ساميا لفرنسا فى سورية وكيليكية ومع أن هذا صرح على أثر تعيينه ان مهمته محدودة بدقة وجلاء وهى « ابدال جنود بجنود والمحافظة على النظام فى تلك البلاد الى أن يقرر مؤتمر السلام المطالب السياسية الخارجية باقسام السلطنة العثمانية المختلفة » الا ان ذلك لم يخفف من قلق الأمير فافضى بحديث لجريدة للماتان الفرنسوية قال فيه « وانى أرغب فى الاتفاق الودى مع فرنسا ومعاونة الجنرال غورو الذى لم أجتمع به حتى الآن لسوء الحظ، ولكن لايسعنى التسليم بتجزئة البلاد التى وعدونا وعدا رسميا بعدم تجزئتها . وأقول هنا ان المستر لويد جورج اطلعنى من أيام على مذكرة وطلب منى التسلم بها فرفضت ذلك بتاتا وعندى توكيل من العرب فلا يحق لى أن أقبل شكلا من أشكال الحكم يعارض آمالهم ولم أفعل شيئا فى باريس سوى انى طلبت من المسيو كلمنصو أن لايجزىء بلادنا وأن تظل القيادة العسكرية فيها موحدة الى أن يصدر قرار المؤتمر فلم أتلق جوابا على ذلك فاذا رأى العرب أن الأمم الأخرى خدعتهم فانهم يطلبون العون فى مكان آخر »

وفى يوم ١٨ نوفمبر وصل الجنرال غورو الى بيروت فاستقبل استقبالا عسكريا وجاء معه عدد كبير من الضباط وبدأ توارد الجند الفرنسوى الى سورية على الأثر

٩

جلاء الجيش الانكليزى

وتدابير الحكومة الفيصلية

بدأ الجيش الانكليزى بالجلاء عن حلب ودمشق فانتهى جلاؤه بانتهاء شهر نوفمبر ، ولم يبق سوى الجند المرابط فى حوران وشرقى الأردن وكذلك غادرت دمشق يوم ١٨ نوفمبر القوة الفرنسوية التى كانت ترابط فيها وهى ٢٥٠ جنديا الى بيروت . وفى يوم ٢٥ نوفمبر طارت الطيارات الانكليزية فى سماء دمشق والقت أوراقا كتب فيها : « ان القائد العام للجيش البريطانى وضباطه وعساكره فى دمشق يرومون أن يودعوا سمو الأمير زيد المعظم والهيئة الحاكمة وأهل دمشق ويشكرونهم من صميم أفئدتهم على ما أظهروه نحوهم من العطف أثناء وجودهم بدمشق ويتمنون من كل قلوبهم مستقبلا حسنا لدمشق وللشعب العربى كله »

بيان الحكومة السورية فى المؤتمر

ورأت حكومة دمشق أن لا تنفرد بالعمل فى الدور الجديد فاصدر الأمير زيد أمرا بدعوة المؤتمر السورى فاجتمع بعد ظهر السبت ٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٩ فى دار النادى العربى والقى الحاكم العسكرى على رضا باشا الركابى باسم الأمير خطبة قال فيها :

«تعلمون ان العرب وجلالة الملك المهاب لم يخوضوا غمار هذه الحرب فى جانب الحلفاء إلا لانقاذ الأمة العربيــة من نير الظلم والاستعباد والحصول على الاستقلال التام وقد دخل الجيش العربى سورية فاتحا وأعلن الحكم العسكرى الموقت فى البلاد ريثما يتقرر مصيرها نهائيا وكانت سورية التى فتحها الجيش العربى بمعونة الحلفاء والعرب قد قسمت الى مناطق احتلالية بتدبير القيادة العامة للجيوش المتحالفة لتدار من قبل السلطات العسكرية الموقتة

وقد ذهب سمو الأمير فيصل الى أوربا لتمثيل البلاد فى المؤتمر والمناضلة عن حقها السياسى بتفويض الشعب . ولا يزال يواصل نضاله وجهاده المقدس ولا تزال الضجة قائمة فى أوربا حول المسألة السورية . غير أن الحلفاء نظرا للارتباكات المالية وتأخر أميركا فى اعلان قرارها النهائى كما يدعون اضطروا للقيام بتدبير عسكرى موقت يقضى بانسحاب الجيش البريطانى على أن لا يحل محله جيش آخر إلا فى بعض النقط من منطقتنا الشرقية وهى بعلبك ورياق وشتورة . وأما الجيش البريطانى فسيحافظ على مواقعه الأصلية فى حوران والكرك ولا ينسحب منها وستبقى السلطة الادارية لنا فى الاماكن الاخيرة كما كانت سابقا . ولقد تم هذا التدبير العسكرى دون استشارة العرب الذين هم حلفاء أيضا . ويجب أن يكون لهم الرأى الاول فى مثل هذا الشأن الامر الذى امتعضت له الامة وكان الواجب على الحلفاء آن يأخذوا رأى العرب فيه قبل كل شئ . ولقد تعددت بموجب هذا التدبير القيادة العسكرية فى سورية بعد ما كانت موحدة »

ثم تكلم عن تصريحات المسيو بيشون وزير الخارجية الفرنسوية وقد جاء فيها ان كل ماجرى وقتى لايؤثر فى قرار مؤتمر الصلح النهائى وأجاب على ذلك بقوله « وان تصريحات كهذه لا تكفى لقبولنا هذا التدبير الاخير الذى هو تطبيق لمعاهدة سايكس — بيكو السرية المجحفة بحقوق البلاد والمنافية لمبدأ الحلفاء وهذا مادعانا الى رفع استقالتنا لسمو الامير احتجاجا على التبليغات التى أبلغناها فعهد الينا بالسلطة العسكرية الموقتة على أن يرفع احتجاجنا للمقامات العالية

« وقد دعا سموه مؤتمركم الموقر لاطلاعكم على الموقف الحاضر بصفتكم زعماء البلاد وممثلى ارادة الامة لتبدوا رأيكم فى هذا الاتفاق الموقت الاخير ، ولتواصلوا جهادكم المقدس فى ادارة الحركة الوطنية أكثر من ذى قبل فتكون مساعيكم القيمة فى داخل البلاد عونا لسمو الامير فى خارجها »

وعقد المؤتمر السورى يوم ٢٤ منه جلسة قرر فيها أن يرفع الى الامير زيد الكتاب الآتى :

« ان المؤتمر السورى بصفته ممثلا للامة السورية العربية قانونيا وسياسيا قد تشرف بسماع بيان سموكم الذى تلاه الحاكم العسكرى العام بالنيابة عنكم وعلم منه حرج الموقف

وكيف ان خلفاء العرب ابان شدتهم يوم كان طالع الحرب غير باسم لهم قد نكثوا عهودهم مع العرب اليوم فعلا وعبثوا بالعهود والأسس التى أعلنوها للملأ أجمع من أنهم يقاتلون لنصرة الحق ويؤيدون حقوق الأمم لتعيين مصيرها حسب رغائبها وأمانيها وقد خرقوا عهد جمعية الأمم قبل أن يجف مداده وبدأوا بتقسيم البلاد وتهيئة أسباب استعمارها حسبما تقتضيه مصالحهم الاستعمارية معتمدين على قوة السيف والمدفع وحق الفتح ومعترفين عمليا بان العهود والمواثيق ماهى إلا قصاصة ورق رغما عما كانوا يؤاخذون به الالمان ويثيرون ثائرة الشعوب عليهم من أجله ، وان الاتفاق العسكرى الموقت الذى تم بين لويد جورج وكلمنصو بشأن البلاد السورية تم خلسة عن العرب الذين هم أصحاب البلاد منذ وجد التاريخ وأصحاب الحق الاول فى تعيين أمر البلاد

« والمؤتمر ازاء هذا الاتفاق الموقت يرى ان واجب الأمة التى يمثلها فى أمانيها ورغائبها يقضى عليها بالدفاع عن وحدتها واستقلالها وشرف قومها الى آخر نسمة فيها تأييدا لرغائبها التى أبدتها وتأمينا لوحدة بلادها التى هى عرضة للتقسيم واستقلالها وهو عرضة للضياع

« ويرى أنه من بواعث الوطنية أن يعرض على مسامعكم بعض أمانيه ومقرراته التى لا يرى بدا من وجوب تطبيقها لأجل توحيد الحركة فى البلاد للوصول الى الغاية المنشودة وهى اعلان الاستقلال التام للقطر السورى بحدوده التى رسمها المؤتمر بقراره الذى قدمه الى اللجنة الدولية الأميركية فهو لا يقبل الانقسام والتجزئة بوجه من الوجوه مع تعيين شكل الحكومة بانها ملكية شورية مدنية ويرى أن يلفت نظركم الى الاوضاع والتعامل المتخذين فى الممالك التى سبقتنا فى الاخذ بمبدأ السيادة القومية وهو يقضى بان تكون الحكومة وطنية لمجلس الامة حق مراقبتها ضمن دائرة القانون الاساسى والمؤتمر يعتبر نفسه على وفاق مع سموكم بلزوم اتخاذ التدابير العاجلة لتطبيق هذه الاصول والاوضاع وانشاء حكومة مسؤولة أمام الامة يثق بها ويمنحها اعتماده المطلق وثقته التامة لاتخاذ وسائل الدفاع عن وطنه المهدد بالاستعمار »

منشور المؤتمر الى الامة

وأذاع المؤتمر على الشعب السورى البيان الآتى :

بما أن حياة البلاد لاتقوم إلا بوحدتها التامة واستقلالها التام . وبما أن بعض

الاستعماريين يتهددون تلك الوحـدة ويعبثون بهذا الاسـتقلال فقد رأى المؤتمر السورى الذى يمثلـكم وينطق بلسانـكم ويعبر عن رغائبكم فى جلسته يوم ٢٤ نوفمبر أن يوجب على الامة الدفاع بدنا ومالا ضد كل من يحاول الاخلال بوحدة البلاد واستعمارها والعبث باستقلالها والمؤتمر على ثقة تامة من أن الامة العربيـة الـكريمة ذات المجـد الاثيل والشرف الاصيل سـتقدر الواجب حق قدره فتسرع الى تلبية نداء الوطن بكل مالديها من قوة وحياة وانه يأمل كل الأمل أن الامة العربية ستجد فى أوربا وأميركا كثيرا من المخلصين المنصفين ممن يساعدونها على نيل حقوقها وأمانيها ويدافع عن قضيتها والله ولى التوفيق

بلاغ الامير زيد

وفى يوم ٢٧ منه أرسل الامير زيد الى الحاكم العسكرى الـكتاب الآتى :

« هاقد انسحبت الجيوش البريطانية من منطقتنا الشرقية ودخلنا فى دورجديد هو الخطوة الاولى نحو الحياة الحرة إذ أصبحت حكومتنا العربية هى المـكلفة بحفظ الامن والنظام فى هذه البقعة المباركة من بقاع البلاد العربية المحررة التى لا نزال نواصل جهادنا فى الدفاع عن حق استقلالها السياسى ووحدة أقطارها استنادا على وعود حلفائنا وعهودهم التاريخية

ولا مراء ان الواجب الوطنى يقضى على رجال حكومتنا فى هـذه الايام أن يتذرعوا بالحزم والنشاط والتبصر فى ادارة شؤون البـلاد أكثر من ذى قبل لنبرهن للعالم أجمع ان العرب جديرون بالحياة الحرة والاستقلال الوطنى التام الذى هو المثل الاعلى لـكل فرد من أفراد الامة والذى خضنا لاجله غمار هذه الحرب أربع سنوات فى جانب الحلفاء وعلى ذلك وبصفتى نائب أخى سمو الامير فيصل أوصى جميع الموظفين ورجال الحـكومة المسؤولين بما يأتى :

١ ـ السهر الدائم على الاحتفاظ بالامن العام والضرب بسوط من حـديد على أيدى من يريدون الفساد والتصدى للاخلال بالراحـة العامة ٢ ـ قطع دابر الشقاوات وحوادث الاعتداء ٣ ـ احترام الاهلين ورعاية مصالحهم على مبدا الحكومة للشعب والشعب للحكومة ضمن المبادىء القانونية ٤ ـ منع كل مايخالف قواعـد الشرف الصحيح والاخلاق الفاضلة ٥ ـ توزيع العدل بين جميع الطبقات والمساواة التامة بين جميع الطوائف ٦ ـ الاهتمام العظيم

بتدريب وتنظيم قوتى الجيش والدرك اللذين هما محط آمال الامة ليكونا فى المنزلة التى يقضى بها الدفاع الوطنى »

الفرنسيون يتقدمون لاحتلال بعلبك ورياق

وفى يوم ٢٩ منه أذاع الحاكم العسكرى البلاغ الآتى :

« لقد تبلغنا رسميا من مندوبى حكومتى انكلترا وفرنسا ان الجنود الفرنسوية ستحل محل الجنود البريطانية فى شتورة ورياق و بعلبك حسب القرار العسكرى الاخير ، فتحتلها احتلالا عسكريا على أن تبقى هذه الناحية مرتبطة من الجهة الادارية بالحكومة العربية . فالحكومة العربية قدانتدبت أمير اللواء نورى السعيد ليسافر الى بيروت بتعليمات خاصة ويفهم القائد الفرنسوى الاخطار العظيمة التى ستنجم عن هذا العمل المخالف لرضاء الشعب فاطلب من الشعب الذى أعرب عن نواياه الطيبة فى جميع المواقف ان لا يلتفت الى الاخبار الكاذبة وأن يكتفى بما ينشر من جانب الحكومة »

ووصل فى تلك الآونة الى دمشق ضابط انكليزى كبير منتدب من قبل الجنرال اللنبى لاقناع ولاة الامور العرب بالتساهل مع الفرنسويين فقابل مع الكولونيل كوس (المعتمد الفرنسوى) الامير زيدا مقابلة طويلة بعد ظهر ٢٨ منه حضرها الحاكم العسكرى العام ونورى السعيد ويوسف العظمة المعتمد العربى فى بيروت يومئذ فدار البحث حول الموقف الاخير فأصر ولاة الامور العرب على خطتهم وقالوا ان احتلال الجيش الفرنسوى لهذه المناطق يكون مبعث اضطرابات وفتن وأخيرا تم الاتفاق على أن يسافر نورى السعيد الى بيروت ليفاوض الجنرال غورو مباشرة فسافر فعلا مساء ٢٨ منه

وهاج سكان دمشق ونظموا المظاهرات والاحتجاجات وتقدموا للتطوع فى الجيش وأعلنوا انهم يقاومون الاحتلال بالقوة

وعاد نورى السعيد مساء ٢٩ منه بعد ما قابل الجنرال وفاوضه ولم ينل منه منالا فانه مالبث أن أصدر أمرا بالاحتلال وهذا نص البلاغ الرسمى الذى أصدرته الحكومة يوم ٢ دسمبر سنة ١٩١٩

« رغما عن استمرار المذاكرات التى انتدب لها أمير اللواء نورى السعيد رغبة فى

حفظ الامن والسلام فهمنا اليوم ان الفرنسويين دخلوا المعلقة حسب القرار العسكرى الاخير وقد احتجت الحكومة عند قناصل الدول وعند ورود تفصيلات ننشرها »

وعاد نورى السعيد الى بيروت يوم أول ديسمبر لمقابلة الجنرال غورو ومفاوضته

وفى يوم ٤ منه صدر الامر بتعيينه قائدا عسكريا على منطقة حاصبيا ـ راشيا ـ رياق المعلقة ـ بعلبك

وفى مساء ٦ منه رجع من بيروت بعد ما اتفق مع الجنرال على ابقاء قوة فرنسوية صغيرة فى المعلقة ـ رياق ـ للاشراف على النقليات العسكرية وعلى أن يعدلوا عن احتلال المناطق الاخرى

وفى اليوم نفسه أرسل المعتمد الفرنسوى فى دمشق الكتاب الآتى الى الحاكم العسكرى العام :

« لى الشرف أن أؤكد لكم حديثنا فى هذا اليوم وان الخص طيه بالصورة الواضحة التصريحات الرسمية التى تفضل الجنرال غورو القائد العام فى الشرق بالتصريح بها الى الجنرال نورى السعيد والى فيما يختص بابدال الجيوش ويجرى الآن

« ان انسحاب الجيوش الانكليزية من بعض جهات سورية واستبدالها فى بعض نقط معينة بفصائل من الجيوش الفرنسوية ان هو ـ كما دلت على ذلك بصراحة برقية المسيو كلنصو التى تشرفت بتبليغكم إياها فى حينها (١) ـ الا تدبير عسكرى محض ذو صفة موقتة . وقد ارتأت هذا التدبير الحكومتان الفرنسوية والانكليزية وحاز موافقة القيادة العليا من قبل المؤتمر وأن هذا التدبير لايدل قط على تجزئة البلاد السورية ولا يبت بوجه ما فى مسائل الحدود والانتداب التى تبقى معلقة بمؤتمر الصلح

---

(١) هذا نص البرقيــة التى أرسلها كلنصو الى بيروت فى أوائل شهر نوفمبر سنة ١٩١٩ « يصــل الجنرال غورو الى سورية حوالى ٢٠ نوفمبر وليس فى قرار المؤتمر الخاص بابدال الجنود شيء من الابهام والتعمية ولا هو يدل على تجزئة سورية وليس له صفة ما سوى انه تدبير عسكرى وقتى لايمس أبدا مسائل الانتداب والحدود التى يناط تحديدها بقرارات مؤتمر الصلح الذى يرى انه لايمكن فصلها عن التسوية العامة فى الآتى»

وقد قرر الجنرال غورو مايلي لكيما يبقى لهذا التدبير العسكري الصفة التي اختصوه بها

١ ــ ان ادارة الجهات في المنطقة الشرقيــة التي يحق لجيوش الاحتلال الفرنسوية أن تحل فيها محل جيوش الاحتلال الانكليزية تبقى بجملتها وكما في الماضي مناطة بحكومة دمشق العربيــة

٢ ــ ان الحامية العربية في بعلبك تكون مؤيدة في هيئتها الحالية جنبا الى جنب مع الحاميــة الفرنسوية وستبقى فصيلة عربية أيضا في رياق لادارة المواصــلات بين دمشق والحاميات العربية الموجودة في الجهات التي يمتد فيها خط رياق ــ حلب الحديدي . وفي كل مكان يبقى موظفو الادارة العربية قادرين على استعمال القوى اللازمة من الشرطة والدرك

٣ ــ تبقى الحكومة العربيــة مسؤولة عن النظام والامن في كل مساحة أراضي المنطقة الشرقيــة بحسب حدودها الحاليــة ، والجيوش الفرنسوية ــ كما كانت الجيوش الانكليزية التي حلت محلها ــ لاتتدخل اذا حصلت ضرورة الا لمساعدة الحكومة العربية وبطلب منها

وبالطبع فأنا مستعد كل الاستعداد لتقديم كل التفصيلات التي ترغبونها وأرجو قبول فائق احترامي »

اتفاق الامير وكلمنصو على تأجيل الاحتلال

وبينما كانت المفاوضات دائرة على هــذا المنوال بين رجال الحكومتين في دمشق وبيروت للاتفاق على حل للمشكلة الجديدة ، كان الأمير فيصل يفاوض المســيو كلمنصو في باريس ويقيم له الدليل على أن احتلال هذه المناطق يزعج العرب ويؤلمهم وقد يؤدي الى احداث اضطرابات دموية من المصلحة اتقاؤها واجتنابها . وقد تشدد الأمير في هذه القضية تشدداً زائدا كما أصــدر الأوامر الى دمشق بمقاومة الفرنسويين بالقوة اذا احتاج الحال وصدهم وأرسل بذلك كتابا خاصا من باريس الى والده في مكة ينبئه بما تم ويقول له انه مصمم على النضال ولن يسمح للفرنسويين باحتلال هذه المناطق أبدا

وبعد أخذ ورد طويلين عقد اتفاق بين الأمير وكلمنصو يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٩

نص على ابقاء الحالة فى هــذه الاقضية على حالهــا وأن يكتفى بقبول ضابط فرنسوى فى بعلبك وآخر فى راشيا وبذلك انفرجت الأزمة وانتهى الخلاف

وعلى أثر هــذا الاتفاق وابلاغه الى الجنرال غورو رسميا للعمل به أذاع الحاكم العسكرى البلاغ الرسمى الآتى فى دمشق يوم ٨ ديسمبر :

تصحيحا لما أذعناه قبل أمس عن احتلال بعض النقط من المنطقة الشرقيــة نعلن أنه قد تم الاتفاق مع الجنرال غورو باسم الحكومة الفرنسوية على صرف النظر عن احتلال البقاع و بعلبك وراشيا وحاصبيا ازالة لسوء التفاهم مع الحكومة العربية ريثما يصدر مؤتمر الصلح قراره النهائى بشأن سورية وهذه صورة الاتفاق :

١ ـ يكتفى بارسال ضابطى ارتباط أحدهما لبعلبك والثانى لراشيا

٢ ـ يرســل رهط فرنسوى واحــد الى رياق للمحافظة على العتاد الذى ابتاعــه الفرنسويون من الانكليز وأدوات سكة الحديد والمستشفى ولأجل ذلك يترك لهــم المعسكر الذى كان للانــكليز

٣ ـ يبقى الدرك العربى فى المعلقة وتبقى هيئة الحكومة على حالها

وفى يوم ١٠ منه أذاع البلاغ الآتى :

لايخفى على أبنــاء الوطن أن الاتفاق الذى جرى بين المستر لويد جورج والمســيو كلنصو تم قبــل وصول الأمير فيصل الى باريس وانه لم يقبله ، ولما كان الاتفاق المذكور عسكريا محضا لاتعلق له بمستقبل البلاد الذى بقى موكولا الى مؤتمر الصلح فقد اقترح سموه اقتراحات لأجل تخفيف مضار هذا الاتفاق منها تأليف لجنة مختلطة من ضابط عربى وضابط انكليزى وضابط فرنسوى لحل مايقع بين المناطق من الاختلافات التى يتضرر بسببها الشعب السورى من حيث هو شعب واحد يسكن بلادا واحدة ، وقد وردت اليوم برقية من سموه تفيد قبول حكومتى بريطانيا وفرنسا تأليف هذه اللجنة وعدول الحكومة الفرنسوية عن الحلول محل الجنود البريطانية فى البقاع على أن تنسحب الجنود العربية النظامية أيضا من تلك المنطقة »

اول معركة فى بعلبك

وعمـلا بشروط الاتفاق أرسل الفرنسويون ضابط ارتبـاط الى بعلبك ومعه قوة من الجند فاجتمع الناس على مدخل المدينة ومنعوه من دخولها وصادروا أمتعته الخاصة فعادالى بيروت وأطلع رؤساءه على ماوقع فصدر الأمر الىقوة فرنسوية بقيادة الجنرال دى لاموط بالزحفعلى بعلبك فوصلتطلائعها صباح الخميس ١٨ ديسمبر الى قرية الطيبة الواقعة على ٨ كيلو مترات من بعلبك لناحية الغرب فباغتها الوطنيون الـكامنون هنالك وأصلوها نارا حاميةفوقفت وضربتهم بمدافعها فشغلوها من الصباح حتى العصر ثم انسحبوا لنفاد عتادهم فتقدمت حتى ضواحى بعلبك وعسكرت هنالك ودخلتها صباح الجمعة ١٩ منه وكانت تتألف كما يأتى :

١٥٠٠ جنـدى مشاة و ٢٠٠ فرسانا و ٤ مدافع جبـل و ٣٠رشاشا . واعترف الفرنسويون بخسارة ٩ قتلى و ١٥ جريحا

ولما وصلت هـذه الأخبار الى دمشق احتجت الحـكومة السورية على ماوقع وغادر دمشق يوم ٢٠ منـه المعتمد الفرنسوى مع معاون الحاكم العسكرى الى بعلبك للاشراف على الحالة ثم عادا يوم ٢٣ بعد ماوطدا الامن . وفى صباح ٢٦ منه غادر دمشق الى بعلبك أيضا اللواء نورى السعيد والمعتمد الفرنسوى ومدير الداخلية فى حكومة دمشق على أثر ورود أخبار جديدة بوقوع قتال بين الثوار والفرنسويين فى قرية دارالواسعة وقد كررت الحـكومة العربية الاحتجاج وتمـكن مدير الداخلية فى خـلال هذه الزيارة من استرداد أمتعة ضابط الارتباط المنهوبة وقبض على المعتدين . وقد دمر الفرنسويون أثناء حركاتهم العسكرية فى منطقة بعلبك قرى ايعات ودار الواسعة وبوادى

وفى يوم ٧ يناير سنة ١٩٢٠ جلت القوى العسكرية الفرنسوية عن بعلبك واستقر فيها ضابط الارتباط

١٠

تنظيم الدفاع الوطني واقرار الخدمة الالزامية

نبهت هـذه الحوادث رجال الشام الى مايراد بهم وأفهمتهم أنه لابد لهم من قوة كبيرة يعتمدون عليها فى نضالهم العتيد مع حلفائهم الفرنسويين والانـكليز وكل منهم يطمع فى احتلال جزء من أجزاء بلادهم ، فاتجهت أنظارهم الى انشاء جيش قوى منظم ، ولما كان نظام التطوع الاختيارى المتبع فى تجنيد المجندين لايفى بالحاجة فقد درست الحـكومة مشروعا جديدا يقضى بالأخـذ بنظام التجنيد الاجبارى ووضعت لذلك مشروع قانون أقره الأمير زيد يوم ٢١ديسمبر سنة ١٩١٩ وهو يقضى بتجنيد من أكمل العشرين الى الأربعين وجعل مدة الخدمة ستة أشهر والبدل النقدى ٣٠ جنيها و يستثنى وحيد والديه وجاء فى مقدمته انه تدبير خاص اتخذ لتوطيد الامن

ورغم هذا التدبير فقد أهمل الجيش اهمالا شائنا ولم يعن العناية اللازمة بتجديد سلاحه و بالحصول على الذخائر الـكافية له مما سبب كارثة ميسلون وأودى بتلك الحـكومة مما سنفصله تفصيلا

انشاء لجنة الدفاع الوطني الاهلية

والعوامل التى حفزت الحـكومة الى سن قانون الخدمة الالزامية والى السعى لانشاء جيش نظامى قوى ، هى نفس العوامل التى حفزت كثيرين من الغيورين فى دمشق الى الاجتماع وانشاء هذه اللجنة تنظم الدفاع الوطنى وتساعد الحـكومة فى مهمتها وتجمع كلمة الأمة حول هذه الغاية المقدسة

وتفصيل ماحدث هو أن وجهاء الأحياء فى دمشق ــ وقد نبههم مادار من نضال بين الحـكومة العربية والانـكليز والفرنسويين حول قضية جلاء الجنود ، الى الخطر المحدق ببلادهم فأخذ رجال كل حى يجتمعون فى حيهم و يفـكرون فى الوسائل والأساليب التى

يجب التوسل بها لصيانة استقلالهم والمحافظة عليه . واتصل بعض رجال الأحياء ببعض واتفقوا على أن ينتدب كل حى أربعة من الرجال المخلصين الذين يعتمد عليهم ويثق بهم فيجتمعون بزملائهم ممثلى الأحياء الأخرى ويقررون مايرونه لازما للدفاع عن الوطن وكان ذلك فى أوائل شهر نوفمبر سنة ١٩١٩

وكان عدد ممثلى الأحياء فى ابتداء أمرهم ٤٨ ممثلا وكانوا يجتمعون كل أمسية فى حى من الأحياء طبقا لقرار يتخذونه من قبل وبهذه الطريقة يتصلون بسكان الأحياء على اختلافهم ويقفون على رغائب الأمة التى وثقت بهم وأنابتهم فكانت اجتماعاتهم عبارة عن برلمان شعبي محلى متنقل يجتمع كل يوم فى حى من الأحياء بدلا من اجتماعه فى دار خاصة ويعقد جلسته فى منزل وجيه الحى أو أحد كبرائه فيلتف الناس حوله وتلقى الخطب والقصائد الحماسية فتنتشر الدعاية ويتسع نطاق الحركة

وأخذ عدد أعضاء اللجنة يزداد تدريجا حتى بلغ المئتين والخمسين فى شهر ديسمبر . ومما قررته فى جلسة عقدتها يوم ١٨ نوفمبر فى منزل عبد الرحمن اليوسف تأليف لجان فرعية لجمع المال اللازم للحركة الوطنية بنسبة اثنين فى المئة من ثروة كل فرد من أفراد الأمة ومن شاء أن يزيد فله الفضل

وانضمت اليها الأحزاب السياسية وانتدب كل حزب ممثلا له يحضر جلساتها ويشترك فى أعمالها كما انضم اليها كثيرون من أعضاء المؤتمر السورى ووجهاء المدن الاخرى وأعيانها وذوى الرأى فيها] وأنشأوا لها الفروع فى مدنهم فلم تخل مدينة كبيرة تقريبا من فرع لها

وقد امتاز الاجتماع الذى عقدته يوم ٣ ديسمبر فى النادى التجارى بدمشق باشتراك بطريرك الروم الأرثوذكس ومطران السريان والمفتى والعلماء وبعد المناقشة والأخذ والرد تقرر باتفاق الآراء لزوم الدفاع عن الوطن ودعوة كل طائفة من الطوائف الوطنية بواسطة رئيسها الروحى وزعمائها للاشتراك فى الدفاع

.وقررت اللجنة فى اجتماع آخر تأليف كتيبة من المتطوعين يبلغ عددها الألف تتولى تجهيزهم وارسالهم الى ميدان القتال كما قررت ارسال وفود الى البلاد السورية للاتفاق على توحيد الخطة

وأعلن الشيخ كامل القصاب فى جلسة عقدتها اللجنة يوم ١٠ منه أنه قابل رجال الحكومة وانهم على وفاق مع الشعب فما يريده يريدونه وقال ان الأمة قررت الدفاع وان بعض رجال حى الميدان تطوع فعلا وسيضربون خيامهم غدا فى المزة وكذلك سيفعل أهل الشاغور وان الأخبار الواردة من بعلبك والبقاع تقول ان أهلهما على استعداد للانضمام الى الحركة الوطنية

وفى جلسة أول فبراير تم انتخاب اللجنة الادارية التى تتولى العمل باسم اللجنة وهذه أسماء أعضائها :

سامى مردم بك ونسيب حمزة والشيخ كامل القصاب والشيخ عبد القادر الخطيب وعونى القضمانى والشيخ عيد الحلبى وأسعد المالكى وشكرى الطباع وعبد القادر سكر وجميل مردم بك وأسعد المهاينى ومحمد النحاس واتخذت لها ناديا خاصا بها . ولقد نالت هذه اللجنة مقاما كبيرا فى عيون الشعب السورى ولا ريب فى أنها لو نظمت التنظيم اللازم لأفادت البلاد فوائد لايستهان بها ولأدت للحركة الوطنية أجل الخدم سيما بعد أن انتشرت فروعها وأصبحت موضع ثقة الناس واعتمادهم

اعتقال الهاشمى وابعاده الى الرملة

ومما نذكره أيضا بهذه المناسبة وله صلة كبيرة بقضية الدفاع ماحدث يوم السبت ٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٩ فقد دعى يس باشا الهاشمى رئيس ديوان الشورى الحربى يومئذ (وزير الدفاع) الى تناول الشاى فى دار القائد العسكرى البريطانى وكان البريطانيون على أهبة الجلاء عن دمشق فلما وصل الى الدار وجد سيارة مسلحة مع قوة عسكرية بانتظاره فأمر بالركوب فركب وسارت به الى الرملة فى فلسطين فاعتقل فيها

وما ذاع هذا الحادث فى دمشق حتى أقفلت أسواقها فى الغداة وقام الشعب بمظاهرة كبيرة وأبلغ معتمدى الدول الاحتجاج الآتى :

« ان الشعب السورى عموما فى عاصمة البلاد السورية يحتج باقفال جميع أسواق المدينة وحوانيتها و بالاشتراك فى مظاهرة عمومية عظمى على أخذ يس باشا الهاشمى فجأة و بلا علم من رئيس الحكومة وخلافا للأصول وأرساله الى حيفا و يكرر اعلان ارادته

فى طلب وحدة البلاد السورية وتمام استقلالها فنرجو رفع هذا الاحتجاج الى حكومتكم واقبلوا فائق الاحترام

وصدرت الصحف المحلية فى الغداة وهى مطوقة باطار أسود وفى وسطها نص الاحتجاج. ولقد ظل الهاشمى فى الاعتقال خمسة شهور و ٢٣ يوما ثم أطلق سراحه فى شهر مايو فقصد مصر ومنها عاد الى دمشق مساء ١٦ منه فاستقبل استقبالا شائقا

وأقام له النادى العربى مساء ٢٥ مايو حفلة خطب فى ختامها ومما قاله :

« كانت الحالة حرجة يوم تركت دمشق وقد وجدتها أحرج يوم عودتى اليها. فعلمت أشياء كثيرة خلال هذه المدة أى فى ظرف ستة أشهر. ومن جملتها أننا نقول ونقول ثم نقول ثم ننسى . نتكلم فى كل محل ثم نتكلم عن كل شيء ونطلب الكلام فى كل شيء وفى كل أمر ولكننا لانسأل عن العمل الحقيقى ولا نعمل العمل الحقيقى

« اذا أردتم أن تقوموا بالواجب فكموا أفواهكم . واذا أردتم الدفاع عن أوطانكم والحرية الكاملة لأيديكم فاتركوا الكلام . ان السبب فيما أصابنى هو لسانى ولكن الحب الحقيقى الموجود فى قلوب الأمة خفف المصاب ومكنها من انقاذى وأعادنى فى الزمن الذى تمكننى فيه خدمة مصلحتها »

والأقوال مختلفة فى الأسباب التى أدت الى اعتقال الهاشمى ومع أنه صرح بأن السبب فى اصابته هو لسانه الا أن معظم الباحثين يرون أن السبب الحقيقى هو اهتمامه يوم كان على رأس ديوان الشورى العسكرى بالقضية العراقية مما لم يخف على الانكليز فاعتقلوه وأقصوه

وهنالك رواية أخرى مؤداها أن السلطات الفرنسوية فى بيروت هى التى طلبت من الجنرال اللنبى اعتقاله ، فقد شكا الفرنسويون من تدابيره العسكرية ومن وضعه الخطط لغزو المنطقة الغربيـة ، ويقال انهم استطاعوا الحصول على هذه الخطط بطريقة سرية فدعاه الجنرال على الأثر فسافر الى مصر وقابله يوم ٢٤ سبتمبر فعاتبه عتابا شديدا على خطته العدائية إزاء الفرنسويين وطلب اليه الكف عن هذه الأعمال واهمال شأن التجنيد وأجاز له العودة الى دمشق . وعاد الفرنسويون الى الشكاية منه ولا سيما بعد سفر الأمير الى أوربا وظهور العصابات على حدود المنطقة الغربيـة وتقدم رمضان شلاش من الرقة واحتلاله دير الزور فرأى الانكليز أن يعتقلوه لشل حركته فكان لهم ماأرادوه

١١

العصابات فى المنطقة الغربية

١ — حادث بعلبك

كانت الحالة هادئة مستقرة فى سورية كلها حتى شهر سبتمبر سنة ١٩١٩ أى حتى عقد الاتفاق العسكرى الخاص بجلاء الجنود الانكليزية عن البلاد السورية واحلال الجنود الفرنسوية محلها مما فسره بعضهم بأنه تطبيق مقنع لمعاهدة سايكس – بيكو وقد رفضها السوريون فى كل موقف وأعلنوا أنهم لا يقرونها ولا يرضون بها

نعم : ان الأمر ما كان يخلو من اضطرابات وفتن موضعية نشأت عن استبداد الموظفين الفرنسويين وسوء تصرفاتهم وانقيادهم فى معظم الأحيان لبعض الأنصار من الذين أشربوا التعصب فى قلوبهم وظنوا أن زمن الانتقام قد أزف فأغروا بخصومهم الموظفين الفرنسويين ومعظمهم ممن نشأ فى المستعمرات الأفريقية النائية وجاء سورية وهو يعتقد أن ما كان يجوز له فعله هنالك يجوز له فعله هنا، فنفر ذلك الناس من الفرنسويين وأوجد ذلك الجفاء الذى انقلب الى عداء

وتحول الحال حينما حاول الفرنسويون تطبيق الاتفاق الجديد والحلول محل الانكليز فى بعلبك والبقاع ورياق (من مراكز النقل الخطيرة فى سورية الوسطى ومحل اجتماع قطرات سكك الحديد القادمة من حمص ومن دمشق ومن بيروت) فقد نهض السكان لمقاومتهم وألفوا العصابات لصدهم لانهم أدركوا أن هذا الاحتلال وان صبغوه بالصبغة الموقتة فى الظاهر ووصفوه بأنه تدبير ادارى لا يؤثر فى قرار مؤتمر الصلح النهائى فهو مؤبد ودائم سيما وهو تطبيق لأحكام معاهدة بحت أصوات الفرنسويين وهم يناشدون الانكليز صباح مساء بأن يطبقوها وينفذوها باخلاص فدار قتال بين الفرنسويين والسكان وحدثت اضطرابات مزعجة . كان أولها حادث بعلبك وقد فصلناه من قبل

ولا بد لنا من القول أن الفرنسويين حاولوا استغلال هـذا الحادث من الوجهة المذهبية فأشاعوا أن المسلمين فى البقاع و بعلبك هاجوا القرى المسيحية وأحرقوها واعتدوا على سكانها فانبرى زعماء الثورة وأصدروا البيان الآتى :

« نحن زعماء بلاد بعلبك القائمين بتحرير بلادنا والمطالبة باستقلالها التام ورفض كل حماية أجنبية نعلن كل فرد منكم بأنكم اخواننا فى الوطنية والجنسية لكم مالنا وعليكم ماعلينا فلا تغركم ترهات الأجانب ولا سيما حزب الاستعمار الفرنسوى الساعى لبذر بذور الفساد بيننا و بينكم ليتدخل بهذه الوسيلة فى شؤون وطننا العزيز عاملا على تمزيق شمله باسم الدين مع أنه لادين له

« فنحن الموقعين أدناه نؤمنكم على أرواحكم وأموالكم كما أننا نعلن أن كل فرد من أى طائفة كان اذا تعرض لأحد منكم فكلنا أعداؤه الألداء وخصومه الأشداء ودمه هدر لنا والسلام على من اتبع الهدى »

٣ — حادث الحولة

وقع هـذا الحادث فى أواسط شهر اكتوبر أى قبيل حادث بعلبك بأيام وانما قدمنا الكلام على ذاك لأهميته ولان السياق اقتضى تقديمه وخلاصته أن نزاعا حدث بين طائفة من عربان الحولة التابعين للمنطقة الغربية وأربعة من رجال الدرك اللبنانى فاعتدى هؤلاء على العربان فضربهم العربان وهزموهم ففروا تاركين أسلحتهم وخيولهم فسيرت حكومة مرجعيون على الأثر ١٥ دركيا فنازلهم العرب وهزموهم بعد ماجرحوا ثلاثة منهم

وأعدت السلطة الفرنسوية على الأثر حملة مؤلفة من ١٥٠ خيالا مسلحين برشاشتين فسارت حتى قرية الحصاص وهى من قرى الأمير محمود الفاعور أمير عرب الفضل الضاربين فى الجولان من حوران فأطلقت النار بلا إنذار وقتلت امرأتين وولدا واقترفت أنواع المنكرات ثم انسحبت تحت جنح الظلام عائدة الى مرجعيون

وشاع الخبر فى قضاء القيطرة فهاج الناس وتجمهروا للزحف على مرجعيون فتدخلت الحكومة السورية وسكنت الهياج وتألفت بطلبها لجنة قوامها يوسف العظمة المعتمد العربى ببيروت والأمير عادل أرسلان عن حكومة دمشق والميجر باركر والكبتن

سمرست عن حكومة انكلترا والأمير محمود الفاعور وأحمد مريود عن العرب وحاكم صيدا العسكري مع ضابط آخر من الفرنسويين ومهمة هذه اللجنة تقدير الخسارة والتعويض على المنكوبين

ووصل المندوبون الانكليز والعرب الى مكان الحادث ولم يصل الفرنسويون فحال ذلك دون عمل أى عمل كما كان من جملة الأسباب التى ساعدت على اتساع نطاق الاضطرابات فى تلك المقاطعة فشملت قضاء مرجعيون وجبل عامل فأحرقت قرى القليعة وابل السقى وانتشرت العصابات فى كل مكان وأقلقت الفرنسويين وأزعجتهم

ولما استفحل الخطب وسادت الفوضى جهز الفرنسويون حملة عسكرية كبيرة بقيادة الجنرال دى لاموط زحفت على قرى هونين والخالصة وكفر كلا من قضاء مرجعيون وضربتها بالمدافع وحرقتها واقتادت ٣٠ من رجالها و١٥ من نسائها الى الجديدة

وأعاد الجند الكرة فضرب يوم ٢٦ سبتمبر قرية الغجر من قرى قضاء القنيطرة فى داخل حدود المنطقة الشرقية بالمدافع خلافا لكل اتفاق وبعد مادمروها صبوا البترول على أنقاض البيوت فحرقوها ثم ضربوا فى اليوم الثانى قرى أخرى للشيعة هنالك ونهبوا ٤٠٠ رأس من البقر و ٢٠٠ جاموسة وماشية وكل ماعثروا عليه من أثاث

وهاجم ألف جندى فرنسوى يوم الاثنين ٢٩ ديسمبر قرية الطيبة مقر آل الأسعد وبعد ماأحاطوا بالقرية تقدم بعضهم الى دار بنى الأسعد فكسروا أبوابها ونهبوها ولم يتركوا فيها شيئا من مؤن ورياش وأثاث وحينما انتهوا حرقوها واتجهوا الى منزل محمد السهيلى فنهبوه

ودارت معركة بين الثوار والفرنسويين حينما حمل هؤلاء يوم ٤ يناير سنة ١٩٢٠ على عمرة الأمير محمود انتهت بفوز الأولين فتقدموا حتى الجديدة وخسر الفرنسويون فى هذه المعارك ٧٠ قتيلا و ١٧ أسيرا و ١٧ رشاشا ومدفعين جبليين وقد جيء باسراهم الى دمشق وأرسلوا الى بيروت

وهذا نص البلاغ الرسمى الذى نشرته السلطة فى بيروت عن هذه الحوادث قالت :

« فى أواخر شهر ديسمبر الماضى تكررت حوادث النهب والسلب فى سنجق صيدا فاضطرت الحكومة الى ارسال فرقة لتأديب العابثين بالأمن فتمكنت من توطيده فى ضواحى

الفجر والخيام والطيبة وكفر حيلا

« و بعد أن اطمأن الأهالى وأمنوا شر العصابات عادت فى ه الجـارى الى السلب والنهب فعادت الفرقة الى العابثين فنكلت بهم تنكيلا وأقرت الأمن فى النبطية وضواحيها ثم غادرت مرجعيون وسارت الى جهة آلخصاص وكانت تطارد الثوار وتقر الأمن فى تلك الربوع وفى خلال دورتها جرت لها مناوشة مع بعض العصابات التى كانت تحاول أن تقطع خط الرجعة عليها بينما كانت عصابات أخرى ترتكب السلب والنهب فى مرجعيون

« ومما يذكر أن هـذه العصابات مسلحة بالبنادق الحربيـة والرشاشات وقد ألحقت الفرقة بها خسائر فادحة وضربتها ضربات موجعة فكان ذلك لهم خير أمثولة و لغيرهم خير عبرة وعاد الأمن الى نصابه فى تلك الضواحى

« ويسوءنا أن نقول ان الفرقة الفرنسوية أصيبت بخسائر لاتتجاوز الخمسين بين قتيل وجريح وفقيد وانها اضطرت الى ترك ثلاث رشاشات فى مستنقع الليطانى »

٣ — معركة تل كلخ

كان بدء هذه الحركة فى أواسط شهر نوفمبر سنة ١٩١٩ فقد تلقى الحاكم العسكرى الفرنسوى لتل كلخ أمرا من بيروت برفع العلم الفرنسوى على دار الحكومة يوم وصول الجنرال غورو وبارسال وفد من الأعيان للاشتراك فى استقباله فأبى هؤلاء السفر، كما أزعجهم رفع العلم وما كان الفرنسويون يرفعون علمهم حتى ذاك اليوم ، فتجمهروا خارج البلدة بعدما أرسلوا عائلاتهم الى أماكن بعيدة وأرسـلوا يطلبون من الحاكم انزال العلم فأجابهم بأن يتفرقوا ويخضعوا والا تضرب منازلهم وتحرق فكتبوا اليه الكتاب الآتى :

بسم الله الرحمن الرحيم

ليلة ١٣ ديسمبر سنة ١٩١٩

من الدفاع الوطنى الى جناب المعتمد الفرنسوى فى تل كلخ

« قبلنا دخولكم لكونكم حلفاءنا واعتمادا على وعودكم الكثيرة بشان منحنا

الاستقلال وقد بينتم حين دخولكم البلاد أن وظيفتكم هى موقتة والبت القطعى فى مصير البلاد عائد الى مؤتمر الصلح وبرهنتم لنا على هذه النية بعدم رفع العلم الفرنسوى . ولكن بمزيد الأسف نراكم الآن قد دستم تلك العهود والمواعيد ورفعتم فى تل كلخ العلم الفرنسوى كأنها أصبحت أرضا فرنسوية فطالما نقضتم العهد أصبحنا مضطرين للدفاع عن وطننا المحبوب حتى الموت وعليه أتينا بهذا الانذار لكى تنفذ المواد الآتية :

١ ـ انزال العلم الفرنسوى عن تل كلخ

٢ ـ تشكيل حكومة وطنية من أهل البلاد فى تل كلخ

٣ ـ المخابرة مع مقاماتكم العالية بشأن تصديق استقلال البلاد العربية وعدم تجزئتها

هذه هى المواد التى نطلب تنفيذها الآن ريثما يبت المؤتمر قراره واذا لم تنفذ تكون المسئولية عائدة عليكم واقبلوا احترامنا »

سعد الدين الجندلى　　أحمد البرازى　　حسن ابراهيم الدندشى　　خالد الرستم

عبد الله الكنج الدندشى

فجاءهم الجواب من القاضى سعد الدين البغدادى بأن العلم رفع على أراضى المنطقة الغربية بأمر القائد العام وأن الحاكم ليس سوى مأمور بالمحافظة عليه ولاينزعه حتى تسيل آخر نقطة من دمه فقرر الدفاع الوطنى على الأثر طرد الفرنسويين وانشاء حكومة وطنية استقلالية .

وبدىء النضال يوم الخميس ١٢ ديسمبر فقد التقى اثنان من الدنادشة قرب جسر العريضة (بين طرابلس ـ تل كلخ) بضابطين فرنسويين معهما جندى من جنود الدرك الفرنسوى فطلب هؤلاء منهما تسليم سلاحهما فأبيا فأطلق أحد الضابطين النار من مسدسه ارهابا فقابلاها بالمثل فقتل أحدهما على الفور وهو الكبتن كمان يوسكينه وجرح الثانى وهو الكبتن بيشون قائد الجند فى تل كلخ ومات فى الطريق قبل وصوله الى طرابلس وقتل الجندى

وحاصر الثوار يوم السبت ١٨ منه دار الحكومة فى تل كلخ وكانت محاطة بالجند والرشاشات وهاجوا الجند المرابط فى المحطة فقتلوا ثلاثة منه والتقى الثوار بقوة للفرنسويين

كانت تحتطب فى وادى عين الورد فقتلوا ثمانية من رجالها وأخذوا بغالهم

وقتلوا فى صباح الأحد ١٩ منه جنديين فرنسويين قرب المحطة

وفى صباح الاثنين وصلت ٥ سيارات تحمل ٢٠٠ جندى و ٨ عربات نقل ورشاشتين الى قرب الخنادق الأماميـة التى أنشأها الثوار للدفاع عن تل كلخ فتوقف الجند لازالة الحواجز فأصلاهم الثوار نارا حامية فارتدوا الى الوراء و بدأوا القتال ففتك الثوار بادىء بدء بضباطهم الأربعة وامتدت المعركة أربع ساعات وانتهت بتراجع الجنـد عند الساعة ٦ مساء وفى الساعة ٣٠ : ٧ وصلت قوة فرنسوية مؤلفة من ٥٠ خيالا بقيادة ضابط كان يسير منفردا فقتلوه

وفى يوم الثلاثاء سير الفرنسويون ٣ أورط معها طيارتان وسبعة مدافع ميدان و٥٠ خيالا فبلغت مواقع الثوار عند الضحى وابتدأ القتال بشدة . ولما أدرك قادة الجيش أن التغلب على هؤلاء غيرمستطاع ارتدوا الى الوراء وحملوا حملة صادقة بجميع قواهم على الجناح الأيسر للثوار و بعد قتال امتد ٣ ساعات ارتد هؤلاء الى الوراء

وفى يوم الأربعاء تقدمت القوة الفرنسوية فضربت قرية باروما بالمدافع فدمرتها ونهبت جميع مافيها من الأمتعة والأثاث والحبوب والخيل والماشية وفى يوم الخميس أعدموا المرحوم أحمد أغا الحسين بالرصاص بعد ما أمنوه و بعد ماتناول طعام العشاء مع الحاكم

وفى يوم السبت زحفت قوة لمهاجمة قرية بيت حسن فقابلهم أهلها بالنار وقتلوا ٢٠ منهم فارتدوا الى تل كلخ ليعودوا بقوة أكبر فاغتنم أهل القرية الفرصة ونزحوا فجاءوا وأحرقوها

و بعدحدوث ماحدث أرسل الكولونيل نيجر الحاكم الادارى للمنطقة الغربية شروط الأمان للدنادشة

هذه الشروط تمنح للدنادشة الآتية أسماؤهم فقط حسب التفصيل :

«أسعد المحمد وولده فياض ٢٠٠٠ ليرة مع حصان وفرس وحسن العلى وولده سامى ٢٠٠٠ ليرة وثلاثة أحصنة ، محمد العلى و ولده قاسم ٢٥٠ ليرة وفرس ومثلها من حسين العلى وأولاده سليمان الخالد ٧٥ ليرة وفرس ، محمد الجاسم وأخواه ١٥٠٠ ليرة وثلاثة أحصنة ودياب العثمان ٥٠٠ ليرة وحصان ومحمد المحمود ٥٠٠ ليرة وفرس وعماد الدين ابراهيم وأخوه ٥٠٠ ليرة

وفرسان وابراهيم عرنوس ١٥٠ ليرة وفرس وعبد الكريم الفياض ٧٥٠ ليرة مع حصان ومحمد الكنج وولده خالد ٢٥٠ ليرة وفرس وكاظم ٢٠ ليرة ومثله أسعد المحمد وعمر الابراهيم وولده المحمد ٥٠٠ ليرة وفرسان وعبد اللطيف الرستم ١٥٠٠ ليرة وفرس وأحمد الجزار ١٥٠ ليرة وفرس ومثله خالد الجزار ومحمد الجزار ١٠٠ ليرة وفرس وخالدالابراهيم ٣٠٠ ليرة وفرس وأسعد الابراهيم ٥٠ ليرة وفرس وحسين الحميد ١٥٠ ليرة وفرس وبدر الحميد ٥٠ ليرة وفرس ومثله مصطفى عبد الحميد والحاج حسين العبود ٥٠٠ ليرة وفرس وعبد اللطيف الكنج ٢٠ ليرة ومثله محمد الرستم وعبد الفتاح العلي العبود ١٠٠ ليرة وفرس وعبد الله العمر ٤٠ ليرة وفرس

« اذا لم تنفذ هذه الشروط لجميع ممتلكات هؤلاء تصادر وتحجز ويطاردون ويحاكم كل واحد منهم أمام الديوان العرفى حينما يقبض عليه . وعلاوة على هذه الغرامة المفروضة من خيول وأسلحة وأموال فبيوت تل كلخ اللازمة لاسكان الجند وأعمال الحكومة مصادرة والشدة العسكرية تواصل وتزاد الى النهاية مادامت هذه الشروط لم تنفذ . أما الرؤساء الذين سببوا العصيان والثورة وهم عبد الله الكنج وولده محمد أبو عبود وأسعد الفياض وأسعد الكنج ومصطفى عبد الله العمر وخالد الرستم وحسن الابراهيم فعلاوة على أنهم لاينالون الأمان قطعيا فخيراتهم وأموالهم تضبط وتصادر ويكونون عرضة للمطاردة ويحاكمون عرفيا وكل من يقبل واحدا منهم فى بيته أويساعدهم على الهرب يعاقب بالاعدام وضبط أمواله .

«واذا جاء دباح الأحمد من نفسه خاضعا طائعا فقد يترك حيا ولايحاكم ولئن تأكد أن الفلاحين اشتركوا فى هذه الثورة فان أملاكهم تعفى من المصادرة بشرط أن يجيبوا على كل مايسألون عنه ويطلب منهم من حكومة القضاء وينزع سلاحهم كاملا حسب الشروط التى تعينها الحكومة »

ونحن فى غنى عن القول أن الدنادشة الاباة رفضوا قبول شرط واحد من هذه الشروط وفضلوا الهجرة فقصدوا دمشق حيث استقبلوا بالحفاوة وأقاموا فيها واشتركوا فى معظم الحركات الوطنية التى دارت وظلوا يناضلون حتى سقوط تلك الحكومة

٤ — مزرعة الشوف

بدأت حوادث الشوف (جبل لبنان) فى شهر أغسطس سنة ١٩١٩ وذلك أن بعض الشبان الدروز أطلق الرصاص على الأميرال مورنه قائد الأسطول الفرنسوى فى الشرق والمسيو جورج بيكو وحاشيتهما أثناء مرورهم فى أراضى بقعلين فى طريقهم الى بيت الدين فجرح الأميرال جرحا خطيرا نقل على أثره الى بيروت وشفى منه ولم يصب زميله بيكو بأذى

ومع أن الفرنسويين كتموا الحقيقة بالبلاغ الرسمى الذى أصدروه عن هذا الحادث فلا تنقض دعاياتهم — وكانوا ينادون بأن أهل لبنان يفدونهم بالأرواح — الا أنهم سيروا قوات كبيرة للفتك بالقرى التى ظنوا أن لها صلة بمطلقى الرصاص فنكلوا بسكانها تنكيلا ففر الشبان الى رؤوس الجبال وألفوا عصابات قوية جعلت دأبها شن الغارات وازعاج السكان والحكومة

ونثبت نص البلاغ الفرنسوى عن هذا الحادث وقد نشر فى مصر يوم ١٢ أغسطس سنة ١٩١٩ ليكون عبرة :

« كان الأميرال مورنه قائد الأسطول الفرنسوى فى بيروت يزور قرية قرب بيروت مع المسيو جورج بيكو ففى أثناء المظاهرات التى أقيمت له أطلق الأهالى بندقياتهم حسب عاداتهم فأصيب الأميرال مورنه فى بطنه وجرح جرحا خطيرا وأصيب ياوره ونقل الى بيروت »

ولما ضاق الفرنسويون ذرعا بأعمال عصابة الشوف عمدوا الى الحرق والقتل فسيروا فى أوائل شهر نوفمبر قوة عسكرية كبيرة أحاطت بالحى الدرزى من مزرعة الشوف وضربت حوله نطاقا ثم بدأت المدافع باطلاق نيرانها على البيوت كما بدأ الجند بقذف القنابل الملتهبة فأحرقوا ٢٥ منزلا وقتلوا نحو ٤٠ قتيلا نساء ورجالا فهام الدروز الباقون وعددهم لايقل عن المئتين بين نساء ورجال وأطفال وشيوخ وعجزة على وجوههم فبلغوا دمشق مساء الخميس ٦ نوفمبر فضجت حزنا وأسى لما أصابهم

٥ — حوادث النصيرية

بدأت حوادث جبال النصيرية فى شهر مايو سنة ١٩١٩ أى أنها سبقت الحوادث الأخرى . وخلاصتها أن خلافا نشأ بين النصيرية من سكان قضاء بانياس (المرقب) و بين الاسماعيلية من جيرانهم على أراض ومزارع ولما كان هؤلاء أغنى وأثرى فقد استطاعوا استمالة الموظفين الفرنسويين واكتساب عطفهم فنصروهم على النصيرية فلجأ هؤلاء الى السلاح للدفاع عن حقوقهم وممتلكاتهم فجرد الفرنسويون قوة للتنكيل بهم فدارت معارك بين الفريقين فى مكان يدعى الشيخ بدر.

وحالف النصر النصيرية فجرد الفرنسويون قوة أخرى بقيادة الكولونيل جان زحفت يوم ١٦ يونيو على الخوابى وفى ٢١ منه تقدمت الى المرقب ولما توسطت واديا هنالك أطبق عليها الثوار وأصلوها نارا حامية فارتدت على الفور تاركة قتلاها . فارسل الفرنسويون نجدات جديدة الى ميدان القتال من طرابلس الشام ومن بيروت على جناح السرعة . وطلب الجنرال هملان القائد العام للجيش الفرنسوى يومئذ من القيادة البريطانية إرسال حملة من حمص وأخرى من حماة على النصيرية فلم تقبل (راجع ص ٢٢٨ من كتاب كيف استقرت فرنسا فى سورية) فاضطر الفرنسويون أن يعملوا منفردين وأرسلوا ١٢٠٠ جندى لقتال الثوار

وفى يوم أول أغسطس عقد فى دار المفوضية العليا فى بيروت مجلس عسكرى اشترك فيه المسيو جورج بيكو والسوزنتدان كوبان الحاكم الادارى للمنطقة الغربية والجنرال هملان والجنرال بولز رئيس أركان حرب المارشال اللنبى فقرر وجوب التفاهم مع النصيرية وعدم الامعان فى النكاية . وانتدب الليوتنان كولونيل نيجر وضابط انكليزى آخر برتبته فسافرا الى طرطوس وفاوضا الشيخ صالح العلى وأقنعوه بالخضوع فخضع وقدم ٥٠ بندقية على أن تعوض السلطة المنكوبين من أبناء طائفته وعلى أن يفصل خليل الياس قائمقام بانياس من عمله لأن النصيرية كانوا يعدونه مسؤولا عما حدث ففصل وعين ابراهيم الكنج من زعماء النصيرية خلفا له ، وبان يعفى عن كل من احمد المحمود ومحمد اسماعيل وأسبر الزغبى والشيخ

محمود ميهوب من زعماء النصيرية وكانوا يقاسون الأمرين فى سجن اللاذقية

ولم يطل الوقت حتى عاد الفرنسويون الى مهاجمة الشيخ صالح وأتباعه فدارت معارك بينهما انتهت بارتداد الفرنسويين وظلوا فى نضال معه حتى أول شهر يونيو سنة ١٩٢٢ فاستسلم اليهم وقد فصلنا أخباره فى المجلد الثالث فارجع اليها

٦ — حوادث دير الزور

و بينما كانت أخبار الاضطرابات والفتن فى داخل المنطقة الغربية وعلى حدودها تملأ الاسماع وتزعج الافكار وتقيم الناس وتقعدهم جاءت الأخبار من بادية الشام بان رمضان شلاش حاكم الرقة العسكرى جمع جموعا كبيرة من قبائل البادية وزحف بها يوم ١١ ديسمبر سنة ١٩١٩ على دير الزور فاحتلها

ولما عرف سمو الأمير فيصل بالحادثة وكان فى باريس أرسل البرقية الآتية الى الأمير زيد فى دمشق لتنشر كبلاغ رسمى وهذا نصها :

«شاع ان جماعة بامرة رمضان شلاش مع عجمى السعدون هاجمت دير الزور زاعمة أنها تعمل بموجب الأوامر التى تلقتها من الحكومة العربية فنحن هنا نصرح بان هذه الاهانة الموجهة ضد حليفتنا بريطانيا العظمى وضد مصلحة الأمة العربية هى مخالفة للاتفاق الموقت بين الحلفاء والمعمول به من السنة الماضية وأن هذا الاعتداء هو بدون علم الحكومة العربية وموظفيها ونصرح أيضا بان المسؤولين عن هذا العمل وكل من يلحق بهم أو ينضم اليهم هم من الثوار وسيجازون جزاء العصاة وقد اتخذت التدابير اللازمة لاعادة النظام وتوقيف المعتدين »

وأرسل فى الوقت نفسه برقية الى المارشال ولسن رئيس أركان حرب الامبراطورية الانكليزية قال فيها انه لا علم للحكومة العربية بما جرى من احتلال دير الزور وانه يعتقد أنه تم بفعل عجمى السعدون وجماعته خدمة للترك

وخلاصة ماحدث هو أن الحكومة العربية أرسلت فى ختام الحرب قوة من الهجانة الى دير الزور لاحتلاله على أثر جلاء الترك عنه وعينت متصرفا له فوصل فى منتصف شهر

ديسمبر سنة ١٩١٨ وأنشأ حكومة بمساعدة الشريف على الناصر

واستاء بعض أهالى الدير من تصرفات تصرفهاهذا فوضعوا مضابط أرسلوها الى حاكم « عانه » الانكليزى يطلبون فيه وضع لوائهم تحت تصرف الانكليز فارسلها الى بغداد ومنها أرسلت الى لندن فصدر الأمر بالاحتلال فجهزت بغداد حملة من بضع دبابات وسيارات بقيادة الكبتن جامبير بلغت الدير فى أوائل شهر يناير سنة ١٩١٩ على حين غرة مطالبة بتسلمه فاستغرب المتصرف هذه المعاملة ثم تم الاتفاق على أن يذهب الكل الى حلب لمراجعة السلطات العليا وهنالك تقرر أن تضم دير الزور الى العراق ريثما يقرر مؤتمر الصلح مصير البلاد فتسلم البريطانيون اللواء بكامله ماعدا قضاء الرقة فقد ظل تابعا لسورية

وفى شهر سبتمبر سنة ١٩١٩ عين القائمقام رمضان شلاش حاكما عسكريا على الرقة فاخذ يعد المعدات ويكاتب رؤساء العشائر تمهيداً لاحتلاله واغتنم فرصة الهيجان والاضطراب وكانا يسودان البلاد فزحف على رأس ٥٠٠ خيال من العربان والاكراد ليلة ١١ديسمبر لاحتلال الدير واتصل الخبر بالكبتن جامبير فتحصن مع قواه بالثكنة العسكرية . وفى الصباح دخل رمضان البلدة بمساعدة أهلها بدون مقاومة واستسلم الكبتن مع رجاله للثوار بعد مفاوضات فاعتقلوهم بضعة أيام ثم أطلقوا سراحهم

وأرسل رمضان بعد ذلك جوعه واخوته فاحتلوا الميادين والبوكمال وعاد الانكليز فاستردوا هذه يوم ٢١ ديسمبر بدون مقاومة تذكر

وحمل رمضان ثانية على البوكمال يوم ١١ ينايرسنة ١٩٢٠ قاصدا احتلالها رغم ماأذيع يومئذ من اتخاذ نهر الخابور حداً فاصلا بين سورية والعراق

ولما وصلت الامور فى دير الزور الى هذا الحد عينت حكومة دمشق مولود باشامخلص حاكما عسكريا على دير الزور وزودته بتعليمات تقضى بوجوب توطيد الأمن والاتفاق مع حاكم البوكمال الانكليزى فوصل يوم ١٧ منه وقبض على ناصية الأمر

وكاتب الأمير فيصل اللورد اللنبى لحل الخلاف وتم الاتفاق بعد ذلك على ترك اللواء كله لسورية ولا يزال فيها

٧ — حوادث انطاكية والحمام

قبض الفرنسويون فى انطاكية على بعض الأعيان لموالاتهم لاخوانهم فى المنطقة الشرقية وساموهم الذل والهوان وحكموا على بعضهم بان يكسروا الحجارة لتصليح الشوارع.

فثار الأهالى فى الحام والعمق وهجموا على معسكر الفرنسويين فقتلوا ضابطا وجرحوا عامل اللاسلكى وانهزم الفرنسويون وتركوا ٢٥ قتيلا وثلاثين أسيرا فتوسط الضابط العربى على الحدود وأنقذ الأسرى وأعادهم الى الفرنسويين

وبعد أيام جهزالفرنسويون حملة هاجت العمق وفتكت بابنائه وهذا نص بلاغ رسمى فرنسوى نشر يوم ٢٧ يناير سنة ١٩٢٠ فى بيروت :

« علمنا أن قرية الحام التى تبعد ثلاثين كيلو مترا عن حلب من جهة طريق الاسكندرونة قد هاجتها عصابة من الأشقياء عددهم من ٥٠٠ — ٦٠٠ رجل غير أن قومسيرنا العالى لم يفت ادراكه أمرهم فاوفد وقت هجومهم ثلة من الجند لنجدة أهالى تلك الناحية فابلت فيهم البلاء الحسن فقتلت منهم ٥٠ وأسرت ١٧ رجلا وفر الباقون »

٨ — حوادث الجزيرة الفراتية

واعتدى الفرنسويون فى الجزيرة الفراتيــة وفى منطقة جرابلس وعلى طول سكة الحديد الممتدة من حلب حتى الحــدود التركية على السكان وظلموهم فثاروا عليهم

وتحالف العرب والكرد فى شهر يناير سنــة ١٩٢٠ على طردهم وبدأوا فعطلوا جسر الفرات فارسل الفرنسويون ٢٠٠ جندى مع أربع رشاشات ففتك بهاالثوار فارسلوا قوات أخرى وصلت من جرابلس فهزموها واحتلوا ٥ محطات وظهروا فى ٢٧ مكانا على طول الخط .

الترك يعودون الى النضال

وبينما كان النضال على أشده على حدود المنطقة الغربية وفى داخلها والفرنسويون يعانون الأمرين فى مطاردة الثوار ويستقدمون القوى والجند ويبذلون الأموال ذات اليمين وذات الشمال استمالة للزعماء والشيوخ وابتياعا للذمم والضمائر، نشطت الحركة التركية فى الشمال وكان الفرنسويون يحتلون مقاطعة كيليكية (ولاية أطنه) وقد عينوا الكولونيل بريمون (رئيس البعثة الفرنسوية الى الحجاز مفتشا اداريا لها) وجاءوا بالارمن وكانوا يمنونهم بانشاء دولة أرمنية لحشروهم فيها، وأطلقوا يدهم فى التنكيل بالترك فسالت الدماء أنهارا وهزم الفرنسويون وحوصرت حامياتهم فى مرعش وأورفه وعينتاب ومرسين وطرسوس فاضطرب مركزهم وضعف نفوذهم فاهل الشمال يقاتلونهم وسكان المنطقة الغربية ينازلونهم، واذا استثنينا البقعة المورانية فى جبل لبنان القديم فالبلاد السورية كلها من حوران حتى حلب فاطنه فبوزانتى كانت ثائرة عليهم تعمل للخلاص منهم وكانوا يمعنون فى النكاية بأهلها فيقتلون ويعذبون ولا يعفون عن صغير ولا يرحمون كبيرا ولا يتوانون عن حرق كل قرية أو مدينة تثور عليهم أو تحاول الوقوف فى وجههم. ولقد بعثت هذه الاعتبارات الجنرال غورو على إيفاد سكرتيره العام الكونت روبير دى كيه الى باريس فى أواخر شهر دسمبر سنة ١٩١٩ طالبا إمداده بنجدات عسكرية كبيرة فعاد فى أواسط شهر فبراير بعد ما ضمن إرسال ٦٠ الف جندى الى سورية يؤيد ذلك مافاه به المسيو ميلران رئيس الوزارة الفرنسوية يوم ١١ فبراير سنة ١٩٢٠ أمام لجنة الشؤون الخارجية لمجلس النواب وهو أن الضرورة تقضى بارسال ٣٠ الف جندى لاحتلال أراضى حلب ودمشق التى يحتلها البريطانيون فى آسيا

١٢

عودة الامير فيصل من اوروبا

وبيان عن مفاوضاته مع الفرنسويين

فى وسط هـذا الجو المضطرب المملوء بالعواصف والغيوم غادر الامير فيصل باريس يوم ٦ يناير سـنة ١٩٢٠ قاصدا طولون فركب البارجة الفرنسوية « والدك روسو » عائدا الى بيروت .

وتردد الامير فيصل كثيرا على وزارة الخارجية قبل سفره واجتمع بالمسيو كلنصو والمسيو برتلو المدير العام لوزارة الخارجيـة وجرت مفاوضات رسمية لحل المشكلة السورية وكان معظمها يدور بين رستم حيدر والمسيو برتلو وكثيرا ما اشـترك فيها الامير بالذات وكانوا يرجعون الى المسيو كلنصو عند اختلافهم

ولقد كانت مسألة تحـديد سلطة المستشارين الفرنسويين وتقرير عددهم وتحـديد الحدود بين سورية ولبنان فى مقدمة المسائل التى اشتد حولها الجدال وكثر الاخـذ والرد فقـد طلب الفرنسويون بادئ بدء أن يكون لهم سـتة مستشارين فى سورية (سورية الحاضرة ولا يدخل فيها لبنان) للعدلية والمالية والداخلية والمعارف والحربية والاشغال العامة على أن تحدد سلطتهم فى المستقبل باتفاق خاص يعقد بين الحكومتين فاصر الامير على أن يكونوا موظفين عاديين عنـد الحكومة السورية فأبوا وقالوا بتأجيل البت فى ذلك الى مفاوضات أخرى.

واشـتد الاخذ والرد أيضا حول مسألة الحـدود بين سورية ولبنان فقـد أصر الفرنسويون على توسيع حـدود لبنان الكبير فتبلغ طرابلس من جهة الشمال (الحـدود الحاضرة) والزبدانى من جهة الشرق فعارض الامير وطلب اسـتفتاء الاهالى الذين يراد إلحاقهم بلبنان فى تقرير مصيرهم فرفض الفرنسويون ذلك فطلب تحكيم مؤتمر الصلح فأبى الفرنسويون ثم عادوا فقبلوا

واقترح الامير فى خلال هذه المفاوضات أن تكون بيروت عاصمة للحكومة السورية فى فصل الشتاء فلم يوافق الفرنسويون.

وتغدى الامير يوم ٥ يناير سنة ١٩٢٠ أى قبل سفره بيوم واحد فى وزارة الخارجية ودار الكلام على التمثيل الخارجى فوافق الفرنسويون على أن تتمتع سورية بهذا الحق مشترطين أن يمثلوا سورية حيث لا يكون لها ممثل خاص.

وقابل يوم سفره ، ٦ منه ، المسيو كلمنصو مقابلة طويلة وكان معه رستم حيدر وعاد يحمل المشروع الذى انجلت المفاوضة عنه لحمله الى سورية ووعد بعرضه على الشعب السورى ولم يوقعه ولم يتعهد بتنفيذه.

ومما يستحق الذكر ان الامير كان يستشير رجال الوفد المرافق له فى المسائل التى يدور عليها البحث بينه و بين الفرنسويين و يأخذ آراءهم وكانت الاكثرية فى جانب الاتفاق مع فرنسا وكان الدكتور احمد قدرى هو المعارض الوحيد.

وفى يوم سفر الأمير من باريس أى يوم ٦ يناير وصل الدكتور ثابت نعمان من مكة يحمل كتابا خاصا من الحسين الى نجله يأمره فيه بالرجوع حالا الى سورية والمحافظة على المبدأ الذى قاموا لأجله وعدم التساهل مع الفرنسويين . وتلقى الامير قبل سفره بثلاثة أيام (أى فى ٣ يناير) برقية من الأمير زيد بدمشق تتضمن أن الفرنسويين احتلوا ثلاث قرى من أعمال حمص ودخلوا بعلبك بثلاثة آلاف جندى و يستعجله بالرجوع لاضطراب الحالة.

مشروع فيصل — كلمنصو

وهذا نص المشروع الذى حمله الأمير الى سورية و وعد بعرضه على الشعب وأخذ رأيه فيه :

«عطفا على التصريح الافرنسى الانكليزى فى ٩ نوفمبر سنة ١٩١٨ من جهة واستنادا على المبادىء العامة لتحرير الشعوب والمعاونة الودية المعلنة من قبل مؤتمر الصلح من جهة أخرى ، تؤكد حكومة الجمهورية الافرنسية اعترافها بحق الأهالى الناطقين باللغة العربية

والقاطنين فى الأراضى السورية من سائر المذاهب أن يتحدوا ليحكموا أنفسهم بأنفسهم بصفتهم أمة مستقلة

يعترف صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بأن مصلحة الأهلين السوريين الكبرى نظرا لاختلال الكيان الادارى الناشىء عن الاضطهاد التركى والخسائر اللاحقة بالبلاد أثناء الحرب ـ تتطلب تحقيق وحدتهم وتنظيم كيان الأمة الادارى بالالتجاء الى النصائح والمعونة التى ستسجل فى جمعية الأمم عند ماتتألف هذه الجمعية بصورة عملية فهو باسم الأهالى السوريين يطلب هذه المهمة من فرنسا

١

تتعهد الحكومة الافرنسية بأن تمنح معونتها لسورية ، وأن تضمن استقلالها ضد كل تجاوز ضمن الحدود التى سيعترف لها بها مؤتمر الصلح . وفى تعيين هذه الحدود ستبذل الحكومة الافرنسية جهدها لنيل جميع التعديلات الحقة من الوجهة الجنسية واللغوية والجغرافية

٢

يتعهد صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بأن يطلب من حكومة الجمهورية الافرنسية ومن هذه الحكومة وحدها المستشارين والمدربين والموظفين الفنيين اللازمين لتنظيم الادارتين المدنية والعسكرية . وسيوضع هؤلاء المستشارون والفنيون تحت امرة الحكومة السورية التى منها يتقبلون تعيينهم وقواهم التنفيذية التى ستحدد باتفاق مشترك بين الحكومتين بموجب عقد ينص على مدة مهمتهم والضمانات المتعلقة بها

ان حكومة الجمهورية وصاحب السمو الملكى الأمير فيصل متفقان على تطبيق نظام دستورى فى سورية ضامن لحقوق الأهلين السياسية ومثبت للحريات المكتسبة سابقا ومطابق لأمانيهم المتضمنة انشاء حكومة مسؤولة أمام البرلمان

وتوصلا للتنظيم المالى الذى هو القاعدة الأساسية لادارة الدولة الجديدة يشترك المستشار المالى فى اعداد ميزانية النفقات والواردات ويبلغ إجباريا جميع التعهدات والنفقات لمختلف الدوائر ويراقب حصة سورية من الديون العامة العثمانية ، ويكلف بالمسائل

المتعلقة بتطبيق الشروط المالية فى معاهدة الصلح مع تركيا فى سورية

أما مستشار الأشغال العامة فتكون الخطوط الحديدية تحت اشرافه . ويحترم النظام الخاص المتعلق بسكة حديد الحجاز . وكل تصرف يغير السير الحر الاقتصادى للخطوط الموصلة الى دمشق لمصلحة شخص ثالث يعد لاغيا وكأنه لم يكن

وعقب انعقاد الاتفاق الحاضر تمنح الحكومة الافرنسية معونتها لأجل تنظيم الدرك والشرطة والجيش

يعترف صاحب السمو الملكى الأمير فيصل للحكومة الافرنسية بحق الاولوية التامة بالتعهدات والقروض اللازمة لخير البلاد مالم يتقدم وطنيون يطلبون هذه المشروعات لحسابهم على أن لا تكون أسماؤهم معارة الى رأسماليين أجانب

٣

ستمثل الدولة السورية فى باريس لدى الحكومة الافرنسية بمندوب سياسى مكلف بملاحظة المسائل الخارجية التى تهم الأمة السورية

وتعهد الدولة المذكورة أيضا الى ممثلى فرنسا السياسيين وقناصلها فى الخارج بتمثيل مصالح سورية الخارجية

٤

يعترف صاحب السمو الملكى الأمير فيصل باستقلال وسلامة لبنان تحت الانتداب الافرنسى

وستعين الحدود فى مؤتمر الصلح ويؤخذ هذا الأمر بعين الاعتبار لاتمام حقوق ومصالح وأمانى الأهلين

٥

اللغة العربية معترف بها كلغة رسمية لادارة المدارس أما اللغة الافرنسية فتدرس بصورة إجبارية وممتازة

٦

تكون دمشق العاصمة ومحل إقامة رئيس الدولة . ويختار المفوض السامى له مقرا عاديا فى حلب ليكون على مقربة من كيليكية وهى منطقة الحدود وتعد النقطة الطبيعية لجيوش الدفاع المتجمعة واذا احتاج الامر الى دعوة هذه الجيوش للداخل فلا يكون ذلك إلا بطلب رئيس الدولة السورية وبالاتفاق مع المفوض السامى

يبقى هذا الاتفاق الذى يعين المبادئ العامة مكتوما بين الفريقين حتى توقيع الاتفاق النهائى والفصل ويوضع عند رجوع صاحب السمو الملكى الى فرنسا ويعرض فى الوقت الموافق على مؤتمر الصلح

نظم هذا الاتفاق فى نسختين يوم ٦ يناير سنة ١٩٢٠

ولهذا الاتفاق ثلاث ملاحق: الاول خاص بالاقليات فى لبنان وقد تضمن « ان الاقليات تستفتى عند تحديد الحدود »

والثانى عن حوران (جبل الدروز) ويتضمن أنه يطبق فيه نظام استقلال نوعى فى داخل الدولة السورية

والثالث عن بيروت واسكندرونة وقد تقرر أن تكونا مدينتين حرتين

الامير فى دمشق

وصل الامير الى بيروت يوم ١٣ يناير بالبارجة الفرنسوية « والدك روسو » فاستقبلته السلطة العسكرية الفرنسوية استقبالا فخما وحياه الجنرال دى لاموط باسم الجنرال غورو فسار فى موكب حافل الى دار المعتمد العربى وزار فى اليوم نفسه الجنرال غورو فرد له الزيارة فى محل نزوله . وشهد فى المساء حفلة فى البارك (ميدان سباق الخيل) حاول الجنرال غورو أن يتقدم عليه فيها ويسير أمامه مما أثار انتقاد الحاضرين وقد استغل خصوم الاتفاق مع فرنسا تصرف الجنرال المخالف لآداب الضيافة والمجاملة فقالوا للامير انهم يعاملونك هذه المعاملة وأنت لم تتفق معهم فكيف يكون شأنك معهم يوم يعقد الاتفاق ويدخلون البلاد ويقبضون على زمام الامور

وجاءت الى بيروت وفود من مختلف البلاد السورية للحفاوة بالأمير فاستقبلهم وحادثهم

وقال لهم انه رأى آن مصلحة البلاد تقضى بالاتفاق مع فرنسا فعقد معها انفاقا وقتيا يريد أن يستشير الأمة قبل اقراره فاستحسنه فريق واستنكره آخرون والذى عليه الأكثرون أن الأمير كان فى ابتداء هـذه المرحلة مخلصا للاتفاق ميالا الى اتمامه

وفى مساء يوم الخميس ٢٢ يناير أقام النادى العربى بدمشق حفلة تكريم للأمير باسم الشبيبة خطب فيها كثير من الخطباء ووقف فى ختامها فشكر للنادى حفلته ثم قال :

« أتيت من الغرب لأقف على رغائب الأمة بعد انسحاب الاميركان من المعترك السياسى وكنت أود آن أفاتح أرباب التفكير فى مستقبل البلاد بالنظر للحالة فى الغرب لأنى جئت لأمكث بضعة أيام ثم أرجع الى ما يجب علىّ الاهتمام به هناك . ولا أزال ذلك الرجل الذى تتصورونه سواء كان تصوركم حسنا أم سيئا لايهمنى ذلك بقدر مايهمنى العمل ومستقبل الأمة.ولا يهمنى أيضا مايقال عنى مدحا أو هجاء أو غير ذلك فالأمة كالافراد أحرار فيما يقولون . ولهذا لاأنظر الى ماقيل ولا الى مايقال ولا الى الأفكار المتباينة التى تصدر عن أفئدة مملوءة بالحماسة سواء كانت من أفراد أو من جماعات ، فالأمة بأجمعها ترغب أن تكون مستقلة . وأنا أسر اذا رأيت شبان الأمة يطلبون الاستقلال ، ويتحسسون بمثل هذا الشعور العالى الذى يضمن لنا المستقبل والذى ماأسست النادى الا لأنتظر مثله

« وانى وان كنت لاأحيط علما بكل مايجول فى الأفكار المختلفة فانى أفتخر بشئ واحد وهو أنى أحببت وطنى وسعيت لوطنى ولى غاية واحدة وهى أن أرى بلادى مستقلة ولا تنحصر هـذه البلاد فى بلدة واحدة فكل بلاد العرب بلادى

« أنا والله لاتخيفنى قوة الحكومة ولا قوة الجمعيات وانما أخاف التاريخ والمستقبل وأخاف أن يقال ان فلانا عمل عملا لايليق بآبائه وأجداده الذين كانوا يسعون وراء الاستقلال وأرجو الأمة أن تعلم بأنى فى الغرب مثلما أنا هنا لاأبدل كلامى سواء كنت أمام السياسيين أو فى أحرج المواقف ومبدئى هو أن تكون بلادى مستقلة وأنا عامل بما هدانى الله اليه لاستقلال بلادى وارجاع مجدنا الغابر والله يشهد بأنى أسعى لذلك ولا أظن أنه يوجد فى البلاد رجل واحد يرضى بالاستعباد الأجنبى بل أعتقد أن الرفيع والوضيع والشيخ والشاب والعالم والجاهل يشعرون بشعور واحد وهو طلب الاستقلال للبلاد

« شكر أحد اخوانى الخطباء لمحمود الفاعور حميته، كان محمود معتزلا فى البادية صابرا

صامتا فلما اعتدى عليه قام وفعل بدون قول الأمر الذى أرغب أن تكون الأمة عليه

« لنا سنة ونصف ونحن نقول ، كفانا خطبا ، كفانا قولا ، نحن فى أيام العمل لافى أيام القول . ان الأقوال لاتأتى بفائدة ولكن الأفعال تفيد كثيرا . غبت عن هذه البلاد أربعة أشهر ولا شك أن التاريخ سيحفظ مافعلته فى الغرب سواء كان جيدا أو رديئا قليلا أوكثيرا ولا أنزه نفسى عن الخطأ فقد كنت أقول مايلهمنى ضميرى

« ولما عدت رأيت الأمة بأشد مظاهر الحماسة ، ولكنها حماسة لا تتعدى القول وحبذا لو اقترنت بالعمل أنا أدعو الأمة الى ذلك إذ لاحياة لها الا اذا فعلت كما أقول : نحن بحاجة الى التعاون ، الى التعاضد ، الى التكاتف ، الى التعارف ، الى العمل ، الى الود

« انني روح الحركة والأمة باعتمادها على الحكومة تعتمد علىّ الى أن تسنح لنا الفرص ويتسع لنا المجال فنؤلف المجالس التى تعتمد عليها الأمة ، ولذلك فأنا لاأسمح فى ساعتنا هذه لشخص أو جماعة أن يقول ان الحكومة كذا وكذا أو يطلب ابدال حاكم بحاكم لاننى أنا المسؤول حتى انعقاد مجلس الأمة وعندئذ أنفصل من المسؤولية وأضعها على الأمة

« ان الحكومة اليوم هى حكومة عسكرية ، حكومة موقتة غير منتخبة من طرف الشعب ولبعض أسباب لاأقدر أن أشرحها أؤخر التشكيلات الى أن أقدم للأمة هدية الاستقلال . ان رجائى عظيم وكبير وأفتخر اذا رأيت شبان الأمة يعاضدوننى فى طلب الاستقلال التام وفى طلب الحرية

« نحن فى موقف حرج يجب أن لانحتقر فيه الأمم لاننا باحتقارنا لاحداها نكون احتقرنا أنفسنا أمام دول كبار وأمم عظام ، يجب علينا أن نحترم كل أمة وكل حكومة متى احترمت بلادنا واستقلالنا ومنافعنا ، لانحب أن نعادى ولا أن نتجاوز على حقوق غيرنا كما اننا لانريد أن يتجاوز أحد على حقوقنا

« أطلب من الأمة والشبان أن يتكاتفوا ويؤيدوا حكومتى التى ستقودهم الى الخير وأن يفعلوا كالفاعور فى سكوته وأن لايكثروا من الأقوال ولا يعادوا أحدا لا بألسنتهم ولا بصحفهم وأن يعتمدوا على الحكومة

« هذه وصيتى اليكم والحكومة تنتظر منكم أن تؤازروها وأنا سأعمل وأؤلف

حكومة أعتمد عليها فاذا اعتمدت عليها يجب على الأمة أن تعتمد عليها أيضا وأرغب أن الاخوان جيعهم يعاضدون حكومتى التى أرجو أن أسمع من أخبارها فى الغرب مايسرنى لا تمكن من المطالبة بالاستقلال حتى آخر نقطة من دمى »

تأليف الحكومة الجديدة

وأنجز الأمير وعده فألف يوم ٢٦ يناير حكومة جديدة برئاسة الامير زيد ولقبه بلقب رئيس مجلس المديرين وعين أمين بك التميمى معاونا له ، ورضا باشا الركابى مديرا للحربية ورشيد طليع مديرا للداخلية ويوسف العظمة رئيسا لهيئة أركان الحرب العامة . واسكندر عمون مديرا للعدلية وساطع الحصرى للمعارف وأحمد حلمى بك للمالية

واذا سأل سائل عن الحكومة الركابية وكيف ومتى استقالت نجيبه أن رضا باشا رفع استقالته يوم ١٠ سبتمبر أى قبل رجوع الامير بشهر وأربعة أيام الى الامير زيد معتزلا العمل ومنسحبا منه لانه ماكان يميل الى تأييد فكرة العداء للحلفاء ولا الى تشجيع العصابات ، فلما أدرك أن الحكومة سائرة فى هذا الطريق وأنه لاقبل له بوقفها أو ارجاعها بعد مااتفقت عليها جميع الاحزاب فضل الاستقالة لئلا يحمل تبعة مايحدث فعين مصطفى نعمة بك وكيلا له ، كما أحدثت مديرية للداخلية عين لها رشيد بك طليع متصرف حماه ، وعين يوسف بك العظمة رئيسا لديوان الشورى الحربى فتعززت بهذا التبديل والتغيير فكرة الدفاع كما لقيت العصابات تأييدا وتنشيطا من الحكومة الجديدة

عرض الاتفاق على الهيئة العاملة للفتاة ورفضه

وعلى أثر رجوع الامير عقدت الهيئة العاملة للفتاة وهى الهيئة الثانية وكانت تتألف كما يأتى :(الدكتور احمد قدرى ورفيق التميمى ويس الهاشمى واحمد مريود وسعيد حيدر وتوفيق الناطور وعزت دروزه وشكرى القوتلى) اجتماعا سريا فى منزل الدكتور احمد قدرى حضره الامير فيصل ومعه المشروع الذى جاء به فعرضه على اللجنة فاقترعت ضده وقالت برفضه فدافع الامير عنه وقال ان رفض المشروع معناه اعلان حرب على فرنسا فقالوا اننا مستعدون لاعلان الحرب على فرنسا وانكلترا معا وانتهى الاجتماع باصرار اللجنة على الرفض

واستدعى الامير فى الغداة أعضاء اللجنة وقابلهم منفردين فكان يخلو بالواحد منهم ويناقشه ويحاول اقناعه بقبول المشروع وحينما يراه مصرا على الرفض يطلب اليه أن يكتب تقريرا مفصلا يبدي فيه رأيه ويسرد الأسباب التي تبعثه على الرفض ثم يتناول تقريره ويصرفه

وكاشف الأمير رضا باشا الركابي بما وقع بينه وبين الهيئة العاملة من خلاف ، فأشار عليه بأن يعمل لاقالتها وابدالها بهيئة أخرى فوافق مبدئيا فدعيت الهيئة العامة لجمعية الفتاة الى اجتماع سرى فى منزل الركابي باشا رئسه الأمير زيد بالذات وحضره نحو ٥٠ عضوا من أعضاء الفتاة ، وافتتح الجلسة الشيخ كامل القصاب بخطبة نارية حمل فيها على اللجنة الادارية (الهيئة العاملة) للجمعية واتهمها بالتقصير وبالتفريط فى مصلحة البلاد وختم خطبته طالبا إقالتها واختيار لجنة جديدة قادرة على القيام بالمهمة الموكولة اليها ، ثم تعاقب الخطباء وكلهم يضرب على هذا الوتر ويتهم اللجنة بالتقصير والتفريط فى حقوق البلاد ويقترح اختيار لجنة أكفأ منها وأشد غيرة وحماسة . وحينما انتهوا خطب رفيق التميمى باسم اللجنة العاملة فأعلن استقالتها وقال اننا فعلنا مااستطعنا فعله فجربوا أنتم أنفسكم ، ثم جرت الانتخابات على الأثر للجنة جديدة ففاز نسيب البكرى والركابي وخالد الحكيم وأسعد الحكيم وسعيد حيدر وجميل مردم ومحمد الشريقي

١٣

المناداة بالاستقلال واعلانه الملكية

ولم يطل الأمير الاقامة فى دمشق بعد رجوعه بل غادرها يوم ٢٨ يناير بقطار خاص الى حلب فقضى ثلاثة أيام ثم عاد الى دمشق ليلة أول فبراير وفى صباح ٣ منه قصد الى بيروت بقطار البريد فعاد مساء ٥ منه

ولقد أراد من رحلته الى حلب درس الحالة عن كثب وخصوصا حالة الثورة التركية كما اتصل بزعماء العصابات العاملة فى المنطقة الغربيـة ونصحهم بالتزام الهدوء والسكينة وفعل مثل ذلك فى دمشق مع زعماء عصابات الجنوب والغرب فهدأت الحالة واستقرت بفضل تدخله.

ورأى أن يكمل عمله بزيارة الجنرال غورو والسعى معه لوضع حد لحالة التقلقل وذلك باصـدار عفو عام عن رجال العصابات وانشاء حكومة وطنية فى بيروت تقود البـلاد وتمهد للدور الجديد ، دور التفاهم والاتفاق فلم يلق منه تشجيعا فعاد الى دمشق وقد زاد اعتقادا بعدم امكان التفاهم مع الفرنسويين ، وأعلن غداة وصوله بان سفره الى أوربا تأجل لشهر واحد بسبب تغيير الوزارة الفرنسوية ، فقد سقطت فى تلك الآونة وزارة كلمنصو وخلفتها وزارة مليران

وانقضى شهر فبراير بهدوء نسبى سكنت فى خـلاله عواصف الاضطرابات والفتن فى معظم أنحاء سورية ، وانصرف فيـه الفرنسويون الى إخماد ثورة كيليكية ومقاتلة الترك . وشاع فى أوائل شهر مارس أن الأمير عدل عن السفر نهائيا الى أوربا وان المؤتمر السورى سيدعى الى الاجتماع ــ وقد انفض على أثر جـلاء الجيش البريطانى وأنه سيعلن استقلال البلاد وينادى بالأمير ملـكا عليها وان القصد من هـذا التدبير جعل أوربا أمام حالة واقعة

وفى الساعة الثالثة بعد ظهر السبت ٦ مارس اجتمع المؤتمر السورى رسميا فى دار

النادى العربى . وفى الساعة الرابعـة وصل الأمير و بعـد أن استقر به المقام قال ان كاتبى الخاص عونى بك الهادى سيلقى خطاب الافتتاح فاعتلى هذا المنبر وألقى الخطاب الآتى :

« أيها السادة :

« فى الوقت الذى قرب فيه حل المسألة التركية حلا نهائيا فى مؤتمر الصلح ، رأيت أن أدعوكم مرة أخرى لتقرير مصير البـلاد حسب رغائب الأهالى الذين رأوا فيكم الـكفاءة للنيابة عنهم فى مثل هذا الوقت العصيب . فقد وعد مؤتمر السلم أن ينظر فى رغبة الشعوب بل حتم على نفسه أن يقرر مستقبل كل أمة حسب ارادتها ورغائبها تحقيقا للمبادىء السامية التى خاض لأجلها الحلفاء غمار الحرب الـكبرى

«فالرئيس ولسن ذكر فى خطابه فى (مورن‌فرنون) يوم ٢٤يوليو سنة ١٩١٨ المادة الآتية : (كل مسألة سياسـية كانت أم اقتصادية أم دوليـة يجب أن تحسم على قاعدة الأساسات المستندة الى حرية قبول الشعب ذى العلاقة رأسا بتلك المسألة لا على القواعـد النفعية المـادية أو المصالح التى يتطلبها شعب أو أمة أخرى لأجـل تأمين نفوذها الخارجى أو سياستها)

« وقد ذكر جميع رؤساء الحـكومات المتحالفة أقوالا لاتقـل فى معانى استقلال الشعوب عن أقوال الرئيس ولسن فى هذا الصدد . وقد نشرت حليفتانا انـكلترا وفرنسا منشورا فى ٨ نوفبر سنة ١٩١٨ أكدتا لنا فيه استقلال بلاد العرب المنشود

« أيها السادة ! لمـا كانت هـذه الحرب حرب حرية واستقلال حربا جاهدت فيها الأمم ذبا عن كيانها السياسى دخل فيها صاحب الجلالة والدى المعظم فى صفوف الحلفاء بعد أن استوثق من العرب فى الجزيرة وفى سورية والعراق . فقاتلوا قتالا شهد لهم فيه أعاظم رجال أوروبا السياسيين والعسكريين وأثنوا على شجاعتهم و بسالتهم غاية الثناء . ولابد أن يحفظ التاريخ أعمالهم الجليلة فى ابان الحرب التى استمات فيها الحجازى والسورى والعراقى وانى لواثق بأن الأمة العربيـة ستنال من المغنم ماناله غيرها من حلفائنا الذين نالوا الظفر على الأعداء

« ان هذا الظفر لم يكن عسكريا فقط ، بل هو سـياسى قبل كل شىء . لانه انتصار الحق على القوة والحرية على الاستبداد . فقد انتشرت اليوم فـكرة الاستقلال بين الشعوب

وانتقشت على أفئدتها فلن تزول بعد الآن.

« استحق العرب حريتهم واستقلالهم بفضل الدم الطاهر الذى سفكوه و بفضل ماقاسوه من أنواع العذاب والقهر. فالأمة العربية لاتقبل بعداليوم أن تستعبد كما انى أعتقد أنه ليس هنالك أمة تريد استعبادنا. فرحلاتى الرسمية العديدة الى أوروبا والاحاديث والكتابات التى جرت بينى و بين ساستها لم تبق فى نفسى مجالا للشبهة والتردد فى نيات حكوماتها الحرة.

« أيها السادة ! اننا لانطلب من أوروبا أن تمنحنا ماليس لنا به حق، بل نطالب منها أن تصدق على حقنا الصريح الذى اعترفت لنا به كأمة حية تريد حياة حرة واستقلالا تاما ونود أن نعيش مع سائر الأمم المحترمة على غاية من الولاء والمحبة الخالصة. فسياستنا فى المستقبل ستكون سياسة صلح وسلم مبنية على الثقة المتقابلة والمنافع المتبادلة و بكلمة واحدة، سياسية تتفق مع مصالح الأمة ومنفعة السلم العام. فالعرب لايستنكفون عن تبادل المنافع بينهم و بين الأمم المتمدنة ولايرفضون صداقة من يريد صداقتهم على شريطة أن لايمس ذلك بكرامتهم ولايخل باستقلالهم السياسى التام.

« أيها السادة ! ان وظيفتكم اليوم خطرة ومهمتكم كبيرة فاوروبا تنظر الينا عن كثب وستحكم لنا أوعلينا بالنسبة للخطة السياسية التى سنسير عليها والأعمال التى سنقوم بها فى المستقبل. فدولتنا الجديدة التى قام أساسها على وطنية أبنائها الكرام هى فى حاجة اليوم الى تقرير شكلها أولا ووضع دستور لها يعين لكل من آمرنا ومأمورنا حقوقه ووظائفه فى حياتنا المستقبلة التى أرجو أن يكون ملؤها الجد والعمل والاقدام

« وقبل أن أختم كلامى فى هذه الجلسة الخالدة أريد أن أذكركم باخوانكم العراقيين الذين جاهدوا معكم وأبلوا بلاء حسنا فى سبيل الوطن و بالواجب الذى يتحتم علينا فى أمر التضامن والتعاضد لنحيي حياة سعيدة قوية، واقرئكم السلام العربى الخالص متمنيا لكم التوفيق والنجاح فى مساعيكم الوطنية والسلام عليكم »

وعقد المؤتمر جلسة يوم ٧ منه قرر فيها اعلان استقلال سورية بحدودها الطبيعية والمناداة بسمو الأمير فيصل بن الحسين ملكا عليها. وفى يوم ٨ منه جرت البيعة فى دار

بلدية دمشق وتحرير ذلك أن المؤتمر اختار وفدا من أعضائه اجتمع رجاله فى الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر فقصد دار الامارة وأبلغ الأمير قرار المؤتمر فأجاب شاكرا. وفى الساعة الثالثة جاء بموكبه الرسمى فاستقبله أعضاء المؤتمر والحاضرون بالتصفيق الشديد فجلس على منصة أقيمت هنالك والى يمينه الأمير زيد وبقية الأشراف والى يساره هيئة الحكومة وضباط الجيش وحضر الحفلة مندوبا انكلترا وفرنسا وقناصل الدول الأخرى

وجاء رئيس البلدية بالعلم السورى الجديد وهو علم الدولة الهاشمية فى الحجاز وقد أضيفت اليه نجمة فنشره فاستقبل بالهتاف والتصفيق

ثم رفعه على دار البلدية وبدىء على الفور باطلاق مئة مدفع ومدفع ورفعت فى ساحة الشهداء لوحة كتب عليها « ليحي جلالة الملك فيصل »

قرار المؤتمر السورى باعلان الاستقلال

وأعلن رئيس المؤتمر السورى أن المؤتمر وضع قرارا يتلوه الكاتب فوقف هذا على شرفة البلدية وتلا القرار وهذا نصه :

«ان المؤتمر السورى العام الذى يمثل الأمة السورية العربية فى مناطقها الثلاث الداخلية والساحلية والجنوبية « فلسطين » تمثيلا تاما يضع فى جلسته العامة المنعقدة نهار الأحد الموافق لتاريخ ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٣٨ وليلة الاثنين التالى له الموافق لتاريخ ٧ مارس سنة ١٩٢٠ القرار الآتى :

ان الأمة العربية ذات المجد القديم والمدنية الزاهرة لم تقم جمعياتها وأحزابها السياسية فى زمن الترك بمواصلة الجهاد السياسى ولم ترق دم شهدائها الأحرار وتثر على حكومة الأتراك الا طلبا للاستقلال التام والحياة الحرة بصفتها أمة ذات وجود مستقل وقومية خاصة لها الحق فى أن تحكم نفسها بنفسها أسوة بالشعوب الأخرى التى لا تزيد عنها مدنية ورقيا

وقد اشتركت فى الحرب العامة مع الحلفاء استنادا على ماجهروا به من الوعود الخاصة والعامة فى مجالسهم الرسمية وعلى لسان ساستهم ورؤساء حكوماتهم وماقطعوه خاصة من العهود مع جلالة الملك حسين بشأن استقلال البلاد العربية وماجهر به الرئيس ولسن من المبادىء السامية القائلة بحرية الشعوب الكبيرة والصغيرة واستقلالها على مبدأ المساواة فى

الحقوق وانهاء سياسة الفتح والاستعمار والغاء المعاهـدات السرية المجحفة بحقوق الأمم واعطاء الشعوب المحررة حق تعيين مصيرها مما وافق عليه الحلفاء رسميا كما جاء فى تصريحات المسيو بريان رئيس وزراء فرنسا بتاريخ ٣ نوفمبر سنة ١٩١٥ أمام مجلس النواب ، واللورد غراى وزير خارجية بريطانيا العظمى فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩١٦ أمام لجنة الشؤون الخارجية وتصريح الحلفاء فى جوابهم على مذكرة الدول الوسطى التى رفعهـا المسيو بريان بواسطة السفير الأميركى فى باريس ، وجواب الحلفاء على مذكرة الرئيس ولسن بتاريخ ١٠ يناير سـنة ١٩١٧ ، وبيان مجلس النواب الافرنسى فى ٥ يونيو سنة ١٩١٧ ، وبيان مجلس الشيوخ فى ٦ منه أيضا وماجاء فى الخطاب الذى ألقاه المستر لويد جورج فى غلاسكو بتاريخ ٢٩ منه سنة ١٩١٧

وقد كان ماقام به جلالة الملك حسين المعظم من الأعمال العظيمة فى جانب الحلفاء ، هو الباعث الأكبر لتحرير الأمة العربيـة وانقاذها من ربقة الحكم التركى خلد لجلالته فى التاريخ العربى أجل الآثار وأفضلها

وقد أبلى أنجاله الكرام مع الأمة العربية فى جانب الحلفاء البلاء الحسن مدة ثلاث سنوات حاربوا خلالها الحرب النظامية التى شهد لهـم بها أقطاب السياسة وقواد الجند من الحلفاء أنفسهم وسائر العالم المدنى وضحى العدد الكبير من أبناء الامة الذين التحقوا بالحركة العربية من أنحاء سورية والحجاز والعراق فضلا عما قام به السوريون خاصة فى بلادهم من الاعمال التى سهلت انتصار الحلفاء والعرب مع ما أصابهم من الاضطهاد والتعذيب ، والقتل والتغريب ، تلك الأعمـال التى كان لها الأثر الأكبر فى انكسار الترك وجلائهم عن سورية وانتصار قضية الحلفاء انتصارا باهرا حقق آمال العرب بوجه عام ، والسوريين منهم بوجه خاص ، فرفعوا الأعلام العربية وأسسوا الحكومات الوطنية فى أنحاء البلاد قبل أن يدخل الحلفاء هذه الديار

ولما قضت التدابير العسكرية بجعل البلاد السورية ثلاث مناطق أعلن الحلفاء رسميا أن لامطمع لهم فى البـلاد السورية وانهم لم يقصدوا من مواصلتهم تلك الحروب فى الشرق سوى تحرير الشعوب من سلطة الترك تحريراً نهائيا ، وأكدوا أن تقسيم المناطق لم يكن الا تدبيرا عسكريا موقتا لاتأثير له فى مصير البلاد واستقلالها ووحدتها ، ثم انهم قرروا

ذلك رسميا فى الفقرة الأولى من المادة الثانية والعشرين من معاهدة الصلح مع المانيا فاعترفوا فيها بإستقلالنا تأييدا لما وعدوا به من اعطاء الشعوب حق تقرير مصيرها ، ثم أرسلوا اللجنة الاميركية للوقوف على رغائب الشعب ، فتجلت لها هذه الرغائب فى طلب الاستقلال التام والوحدة السورية التامة

وقد مضى نحو عام ونصف والبلاد لا تزال رازحة تحت الاحتلال والتقسيم العسكرى الذى ألحق بها اضرارا عظيمة وأوقف سير أعمالها ومصالحها الاقتصادية والادارية وأوقع الريبة فى نفوس أبنائها من أمر مصيرها ، فاندفع الشعب فى كثير من البلاد وقام بثورات أهلية منتقضا على الحكم العسكرى الغريب ومطالبا باستقلال بلاده ووحدتها

فنحن أعضاء هذا المؤتمر رأينا ، بصفتنا الممثلين للأمة السورية فى جميع أنحاء القطر السورى تمثيلا صحيحا تتكلم بلسانها وتجهر بارادتها ، وجوب الخروج من هذا الموقف الحرج استنادا على حقنا الطبيعى والشرعى فى الحياة الحرة ، وعلى دماء شهدائنا المراقة وجهادنا المديد فى هذا السبيل المقدس وعلى الوعود والعهود والمبادىء السامية السالفة الذكر ، وعلى ماشاهدناه ونشاهده كل يوم من عزم الأمة الثابت على المطالبة بحقها ووحدتها والوصول الى ذلك بكل الوسائل فاعلنا باجماع الرأى استقلال بلادنا السورية بحدودها الطبيعية ومنها « فلسطين » استقلالا تاما لاشائبة فيه على الأساس المدنى النيابى وحفظ حقوق الأقلية ورفض مزاعم الصهيونيين فى جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود أومحل هجرة لهم

وقد اخترنا سمو الأمير فيصل ابن جلالة الملك حسين ، الذى واصل جهاده فى سبيل تحرير البلاد وجعل الأمة ترى فيه رجلها العظيم،ملكا دستوريا على سورية بلقب صاحب الجلالة الملك فيصل الأول وأعلنا انتهاء الحكومات الاحتلالية العسكرية الحاضرة فى المناطق الثلاث على أن تقوم مقامها حكومة ملكية نيابية مسؤولة تجاه هذا المجلس فى كل مايتعلق باساس استقلال البلاد التام الى أن تتمكن الحكومة من جمع مجلسها النيابى على أن تدار مقاطعات هذه البلاد على طريقة اللامركزية الادارية وعلى أن تراعى أمانى اللبنانيين الوطنية فى كيفية ادارة مقاطعاتهم لبنان ضمن حدوده المعروفة قبل الحرب العامة بشرط أن يكون بمعزل عن كل تأثير أجنبى

ولما كانت الثورة العربيـة قد قامت لتحرير الشعب العربى من حكم الترك وكانت الأسباب التى يسـتند اليها فى استقلال القطر السورى هى ذات الأسـباب التى يستند اليها فى استقلال القطر العراقى وبما أن بين القطرين صلات وروابط لغوية وتاريخية واقتصادية وطبيعية وجنسية تجعل أحد القطرين لا يستغنى عن الآخر فنحن نطلب استقلال القطر العراقى استقلالا تاما على أن يكون بين القطرين الشقيقين اتحاد سياسى اقتصادى

هذا واننا باسم الأمة السورية العربية التى أنابتنا عنها نحتفظ بصداقة الحلفاء الكرام محترمين مصالحهم ومصالح جميع الدول كل الاحترام وان لنا الثقة التامة بأن يتلقى الحلفاء الكرام وسائر الدول المدنية عملنا هـذا المستند الى الحق الشرعى والطبيعى فى الحيـاة فيما تتحققه فيهم من نبالة القصـد وشرف الغية فيعترفوا بهـذا الاستقلال ، ويجلى الحلفاء جنودهم عن المنطقتين الغربية والجنوبية فيقوم الجند الوطنى والادارة الوطنية بحفظ النظام والادارة فيها مع المحافظة على الصداقة المتبادلة ، حتى تتمكن الأمة السورية العربيـة من الوصول الى غاية الرقى وتـكون عضوا عاملا فى العالم المدنى

وعلى الحـكومة السورية التى تتألف استنادا على هذا الأساس تنفيذ هذا القرار »

كلام الملك

وألقى الملك على الأثر الـكلمات الآتيـة : « أشكر للأمة نياتها الحسنة نحوى وعلى ما أبدته من حسن الاعتماد وأشهد الله انى ماقمت الا بمـا يجب على وأتمنى أن أوفق لأقوم بكل مايكفل استقلال البلاد وحريتها ولأعتنى بشؤون الشعب السورى ورقيه وأشهدكم على قولى هذا والله خير الشاهدين »

ثم تقدم رجال الدولة للمبايعـة فـكان الأمير زيد فى المقدمـة وتلا بطريرك الروم الارثوذكس عهدا موقعا عليه من جميع رؤساء الطوائف المسيحية الروحيين قالوا فيه « انه نظرا لاتفـاق الأمة السورية على مبايعة سمو الأمير فيصـل ملـكا على سورية فرؤساء الطوائف الروحيون يبايعون جلالتـه على الشروط السبعة التى اتفقوا عليها معه فى جلسة يوم الاثنين ١٧ اكتوبر سـنة ١٩١٨ وهى : اطاعة الله واحترام الأديان والحكم بالعـدل واجراء المساواة وتوطيد الأمن وتعميم المعارف واسناد الوظائف لمستحقيها متعهدين بالطاعة والاخلاص لجلالته »

تاليف اول وزارة سورية وبيانها

وفى نفس اليوم (٨ مارس) أصدر جلالة الملك مرسوما ملكيا الى رضا باشا الركابى بتأليف الوزارة وهذا نصه : « نظرا لما عرفناه من اخلاصكم وأهليتكم فقد عهدنا اليكم بمنصب رئاسة الوزارة لتشكلوا هيئتها توصلا للغاية المقدسة التى ينتظرها كل وطنى بفارغ الصبر من اسعاد الوطن ورقيه سياسيا وعمرانيا » وفى يوم ٩ منه تم تأليف الوزارة وهذا نص المرسوم باعتمادها :

« وزيرى السيد رضا الركابى

« نصادق على ما ارتأيتموه فى مذكرتكم رقم ١ بتاريخ ١٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٨ و ٩ مارس سنة ١٩٢٠ من تأليف الوزارة على المنوال الآتى :

« رئيس مجلس الشورى : علاء الدين الدروبى . وزير الداخلية : رضا الصلح . وكيل وزير الحربية : أمير اللواء عبد الحميد القلطقجى على أن يديرها رئيس أركان الحرب يوسف العظمة (كان الأول فى حلب يتقلد منصب الحاكم العسكرى) وكيل وزير المالية: فارس الخورى . وكيل وزير الحقانية : جلال الدين . وزير المعارف : ساطع الحصرى . وكيل وزير التجارة والزراعة : يوسف الحكيم

« فنأمل أن تصرفوا الجهد فى المحافظة على الحقوق وتوطيد الأمن والراحة فى البلاد وتوثيق عرى العلائق الودية بين حكومتنا والحكومات المتحابة وأخصها حكومات الحلفاء توصلا لتحقيق أمانى الشعب السورى وآماله فى وحدته وأن تبذلوا غاية الوسع فى بث روح الوئام بين جميع طبقات الأمة السورية على اختلاف مذاهبها ونزعاتها . وانا نسأل الله أن يقرن أعمالكم بتوفيقه ويتولاكم بعنايته »

وفى يوم ٢٧ منه جاءت الوزارة الى المؤتمر السورى ووقف رئيس مجلس الشورى فتلا بيانها وهذا نصه :

« أيها السادة المحترمون

« هيئة الوزارة سعيدة جدا بكونها أول وزارة وطنية دستورية فى تاريخ سورية ظهرت أمام أول مجلس يمثل للأمة تقرأ بيانها وتبسط خطتها فهى لذلك تفخر بتحية هذا

المجلس الوطنى الجليل الذى سيكون له الذكر الخالد فى الأمة جيلا بعد جيل لأنه كان المعرب الصادق عن رغائبها والمؤيد لحقوقها والمؤسس لحكومتها الجديدة فى تاريخها المجيد

« تعلمون أيها السادة أنه عند ما نشبت الحرب العامة واقتحمتها دول الارض الواحدة تلو الأخرى قامت الأمة العربية بزعامة رئيسها وأميرها جلالة الملك حسين المعظم وانضمت الى جانب الحلفاء تقاتل معهم جنبا الى جنب وترخص الضحايا الغالية فى الدفاع عن القضية المشتركة أملا بنيل استقلالها والتخلص من الاستعباد الذى أناخ عليها مدة طويلة ضاعت فيــه مدنيتها القديمة وتقوضت دعائم عزها الأثيل ، وكان قيامها وانضمامها للحلفاء فى أيامهم الحرجة عند ما كانت كفة انتصارهم غير راجحة ضربة شديدة على الآمال الواسعة التى توقعتها المانيا والمتفقون معها من التحاق الدولة العثمانية بهم وذلك لما للامة العربية من المقام التاريخى والاجتماعى، وجنى الحلفاء من جراء ذلك فوائد عظيمة اشتد بها أزرهم وفت فى سواعد خصومهم وانتهت الحرب باندحار الالمان والمتفقين معهم وانتصار مبادىء الحق على القوة وتحررت الامة العربية بفضل ماقام به جلالة الملك حسين المعظم وأنجاله البواسل من الاعمال العظيمة التى قلدوا بها أعناق أمتهم أطواقا من الشكر والفخر فهو إذن المؤسس الأول لتاريخ العرب الجديد الذى فتحت به هــذه الأمة عصرها الذهبى الثانى فنحن نرفع لسدته الملوكانية فروض التبجيل والشكران ونسجل لجلالتــه فى تاريخنا فصول الاجــلال والامتنان .

« كما أن نجله النابغ صاحب الجلالة الملك فيصل ملك سورية المعظم الذى أقام الدعوى السورية وأخــذ على نفسه الدفاع عنها الى الدرجة الأخيرة وواصل الجهاد فى تحرير هــذا القطر هو المؤسس الأول للملــكة السورية وصاحب الفضل الأكبر فى استخلاصها وانشائها على قواعد الحرية والتجدد فاجتمعت عليه قلوب أبنائها وانعقدت آمالهم واتفقت كلمتهم على أنه ملك هــذا القطر الذى لايدافع وسيده الذى لاينازع فنرفع لسدته الملوكية عهود الطاعة ونهنىء عرش سورية بالوطنى الباسل والملك العادل . ولا ننسى أن نذكر بلسان الشكر والتبجيل دول الحلفاء العظيمة التى ثبتت أقدامها الراسخة فى مآزق الروع فأيدت مبادىء الحق ودكت صروح الباطل ونادت بعهد جديد وعصر مجيد هو عهد حرمة الحقوق وحرية الشعوب وانــكار سياسة الفتح والاستعمار وابطال المعاهدات السرية المجحفة بحقوق الأمم

واعطاء الشعوب المحررة حق تقرير مصيرها ، وقد نلنا بفضل معونتهم مالا تنساه هذه الأمة

« على هذه المبادىء النبيلة والأساسات الراسخة انتخبت الأمة السورية أعضاء مجلسكم الموقر لأجل تعيين مصيرها على شكل يوافق أمانيها ويؤيد حقوقها التى منحتها اياها الطبيعة ودعمتها مفاداتها وضحاياها الجسيمة فى الحرب العامة وأقربها الحلفاء فى وعودهم وعهودهم واعترفوا باشتراكهم معها بالفخر فى هذا النصر فاتفقت كلمتكم على اعلان استقلال سورية بحدودها المعروفة ضمن المناطق الثلاث التى قضى الاحتلال العسكرى الموقت بقسمتها اليها وعلى المناداة برجل الأمة ومحررها فيصل بن الحسين ملكا عليها، وعلى انشاء حكومة دستورية مسؤولة أمام مجلس الأمة ونشرتم بذلك قراركم التاريخى الناطق بالحزم والحق فى الثامن عشر من شهر جمادى الآخرة والثامن من شهر مارس الحاضر فكان ذلك مبدأ لحياتنا الجديدة الحرة وقد قابلت الأمة بأجمعها عملكم المجيد بالاستحسان والابتهاج وأقامت المهرجانات والافراح فى جميع أنحاء البلاد فجاء عملها هذا دليلا آخر يثبت بالفعل اجماع الشعب على تأييده هذه الغاية وتفانيه فى سبيل تحقيق أمانيه القومية الشريفة، فنحن نطرى عملكم هذا ونقدم لكم شكرا وثناء يسجل لكم فى تاريخ الامة

« واستنادا على هذا القرار الذى خرجت به رغائب الأمة من القول الى الفعل وظهر فيه الحزم وصدق العزيمة ــ عهد الينا جلالة مولانا الملك المعظم بادارة المملكة على المبادىء المدنية الدستورية التى اختارها مجلسكم الموقر فباشرنا العمل وتسلمنا أزمة الأمور مستعينين بالله ومعتمدين على مؤازرة الامة وموطنين النفس على أن نبذل أقصى الجهد فى سبيل المحافظة على الاستقلال التام ضمن الوحدة السورية لتتمكن أمتنا من الوصول الى المقام الذى يليق بها بين الأمم الراقية من المدنية والعمران على نسبة نجابة أبنائها وتاريخها المجيد

« ولنا وطيد الأمل بحسن نيات الحلفاء العظام أن يقابلوا حياتنا الجديدة بالسرور والارتياح ويعاضدونا فى إزالة جميع العراقيل التى تحول دون رقينا ونجاحنا خصوصا الدولتين العظيمتين بريطانيا وفرنسا اللتين عرفتا بمحبتهما للعرب وشملتهم معونتهما الثمينة فى حرب حريتهم وكانتا أول من وافق على القواعد الصحيحة والغايات النبيلة التى على موجبها جاءت الأمة الاميركية الشريفة لنجدتهم من عبر الاطلانتيك ، ولدينا من وعدهما مايضمن

لنا استمرار ولائهما و بقاء محبتهما المفيدة لنا فى أيام السلم كما كانت فى أيام الحرب، فلا يكون منهما اليوم الا ما يأتلف مع مبادئهما الشريفة و يسهل لنا طريق الفلاح والعمران

« وفوق ذلك فهما تعلمان علم اليقين اننا لا نرغب إلا الحياة المطمئنة الهادئة فى ظل سلم عام ولا يمكن أن يستقر ذلك فى سورية مع تجزئتها وحرمانها من الحكم الذاتى، وتثقان اننا نصون مصالح جميع الأمم فى بلادنا وخصوصا مصالح هاتين الحليفتين العظيمتين بحيث نفيد ونستفيد، وعملنا هذا منطبق على الغاية الشريفة التى خاضوا وخضنا معهم لأجلها غمار هذه الحرب الضروس وشهد لنا بالفضل فيها أعظم رجالهم مرات عديدة وهو مؤيد ومحقق لوعودهم بحق هذه الأمة.

« فسياستنا الخارجية اذن هى سياسة السلم والولاء مع جميع الدول وخصوصا مع دول الحلفاء الذين آزرونا فى الحرب وسيؤازروننا فى السلم أيضا وصيانة حقوق رعاياهم والاستفادة مما نحتاج اليه من مدنيتهم مما يساعد على رقينا ولا يمس استقلالنا

« أما ادارتنا الداخلية فنبقى على الأسس الحاضرة الى أن يصدر القانون الأساسى الذى يضمن لسكان كل مقاطعة من أبناء الوطن من السعى فى سبيل عمران بلادهم وتنمية ثروتهم وترقية حالهم وسنبذل الجهد فى توطيد الأمن العام واقامة قسطاس العدل بين الناس على شكل يوصل أصحاب الحقوق الى حقوقهم بالسرعة المرغوبة وتقوية الجيش لأجل حفظ الأمن والنظام والدفاع عن الاستقلال التام ونحن نرى بملء السرور ان هذه الخطة منطبقة على رغائب الأمة التى تلبى دعوة الجندية بالحية والرغبة للقيام بخدمة الوطن المقدس وسنعنى بصورة مخصوصة بنشر المعارف وجعل المدارس فى حالة يمكنها أن تخرج للبلاد رجالا مشبعين بحب الوطن وسلامة الفكر وقوة البنية ومتانة الأخلاق وسنهتم باغناء خزائن علومنا بترجمة كتب العلوم والفنون الحديثة والاستفادة من المعارف الغربية وسنسعى لتحسين حالة البلاد الاقتصادية وانماء زراعتها وتجارتها وصناعتها والاستفادة من خزائنها الأرضية ليكثر الانتاج وتزداد الثروة العامة فنخفف عنا بذلك وبمراعاة قاعدة الاقتصاد وطأة الغلاء الثقيلة التى شملت العالم وأصبحت شغل كبارهم وساستهم الشاغل. ولما كانت هذه الأعمال لا تقوم إلا بالمال والحكومة لا يمكنها ايفاء هذه الوظائف بدون أن يكون لديها المقدار الكافى منه وكانت الواردات الحاضرة لا تقابل النفقات المبرمة التى يقتضيها تطورنا الجديد وانفاذ خطتنا

المذكورة فانا سنسعى لايجاد التوازن بين الواردات والنفقات ، وسنفرغ قصارى الجهد فى سبيل انفاق أموال الخزينة فى وجوهها النافعة بحيث لا يصرف مال جزاف وبدون عمل يقابله . ونحتاج فى ذلك الى حمية الأمة واسراعها فى تأدية التكاليف والى سخاء نحن اليه الآن أحوج منا الى أى شئ كان

« وسيكون عملنا الآن بالقوانين والأنظمة المدنية العثمانية وما جرى تعديله أو رفعه منها بعد عهدهم الى أن يتيسر لنا تبديلها وتعديلها بصورة تدريجية على شكل يوافق حالة البلاد وأخلاقها ورقيها ويلائم المدنية الحاضرة ويصون حقوق الأفراد والجماعات ويساعد على رقينا الحقيق

« والحكومة ترجو من المجلس الموقر أن يسرع فى وضع القانون الأساسى وقانون انتخاب نواب الأمة لتباشر اجراء الانتخاب وجمع المجلس التشريعي باقرب مايمكن وفى الختام نؤمل من الأمة وممثليها الكرام أن يعاضدونا فى مهمتنا الوطنية ونحييكم باحترام »

وتكلم بعض النواب على الأثر مؤيدين الوزارة فوافق المجلس على الثقة بها بالاجماع

١٤

صدى اعلان الاستقلال

كان اعلان الاستقلال وانشاء الملكية على هذا المنوال فاتحة تحول جديد فى القضية السورية ان لم يكن من جهة الأساس فمن جهة الشكل فقد أصبحت معالجتها من اختصاص وزارة مسؤولة الى برلمان وطنى يمثل الأمة ويتكلم باسمها ، ومعنى ذلك ان البلاد السورية صارت تتمتع من الوجهة الشكلية النظرية بحكومة دستورية ونظام برلمانى دمقراطى ، بعد ما أنكرت سلطان الحلفاء وكانوا يحتلون معظم أجزاء البلاد

والظاهرة البارزة فى الحكومة الركابية، وهى احدى ثمرات التحول الجديد، اعتدالها الزائد وتكونها من رجال طاعنين فى السن فرئيسها ووزير داخليتها ومثله وزير الخارجية من الشيوخ المجربين ولئن كان العضوان المسيحيان وهما فارس الخورى ويوسف الحكيم أصغر من زملائهما سنا إلا أنهما كانا من المعروفين بالميل الى الاعتدال والروية . وقد سلكت الوزارة فى ابتداء عهدها سبل الاعتدال والحكمة وعملت على تهدئة الخواطر والتقرب من الانكليز والفرنسويين ظنا منها انها بهذه الطريقة تكتسب ثقتهما وعطفهما فتضمن لبلادها الاستقرار والهدوء . ونظرة واحدة الى برنامجها تؤيد هذا الاستنتاج .

محاولة الملك والحلفاء

ولم يقصر جلالة الملك من ناحيته فى العمل على اكتساب ثقة الحلفاء والتقرب منهم فلم تكد تنتهى مراسم البيعة حتى أوفد اللواء نورى السعيد الى باريس ولندن يحمل كتابين خطيين من جلالته الى الحكومتين الفرنسوية والانكليزية بسط فيهما الأسباب التى حملته على قبول البيعة وقال ان من أخص أمانى السوريين أن يعيشوا على ولاء مع الحلفاء. ولم يغن هذا التدبير شيئا فقد أعلن المستر لويد جورج فى مجلس النواب البريطانى يوم ١٨ مارس «ان بريطانيا وفرنسا أبلغتا الأمير فيصلا انهما لايستطيعان الاعتراف بقرار مؤتمر دمشق ودعتاه الى أوربا لبسط قضيته »

وكذلك أرسل اللورد كرزون وزير الخارجية البريطانية يومئذ برقية خاصة الى الملك ينكر فيها ماتم ويدعوه الى القدوم لمفاوضته فرد عليه قائلا :

« انه كان يتمنى أن يتاح له الذهاب الى أوربا ليقدم شكره الى حكومة جلالة الملك ولتنوير المجلس الأعلى عن موقف سورية الحقيقي وختم برقيته طالبا الاعتراف باستقلال سورية »

وأرسل الملك فى الوقت نفسه رسالة خاصة الى الرئيس ولسن ذكره فيها بعهود الحلفاء وفعال العرب فى الحرب العظمى وجودهم فيها بالأرواح والمال استنادا الى تلك العهود و بسط له سوء عاقبة تقسيم سورية الى أربع مناطق ادارية طبقا لمعاهدة سرية لا نعلم من حقيقتها شيئا لخنق الشعب ومع أن الدول أكدت له ان هذا التقسيم وقتى يزول بزوال الحكم العسكرى الا أنه اضطرب بسبب اشاعة اتفاق فرنسا و بريطانيا على تجزئة البلاد وتقسيمها . فاضطر الشعب ، الى اعلان استقلاله والمناداة بى ملكا فعاد النظام الى نصابه وهذا العمل يطابق وعود الحلفاء وناشد الرئيس أن يبذل نفوذه لتأييد الحق فى هذه القضية

ولا بد لنا من القول ان الملك فاتح الجنرال غورو حين زيارته له فى بيروت يوم ٤ فبراير بما هنالك من اتجاه الى اعلان الاستقلال والمناداة به ملكا [١] ومع أن الكولونيل كوس المعتمد الفرنسوى فى دمشق كان على علم بما يجرى ، بل كان من جملة العاملين على اتمام البيعة وقد حضر حفلة اعلانها كما رأيت بصفة رسمية — فقد تنكر الفرنسويون فى بيروت وباريس للملك فحملوا الهيئات الموالية لهم هنا على استنكار ماوقع كما أوعزوا الى صحفهم هنالك بالحملة على الحكومة السورية الجديدة وبالحض على عدم الاعتراف بقرار المؤتمر السورى

---

(١) يقول رضا باشا الركابى فى مقالة نشرها بعد وفاة الملك فيصل عن أعلان الملكية مانصه « ولقد استدعانى الملك يوم عرض عليه القرار الخاص باعلان الملكية واستشارنى فقلت له هل من ضرورة لهذه العجلة و بينت أن الحكمة تقتضى الانتظار وتدعو لأن يؤجل اعلان التصريح الى أن تمهد السبل هنا وهنالك فقال لى اذا كانت الغاية التفاهم مع الفرنسويين فقد اتفقت معهم على ذلك . ولم تمانع فرنسا فى ماوقع رغبة فى المحافظة على الولاء» .

ولقـد كان مجلس ادارة لبنان أول المحتجين فوضع يوم ١٢ مارس قرارا رفعـه الى الجنرال غورو وهذا نصه :

« لقد اطلع هـذا المجلس على قرار صادر من المؤتمر السورى بمناسبة تتويج سمو الأمير فيصل ملكا على سورية فوجد فيه مسا بحرية لبنان وحقوقه ولما كان ليس للمؤتمر السورى ولا لسواه من الحكومات المحلية صلاحيـة البحث أو التدخل فى أمور لبنان وادارته فيحتج هذا المجلس بنيابته عن اللبنانيين على كل ماورد فى المنشور المذكور فيما يتعلق بجبل لبنان ويؤيد استقلاله المطلق المعلن فى شهر مايو سنة ١٩١٩ راجيا رفع هذا الاحتجاج الى المؤتمر العام المؤتمن على مصالح الأمم »

وأرسل بطريرك الموارنة الاحتجاج الآتى الى الجنرال غورو :

« استنادا الى الانتداب الذى خولنا إياه الشعب اللبنانى لتمثيله والمدافعة عن حقوقه لدى مؤتمر السـلام نحتج بكل قوانا على قرار المؤتمر السورى فى دمشق المخالف لأمانى اللبنانيين ونحن لا نكف عن متابعة المطالبة بكل شدة بحقوقنا المبينة فى اللائحة التى قدمناها الى مؤتمر السلام بتاريخ ٢٥ اكتوبر سنة ١٩١٩ واذا كان بعض اللبنانيين قد اشتركوا فى المؤتمر السورى فهؤلاء لا يمثلون قطعيا الامـة اللبنانية واننا على ثقة بان الحلفاء ينصفون اللبنانيين المظلومين الذين كابدوا كثيرا من العـذاب فى اخلاصهم وتفانيهـم على مصلحة الحلفاء »

وكذلك حاوا مجلس بلدية طرابلس فاصـدر يوم ١٢ مارس قرارا مفاده « أن مندوبى المؤتمر السورى لا ينوبون عن أهل طرابلس وانه (أى المجلس) يعترض أشد الاعتراض على ذاك المؤتمر الذى ألف بطريقة غير قانونية ويطلب أن تكون سورية الكبرى تحت حماية فرنسا »

وعلاوة على ذلك فقد نشر قلم المطبوعات الفرنسوى فى بيروت البلاغ الآتى:

« تواترت الاشاعات بان اجتماع المؤتمر السورى والتصريحات التى صارت المجاهرة بها كانت نتيجة اتفاق بين الحكومتين الفرنسوية والعربية ومن البديهى أن هذه الاشاعات ساقطة من نفسها ولا نصيب لها من الصحة لأن مثل هذه القرارات هى من شأن مؤتمر السلام والحكومة الفرنسوية هى أبعد من أن يكون لها علاقة بما تم »

فهذه البلاغات والاحتجاجات نبهت رجال المنطقة الشرقية الى نيات جيرانهم كما نشطت العناصر المتطرفة وكانت تنقم على الوزارة ضعفها واستسلامها وأخذها الأمور باللين والحلم وعدم اهتمامها باعداد معدات الدفاع ثم حدث حادث الخطبة فى مساجد بيروت فزاد الطين بلة كما زاد الخواطر هيجانا واضطرابا

وخلاصة ماوقع ان ولاة الأمور الفرنسويين فى بيروت استدعوا خطباء المساجد وأئمتها وأوعزوا عليهم بأن لايخطبوا باسم جلالة الملك فيصل وأن يدعوا للخليفة محمد وحيد الدين السادس العثمانى فأبى عليهم الخطباء ذلك وأنكروا تدخلهم فى الشؤون الدينية فقبضوا على الشيخ محيي الدين المكاوى – خطيب جامع المجيدية يوم ٥ ابريل ونفوه الى ارواد فثارت لذلك ثائرة المسلمين وأقيمت مظاهرة فى دمشق احتجاجا على نفيه واعتقاله فاضطروا الى اطلاق سراحه والاعتذار عما بدر منهم ونشروا البلاغ الآتى :

«١ – ليس بصحيح ان الحكومة الفرنسوية تعرضت للمسائل الدينية الاسلامية وانما المنع الذى صدر الأمر به موجه ضد الفكرة السياسية التى مشىّ بموجبها الرؤساء الروحيون فى بيروت مدفوعين الى ذلك من الشام

٢ – ان السلطة الفرنسوية تحتج بكل شدة على المساعى المبذولة لاثارة عواطف المسلمين الدينية ففرنسا تحترم جميع الأديان على السواء ولا ترضى أن يتخذ الدعاء باسم جلالة الملك فيصل حجة لايجاد الخلافات السياسية»

وتلت هذه حادثة العلم وذلك أنه على أثر اعلان الاستقلال فى دمشق رفع المعتمد العربى فى بيروت علم الدولة الجديد على داره فلم يرق ذلك لممثلى الاحتلال فارسلوا اليه كتابا يطلبون إنزاله بحجة أن الدول لم تعترف رسميا بالحكومة الجديدة ولأن حكومتهم لاتزال تعتبر الداخلية (حكومة المنطقة الشرقية) فرفض المعتمد طلبهم ورفع الأمر الى حكومته فأبلغته بعدم انزال العلم وتدخلت عند الحكومة الفرنسوية فتنصلت هذه مما وقع وهكذا سويت المسألة .

فهاتان الحادثتان وقد أثارتا الخواطر وما اتهمت به الوزارة من تقصير فى اعداد معدات الدفاع ومن تساهل مع الفرنسويين فى نقل الذخائر الى كيليكية بسكة الحديد قد خلقت جوا ملتهبا وحمل بعض العناصر على مناوئتها علنا كما أخذ بعض أعضاء المؤتمر

السورى بمهاجمتها ووجهوا اليها أسئلة رد عليها وزير النافعة فى جلسة يوم السبت ٢٤ ابريل سنة ١٩١٩ وهذا ماقاله موجزاً :

« سألتم عما تعلمه الحكومة عن الأعمال التى تجريها حكومة الساحل من اكراهها الأهلين على تختيم مضابط ضد مؤتمركم وعن مداخلتها فى أمور الأهلين الدينية فى المساجد فأقول ان حكومتنا قامت بما يجب عليها فى هذا السبيل محققة رغبة الامة فلفتت نظر المندوب الفرنسوى الى هذه الحوادث أكثر من مرة وفقا لقواعد حقوق الدول . وقد توصلنا الى اصلاح كثير من هذه الاضرار نذكر منها قضية السنى لانزال العلم السورى . وقد تبين لنا من المكاتبات الدائرة أن المندوب الفرنسوى لم يأمر بانزال العلم بل أبلغ معتمدنا هنالك أن الأمر متعلق بمؤتمر الصلح ولا يزال علمنا مرفوعا وسيبقى كذلك تحقيقا لرغائب الأمة . وأما قضية خطيب الجامع المعتقل فستحل بما يوافق رغائب الأمة اذا لم تكن حلت حتى الآن

« وسألتم عن الحشد العسكرى فى الساحل وعن التدابير التى اتخذتها حكومتنا وعن المساعى التى بذلناها فى سبيل استقلال البلاد وفى الجواب أقول انه تحقق لنا أن اشاعة الحشد لا نصيب لها من الصحة وان مايشاهد ليس سوى عبارة عن استبدال قوى باخرى كما تأكد لدينا أن السلطة المحتلة أنقصت قواها عن قبل . أما المساعى التى بذلتها حكومتنا فى الاستقلال فانا الأمل أن تنتهى ببلوغ الأمل المنشود وأظنكم تسلمون معى بأنه ليس من الموافق بيان التفاصيل . على أننا نقدر أن نؤكد لحضراتكم أن حكومتنا لاتفتر عن السعى ولا تدع وسيلة تفوتها فى سبيل الحصول على رغائب الأمة مؤملة أن توضح لمؤتمركم العالى بأقرب وقت نتيجة مساعيها وبالطبع هى الاعتراف بالاستقلال التام والوحدة السورية

ولقد خرجت الوزارة فائزة من هذه المعركة رغم الحملات الشديدة التى حملت عليها ورغم الاسئلة المحرجة التى وجهت الى مندوبها . فلم يثن ذلك العناصر المعادية لها ولم يمنعها عن مواصلة العمل فى الخفاء لاسقاطها متذرعة بما أظهرته من الضعف والعجز ، ثم جاء قرار سان ريمو يوم ٢٦ ابريل بمنح الانتداب لفرنسا على سورية ولانكلترا على فلسطين والعراق فعزز دعوة القائلين بوجوب التخلص منها وانشاء وزارة قوية متجانسة تقود البلاد فى المرحلة الدقيقة من تاريخها . واستمال خصوم الوزارة الملك الى جانبهم وعقدوا

اجتماعات سرية فى منزل كبير الأمناء حضرها بالذات فتقرر اسقاطها وعلى أثر ذلك ذهب (كبير الأمناء) يوم ٣ مايو الى منزل الركابى ولم يغادره الا بعد ماانتزع منه استقالة الوزارة وقد بناها على أسباب صحية

بلاغات رسمية الى الملك

وقبل أن نتكلم عن الوزارة الجديدة ننشر نص البلاغ الرسمى الذى أبلغه المسيو مليران رئيس الوزارة الفرنسوية الى جلالة الملك فيصل يوم أول مايو معلنا وضع سورية تحت الانتداب الفرنسوى لانه كان من العوامل فى إحداث الأزمة واقالة الوزارة ثم نتبعه بخلاصة كتاب اللورد اللنبي قال :

« ان الحكومة الفرنسوية مشيرة من جهة الى بلاغاتها السابقة ومن جهة أخرى الى المبادىء العمومية لتحرير الشعوب والمعاونة الودية التى أعلنها مؤتمر الصلح تؤكد اعترافها بأن للاهالى الناطقين بالعربية من جميع المذاهب والساكنين فى القطر السورى الحق فى أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم بصفتهم شعوبا مستقلة وترى من واجباتها أن تقبل المهمة التى عهد بها اليها مؤتمر الصلح لاعطاء هؤلاء الأهالى مشورتها ومساعدتها لتحقيق أمانيهم المشروعة وجعلهم ينتظمون أمما . وهذه المساعدة لابد منها بعد استعباد طويل وخروج من حرب تركت البلاد خرابا وستضمن استقلالهم من كل اعتداء ضمن الحدود التى يعينها مؤتمر الصلح ناظرة نظر الاعتبار الى الادارات الذاتية اللازمة »

وفى يوم ٢٧ ابريل تلقى الملك كتابا خاصا من اللورد اللنبي ينطوى على تبليغ رسمى من بريطانيا عما اتخذه الحلفاء من قرارات بشأن سورية وفلسطين والعراق . وختم اللورد كتابه بدعوة الملك للسفر الى أوربا بالحاح « ليتمكن من بسط قضيته وقضية البلاد ولان حقوق ملكيته لاتتم الا بواسطة مؤتمر الصلح »

وقد رد الملك على البرقية الأولى ببرقية أرسلها يوم ١٣ مايو الى المسيو مليران أبان فيها استياء الأمة السورية من تقسيمها الى شعوب عديدة فى حين أن هذه الشعوب القاطنة فى الأراضى السورية تنتمى الى شعب واحد وتنزع منازع واحدة

الوزارة الدفاعية وكيف تألفت

ما كاد كبير الأمناء يعود من منزل رضا الركابي بكتاب الاستقالة حتى حمل الى دار الحكومة كتاب اسناد رئاسة الوزارة الجديدة الى هاشم الاتاسي وهذا نصه :

«عزيزى هاشم الاتاسى

بالنظر لما أحدثته برقية الحكومة الفرنسوية الواردة أول من أمس من التأثير الذى نتج عنه وقوع أزمة وزارية ـ رأينا أن نعهد اليكم لما ثبت لدينا من اخلاصكم ومقدرتكم بتأليف وزارة جديدة يكون أول همها المحافظة على الأمن والراحة فى الداخل والدفاع عن حقوق هذا الوطن إزاء كل من يريد به سوءاً أو يحاول الوقوف فى سبيل استقلاله المقدس من الخارج فاعملوا على انتقاء من اختبرتم فيهم الصفات المطلوبة للوصول لهذه الغاية النبيلة وارفعوا الينا ذلك للمصادقة عليه والله يتولانا بتوفيقه وعنايته لخير هذه الأمة والبلاد والسلام عليكم » فرفع على الفور بيانا بأسماء زملائه وكانوا متفقين عليهم من قبل فصدر المرسوم الآتى :

«وزيرى السيد هاشم الاتاسى

نصادق على مارتأيتموه فى تذكرتكم رقم ١ بتاريخ ١٥ شعبان سنة ١٣٣٨ (٣ مايو سنة ١٩٢٠) من تأليف الوزارة على المنوال الآتى :

رئيس مجلس الشورى السيد رضا الصلح . وزير الداخلية هاشم الاتاسى (وكالة) وزير الخارجية . الدكتور عبد الرحمن شهبندر . وزير الحربية يوسف العظمة . وزير المالية فارس الخورى . وزير الحقانية جلال الدين . وزير المعارف ساطع الحصرى وزير التجارة جورج رزق الله

فنؤمل أن تبذلوا جل مساعيكم فى تحقيق رغبات الأمة باتخاذ أفعل التدابير للدفاع عن استقلالنا المقدس وحفظ الأمن والراحة والعمل على تمكين لحمة التضامن بين طبقات الائمة السورية على اختلاف مذاهبها ونزعاتها لتكون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا

وتوثيق عرى الولاء بين حكومتنا وحكومات الدول المتحابة الفخمة ونخص منها اللاتى تساعدنا على الوصول الى غايتنا المنشودة وفقكم الله لما يريد وتولاكم بعنايته وحسن توفيقه »

وفى يوم السبت ٨ مايو تقدمت الوزارة الى المؤتمر فالقى وزير الخارجية بيانها وهو :

« أيها السادة

بناء على استقالة السيد على رضا الركابى تألفت الوزارة التى ترونها فى هذا المجلس لتبين لحضراتكم الخطة التى عزمت على انتهاجها وقد قبلت أن تقع هذه التبعة العظيمة على عاتقها فى هذه الأيام العصيبة خدمة للوطن المقدس وهى مستندة فى أعمالها بعد الاتكال على الله تعالى وعلى مؤازرتكم ومؤازرة الأمة الكريمة التى أنابتكم عنها

ان أساس خطتنا هو :

١ ـ تأييد الاستقلال التام الناجز المتضمن فى جملة مايتضمنه حق التمثيل الخارجى

٢ ـ المطالبة بوحدة سورية بحدودها الطبيعية مع رد طلب الصهيونيين بجعل القسم الجنوبى منها وهو فلسطين وطنا قوميا لليهود

٣ ـ رفض كل مداخلة أجنبية تمس سلطاننا القومى

هذه غايات وزارتنا وهى فى الواقع تحقق ماقرره مؤتمركم فى جلسته التاريخية المشهودة ولأجل الحصول على هذه الغايات لابد لنا من المحافظة على صداقة حلفائنا الكرام الذين يساعدوننا على تحقيق رغائبنا الوطنية والاستفادة من كل مالدينا من الماديات والمعنويات كيما نتمكن من تنظيم قوة عامة فى البلاد تكفل حياتها وانتظامها. ولا يخفى على حضراتكم أن تنظيم القوة يحتاج الى المال والرجال . أما الرجال فهم متوفرون لدينا . وأما المال فنسعى جهدنا للحصول عليه بطريقة لا تضر بحالة البلاد الاقتصادية فالأمة التى تجود بروحها فى سبيل استقلال الوطن لاتبخل بمالها لتحقيق هذه الغاية أيضا . وستهتم الوزارة فى خطتها الداخلية اهتماما خاصا بزيادة التشديد فى حفظ النظام والأمن حرصا على راحة الأهلين وتأمينا لسير أعمالهم ونمو ثروتهم . ولما كان الاخلال بالأمن موجبا لعرقلة مساعينا الوطنية المقدسة فى الداخل وسوء سمعتنا فى الخارج فقد عزمنا على استعمال الشدة

والصرامة فى وجه كل من يعكر صفو الأمن ويعبث بالراحة ويسىء سمعة البلاد

« بلغكم أيها السادة أن المؤتمر فى سان ريمو اتخذ بعض قرارات ابتدائية تتعلق بنا وهذه القرارات قد تضمنت الاعتراف مبدئيا باعتبار سورية دولة مستقلة فنحن نسجل هذا الاعتراف مع السرور وتتخذه أساسا للحقوق الأخرى التى سنطالب بها

« نسجل على حليفتنا بريطانيا العظمى تصريحها باستعدادها بالاعتراف بجلالة مليكنا الأعظم رأس دولة سورية مستقلة الا أن هذه القرارات ترمى الى الانتداب فنحن لقاء ذلك سنسعى جهدنا لرفع هذا القيد

« لاشك فى أن المؤتمر الذى سيعقد فى أواخر هذا الشهر فى باريس سيعيد النظر فى مقرراته السابقة ولنا ملء الأمل أن يعود فينصفنا ولا يهمل وعود حلفائنا لنا على أننا ان لم ننصف فلنا بقوة شعبنا وعزمه الثابت أكبر ضامن لتاييد حقنا وتتخذ فى الختام هذه الفرصة لنعلن أننا قوم لانطلب الا حقنا ولا نريد التعدى على غيرنا بل نريد أن نعيش أحرارا فى عقر دارنا مسالمين من يسالمنا ومحترمين منافع من يحترم منافعنا وبالله التوفيق »

وخطب بعض النواب مشيرا الى خطورة الموقف كما ناقش بعضهم الوزير واشترط بعضهم أن تعلن الوزارة كونها دفاعية لمنحها الثقة فوقف الوزير وقال ان الوزارة دفاعية قامت لأجل الدفاع وستدافع الى النهاية . فنالت الثقة الاجماعية

تدابير الوزارة وخططها

افتتحت الوزارة عملها باصدار قرض داخلى بنصف مليون دينار سورى أقر قانونه مجلس الوزراء يوم ١١ مايو وخلاصته « يعقد قرض وطنى فى البلاد السورية على مبلغ نصف مليون دينار بفائدة ستة بالمئة ويرهن مليون دونم من أراضى الدولة العامرة فى ولاية حلب ولوائى حمص وحماه المذكورة مواقعها فى الجدول المربوط بهذا القانون تأمينا على رأس المال بحيث يرهن مقابل الدينار الواحد أربعة دونمات من الأرض ويصرح بذلك فى سند الدين. وتكون سندات الدين لحاملها ويفرز من الواردات السنوية لأراضى الدولة مبلغ أربعين الف دينار سنويا لتأدية الفائدة السنوية ولاستهلاك رأس المال الأصلى

ويدخل هـذا المبلغ فى الميزانية العامة كل سنة اعتبارا من ميزانية سنة ١٩٢١ الى أن يتم استهلاك الدين فى ٢٤ سنة »

وأعاد مجلس الوزراء الجديد النظر فى قانون التجنيد العام وقد أهمل أمره فى عهد الوزارة السابقة فعدله تعديلا جعله أوسع وأعم ووضع له ذيلا نشر يوم ١٧ مايو يقضى بتجنيد جميع سكان المملكة السورية . وجعل مدة الخدمة الفعلية سنة واحدة وقدضمنت الوزارة بهذين القانونين الرجال والمال

حروب الترك فى كيليكية

وعادت العصابات فى هـذه الفترة الى نشاطها بعـد ما ازدادت قوة بمن انضم اليهـا من الضباط الذين اسـتقالوا من خدمة الجيش فظهرت فى البقاع وجبـل عامل وجبال النصيرية وفى منطقة انطاكية واللاذقيـة والجزيرة العليا فضايقت الفرنسويين وأزعجتهم واشتد ساعد العصابات التركية التى كانت تقاتل فى الشمال ونالت فوزا كبيرا على الفرنسويين وهزمتهم فى معارك عديدة وحاصرت حامياتهم فجاءوا بنجدات جـديدة من أوربا بدل القوى التى أعادوها فى شهر ابريل يوم اشتد الخـلاف بينهم وبين المـانيا وزحفت قواهم فاحتلت الرور

وسعى الفرنسويون فى خلال هذه الفترة عند الملك فيصل ليحصلوا منه على اجازة بنقل جندهم من بيروت الى حلب فالحدود التركية بسكة الحديد (سكة الحـديد من رياق الى حلب) تسهيلا لمواصلاتهـم وليتسنى لهـم ضرب العصابات التركية التى كانت تحاربهـم ضربة شـديدة ، وأبلغ الجـنرال غورو الـكولونيل كوس منـدوبه العسكرى فى دمشق أن يحتج باسمه على منعهـم وأن يبلغ الحـكومة السـورية أن الفرنسويـين انما جاءوا سورية ليحرروها من الترك فما بالها تمنع المـيرة عن جيوشهم . فاتخذت الوزارة هـذا الاحتجاج وسـيلة لمطالبـة الفرنسويين بدفع نصيب سورية من ايرادات الجـمارك وانتدب الملك الـكولونيـل طولا الفرنسوى وقـد جاء معـه من أوربا فى المرة الاولى فذهب الى بيروت وحادث الجنرال غورو ثم عاد بعد بضعة أيام يحمل نسختين من مشروع اتفاق واحـدة ليوقعها جلالة الملك والثانية لتوقعها الحـكومة وخلاصتهما أن الحـكومة

السورية تسمح بمرور الذخائر والزاد و بعض رجال الجيش مقابل بعض شروط فعدلت الحكومة الشروط وجعلتها على المنوال الآتى :

١ ــ الاعتراف باستقلال سورية استقلالا تاما

٢ ــ الاعتراف بوحدة الشعب السورى والمملكة التى يقيم فيها

٣ ــ دفع نصيب سورية من حصة الجمارك حسب اتفاق مؤتمر حيفا

ولما عرضت هذه المطالب على الجنرال غورو رفضها وقال انه يكتفى بتصريح المسيو ميلران (انظر ص١٤٤) وان حكومته لاتسمح له بتغيير شيء مما ورد فيه

و يقول الركابى فى صدد هذا الحادث «انه أشار على الملك ــ حينما كان رئيسا للوزراء بأن يسمح للفرنسويين بنقل قواهم بسكة الحديد و بأن يرسل جنودا سورية للاشتراك معهم لأنهم يدافعون عن الحدود السورية و يؤدون واجبا كان يجب على الحكومة السورية أن تؤديه . وان الملك وافق مبدئيا على رأيه ووعده بتنفيذه ولكنه عدل عنه فى النهاية بتأثير العناصر الأخرى التى أشارت بالاتفاق مع الترك والمضى فى نضال الفرنسويين حتى النهاية لحملهم على الاعتراف باستقلال البلاد تحت تأثير الضغط »

وسافر يوسف العظمة وزير الحربية فى تلك الأيام الى حلب ومنها قصد اعزاز «مدينة صغيرة على الحدود التركية » فاتصل بمندوبى الحكومة الكمالية وباحثهم فى انشاء تعاون عسكرى بين الحكومتين فوعدوه بأن يطلعوا حكومتهم على اقتراحاته و يبلغوه الجواب . ولم تقترن تلك الجهود بنتيجة ايجابية لأن الفرنسويين عقدوا هدنة مع الترك فى تلك الأيام

الملك فيصل والانتداب

و بمناسبة دخول شهر رمضان فى تلك الأثناء ، أدب الملك مأدبة افطار فى قصره يوم ٢٨ مايو دعا اليها كبار القوم وعظماءهم و بعد الطعام ألقى الخطبة الآتية :

« أريد بهذه المناسبة أن أقول كلمات أعلم أنها تهم الأمة كثيرا نعم ان هذه الكلمات كانت منتظرة من الحكومة لا منى لأنى غير مسؤول ولكنى أستسمح رئيس الوزارة وأقول:

« ان الأمة اليوم فى شوق عظيم لمعرفة حالها ومصيرها فقد بلغنا القرار الذى وضع فى سان ريمو بشأن مستقبل بلادنا بصورة مجملة فيئس البعض من جراء ذلك وظن أنه قضى

على مستقبلنا وأن كل سعى نبذله لا يأتى بفائدة . وقال القسم الأعظم من سكان البلاد : لقد قضى علينا ونحن لا نريد أن نستعبد فلنمت شرفاء

«هاتان هما الفكرتان السائدتان اليوم وكلتاهما غير مطابقتين للحقيقة لأنه لم يقض علينا بالفناء لنيأس ولا قضى علينا بالاستعمار لكى نقول يجب أن نموت شرفاء

«لماذا قضى علينا ؟ من المعلوم أنه اتخذ قرار يعترف باستقلال سورية على مايقال ويجعلها تحت الانتداب ! ولكن ماهو الانتداب ؟ وما هى كيفيته ؟ وهل يقضى علينا ؟ هذا مالا يزال مجهولا .

« لقد اتخذت الامة قرارا من قبل أعلنت فيه استقلالها وقالت انه يجب على الأمم أن تعترف به . فكما أننا اتخذنا قرارا يوافق مصلحتنا فقد اتخذوا قرارا لأنفسهم يلائم مصالحهم . وكل من الفريقين يدعى الحق لنفسه ولكن مابينهما من الود لا يجعل أحدهما يعتدى على حقوق الآخر وان كان كل منهما ينظر الى مصلحته قبل مصلحة سواه

«الأمة السورية أعلنت استقلالها وفقا لمصالحها أما الدول فمع اعترافها بهذا الاستقلال اشترطت لقبوله شروطا تلائم مصالحها أيضا وعندما أعلنا استقلالنا قلنا باحترام مصالح الجميع لنكون فى تآلف مع الشعوب التى حار بنا معها. ثم ان الدول وضعت شروطا وقالت لنا تعالوا لنؤلف بين مصالحنا ومصالحكم . فيظهر من هذا أنه لا ضيم علينا حتى الآن وأن أبواب المذكرات مازالت مفتتحة أمامنا وأنه ينظر الينا كأمة مستقلة

«ان كلمة الانتداب لاحد لها ولا معنى صريحا لها وقد رفضتها الأمة رفضا باتا ولا يقبلها أحد يريد الحياة . فهى كلمة مطاطة تفسر طورا بأشد أنواع الاستعمار وتارة بأخف ضروب المعاونة الودية التى لا تمس الاستقلال ومع ذلك فقبولها عار على كل أمة تريد الحياة

« أرجو من الأمة أن تعلم ان رئيسها أو حاكمها أو ملكها الذى انتخبته هو على هذا المبدأ لا يرضى أن يقال ان المملكة التى هو رئيسها تحت قيود مملكة أخرى فالأمة التى عاشت قرونا عديدة ومدنت العالم لا يمكن أن تتقيد بهذه القيود وأريد أن لا يكون رفض الانتداب مقتصرا على القول فقط

« تذكرون جميعكم أنى كنت دائما أقول ولا سيما بعد رجوعى من أوربا ان الاستقلال يؤخذ ولا يعطى . أنتم تطلبون منى الاستقلال وأنا أطلب منكم الوسائل .

تذكرون اننا لما كنا تحت سلطة الاحتلال وكانت الحكومة بدون قوة اجرائية والأمة محتاجة الى القوة أى الى الجند أردت أن أظهر للأمة ضرورة التجنيد فتطوعت جنديا بسيطا ولم يكن فى الامكان حينئذ وضع قانون للتجنيد بسبب الاحتلال فلما جلا الجيش البريطانى عن البلاد رأت الحكومة ضرورة التجنيد لحفظ النظام أولا وللمدافعة عند الحاجة ثانيا فوضعت قانون التجنيد ورأينا الفرق بين الجند قبلا عند ما كان متطوعا وبقى أكثر من سنة دون أن تتمكن من تنظيم وحدة للاستعراض فضلا عن الدفاع وبينه الآن. على أنه لم يمر شهران على وضع قانون التجنيد حتى رأينا أن لنا جيشا ولو قليلا، ونظاما ولو فى حال الطفولية. ولكن الحكومة ترى أن هذا الجيش لا يكفى لحاجة البلاد داخلا وخارجا ولا سيما وأن ذلك القانون كان قد استثنى قسما عظيما من الخدمة.

« ان الأمم تنظر الينا من وجهتين: الأولى نظرة صديق يريد منا أن نظهر بمظهر منظم عظيم ويخشى وقوع حادث يعكر علينا ويفسح المجال لاظهارنا بمظهر الهمجية والثانية نظرة فريق ربما يطمع فينا. فالحكومة مجبرة على ايجاد القوة التى تفرح صديقها وتدافع ولو عن كيانها وتحافظ على نظامها لا سيما وأن المناطق السورية المحتلة هى فى حالة فوضى أخشى أن تسرى الينا وتسىء بسمعتنا فى الخارج فيجب أن تسهر الحكومة على حفظ النظام فى الداخل وعلى ايجاد قوة تجعلنا محترمين من أصدقائنا وأعدائنا ولا أعرف لنا عدوا

« ان الامة تريد الاستقلال وترى أن كل وزارة أو حكومة لا تعلن أنها دفاعية لا تصلح لها فالامة التى تطلب هذا يجب أن تقدم الوسائل اللازمة له من المال والرجال. يجب أن لا يتسرب اليأس الى نفس أحد منا وعلى المفكرين والعقلاء وأرباب الصحف أن يحولوا دون ذلك فنحن سنعيش ولن يمس استقلالنا بسوء

«ولا شك أن هذه الامة التى بذلت عشرات الالوف من الضحايا فى غاليسيا والقوقاس والعجم والروم ايلى خدمة لمصالح غيرها لا تتأخر عن بذل أضعاف ذلك دفاعا عن كيانها وحريتها ولو كانت خارجة من حرب طويلة منهكة. ولما كان من غير المستطاع ايجاد جند بلا مال فقد أصدرت الحكومة قرضا مضمونا يمكنها من ايجاد قوة تضمن حياتها المقبلة فأرجو من الأمة أن تقبل عليه وتثبت للعالم المتمدن انها لا تحتاج من الخارج حتى ولا للمال فلديها كل شىء عند اللزوم

« لقد اعتادت الحكومات أن تصدر قروضا عند الأزمات يكون الاقبال عليها مقياسا لحياتها فأريد أن يصادف هـذا القرض اقبالا عظيما سيما وهو مضمون برهائن عظيمة تعود بالفائدة على حاملي اسناده فاستنهض الهمم للاقبال عليه وعلى الجندية ولا شك فى أنه لن يتأخر عن ذلك الا من كان عدوا للوطن

« ان جميع الحاضرين هنا هم أعين هذه الأمة التى تبصر بهم صالحها ونجاحها فعليهم أن يسعوا لارشادها الى هاتين الغايتين الشريفتين المال والجندية فيكونوا بذلك خير مساعدين لحكومتهم وأمتهم

« هـذا ماأرجوه من الأمة وأوصيها بالانصراف الى الجد والرزانة فى جميع حركاتها وسكناتها . أما الذين يقولون بالاستماتة فى سبيل الحياة الحرة والموت الشريف فانى أقدس فكرتهم وأعد نفسى فردا من أفرادهم ومتى دنت ساعة الخطر فسأكون أول من يموت بيد انى أطمئنهم بانه لم يحكم علينا بالاعدام فهذا الحكم لم يصدر ولن يصدر . وعلينا أن نستعد ونتروى وأن لاتكون حركاتنا تابعة للخيالات بل للماديات والمحسوسات

« ان مسألة سورية من أعظم مشاكل العالم التى يصعب حلها فلا يحكم فيها حكما نهائيا بمجرد قول جريدة أو خطبة يخطبها مسؤول أو غير مسؤول فالحكومة التى رئيسها أمامى أسأله أنا والأمة عن نتيجة أعماله تنتظر اليوم نتائج الأمور فأريد من الأمة أن تثبت الى النهاية وأن تنتظر النتيجة برباطة جأش وتمد حكومتها بالمال والرجال ولنبذل جهدنا والتوفيق منه تعالى وأرجو أن نكون فى العام المقبل حول هـذه المائدة وقد نسينا هذه الأيام العصيبة »

الهدنة بين الترك والفرنسويين

وبينما كان رجال الحكومة السورية يدبرون التدابير ويجمعون القوى أذيع فى دمشق يوم ٥ يونيو سنة ١٩٢٠ نبأ عقد هدنة بين الفرنسويين والترك فقد أدرك الفرنسويون عجزهم عن الثبات فى الشمال والغرب وعرفوا أنه ليس فى استطاعتهم التغلب على هـذه القوى كلها فاتصلوا بالترك ثم اتفقوا معهم على عقد هدنة تكون مقدمة لصلح وهذا نص الشروط :

من مصطفى كمال رئيس مجلس الأمة الكبير

الى رئيس القيادة فى عينتاب

« تم الاتفاق بيننا و بين الفرنسويين بعد مذاكرات على الشروط الآتية :

١ ـ تعقد هدنة بيننا و بينهم من منتصف ليلة ٣٠ مايو

٢ ـ ينسحب الفرنسويون الذين فى بوزانطى وسيس بعدائهم وذخائرهم الى خط اطنه ـ مرسين و يجلون عن عينتاب وتنسحب قواهم من داخل المدينة الى معسكرهم فى خارجها و ينبغى أن يتم الجلاء عن بوزانطى وسيس وعينتاب فى خلال عشرة أيام من ابتداء الهدنة

٣ ـ نرد الى الفرنسويين أسراهم فى خلال عشرة أيام من ابتداء الهدنة ويردون الينا من بيدهم من أسرانا أو من أسرى المسلمين المعتقلين لأسباب سياسية

٤ ـ تكون لنا حرية الاتصال بوالى اطنه والموظفين العثمانيين وينبغى التحاجز (ترك القتال) من صبيحة يوم الاثنين ٣٠ مايو ويتقدمه وضع التعليمات اللازمة بشرط الجلاء عن بوزانطى وسيس وعينتاب وتبادل الأسرى

وينبغى أن لايأتى صباح ٣٠ منه حتى تكون بلغت الخطوط الأمامية هذه الأوامر وأطلب أن يحافظ عليها بدقة »

تلك هى شروط الهدنة التى عقدت بين الترك والفرنسويين فكنت هؤلاء من نقل جنودهم التى كانت تحارب فى الشمال الى اسكندرونه وقاطمه على حدود حلب ولم يكد ينصرم شهر يونيو حتى كان عندهم نحو ٥٠ ألف جندى فى تلك المنطقة مجهزين بالسلاح الكامل فضلا عن القوات الأخرى التى كانت محتشدة فى بيروت والجبل والمناطق الأخرى وما كانت تقل عن العشرين ألفا

وجهز الفرنسويون على الأثر حملة كبيرة زحفت على بلاد الجنوب (صيدا وصور ومرجعيون) لطاردة العصابات التى استفحل نفوذها فى تلك الجهات وكانت قد هاجمت صور ومرجعيون وكادت تحتلهما فأحرقوا كثيرا من القرى والضياع ودمروها . وفى يوم السبت

٥ يونيو عقد اجتماع كبير فى مدينة صيدا أصدرت السلطة الفرنسوية عنه البلاغ الآتى :

«فى صباح السبت ٥ يونيو اجتمع بناء على دعوة الحكومة فى صيدا أعيان أقضية صيدا وصور و ومرجعيون من شيعيين ومسيحيين ودروز و بلغ عددهم أكثر من ٢٠٠ فألقى عليهم الكولونيل نيجر خطابا شديد اللهجة وجهه الى الشيعيين ثم تلا عليهم الأحكام قائلا ان الحكومة يسوءها أن يحكم على وجهاء الشيعيين بهذه الأحكام الصارمة ولكنهم هم الجناة على أنفسهم وهذه خلاصة الأحكام :

حكم بالاعدام على صادق حمزة واحمد المحمود بزة ومحمد التامر وعبد الحميد بزة ويوسف طاهر وأدهم خنجر وكثيرين غيرهم

وحكم بالنفى المؤبد على كامل الأسعد والسيد عبد الحسين شرف الدين والحاج محمد سعيد بزة وراشد عسيران ومحمد الحاج حسن عبد الله واخوته!

و بعد تلاوة هذه الأحكام قال الكولونيل ان الحكومة أعدمت جميع الثوار الذين حاولوا متابعة حركاتهم أثناء وجود الحملة وعددهم يقدر بثلاثين . ثم طلب من الحاضرين اعلان قبولهم الشروط الآتية لاسترداد الحالة وهى :

١ ــ دفع غرامة قدرها مئة ألف جنيه مصرى

٢ ــ ارجاع المسلوبات الى أصحابها

٣ ــ اعطاء تعهد خطى للحكومة بالمحافظة على المسيحيين الذين يبقون فى قراهم

٤ ــ جمع الأسلحة من أقضية صور وصيدا ومرجعيون

٥ ــ تسليم المجرمين أينما وجدوا

٦ ــ القاء المسؤولية على عواتقهم عن كل أمر يجد وكل قتيل يقتل فى أحد الاقضية الثلاثة

وأمهل الكولونيل الحاضرين الى الساعة الثالثة ليتداولوا ويعطوا الجواب على شروطه. وفى الوقت المعين قدموا تعهدا خطيا ذيلوه بالذيل الآتى ووقعوه بتواقيعهم وهو :

نتعهد بدفع مئة ألف جنيه مصرى للتعويض عن الخسائر التى لحقت بقرى المعتدى عليهم ونتعهد بأن نساعد الحكومة على جمع الأسلحة من الأهالى ونسلم المجرمين اذا رأيناهم

ولا نقدر أن نحافظ على مسيحيي الأقضية من هجوم خارجي وانما نكون مسؤلين اذا اشتركت قوانا فى هذا الهجوم

وبما أننا لايمكن أن نكون فى وقت واحد فى كل مكان لايسعنا أن نحمل مسؤلية ما يقع على عواتقنا غير أننا سنبذل الجهد للحيلولة بكل قوانا دون وقوع حوادث جديدة تستوجب المسؤلية

وفى ١٧ منه نشر فى بيروت البلاغ الآتى :

« لاتزال الحملة العسكرية تواصل أعمالها فى قضاء صور وجميع رؤساء القبائل والقرى فى حدود المنطقة الجنوبية جاءوا مظهرين خضوعهم ودفعوا الغرامة وسلموا الاسلحة كما تقرر

« وقد قبض على بعض المتمردين فأعدموا رميا بالرصاص وامتنعت قريتان فقط عن القيام بالتعهد فأكرهتا بالقوة

« وقد أعيد تأليف عصابات صادق حمزه وأدهم خنجر فى المنطقة الشرقية وجاءت هذه العصابات الى قريتى عديس والطيبة لاكراه الشيعيين المقيمين فيهما على الانضمام اليها لاثارة فتن جديدة فلما أبى سكانهما الانصياع لتلك العصابات نهبت القريتين فأرسلت قوات قومندان صيدا بسرعة الى محل الحادث لنجدتهما

« وحاولت عصابة قوية فى الشمال من الشيعيين مهاجمة قرية فوبانات المارونية فأرسلت فى الحال قوة كبيرة وبددت شمل العصابة »

ونشرت شركة هافاس يوم ٢٣ منه البرقية الآتية :

أخفقت العصابات التى حملت على جديدة ومرجعيون اخفاقا تاما وخسرت أربع مئة قتيل

وأصاب مثل هذا الفشل عصابات الشيخ صالح حول طرطوس وفر الشيخ صالح نفسه

حادث مجلس ادارة لبنان

وبينما كان النضال دائرا بين الفريقين ورجال العصابات فى الجنوب (جبل عامل) وفى الشمال (جبل النصيرية) بأقصى شدته كان الأميرالاى سعيد بك البستانى قائد الجند اللبنانى السابق يتردد على دمشق ويقابل جلالة الملك فيصل بغية ايجاد تفاهم بين دمشق

ولبنان فقد سئم أحرار لبنان المعاملة السيئة التى يعاملهم بها الموظفون الفرنسويون وفى مقدمتهم الكومندان لابرو متصرف الجبل فقد كان يتطاول على أعضاء مجلس الادارة (برلمان الجبل) ولا ينفذ قراراتهم كما تطاول الليوتنان ماسيت مستشار الجند اللبنانى على قائد الجند العام الأميرالاى سعيد بك ولم يطق هذا الاقامة على الذل فاستقال وانصرف الى خدمة القضية الوطنية

بدأت المحادثات فى أواخر شهر مايو بواسطة نجيب الاصفر فى بيروت بين كل من سعد الله الحويك أحد أعضاء مجلس الادارة والياس الحويك ترجمان المتصرفية وابن أخيه و بين جيل الالشى ضابط الارتباط العربى فى بيروت على قاعدة استقلال الجبل وحياده بعد تكبيره وقد اشترك فيها أخيرا سليمان كنعان والياس الشويرى من أعضاء المجلس والأمير أمين ارسلان و بعد أخذ ورد تم الاتفاق على وضع مضبطة بطلب الاستقلال التام للبنان على أن يحملها أعضاء مجلس الادارة و يسافروا بالذات الى دمشق ومنها الى حيفا فباريس حيث يلاحقون قضيتهم أمام مؤتمر الصلح وعلى أن تدفع لهم عشرة آلاف جنيه لنفقات سفرهم ر يثما يصلون الى باريس ــ وقد تعهدت الجمعيات اللبنانية فى أميركا بأن تقوم بدفع نفقاتهم مدة اقامتهم هنالك وجمعت الاعانات فعلا ــ وقد دفع لهم المبلغ المتفق عليه تناوله سليمان بك كنعان باسم قرض من عارف النعمانى بضمانة الأمير أمين ارسلان بعد ما كتب عليه سندا ووزعت الأموال على الذين تقرر أن يسافروا كما تقرر أيضا بأن تكف العصابات بعد توقيع المضبطة عن مهاجمة الأراضى اللبنانية وقد نفذ هذا الاتفاق

وكانت المفوضية العليا على علم بكل ما يجرى وكانت تطلع عليه بواسطة أحد موظفيها وكان يحضر الاجتماعات السرية فى منزل نجيب الأصفر . وقد قدمه هذا الى أعضاء المجلس طالبا اليهم أن يثقوا بثقتهم بأنفسهم بحجة أنه من الناقين على الفرنسويين ووعدهم هذا أن يسافر الى حيفا يوم سفرهم و يرافقهم الى باريس

وفى يوم ١٠ يوليو وضعت المضبطة المطلوبة ووقعها سبعة من أعضاء المجلس هم : سعد الله الحويك وخليل عقل وسليمان كنعان ومحمود جنبلاط وفؤاد عبد الملك والياس الشويرى ومحمد الحاج محسن وتخلف يوسف البريدى وكان متضامنا مع الأعضاء الموقعين

بسبب مرضه وأرسل نسيبه مخول قاصوف للاشتراك فى اجتماعاتهم ووعد بأن يلحق بهم الى دمشق . ولم يكاشفوا داود عمون بالأمر لأنهم ما كانوا يثقون به ولم يفاتحوا حبيب السعد

وهذا نص المضبطة الموضوعة :

ان مجلس ادارة جبل لبنان النيابى المؤلف نظاما من ١٣ نائبا وفى الوقت الحاضر من ١٢ نائبا عاملا بسبب خلو مركز احد نائبي كسروان المستقيل قد وضع نهار السبت الموافق ١٠ يوليو سنة ١٩٢٠ بأكثريته الكبرى القرار الآتى :

انه لما كان اللبنانيون ، منذ أعلنت الدول العظمى حق انشاء الحكومة الوطنية لشعوب هذه البلاد ، قد طلبوا ومازالوا يطلبون تأييد حقوقهم بتأسيس حكومة وطنية مستقلة

ولما كان استقلال جبل لبنان ثابتا تاريخيا ومعروفا منذ أجيال طويلة وموقعه وطبيعة أهاليه الموالفة للجرية الاستقلالية منذ القدم مما يستلزم استقلاله وحياده السياسى أيضا لوقايته من المطامع والطوارىء ، وكان مع ذلك من أهم مصالحه وراحة شعبه الوفاق وصفاء العلاقات مع مجاوريه وقد دل على ذلك ماأحدثه التقاطع من ثوران الجهلاء لارتكاب الحوادث المؤلمة المقلقة المتسلسلة من السنة الماضية الى هذه الآونة

فبناء على ماتقدم قد بذل هذا المجلس مزيد الاهتمام توصلا لوفاق يضمن حقوق البلدين المتجاورين سورية ولبنان ومصالحهما ودوام حسن الصلات بينهما فى المستقبل وبعد البحث فى هذا الشأن وجد أنه من الممكن الوصول الى ذلك بمقتضى البنود التالية :

١ ــ استقلال لبنان التام المطلق

٢ ــ حياده السياسى بحيث لايحارب ولايحارب ويكون بمعزل عن كل تدخل حربى

٣ ــ اعادة المسلوخ منه سابقا بموجب اتفاق يتم بينه وبين حكومة سورية

٤ ــ المسائل الاقتصادية يجرى درسها وتقرر بواسطة لجنة مؤلفة من الطرفين وتنفذ قراراتها بعد موافقة مجلس لبنان وسورية

٥ ــ يتعاون الفريقان فى السعى لدى الدول للتصديق على هذه البنود الأربعة وضمانة أحكامها

ولأجل التمكن من العمل على ذلك بحرية وبمعزل عن ضغط وتأثير خارجى ولأجل

السعى الناجح فى المراجع الايجابيــة لتقرير أحكام البنود الأربعة المتقدم بيانها والتى هى مطالب الأمة اللبنانيــة ومصلحة لبنان الحقيقة المنزهة عن المآرب والأغراض الخصوصية وبالنظر لنيابة هــذا المجلس عن الشعب اللبنانى القانونيــة والمؤيدة مؤخرا أيضا باصوات أكثرية الشعب الكبرى قد قررت أكثرية المجلس موقعة هذه المضبطة الانتقال والتوجه بالذات لملاحقــة ومتابعة تقرير مضمون البنود الآنف بيانها فى أعمــال القضية والمراجع الايجابية وابلاغ هذا القرار بكامله الى المقامات الرسمية والسعى بالطرق الممكنة

فؤاد عبد الملك   محمود جنبلاط   سليمان كنعان   خليل عقل   سعد الله الحويك

محمد الحاج محسن   الياس شويرى

وتم الاتفاق على أن يسافر الأعضاء منفردين يوم السبت ١٠ يوليو الى دمشق لئلا يلفتوا الأنظار فقرر الفرنسويون القبض عليهم فورا وأرسلوا قوات رابطت عند نفق جانا والمسالك الأخرى وكانت السيارة المقلة لسعد الله الحويك وابن أخيــه الياس أول ماوصل فلما شاهد الأول هذا الاستعداد قال لابن أخيه « لقد وقعنا » واستقبلهما ضابط فرنسوى وقال لهما يجب أن تعودا الى صوفر لتحصلا على تصريح بالسفر وأرسل معهما جنديين فالتقيا فى عودتهما بسيارة أخرى فيها اثنان من زملائهما فلما بلغا صوفر أرسلا منها الى منزل حبيب باشا السعيد وجاء الكولونيل نيجر والكومندان لابرو ومدير الأمن العام فحققوا معهم وقبض أيضا فى اليوم نفسه على الأميرالاى سعيد البستانى والأمير أمين ارسلان وعارف النعمانى والياس عقل نجل خليل عقل وسجنوا منفردين ثم نقــلوا الى السراى القديمة وفى يوم ١٨ منه بدأت محاكمتهم أمام مجلس عسكرى مؤلف من الضباط ديبوى وكلنسو ولابير برئاسة الكولونيل بكروسون بتهمة الخيانة الوطنية العظمى وفى يوم ١٩ منه حكموا عليهم الأحكام الآتية :

خليل عقل نفى عشر سـنين مع اعادة ١٤٠٠ لـيرة ودفع ٢٠٠٠ غرامة ومثــله سليمان كنعان مع ابلاغ الغرامة الى ٢٨٠٠ ونفى سعد الله الحويك ٨ سنوات واعادة ١٤٠٠ وغرامة ٢٨٠٠ ليرة ونفى فؤاد عبد الملك ١٠ سـنوات واعادة ٨٠٠ ليرة ودفع ١٦٠٠ ليرة غرامة ونفى محمد محسن ٨ سنوات وترجيع ١٤٠٠ ليرة وغرامة ٢٨٠٠ ليرة ونفى محمود جنبلاط

٧ سنوات واعادة ١٣٥٠ ليرة وغرامة ٢٧٠٠ ليرة ونفى الياس الشويرى ١٠ سنوات مع اعادة ١٥٠٠ ليرة وغرامة ثلاثة آلاف ليرة ونفى سعيد البستانى عشر سنوات ونفى الأمير أمين ارسلان ٦ سنوات ورشيد عقل ٨ سنوات والياس الحويك ٩ سنوات مع ترجيع ٣٠٠ ليرة وغرامة ٦٠٠ ليرة

وأرسل المحكوم عليهم الى ارواد فظلوا فيها حتى أواخر شهر أغسطس سنة ١٩٢٠ ثم أعيدوا الى بيروت ومنها نقلوا الى جزيرة كورسيكا فأقاموا فيها نحو ثمانية أشهر نقلوا بعدها الى باريس وظلوا فى الاعتقال حتى أواخر سنة ١٩٢٣ فأطلق سراحهم فعادوا الى أوطانهم

الغاء مجلس الادارة

وأصدر الجنرال غورو يوم ١٢ يوليو سنة ١٩٢٠ وعلى أثر هذا الحادث قرارا بالغاء مجلس الادارة هذا نصه :

١ ــ ألغى مجلس ادارة لبنان لعدم استطاعته القيام بوكالته

٢ ــ تقوم مقامه لجنة إدارية موقتة ريثما يعين النظام الاساسى للبنان الكبير ويمكن الشروع بالانتخابات النيابية

٣ ــ يعين أعضاء اللجنة الادارية فيما بعد

وأرسل حبيب السعد والمطران مبارك وأميل اده وداود عمون والدكتور أيوب ثابت برقيات الى الجنرال غورو يستنكرون فيها أعمال أعضاء مجلس الادارة ــ لانهم طلبوا الاستقلال ــ و يتبرأون منهم و يضيفون اليهم لقب الخيانة ــ أى انهم مثلوا نفس الأدوار التى كان جمال باشا يمثلها فى عهده زمن الحرب ــ فكان يحمل كبار القوم بالقوة ــ على ارسال برقيات يكتبها رجاله وتستهل باستنكار حركات الأحرار وتصرفاتهم وتختم بشكره لمعاقبته الخونة وتخليصه البلاد من شرورهم ، على أنه لابد لنا من القول أن المطران مبارك غير رأيه حينما اطلع على المضبطة فى أثناء المحاكمة وقال لو كنت أعرف أنهم يطلبون هذه المطالب لما أرسلت احتجاجى . وذهب الكومندان ترابو والشيخ يوسف الخازن الى بكركى صباح الأحد ١١ يوليو أى غداة القبض على الأعضاء ــ وما كان البطريرك يعرف شيئا لأن أخاه وابن أخيه كتماعنه الأمر وانقطعا عن زيارته من ابتداء المفاوضات ــ وقالا

له ان « الجماعة » اتفقوا مع الملك فيصل وباعوا البلاد وخانوها وأن الجنرال غورو يطلب اليك أن تحتج على عملهم فاحتج مع المحتجين . على أنه ذكر الجنرال غورو بأمرهم حينما اجتمع به في بيروت يوم أول سبتمبر سنة ١٩٢٠ فأجابه أنه لم يأن أوان البحث في قضيتهم فلم يعد الى اثارتها ثانية . وقد فترت العلاقات بينهما بعد هذا الحادث

وننشر هنا نص البلاغ الفرنسوى الذى أذيع فى بيروت يوم ١٢ يوليو عن هذا الحادث بنصه للمقابلة بينه و بين ماأوردناه :

« علم من مدة طويلة أن حكومة دمشق تعمل فى المنطقة الفرنسوية على نشر دعوة يراد بها احباط النفوذ الفرنسوى ودفع الأهلين بوسائل منكرة الى الاحتجاج على الانتداب الفرنسوى ولقد أحبط ولاة الأمور الفرنسويون ضربا من ضروب هذه المناورات. وتحرير الخبر أن جماعة من وسطاء حكومة دمشق الشريفية رشوا ثمانية من أعضاء مجلس ادارة لبنان بمبلغ اثنين وأربعين ألف جنيه فحاول هؤلاء الأعضاء أن يبرحوا المنطقة الفرنسوية الى دمشق ثم يسافروا من أحد موانىء المنطقة البريطانية الى أوربا بناء على ايعاز من الأمير فيصل ليجاهروا فيها ـ خلافا لعواطف أهل لبنان التى أظهروها وأكدوها تكراراً ـ بان لبنان غير مستعد لقبول الانتداب الفرنسوى و يشهروا بذلك

« فهذا ماتفعله حكومة دمشق التى ما فتئت تظهر عداء ظاهرا منذ أشهر مع أن ولاة الأمور الفرنسويين يظهرون لها الملاينة والمسالمة ولم تخش حكومة دمشق من عواقب تسليح العصابات وارسالها الى المنطقة الغربية لمقاتلة جنودنا ولم تحجم عن أن تنشر فى صحف دمشق أقوالا يمجها الذوق عن الجنرال غورو وأن تحرض الأهالى على رفض مساعدة فرنسا وأن تسىء معاملة مريديها والذين تحت حمايتها كالأمير مختار عبد القادر . ولقد كان للحادث الجديد اليوم ـ حادث أولئك الأعضاء وقع عظيم فى بيروت ولبنان ـ حيث تظاهر الأهالى ضدهم وهم يستعدون لاقامة مظاهرة كبيرة يوم ١٤ يوليو ضدهم »

وقد زاد هذا الحادث فى نقمة الفرنسويين على حكومة دمشق لانه كاد يخرج موارنة لبنان من أيديهم وهم عدتهم التى يعتمدون عليها فى نضالهم للاستيلاء على بلاد الشام بعد ماخذلهم المسلمون على اختلاف طوائفهم وتخلى عنهم الروم الأرثوذكس والبروتستانت و وقفوا صفا واحدا أمامهم يعلنون أنهم يرفضون انتدابهم و يأبون التعاون معهم ، ولاريب

أن خروج هـذه الهيئة عليهم وهى الهيئة الرسمية الوحيدة التى تمثل لبنان ومحاولتها السفر الى دمشق واعلانها باسم لبنان أنها تطلب الاستقلال التام ، وينطوى هذا ضمناً على رفض الانتداب الفرنسوى قد أقلقهم وجعلهم يعجلون فى ضرب حكومة دمشق وفى العمل على التخلص منها ليأمنوا الطوارىء ولـكيلا يستهدفوا لحادث مثل هذا

الإنذار الفرنسوى الأخير الى الحكومة السورية
ومذكرات الملك الى الحلفاء

و بينما كان ولاة الأمور الفرنسو يون يبرقون و يرعدون وصل اللواء نورى السعيد الى بيروت يوم ١٠ منه مصحوبا بالـكولونيل طولا الفرنسوى (ضابط الارتباط الفرنسوى فى معية الملك وقد جاء معه من باريس حين عودته فى المرة الأولى) للاتصال بالجنرال غورو والبحث معه فى وضع خطط الرحـلة التى يرحلها جـلالة الملك الى أوربا تلبية لدعوة مؤتمر الصلح ولاتمام المباحثات السياسية فأبى الجنرال الدخول فى التفاصيل وسلم الأول انذارا شفهيا حمله الى دمشق مساء ١١ منه يطلب فيه :

١ ــ قبول الانتداب الفرنسوى بدون قيد ولا شرط

٢ ــ ارجاع الجيش السورى الى الحالة التى كان عليها فى شهر فبراير

٣ ــ التعامل بورق النقد السورى

٤ ــ احتلال محطات سكة حديد رياق ــ حلب و بعلبك وحمص وحماه احتلالا عسكريا واحتلال مدينة حلب نفسها

وقال انه لايوافق على سفر الملك الى أوربا مالم تحل المسألة السورية حلا نهائيا وانه اذا سافر عن طريق غير بيروت فالحكومة الفرنسوية لا تحادثه ولا تستقبله

ولما تلقى جلالة الملك هذا الانذار أبلغ فى اليوم نفسه (١١ يوليو) البرقية الاحتجاجية الآتية الى الماركيز باترنودى مانـكى قنصل ايطاليا العام فى دمشق بصفته عميد القناصل وممثل دولة كبيرة حليفة لارسالها الى مؤتمر الصلح العام والى جمعية الأمم ولابلاغها الى قناصل

الدول فى دمشق لارسالها الى حكوماتهم وهى.(١)

« بعد ماحشد الجنرال غورو جيوشه على الحدود الفاصلة بين المنطقتين الشرقية والغربية وانشاء قواعد حربية، طلب قبول مطالب فرضها علىّ وفيها انتهاك صريح لسيادتنا الوطنية وقد اعترف حتى الآن بجزء منها بطريقة غير رسمية وقال انه سيضع العقبات فى سبيل سفرى الى باريس اذا لم تجب مطالبه وان الحكومة الفرنسوية ترفض أن تحادثنى فى القضية السورية اذا سلكت فى سفرى سبيلا غير المنطقة الغربية

« وانى ألفت الى عمله هذا نظر دول الحلفاء وجمعية الأمم راجيا أن يتدخلوا ويحولوا دون سقوط الشعب السورى أمام القوة فلا يكون فريسة للروح العسكرية وقد كان القضاء عليها من جملة أغراض الحرب العظمى وألجأ الى عدالتهم ليحجبوا الدماء وليصونوا هذه البلاد التى ضحت ضحايا كثيرة فى سبيل قضية الحلفاء من خراب عام وذلك بأن يؤلفوا لجنة تحكيم دولية تعرض عليها مطالب الجنرال غورو لدرسها وأتعهد وشعبي مقدما بقبول قراراتها والخضوع لها فيصل

وفى يوم ١٢ منه أرسل سكرتير جلالته الى قنصل ايطاليا العام البرقية الآتية لابلاغها الى قناصل الدول فى دمشق ليرسلوها الى حكوماتهم وهى :

لى الشرف أن أطلعكم على مايأتى

١ ـ فى ليلة ١٢ الجارى جاءت القوات الفرنسوية المرابطة فى جرابلس فعسكرت فى جسر الساجور

وجاءت فصيلة فرنسوية مسلحة بالرشاشات الى رياق فانضمت الى بضعة الجنود الفرنسويين الذين نالوا حق الاقامة هنالك باتفاق خاص للمحافظة على مستودع السلطة فى المنطقة الغربية

ووصل الى رياق الكبتن هاك الحاكم العسكرى لزحله فأبلغ سلطاتنا احتلال رياق من قبل الجنود الفرنسوية

---

(١) هذه البرقية والبرقيات الأخرى التى تبودلت من ١٠ حتى ٢٧ يوليو هى من محفوظات الأستاذ توفيق اليازجى

٢ ـ لقد حدثت هذه الحوادث فجأة ومن دون موافقتنا بل من دون اطلاعنا عليها قبل وقوعها وهى لاتتفق مطلقا مع التاكيدات التى تلناها بالمحافظة على الحالة الحاضرة

٣ ـ رغبة منى فى انقاذ السلام وفى المحافظة على روابط الصداقة والود حتى النهاية لم إتخذ حتى هذه الساعة أى تدبير فى مقابل هذه الأعمال العدائية

ويظهر لى بجلاء ووضوح أن الثقة التى وضعناها فى حلفائنا الفرنسويين ستنتهى باحتلال بلادنا كلها و بيت صلات الصداقة والتحالف بيننا و بينهم

وفى الختام انى آسف لابلاغكم بانى أعتبر الحركة الجديدة للجيش الفرنسوى فى داخل منطقتنا عملا عدائيا تقع تبعته كاملة على عاتق مسببيه

فيصل

مذكرة الى الحلفاء

وفى اليوم نفسه أرسل جلالة الملك المذكرة الآتية الى دول الحلفاء بواسطة الحكومة الايطالية وعلى يد قنصلها العام فى دمشق وهى :

ياصاحب السعادة

بصفتى رئيسا للشعب السورى حليف بلادكم والذى جاهد فى سبيل القضية المشتركة أوجه نظركم الى الحالة الحرجة التى نشأت فى سورية حيث السلام محفوف بأشد الأخطار

وانى أخاطبكم بصفتكم ممثلى إحدى دول الحلفاء الكبرى التى اشتركت فى مؤتمر الصلح الذى أخذ على عاتقه مهمة توطيد السلام فى العالم كله والتى اعترفت فى مؤتمر سان ريمو باستقلال بلادى ، ودعتنى الى القدوم لمحادثتى بصفتى رئيس هذا البلد المستقل فأقول لكم بصراحة وجلاء انى بينما كنت أعد المعدات الى السفر تلبية للدعوة التى وردت الى تلقيت أنباء مزعجة عن حركة الجيوش الفرنسوية بقيادة الجنرال غورو فاثارت شكوكى من جهة نياته السليمة رغم تصريحاته المتكررة لى بانه يشعر شعورا وديا نحونا ، بيد أن حركاته فى الأيام الأخيرة وحشده الجيوش على طول خط الحدود وسلوك سلطات الاحتلال أثبتت لى بجلاء أن أفعاله لاتتفق وأقواله

هـذا من جهة أما من الجهة الأخرى فانى أبلغت بصفة شبه رسمية انه يعلق

سفرى الى باريس على اجابة مطالبه و يقول ان الحكومة الفرنسوية لاتحادثنى فى القضية السورية اذا لم تجب مطالبه وهى :

١ ــ احتلال الجنود الفرنسوية لمحطات سكة حديد رياق ــ حلب

٢ ــ الاعتراف بالانتداب الفرنسوى لسورية بدون قيد ولا شرط

٣ ــ قبول التعامل بورق النقد الذى أصدره البنك السورى فى المنطقة الشرقية

٤ ــ إلغاء الخدمة العسكرية الالزامية فى المنطقة الشرقية (مع علمه بان هذه الخدمة لم تقرر الا لتوطيد الأمن والنظام)

ولقد اقترحت عليه تأليف لجنة دولية مختلطة تعرض عليها هذه المطالب القاسيةالتى لاتتفق مع المبادىء التى أعلنها الحلفاء وتفصل فى كل خلاف يقع بيننا وذلك طبقا لأحكام اتفاقات ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٩ المعقودة بين الحكومة الفرنسوية و بينى فأجاب على هذا الاقتراح بتعزيز قواه على الحدود و باحتلال رياق كما أن القوات الفرنسوية فى جرابلس احتلت جسر الساجور على طريق حلب مما يستخلص منه انه بدأ ينفذ عمليا المطالب التى ذكرتها آنفا قبل أن يطلعنى عليها رسميا

فرغبة فى اجتناب كل عمل عدائى وفى عدم اراقة دماء فى هذه البلاد المسالمة الحريصة على أن تعيش بسلام وراحةوالواثقة من عدالة قضيتها التى أدافع عنها ومن نزاهة حلفائها والمجلس الأعلى لى الشرف أن أطلع سعادتكم على الحالة راجيا أن تستعملوا نفوذكم لوقاية هذه البلاد من حرب لاتولد سوى الخراب والدمار

فيصل

وأبرق فى اليوم نفسه الى الجنرال غورو البرقية الآتية :

ان احتلال رياق مخالف للاتفاقات المعقودة فأحتج بشدة على هذا العمل غير الودى وأطلب سحب القوة الفرنسوية طبقا لهذه الاتفاقات

« ولقد أبلغت أن جيوشكم جلت عن جرابلس وجاءت فعسكرت فى جسر الساجور ولما كنت أجهل سبب هذه الحركة فانى أطلب ايضاحا عنها

فيصل

وأرسل اليه يوم ١٢ منه البرقية الآتية :

نقل الى أمير اللواء نوري ما دار بينكم و بينه من حديث بشأن الخطاب الذى ستوجهونه الى بواسطة الكولونيل كوس ، ولم يصلنى حتى الآن

« ان احتلال سكة حديد رياق ـ حلب ، أعنى المنطقة الشرقية مخالف على خط مستقيم لمذكرة ١٥ سبتمبر الخاصة بجلاء الجيش البريطانى عن البقاع وللاتفاقات التى عقدت بعد ذلك بين المسيو كلنصو و بينى مدة إقامتى فى باريس

فاذا كنتم لاتتقيدون بما جاء فى هذه المذكرة وفى هذه الاتفاقات فأنا مستعد للعمل فى الدائرة التى يرسمانها

ورغبة فى اجتناب كل سوء تفاهم فى هـذا الموضوع أقبل أن أمنحكم الضمانات اللازمة لسلامة نقلياتكم على سكة حديد رياق ـ حلب

فيصل

وفى يوم ١٢ منه كتب الكولونيل كوس الى جلالة الملك بأن الجنرال غورو كلفه أن يبلغ سموه الملكى انه بسبب احتلال قوة من الجنود السورية لمجدل عنجر اضطر لاحتلال المعلقة ورياق الواقعتين فى البقاع أيضا فأرسل جلالته يوم ١٣ منه الى الجنرال غورو بواسطة الكولونيل كوس قائلا :

لقد اتخذت مجدل عنجر الواقعة بين مدخل وادى الحرير و بين صحراء الديماس ودمشق من جهة و بين البقاع من جهة أخرى و بحكم وضعها الجغرافى، مركزا من مراكز اجتماع الجيوش للمحافظة على الامن فى هـذه المقاطعة كلها منذ احتلال الحلفاء . وهى فى الوقت نفسه الممر الطبيعى للقبائل فى غدوها ورواحها بين الشرق والغرب الأمر الذى يبعث السلطات السورية على التمسك بها والمحافظة عليها

ولقد عززت القوات المرابطة فيها على أثر الأخبار المزعجة الواردة فى الأيام الأخيرة عن حشد الجيوش على حدود منطقة الاحتلال الفرنسوى ولذلك لا يمكن اعتبار ماجرى سوى تدبير دفاعى رأت الحكومة السورية ان الواجب يقضى عليها باتخاذه من باب الاحتياط فقط

فاجتنابا لكل سوء تفاهم ولما كنتم تسوغون احتلال المعلقة ورياق بوصول القوة

التى وصلت الى مجدل عنجر أبلغكم أننى مستعد لتخفيض قواتنا فيها واعادتها الى ما كانت عليه من قبل اذا كنتم تدللون على شعوركم الودى بالجلاء عن رياق والمعلقة المحتلة بجيوشكم

كيف تم احتلال المعلقة ورياق

فى الساعة السابعة من صباح ١٢ يوليو دخلت قوة عسكرية فرنسوية المعلقة ورياق فاحتلتهما احتلالا عسكريا بدون انذار ولم تتعرض للسلطة المدنية وفى يوم ١٤ منه أذاع الفرنسويون البلاغ الآتى فى بيروت تسويغا لعملهم

«خالفت الحكومة الشريفية الاتفاق المعقود فى باريس بين المسيو كلمنصو يوم كان رئيسا للوزارة والأمير إذ كان تقرر أن لا يحتل البقاع جنود فرنسويون ولا شريفيون وأن يكتفى بقوة البوليس اللازمة لتوطيد الأمن وبالرغم عن ذلك احتلت فصيلة شريفية مجدل عنجر فعلى أثر هذا الاحتلال الذى لا يسوغه مسوغ معقول صدر الأمر الى الجند الفرنسوى باحتلال رياق والمعلقة

وفى يوم ١٢ يوليو أرسل الكولونيل كوس الى جلالة الملك الكتاب الآتى:

«طلبتم منى بتاريخ ١٠ يوليو معلومات عن ماهية الحركات العسكرية التى اقتضت وصول ٧ قطارات مشحونة بالجنود الفرنسوية الى المسلمية فلى الشرف أن أبلغكم كما بسطت ذلك لمرافقكم من قبل ، ان الجنرال غورو أعلمنى أن ماجرى كان عبارة عن ابدال جنود المخافر الأمامية الواقعة أمام جرابلس بجنود غيرها »

وأرسل سكرتير الملك يوم ١٤ منه البرقية الآتية الى رستم حيدر مندوب العرب فى مؤتمر الصلح بواسطة السفارة الايطالية فى باريس :

١ ــ احتل الجيش الفرنسوى رياق من دون اخبار ولا ابلاغ سابق . ولما كانت النية متجهة الى اتقاء الحرب فلم نقاوم أقل مقاومة . وبالطبع فقد يضطر الجيش السورى فى المستقبل الى مقاومة كل حركة عسكرية جديدة لانه من غير الممكن استمرار هذه الحالة

« تتجمع الجيوش الفرنسوية فى صوفر والمريجات وفى ضواحى حلب

٢ ــ صرح الجنرال غورو انه وضع شروطا يريد أن يمليها علينا وقد بدأ بتنفيذها

من دون أن يبلغنا إياها رسميا ومع آننا طلبناها منه فلم يرسلها الينا رسميا حتى الآن

٣ ـ تقابل ميولنا ونياتنا السلمية بأعمال عسكرية من الجهة الأخرى

٤ ـ يعارض الجنرال غورو فى سفر الملك الى اوربا

٥ ـ لما كان الجنرال غورو فى وقوفه هذا الموقف العدائى يخالف قرارات مؤتمر السلام وسان ريمو فيجب أن يعد مسؤولا عن كل ماقد يقع فى سورية

نص الانذار الفرنسوى

وفى مساء ١٤ يوليو وصل الى دمشق الكومندان ماندر يحمل كتابا خاصا الى جلالة الملك مع نص الانذار فسلمه اياهما وهذا نص الكتاب :

« يانها السمو

« أتشرف بأن أرسل مذكرتى المؤرخة ١٤ يوليو ، أقدمها الى سموكم الملكى وأناشد أخلاقكم السامية ووطنيتكم الصحيحة وشعوركم الودى نحو فرنسا أن تقبلوها

« لقد برهنت فرنسا من جهتها على اخلاصها لسورية بقبولها القيام بمهمة ارشاد الدولة الجديدة وقيادتها بنزاهة . ولذلك أريد أن أظن أن سموكم الملكى سيصغى الى صوت الحكمة فى معالجة هذه القضية الخطيرة فلا يتضامن مع حكومة لاتمثل سوى الأحزاب المتطرفة من الشعب

« ولا أفكر أننى قادر على أن أعول فى تنفيذ الضمانات التى تشرفت بطلبها على سموكم الملكى اذا تولت ذلك الحكومة فبقاؤها فى مناصبها ينطوى على معنى العداء لفرنسا وقد بذلت جهدها لجر بلادكم الى الحرب والقائها فى أتون بلاياها ولن يعصمها سوى تصرف سموكم الملكى وحده »

وهذا نص الانذار :

«سادت السكينة سورية ابان الاحتلال الانكليزى ولم يتعكر صفو الأمن ويبدأ الاضطراب فيها الا لما حلت جنودنا محل الجنود البريطانية وقد أخذت هذه الاضطرابات تزداد من ذلك الحين

ولقد أثرت هذه الاضطرابات فى رقى سورية ونظامها السياسى والادارى والاقتصادى

أ كثر من تأثيرها فى سلامة جنودنا وفى الاحتلال الفرنسوى فى المنطقة الغربية . فحكومه دمشق تحمل كل التبعة أزاء سكان سورية الذين عهد مؤتمر الصلح الى فرنسا بأن تمتعهم بحسنات ادارة مؤسسة على الاستقلال والنظام والتساهل والثروة وان أمانى الولاء والتعاون التى أظهرتها فرنسا لسموكم بتأييدها حقوق السكان الذين يتكلمون العربية على اختلاف مذاهبهم ويقطنون القطر السورى بحكم أنفسهم بأنفسهم كأمم مستقلة قد أجاب عليها سموكم معترفا بأن لسكان سورية مصلحة كبيرة فى طلب المشورة والمساعدة من دولة كبيرة لتحقيق وحدتهم وتنظيم شؤون الامة نظرا للتضعضع الذى أصاب البلاد من الارهاق التركى والاضرار التى نتجت عن الحرب ، وتلك المشورة والمساعدة ستسجلها عصبة الأمم عند ما تتحقق بالفعل . وقد دعا سموكم الملكى فرنسا الى القيام بهذه المهمة باسم الأمة السورية

ولما كنتم تفاوضون الحكومة الفرنسوية فى شهر يناير الماضى وكانت العصابات الخارجة من دمشق تجتاح المنطقة الغربية أرسل الى مسيو كلنسو البرقية الآتية :

« عندما بلغنى خبر هجوم البدو فى جنوب سورية وشمالها قلت للأمير فيصل انى اتفقت معه موقتا على بعض المبادىء وانى أحافظ أتم المحافظة على كلامى ولكن يجب أن يقابل خطتى هذه بمثل مافيها من الاخلاص وأن يجعل سلطته محترمة على أنصاره فاذا لم ينفذ هذان الشرطان تنفيذا دقيقا فالحكومة الافرنسية تستأنف العمل بحرية وتستعمل القوة لتأييد النظام واحترام الحقوق التى لها من المؤتمر »

والبيان الآتى يوضح جليا كيف ان حكومة دمشق لم تنقطع عن انتهاج خطة معادية ومخالفة تمام المخالفة لسياسة التعاون التى رمى اليها رئيس الوزراء وتعهدتم بتطبيقها

١ ــ عداء جلى على قواتنا :

ان اصرار حكومة دمشق على رفض السماح للسلطة الفرنسوية باستعمال سكة رياق ــ حلب الحديدية هو عمل عدائى بحت . فالحكومة لا تجهل أن تلك السكة لابد منها لاعاشة احدى فرقنا الفرنسية فى الشمال وتمكينها من القتال . وهذه الفرقة تقاتل قوات معادية تابعة لتركيا التى انتزع الحلفاء الظافرون سورية من رقبتها ودفاعا عن حدود حكومة سورية الجديدة التى يجب أن تربطنا بها روابط المصلحة وعرفان الجميل

ان حكومة دمشق هي التى وضعت مبدأ تنظيم العصابات واستخدامها ضد جنودنا

المحتلة . وهذا المبدأ اعلنه قائد الفرقة الثالثة فى حلب صراحة يوم ١٣ ابريل بالقول الآ تى :

« لما كنا لا نستطيع أن نعلن الحرب رسميا على الفرنسويين يجب علينا أن نملأ البلاد بالعصابات التى تجهز عليهم تدريجا وسيقود ضباطنا هذه العصابات فاذا استشهد أحدهم تعيل الحكومة عائلته »

واليك الأدلة الآتية على دقة تنفيذ هذه الخطة :

فى ١٣ ديسمبر سنة ١٩١٩ هوجم موقعنا فى تل كلخ بتحريض السلطة الشريفية فى حمص وفى أواخر ذالك الشهر ذبح بدو محمود الفاعور الذى قلتم لى ياصاحب السمو الملكى انه صديقكم الشخصى مسيحي مرجعيون وهجم على جنودنا فى ٤ يناير رافعا العلم الشريفى

وفى ٥ منه سنة ١٩٢٠ تحقق وجود الجنود الشريفية بين الذين هاجموا جنودنا تحت قيادة ثريا بك (بركات) فى فريق خان ثم فى الحام

وفى يونيو ثبت وجود أميرالاى ويوزباشى وستة ملازمين و ٣١٧ رجلا من الجيش الشريفى بين العصابات التى كانت تعمل فى ساحة مرجعيون وثبت استعمال معدات مأخوذة من الجيش نفسه وهى أربعة رشاشات ثقيلة وثلاثة خفيفة وخمسون صندوقا ذخيرة وظهر أيضا اشتراك محرضى المنطقة الشرقية فى الاضطرابات التى امتازت بمذابح (عين ابل) وفتنة الشيعة فى شهر يونيو

ثم ان منظمى العصابات محترمون كل الاحترام في دمشق لاسيا صبحى بركات الذى لا يجهل أحد اساءته الينا

وعند مالم تكن العصابات ترسل من المنطقة الشرقية كانت الفتنة تثار فى المنطقة الفرنسية نفسها

وبهذه الأعمال وقعت اعتداءات عديدة على المسيحيين لاسيا فى جسر القرعون فى ٢٩ ديسمبر حيث تقع التبعة على الضابطين الشريفيين واحد بك وتحسين بك

وقد سوعد الشيخ صالح بطل الفوضى والبغضاء لنا مساعدة مؤثرة مستمرة فى جبال النصيرية

ومن الممكن تعداد كثير من هـذه الأمثلة وقد عرضناها على سموكم الملكى فى حينها

٢ ـ سياسة حكومة دمشق العدائية :

رأى سموكم الملكى ادخال أشخاص مشهورين بعدائهم لفرنسا فى حكومة دمشق وكان تأثير المحيط شديدا عليكم حتى انكم لم تتمكنوا من السفر فى الوقت المناسب تلبية لدعوة مؤتمر الصلح وقد تألفت الوزارة من أناس من تلك الفئة التى لا تقتصر خطتها على اهانة فرنسا ورفض مساعدتها بل تتناول المجلس الأعلى الذى منح فرنسا الانتداب لسورية

ان رفض انتداب فرنسا رفضا باتا فى ١٨ مايو الماضى هو خطة عمياء قد تجر نتائجها المصائب على سورية

٣ ـ التدابير الادارية ضد فرنسا :

ان التمنع الاقتصادى الظاهر فى رفض ورق النقد السورى الجديد الذى أصدره البنك السورى لحساب فرنسا ومنع جميع المعاملات التجارية والمالية مع فرع بنك سورية فى المنطقة الشرقية هو دليل جديد على عداء مضر بمصلحة البلاد أيضا

وكذلك منع نقل الحبوب الى المنطقة الفرنسوية مبتدئا من حماه فدمشق فحلب

ثم ان السلطة الشريفيـة اجتازت حدود المنطقة الشرقيـة وتقدمت تدريجا داخل المنطقة لتظهر أنها توسعت توسعا يقصد به اخراجنا

ففى شهر مارس وضع مخفر شريفى فى (الخالصة) ثم رفع العلم الشريفى على (القدموس) بعد ذلك بقليل وفى إبريل جعلت حكومة حلب (القصير) قضاء شريفيا . ثم نصب قائمقام شريفى فى جسر الشغور

٤ ـ أعمال عدائية موجهة رأسا الى فرنسا :

ان من كان صديقا لفرنسا أو مواليا لها فى المنطقة الشرقيـة يكون مشتبها به من السلطة و يعامل معامـلة سيئة فى أغلب الأحيـان ومن الأدلة الظاهرة على ذلك أن فارس غنطوس ونسيب غبريل اللذين ضمنت حكومة دمشق رسميا رجوعهما الى راشيا أسيئت معاملتهما ووضعا فى السجن بعد رجوعهما

وفى ٢٢ يناير هوجم وفد من دروز حوران جاء للسلام علينا أثناء عودته فى وادى

القرن وقتل عدد من رجاله

ولدينا أمثلة عديدة على ذلك ولا سيا فى حلب أما من كان عدوا لنا فانه يحترم فى المنطقة الشرقية ويحمى من كل شىء ويحل على الرحب والسعة ، فقد احتفل بالدنادشة احتفالا كبيرا فى دمشق بعد حوادث تل كلخ ولم يمس بسوء فى دمشق أمين محيو الذى نسف مستودع العتاد الحربى فى بيروت ثم ان سموكم الملكى سعى مؤخرا لرجوع كامل بك الأسعد الثائر المشهور الى المنطقة الغربية وهو قد نفى بسبب فتن بلاد الشيعة وعليه قسم عظيم من تبعتها

وعدد سكان المنطقة الشرقية الذين اكسبهم عداؤهم لنا عطف الحكومة عظيم جدا

ان بث الدعوة ضد فرنسا فى المنطقة الغربية قد ألبسته حكومة دمشق اشكالا خبيثة أرادت السلطة الفرنسوية أن تغمض عينها عنها لأنها قررت اتباع سياسة التساهل الى النهاية

وآخر هذه الأعمال وأظهرها شراء القسم الأعظم من أعضاء مجلس الادارة بأثنين وأربعين ألف جنيه مصرى

وقد ألقت مخافرنا القبض على هؤلاء الأعضاء فى ١٠ يوليو بينما كانوا ذاهبين الى دمشق لبيع بلادهم منكرين الأمانى التى أعرب عنها مواطنوهم بالاجماع تقريبا منذ عهد بعيد

ان صحافة دمشق التى تفرط الحكومة فى شد أزرها تواصل دائما حلانها على كل ماهو فرنسوى وتقبح السلطة المحتلة فى المنطقة الغربية وترد كل مساعدة تعرضها فرنسا على سورية وتهيننى أقبح اهانة

٥ ـ الاعتداء على الحقوق الدولية :

بمقتضى هذه الحقوق يجب على قائد جيش الحجاز المحتل قطرا سوريا لابد أن يظل عثمانيا الى أن يقتضى تنفيذ المعاهدة بتغييره أن لا يعمل بغير هذه الصفة وأن يحافظ على الحالة الراهنة وهو حارسها . ولكنه تصرف عكس ذلك متخذا صفة السيادة العليا وقد تقرر التجنيد الاجبارى ونفذ منذ ديسمبر سنة ١٩١٩ مع أن البلاد لا تزال بلادا أجنبية وهذا العبء الثقيل الذى لا يجدى نفعا قد أكره عليه الشعب حتى فى المناطق التى لها شكل خاص

كالبقاع . ونفذ فى أناس مستثنين منه كاللبنانيين والمغاربة المقيمين فى المنطقة الشرقيـة .
ولاقى هذا التجنيد الباطل مقاومة نزيهة أدت فى بعض الأحيان الى إراقة الدماء

ثم ان المجلس الملقب بالمؤتمر السورى الذى تألف واجتمع بصورة غير قانونيـة يسن القوانين بل يحكم باسم حكومة ودولة لم يعترف بوجودها . وفضلا عن ذلك فقد قدم اللقب الملـكى لسموكم الملـكى بدون حق ولا وكالة مما وضعكم كما عبرتم عن ذلك فى موقف التمرد على مؤتمر الصلح

ولم تحترم الامتيازات الأجنبية فان احد رعايانا الأمير مختار الذى يمثل أسرة كبيرة اشتهرت منذ القدم باتصالها بفرنسا قد أوقف ايقافا معيبا فى حلب

وليست الاتفاقات السياسية محترمة أيضا . فان لواء من الجيش الشريفى أرسـل الى (مجدل عنجر) رغم الاتفاق الذى تم فى ديسمبر الماضى مع المسيو كلمنصو والذى يقضى أن لا تحل فى البقاع قوة شريفية أوفرنسوية

٦ ــ الاضرار التى أصابت فرنسا وسورية من ذلك :

لم تستطع السلطة الفرنسوية حتى الآن ان تنظم البلاد التنظيم الذى ننتظره منها لأنها اضطرت الى صرف قواها وجهودها لقمع الفتن المتوالية ومواصلة المفاوضات السياسية الجدية العقيمة مع حكومة دمشق فهى والحالة هذه غير مسؤولة عن هذا التأخير بل تتحمل العبء العسكرى والمالى الذى تقضى به الحالة التى أوجدتها حكومة دمشق ولايمكن أن تؤثر على التـكاليف فى الميزانيـة السورية سواء بفقد الدخـل الذى ينشأ عن استمرار الفوضى أو بالاشتراك فى نفقات السيادة التى تلحق بها فى المستقبل

ولقد بلغت حالة الفوضى التى أوجدها مثيرو الفتن فى البلاد حداً دعا الى استجلاب قوات كبيرة أعظم عددا مما يدعو اليه استبدال جنود انـكليزية ابان السكينة

وأن هذه الأسباب تدل دلالة كافية على أنه لايمكن بعد الآن أن نعتمد على حكومة جاهرت فرنسـا بالعداء كل المجاهرة وأخطأت نحو بلادها خطأً عظيما بظهورها عاجزة عن تنظيمها وادارتها

لذلك ترى فرنسا أنها مضطرة لأخـذ الضمانات التى تـكفل سلامة جنودها وسلامة السكان التى نالت من مؤتمر السـلم مهمة الوكالة عليهم فأتشرف بأن أبلغ سموكم الملـكى

أن هذه الضمانات هى كما يأتى:

١ ـ التصرف بسكة رياق ـ حلب الحديدية لاجراء النقليات التى تأمر بها السلطة الفرنسوية ويؤمن هـذا التصرف بأن يراقب مفوضون عسكريون فرنسويون جميع ماينقل فى محطات رياق و بعلبك وحمص وحماه وحلب تعضدهم قوة مسلحة مخصصة للمحافظة على المحطة واحتلال مدينة حلب التى هى نقطة مواصلات هامة لايسعنا أن نتركها تسقط فى يد الترك .

٢ ـ قبول الانتداب الفرنسوى

ان هذا الانتداب يحترم استقلال أهالى سورية ولايناقض مبدأ الحكم بسلطة سورية تستمد قوتها من ادارة الشعب ولايتضمن سوى معاونة بشكل مساعدة وتعاون من الدولة المنتدبة دون أن يتخذ مطلقا شكل استعمار أوالحاق أوادارة تنفذ رأسا

٣ ـ قبول الورق السورى

تصبح هذه العملة عمـلة وطنية فى المنطقة الشرقية فتلغى جميع الأحكام المتعلقة بالبنك السورى فى المنطقة الشرقية

٤ ـ تأديب المجرمين

الذين كانوا أشد عداء لفرنسا وهذه الشروط تقدم جملة ويجب قبولها جملة أيضا بلا أدنى فرق خلال أربعة أيام تبتدىء من نصف ليل ١٥ يوليو (أى ١٤ منه الساعة ١٢ ليلا) وتنتهى فى ١٧ منه الساعة ٢٤ (أى الساعة ١٢ ليلا)

فاذا جاءنى علم من سموكم قبل هذا الموعد بقبول هذه الشروط فيجب أن تكون قد صـدرت أوامركم فى الوقت نفسه الى المراجع اللازمة لـكى لاتعارض جنودى الزاحفة لاحتلال المواقع المعينة ثم ان قبول الشرط الثانى والثالث والرابع يجب أن يؤيد رسميا قبل ١٨ منه أما تنفيذها بالتمام فيكون قبل ٣١ منه الساعة ٢٤ (نصف الليل).

واذا كان سموكم الملـكى لايشعرنى فى الوقت اللازم بقبول هـذه الشروط أتشرف بأن أبلغه أن الحـكومة الفرنسوية تـكون مطلقة اليد فى العمل . وفى هذه الحالة لا أستطيع أن أؤكد أن الحـكومة الفرنسوية تـكتفى بهذه الضمانات المعتدلة

ولاتقع على فرنسا تبعة المصائب التى تحل بالبلاد فهى قد برهنت على تساهلها من

زمن طويل وفى الآونة الأخيرة لحكومة دمشق هى التى تتحمل جميع أعباء مسؤولية فصل الخطاب الذى لا أنظر اليه الا آسفا ولكنى مستعد له بمتانة لاتتزعزع

تدابير الوزارة

فوجئت الوزارة بانذار الجنرال غورو مفاجأة لم تكن تتوقعها فانقسمت حياله ففريق من أعضائها قال بقبوله والنزول على أحكامه وفريق قال بالتريث والانتظار

وظهرت على أثر وصول الانذار فكرة تدعو الى اقالة الوزارة والتخلص منها وتأليف وزارة قوية برئاسة الهاشمي تقود الأمة فى هذه الأزمة وتواصل الكفاح والنضال فأيد أقطاب حزب التقدم فى المؤتمر السورى ـ وهو الحزب الذى كانت تعول الوزارة على تأييده فى بقائها ـ الفكرة ولما كوشف الأتاسى بها ودعى الى الاستقالة قال يجب الاتفاق على انتخاب من يخلفنى قبل استقالتى ولا أتأخر عنها متى تألفت الوزارة الجديدة. وحال دون تبديل الحكومة فى تلك الآونة عدم موافقة جلالة الملك عليه فقد كان يحاول أن يجمع السلطة فى يده ويتفرد بالعمل فى خلال هذه المرحلة الدقيقة بعيدا عن تطاحن الأحزاب واختلافاتها

ولما أدركت الوزارة أنها فى مركز ثابت وأنها باقية فى الدست لثقة جلالة الملك بها اتخذت سلسلة تدابير نوجزها فى مايلى :

١ — اعلان الادارة العرفية

وكان أول تدابيرها وأعجلها اعلانها الادارة العرفية يوم ١٣ منه وهذا نص البلاغ الرسمى الصادر بذلك :

« بناء على خطورة الموقف ولزوم اشتغال الأمة بأمر دفاعها فقط قررت الحكومة العسكرية مؤيدة بقرار الوزارة تأييد الادارة العرفيـة التى لم تلغ حتى الآن وتطبيقها بحذافيرها ولحصول الاطلاع عليها أدرجنا المواد الآتية :

١ ـ تؤيد الادارة العرفية فى جميع أنحاء المنطقة الشرقية

٢ ـ ان أحكام القوانين والأنظمة الأساسية والملكية المخالفة لهذا القرار تعد معطلة مادامت الادارة العرفية قائمة

٣ ـ يحاكم أمام القضاء العرفى الذين يرتكبون الجرائم الآتية :

ا ـ كل من يعبث بالأمن العام داخلا أوخارجا من مرتكبى جريمة الجنحة أو الجناية سواء كان فاعلا بنفسه أوذا مدخل مهما كانت صفته ومكانته

ب ـ كل من يعتدى على موظفى الحكومة أثناء قيامهم بوظائفهم الرسمية بشرط أن يكون عمله ذاصلة بالأحوال المتعلقة بالادارة العرفية

ج ـ كل من له صلة بالجمعيات السرية ولوكانت مؤسسة قبل اعلان الادارة العرفية

د ـ كل من يتهم بجنحة أوجناية تمس احدى القضايا المنظورة أمام القضاء العرفى

ه ـ كل من يتهم بافشاء أسرار الحكومة العسكرية ابان اعلان النفير العام ومايتعلق بالجاسوسية والخيانة العسكرية

و ـ الذين تتصل جرائمهم بجمع الوسائط النقلية وسوق الجند وحشدهم .والموظفون المكلفون بطرح التكاليف الحربيـة اذا تلاعبوا أو أساءوا استعمال وظيفتهم والذين يسهلون الفرار للجنود و يساعدونهم على عدم تلبية أوامر الجندية و يحبذون لهم ذلك

ز ـ كل من يتهم بجريمة تختص بالاعتداء على زوجات الضباط والأمراء العسكريين ومن ينتمى الى الجندية من الملكيين والأهالى وكل ذى رحم يتصل بهؤلاء

٤ ـ للادارة العرفية الحق أولا : بأن تفتش المساكن التى ترى لزوم تفتيشها وثانيا أن تطرد الى خارج البلاد كل من تقبض عليه الحكومة من أصحاب السوابق والذين لامسكن لهم ولامأوى فى منطقة الادارة العرفية وثالثا بأن تأخذ سلاح الأهلين وعتادهم الحربى وتصادره ورابعا أن تعطل الصحف فورا اذا سعت لافساد الرأى العام و بأن تمنع الاجتماعات .

٥ ـ قضايا الجنح والجنايات العادية تنظر كما فى السابق أمام المحاكم النظامية

٦ ـ بما أن القضاء العرفى مكلف بوظائف المحاكم النظامية الجزائيـة التى ناب منابها فلا يحق له التدخل فى القضايا التى نظرتها قبل اعلان الادارة العرفية

٧ ـ يحاكم أمام القضاء العرفى من تبين أن له مدخلا فى الأحوال التى استلزمت اعلان الادارة العرفية وان لم يكن من أبناء المنطقة الشرقية .

٨ ـ يطبق القضاء العرفى أحكامه على قانون الجزاء العسكرى اذا لم يجد مايطابق الجرم فى قانون الجزاء المدنى

٩ ـ يحاكم المتهمون بالأحوال التى استلزمت اعلان الادارة العرفية أمام محاكمها مهما علت رتبهم من دون استحصال مرسوم ملكى

١٠ ـ ترى محاكم القضاء العرفى المؤسسة حديثا فى المنطقة الشرقية قضايا الأركان والأمراء والضباط وان كانت دون رتبهم

١١ ـ أحكام القضاء العرفى مبرمة

٢ ـ الوزارة امام المؤتمر

ودعا المؤتمر الوزارة لسماع أقوالها والاطلاع على خططها لجاء صباح الثلاثاء ١٣ منه رئيسها ووزيرا الخارجية والحربية وألقى الأخير البيان الآتى :

أيها السادة :

نرى من الواجب أن نبسط على مسامعكم خلاصة مايقع فى هذه الدقيقة الحرجة تعرفون خطة الوزارة وتذكرون أننا قلنا فى بيانها الذى نال استحسانكم اننا سنحافظ على صلات الصداقة مع جميع الحلفاء ولا سيما مع فرنسا وانكلترا وتعلمون أيضا أننا حافظنا على هذه الخطة ساعين لتحقيقها وتحقيق آمال الأمة التى أعلنتها للعالم على لسانكم أنتم ممثلوها فى هذا المؤتمر الموقر

بدأت المفاوضات وسارت فى طريق حسن وتلقينا ماتعلمونه من قرار مؤتمر سان ريمو المعترف بسورية دولة مستقلة ومن التبليغات غير الرسمية من حليفتنا بريطانيا التى تشير الى الاعتراف بجلالة ملكنا ملكا على سورية علاوة على تأييد الاستقلال المذكور

وعزمنا فى المدة الأخيرة على ارسال وفد الى أوربا لاتمام المفاوضات وحل المسألة السورية حلا نهائيا يحقق آمال الأمة وسعادتها ولنبرهن للعالم والدول كلها أننا لانعادى أحدا ولانقاوم قرارات مؤتمر السلم مادامت ضامنة لاستقلالنا وشرفنا . وقد عزم جلالة الملك على السفر بالذات حبا بانهاء المفاوضات وكنا واثقين بأننا سنتلقى البشائر بتحقيق آمالنا وفيما نحن

سائرون فى تنفيذ هــذه الخطة العملية نرجو الخير من سفر وفدنا برئاسة جلالتــه حصل ماحصل وحدثت هذه الحوادث المؤسفة التى أبينها لــكم

« لقد أراد الجنرال غورو اعتمادا على قواه العسكرية أن يعرقل أو يمنع سفر جلالة الملك الى أوربا لأسباب لانعلمها . وقد سلم موفدنا بعض الشروط التى قال انه يطلبها منا ولم نطلع بعد على نصها الرسمى ولايمكننا أن ننظر اليهــا بصفة رسمية مالم نتلقاها مكتوبة من يد رسمية

« وليست هذه الشروط مخالفة لمطالب الأمة فقط بل انها تخــالف روح المقررات التى اتخــذت فى مؤتمر سان ريمو وتعبث بها وقد وقعت عليهــا فرنسا لأنها تخــل بأساس الاستقلال والسيادة التى اعترفت بها الدول لسورية فى ذلك المؤتمر . ولقد حشــد الجنرال جيوشه على حدود المنطقة الشرقية شمالا وغربا وربما كانت غايته حملنا على قبول شروطه ونــكرر القول بأننا لم نبلغها رسميا حتى هذه الساعة وفوق هذا فقد أرسل جنوداً لتعزيز القوة الفرنسوية فى رياق وصرح حاكم زحلة الفرنسوى العسكرى لقائد المحطة العربى أنه احتل رياق احتــلالا عسكريا وأعاد الجنرال القوة الفرنسوية التى احتلت المعلقة فى العــام الماضى اليها . وقد أبلغنا الــكولونيل كوس أمس عن لسان الجنرال غورو أن احتلال رياق والمعلقة جرى فى مقابل تعزيز قواتنا فى مجدل عنجر والحال أن هذه النقطة عسكرية وضعت لتأمين النظام الداخلى فى ذلك الجوار منذ ابتداء الاحتلال واذا كنا عززناها فما ذلك سوى تدبير احتياطى اضطررنا الى اتخاذه بعد مارأينا حشد الجنود على حدود منطقتنا

« فحــكومتنا بعد ما احتجت على معاملة الجــنرال غورو التى لاتلتئم مع التحالف وطلبت احالة القضية الى التحكيم الدولى تعلن للأمة وللعالم أجمع من على هذا المنبر مايأتى :

١ ــ نحن لانريد الا السلم والمحافظة على شرفنا واســتقلالنا الذى لانحتمل أن تشوبه شائبــة

٢ ــ نحن براء من كل تهمة نوصم بها ويراد بها الايهام بأننا نريد العبث بصلاتنا الودية مع حليفتنا وحلفائنا

٣ ــ نحن لانرفض المفاوضة ونحن مستعدون للدخول فيهــا وها إن الوفد برئاسة

جلالة الملك مستعد للسفر الى أوربا . ونحن نقبل كل حل لايمس استقلالنا وشرفنا ويكون مبنيا على أساس الحق والاستقلال

٤ ـ اننا مستعدون كل الاستعداد ومصممون كل التصميم على الدفاع عن شرفنا وحقوقنا بكل ما أعطانا الله من قوة

هذا هو الموقف الحاضر أيها السادة وقد بسطناه لحضراتكم والله معنا اذ نحن لانريد سوى حقنا والدفاع عن كياننا

٣ — معدات الدفاع والتدابير العسكرية

وكان فى مقدمة التدابير العسكرية التى اتخذت تعيين الأمير زيد قائدا عاما للجيش السورى وياسين الهاشمى قائدا لجبهة مجدل عنجر (طريق دمشق ـ بيروت) ولدمشق نفسها ويحيى حيانى قائدا لمنطقة حمص وحماه . أما فرقة حلب فكانت بقيادة محمد اسماعيل الطباخ وكانت فرقة درعا بقيادة اسماعيل الصفار

وقد يكون من المفيد هنا أن نتكلم عن تشكيلات الجيش السورى فى تلك الأيام ونظمه ومعداته وأسلحته وذخائره وعتاده وضباطه فنقول

لا يخفى أن الجيش السورى الجديد قام على أنقاض جيش الشمال القديم الذى زحف من الحجاز حتى دمشق فغلب على المنوال الذى وصفناه فى المجلد الأول ، وكان أول مافعلته الحكومة السورية الجديدة ، وقد تولى رئاسة الجندفيها ياسين الهاشمى (رئاسة ديوان الشورى الحربى) تسريح الجيش القديم والاستغناء عن معظم ضباطه وجنوده على أن يحل محله جيش جديد منظم على الأصول الحديثة يقوده ضباط بلغوا رتبهم العسكرية بالتدرج

وجددت رئاسة ديوان الشورى الحربى(المدرسة الحربية القديمة) فى دمشق لتخريج الضباط كما نظمت المصالح العسكرية على منوال حديث فكانت هنالك مصلحة للميرة وأخرى للتجهيزات وثالثة للتسليح ورابعة للمدفعية تشرف عليها كلها هيئة أركان حرب عليا وكان نظام التطوع فى تلك الفترة هو النظام المتبع فى الجيش ومع أن جلالة الملك كان أول

من تطوع الا ان الاقبال على التجنيد كان قليلا لحالة الأمة الروحية فقد كانت خارجة من حروب امتدت أربع سنوات ونيف لاقى الجند فى خلالها الأمرّين من قساوة الأنظمة العسكرية وشدتها فتشرب بغضها كما تشربها الأهالى لما خبروه من مساوئها فى العهد العثمانى

وتبدل الحال فى شهر فبراير سنة ١٩٢٠ حينما تقرر الأخذ بنظام التجنيد الاجبارى لانشاء جيش منظم قوى وكثر فى خلال هـذه الفترة ورود الضباط السوريين الذين كانوا فى الجيش التركى ثم سرحوا بعـد الهدنة أو عادوا من الأسر فانضموا الى الجيش الجديد وساعدوا فى تكوينه وانشائه

وكان الجيش السورى فى خـلال شهر يونيو سـنة ١٩٢٠ أى قبيل وصول الانذار وبعد قيام الوزارة الاتاسية واضطلاع يوسف العظمة بعبء وزارة الحربية وأخذه على عاتقه مهمة تنظيم الجيش الجديد واعداد معدات الدفاع يتألف كما يأتى :

١ ـ هيئة أركان حرب عليا يرأسها الوزير ورئيس ثان يشرف على الشئون الادارية وكان يتقلدها يومئذ القائمقام أحمد اللحام

وكانت هيئة أركان الحرب تتألف من فروع (شعبات) تقلد رئاسة الشعبة الأولى (شعبة الحركات الحربية) القائمقام مصطفى وصفى وتولى رئاسة الشعبة الثالثة (شعبة المخابرات) البكباشى شريف الحجار ، وكان اليوزباشى حسن يحيى الصبان يتولى ادارة القوى العمومية والقائمقام عارف التوام رئيسا لادارة التسليح

وكانت هنالك أيضا ثلاث فرق عسكرية نظامية :

فرقة الشام . وفرقة حلب . وفرقة درعا

وكانت كل فرقة تتألف من ٣ ألوية وكل لواء يتألف من ٣ أفواج ولكل فوج سرية رشاشات ولكل فرقة لواء مدفعى يتألف من فوجين ويتألف الفوج من بطاريتين

وكان مجموع القوى العامة للجيش السورى فى أواسط شهر يوليو لايزيد عن ٨٠٠٠ جنـدى يملكون ١٥ ألف بندقية مختلفة الطراز لكل منها ٢٥٠ قذيفة ونحو ٥٠ مدفعا عيار ٧٫٥ و ٤ مدافع من عيار ١٠٫٥ ولكل مدفع ٥٠ قنبلة

وكان يمثل الحكومة العربيـة فى بيروت ضابط من هيئة أركان الحرب فى مقدمة

مهامه موافاة الحكومة بتقارير مفصلة عن الحالة العامة وعن تدابير الفرنسويين العسكرية

وكان مجموع الضباط المستخدمون فى القيادة العليا وفى الجيش العامل وفى دوائر التجنيد وفى الأعمال العسكرية الأخرى لايقل عن ٥٠٠ ضابط من مختلف الرتب بينهم مجموعة صالحة من الأكفاء الذين تمرنوا فى الحروب العظمى وقاتلوا فى شتى الساحات والميادين

٤ — دعوة المجلس الحربى الاعلى

وفوجئت الوزارة والملك فى تلك الفترة الحرجة بمفاجأة مدهشة ، فقد زار ياسين الهاشمى على أثر تعيينه قائدا لجدل عنجر والقاء مهمة الدفاع عن دمشق على عاتقه الأمير زيدا وقال له انه ليس فى امكانه قبول المهمة الموكولة اليه كما أنه ليس فى استطاعة البلاد الدفاع والوقوف أمام الجيش الفرنسوى الزاحف لان مخازن الجيش فارغة من الأسلحة والذخائر ومعدات القتال مفقودة

وانطلق الأمير على الفور فقابل جلالة الملك وأطلعه على رأى الهاشمى فاستدعاه فأعاد عليه ماقاله فدعا هيئة الوزراء اليه واستشارهم فى مايفعل فدافع يوسف العظمة عن خطته وقال انه بصفته وزيرا للحربية يتحمل كل تبعة ويصر على المقاومة والدفاع . وأخيرا تم الاتفاق على عقد مجلس عسكرى يحضره كبار الضباط والقادة للبت فى هذه القضية الخطيرة

واجتمع هذا المجلس بعد ظهر الجمعة ١٦ منه برئاسة الملك وحضره الوزراء والهاشمى وأحمد اللحام ومصطفى وصفى وشريف الحجار ومصطفى نعمة وحسن يحيى الصبان وعارف التوام وهم هيئة أركان الحرب فسألهم الملك واحدا واحدا عن مقدار قواهم فأجابوا أجوبة متضاربة فطلب اليهم ابداء رأى حاسم فطلبوا امهالهم مدة ثم اجتمعوا برئاسة مصطفى نعمة (مستشار وزارة الحربية يومئذ) نحو ربع ساعة أعلنوا بعدها أن فى امكان الجيش المقاومة بضع ساعات اذا كانت الحرب غير جدية وأما اذا حمى وطيس القتال ولم يوفق الى دحر العدو وتشتيت قواه فلا يقاوم أكثر من ٥ دقائق

٥ — استشارة الانكليز ورأى اللورد اللنبي

ومع أن الانكليز كانوا خلال تلك المرحلة يشيرون على الملك بالتفاهم مع الفرنسويين والاتفاق معهم ، وكان معتمدهم فى دمشق (الكولونيل ايستون) يكرر هذه الجمل على مسامع الملك والوزراء فى كل مناسبة ملحا بضرورة الاتفاق ، فقد أرادت الوزارة أن تقف على رأى اللورد اللنبي قبل البت فى الأمر فانتدبت اللواء نورى السعيد والاميرعادل ارسلان فسافرا الى حيفا وقابلا اللورد وكان يزورها يومئذ واستشاراه فأشار بقبول الانذار والتفاهم مع الفرنسويين فأرسلا على الفور برقية الى جلالة الملك بما سمعاه منه

ولم يكتف اللورد بذلك بل أرسل كتابا خاصا الى جلالة الملك (لا يزال محفوظا بنصه الانكليزى فى خزانة الدكتور عبد الرحمن شهبندر يشير فيه بالقبول بلا تردد)

٦ — رأى الكولونيل طولا والكولونيل كوس

وكان من رأى هذين الضابطين الفرنسويين وكانا يعملان فى دمشق ويظهران الاخلاص والصداقة لجلالة الملك وقد أقالهما الجنرال غورو من عملهما بعد دخول دمشق وأعادهما الى فرنسا لاعتقاده بعدم اخلاصهما لسياسته ــ قبول الانذار لقطع الطريق على الجنرال غورو المتعطش الى دخول دمشق واحتلالها عسكريا لينال شرف هذا العمل اطفاء لشهوة الفتح المتأججة فى فؤداه، وكانا يقولان لاتترددوا فى القبول فقد يتذرع الجنرال بأوهى الأسباب لتطبيق برنامجه الاستعمارى ودخول دمشق بجيشه

الوزارة تقرر القبول

فازاء هذه الاعتبارات المادية قررت الوزارة فى جلسة عقدتها يوم ١٧ الجارى (أى قبيل انتهاء المدة المضروبة فى الانذار) أن تشير على جلالة الملك بقبوله لعدم امكان المقاومة ماديا فأرسل جلالته صباح ١٨ منه كتابا الى الجنرال بواسطة الكولونيل طولا يعلن فيه قبوله شروط الانذار فجاءه يوم ١٩ منه الجواب الآتى :

« لى الشرف أن أتسلم كتابكم المرسل بواسطة الكولونيل طولا المنطوى على قبولكم مبدئيا وشخصيا لشروطى فأذكر سموكم الملكى بانه ليس المقصود من مذكرة ١٤ يوليو

قبولها وانما المقصود هو تنفيذ أحكامها بأعمال رسمية تعمل قبل ١٨ منه على أن يتم تنفيذ ماورد فيها بكامله قبل ٣١ منه عند منتصف الليل

« ولما كنت قد مددت المدة ٢٤ ساعة إجابة لطلب سموكم الملكى فقد أكون محقا اذا لم أمددها مدة أخرى قبل أن أتلقى نبأ القبول رسميا وفعليا من جانب سموكم باعمال تعلمونها وقد أشير الى ذلك فى الفقرة الرابعة من مذكرة ١٤ منه

« ولكى أدع لكم وقتا كافيا لقبول المطالب رسميا وتنفيذها فقد قررت أن لاتتحرك جيوشى قبل ٢١ يوليو عند منتصف الليل »

وفى الساعة التاسعة والنصف من مساء ١٩ منه أرسل الجنرال غورو البرقية الآتية وقد سلمها الكولونيل طولا شخصيا الى الملك :

«ضرب يوم ١٨ يوليو موعدا لقبول أو رفض مذكرة ١٤ منه ثم مددت هذه المهلة حتى ١٩ منه نصف الليل لا لقبول الشروط رسميا بل للبدء بتنفيذها رسميا مع العلم بأن تنفيذها بكاملها يتم قبل ٣١ منه و بناء على ذلك فلن أمنح أى مهلة بعد التسهيلات التى جرت

واذا كان لابد من اعطاء وقت كاف لأجل قبول الشروط والبدء بتنفيذها فانى أقرر أن جيوشى لاتتحرك حركة قبل ٢١ يوليو عند منتصف الليل»

وفى يوم ٢٠ منه أرسل الملك الى الجنرال غورو بواسطة الكولونيل كوس البرقية الآتيـة :

« رغبة فى انقاذ شعبي من و يلات الحرب وأملا فى انشاء سلم موطد لايتسنى ادراكه الا بالاحتفاظ بصداقة الحلفاء ومودتهم وخصوصا مودة الحكومة الفرنسوية أبلغكم أننى أقبل مطالبكم مع الايضاحات الواردة فى برقيتكم بتاريخ ١٦ و ١٨ الجارى

« ان المطالب التى تضمنها انذاركم المؤرخ فى ١٤ الجارى سردت على الوجه الآتى

١ ــ أن تكون سكة حديد رياق ــ حلب على أتم استعداد لجميع النقليات التى تأمر بها السلطات الفرنسوية :

ان جعل سكة الحديد بهذه الحالة يتسنى بمراقبة حركة النقل فى محطات رياق و بعلبك وحمص وحلب بواسطة مفوضين عسكريين فرنسويين تشد أزرهم قوة عسكرية تقوم

بالمحافظة على المحطة . وباحتلال مدينة حلب ذات المركز الخطير للمواصلات والتى لن ندعها تسقط بأيدى الترك

٢ ـ الغاء التجمع العام والامتناع بتاتاً عن التجنيد وتسريح القوى واعادة تشكيلات الجيش وعدد الجند الى ما كانتا عليه فى شهر ديسمبر الماضى

٣ ـ قبول الانتداب الفرنسوى ، إن الانتداب سيحترم استقلال الشعوب السورية على منوال يتفق مع مبدأ الحكم بواسطة السلطات السورية النظامية التى تستمد قوتها من الوزارة الشعبية . وهو لاينطوى بالنسبة للسلطة المنتدبة الا على اعانة تمنح بشكل مساعدة وتعاون لايتحول بشكل من الأشكال الى استعمار أو الحاق أو ادارة مباشرة

٤ ـ قبول النقد السورى ، ان هـذا النقد سيتخذ نقدا وطنيا للمنطقة الشرقيـة . و بناء على ذلك تلغى جميع القيود التى وضعت حتى الآن فى هذه المنطقة بالنسبة اليه

٥ ـ تسليم المجرمين الذين اشتهروا بأعمالهم العدائية لفرنسا ولن يطول الوقت حتى تدرك حكومة الجمهورية بأن هذه الأزمة الشديدة التى اجتزناها لم تكن سوى نتيجة سوء تفاهم واسع النطاق بيننا و بين الشعب السورى الذى قاتل جنبا الى جنب مع الحلفاء وضحى أنواع الضحايا فى سبيلهم

فيصل

وفى اليوم نفسه أرسل الكولونيل كوس الى الملك الكتاب الآتى :

« رجانى الجنرال غورو أن أبلغكم أنه تلقى رد سموكم الملكى المرسل أمس بواسطتى وأعرب عن ارتياحه الى الاعتبارات التى بنى عليها .

« و ينتظر الجنرال الآن وصول تأييد كتابى مفصل يحرر طبقا للأسس الواردة فى مذكرة ١٤ يوليو موضحا وذاكرا الشروط التى أوردها ومعلنا قبولها . كما أنه يؤيد من جهة أخرى برقيته المرسلة مساء أمس مؤكدا أن الجيوش الفرنسوية لاتتحرك قبل ٢١ الجارى عند منتصف الليل لأجل احتلال حلب فتبلغها فى اليوم الثالث

« و ينتظر الجنرال أن يتم فى هـذا اليوم (٢٠ منه) تنفيذ مضمون الرد بأعمال رسمية و باتخاذ التدابير التى تدل على التنفيذ وتؤيده طبقا لما أشار اليه صراحة فى انذاره

« و يزيد الجنرال على ذلك قائلا تستطيع سموكم أن تثق من المعاملة الطيبة الحسنة

التى ستعاملكم بها فرنسا ومن عطفها وعدلها . والمكاتبات المختلفة التى جرت حتى الآن والبلاغات التى أبلغت لسموكم الملكى فى موضوع شروط الانذار وتطبيقها ولا سيما مايختص منها بتطبيق الانتداب قد بسطت نيات الدولة المنتدبة بسطا جليا كافيا »

الاضطرابات فى دمشق

وتناقلت الالسن فى دمشق أن الحكومة قبلت انذار الجنرال غورو وتعهدت بتنفيذه فقامت المظاهرات الاحتجاجية وعقد المؤتمر السورى جلسة ضحى يوم الخميس ١٥ منه (أى قبل قبول الانذار رسميا بيومين) خطب فيها الخطباء فحملوا على الوزارة حملة شديدة وتنادوا الى الدفاع وأقر المؤتمر فى ختام جلسته هذه اقتراحا وقعه ٤٥ من أعضائه وأذيع على الجمهور على أن يبلغ الى الحكومة لتطلع عليه وتتقيد بما جاء فيه وهو :

« بما أن مؤتمرنا هذا وهو أول ممثل للأمة السورية وناطق بلسانها قرر فى جلسته يوم ٧ مارس أن يبقى منعقدا الى أن يجتمع المجلس النيابى وبما أن البلاد دخلت اليوم فى طور جديد يستدعى زيادة التضامن والتكاتف وجمع الكلمة حول غاية الوطن المشتركة وهى الاستقلال التام والدفاع عن شرف الأمة بأسرها نطلب اقرار الاقتراحات الآتية وابلاغها للحكومة ونشرها على الأمة

«ان المؤتمر السورى الممثل للأمة السورية فى مناطقها الثلاث يعتبر قراره التاريخى بمواده الاساسية الثلاث وهى :

١ ـ الاستقلال التام والوحدة السورية ورفض الهجرة الصهيونية

٢ ـ ملكية جلالة الملك فيصل على الأساس النيابى الدستورى

٣ ـ ابقاء المؤتمر منعقدا يراقب أعمال الحكومة المسؤولة أمامه الى أن يجتمع مجلس النواب بموجب القانون الاساسى ـ قراراً واحدا لايقبل التجزئة

« وان المؤتمر السورى لا يعترف ـ باسم الأمة السورية ـ بأى معاهدة أو اتفاقية أو بروتوكول يتعلق بمصير البلاد مالم يصادق عليه »

ودعا الملك أعضاء المؤتمر يوم السبت ١٧ منه الى الاجتماع فى حديقة قصره ولما

تكامل جمعهم وقف فيهم خطيبا وسرد الاسباب السياسية والعوامل العسكرية التى جعلته يجنح الى سياسة السلم فهاجت خواطر بعض الاعضاء وتكلموا بلهجة شديدة وذكروه بخطبه الحاسية فى النادى العربى و بسوء نيات الفرنسويين وعزمهم على تحطيم الاستقلال والقضاء عليه فتأثر الملك وحاول انقاذ الموقف بلباقة فاقترح على كل واحد من الأعضاء أن يكتب كتابا خاصا اليه يبسط فيه آراءه وعقيدته الخاصة بشرط أن لايطلع أحدا من اخوانه عليه و وعد بأن يعمل بما تقترحه الأكثرية ولا يخرج عن مضمونها وقال «انى أعتقد أن الآراء التى تعطى على هذا المنوال تكون صحيحة لايؤثر فيها نفوذ ولا ارهاب » فعارضت أكثرية الأعضاء فى الأخذ بهذا الاقتراح فأهمل ولم ينفذ

وعقد أعضاء المؤتمر جلسة فوق العادة فى دار المؤتمر صباح الاحد ١٨ منه وكان الأعضاء منقسمين الى فرق وأحزاب وكان نواب منطقة دمشق والبلاد المجاورة محتفظين بالصمت بعكس نواب الساحل وفلسطين . وقامت اللجنة الوطنية بمظاهرة كبيرة مشى فيها كثيرون وكانوا يرددون أناشيدهم وجاءوا الى دار المؤتمر وحيوا الأعضاء الوطنيين ونادوا بسقوط الخونة المارقين

وعقد المؤتمر جلسة قانونية بعد الظهر قرر فيها استدعاء هيئة الحكومة واستيضاحها عن الخطة التى قررت السير عليها سيما ومهلة الانذار تنتهى فى منتصف تلك الليلة (ليلة ١٩ منه)

وعقدت اللجنة الوطنية اجتماعا كبيرا ليلة الاثنين شهدها رجال الأحزاب وممثلوها وعدد كبير من أعيان دمشق فقرروا بعد سماع خطب ومحاورات اقامة مظاهرة كبيرة يوم الثلاثاء لحمل الحكومة والملك على انتهاج خطة دفاعية وفعلا خرجت المظاهرة فى الصباح الباكر وسارت حتى ساحة الشهداء وهنالك تعاقب الخطباء ملحين بضرورة الدفاع ومما زاد فى هياج القوم واضطرابهم ماشاع بينهم وهو قبول الحكومة الانذار رسميا

وعقد المؤتمر جلسة قبل الظهر (ظهر يوم الاثنين ١٩ منه) بدأها سرية ثم قرر أن تكون علنية وقال رئيس المؤتمر على الأثر ان رئيس الوزارة أبلغه أن الحكومة غير آتية الى المؤتمر وأنها تنتظر عودة الرسول الذى انتدبته الى بيروت لمفاوضة الجنرال غورو فى تعديل الشروط الواردة فى انذاره فلذلك لايرجى حضورها الا بعد رجوع الرسول

وتكلم كثير من الخطباء ثم وافق المؤتمر على اقتراح للسيد الشريقي نائب اللاذقية وقرر طبعه وتوزيعه على الأمة وهذا نصه :

« بما أن المؤتمر السوري قد اطلع على الشروط التى طلب الجنرال غورو من الحكومة السورية قبولها والموافقة عليها وهى احتلال الخط الحديدى مع مدينة حلب وقبول الانتداب الفرنسوى بدون قيد ولا شرط واعتبار الورق السورى عملة وطنية والغاء التجنيد الاجبارى الى آخر ماجاء فى هذا الطلب ولما كانت الحكومة الحاضرة قد طلبت اعتمادا من المؤتمر فى ٨ مايو حينما أتت اليه على أثر صدور قرار سان ريمو القائل بانتداب فرنسا لسورية وتجزئتها وأعلنت فى بيانها الرسمى أنها رفضت هذا القرار واحتجت عليه وأنها ستدافع عن كيان البلاد اذا غصب حقها وأرغمت على الاستعباد فالمؤتمر الذى قرر استقلال البلاد التام و وحدتها ووضع المملكة السورية على هذا الأساس واعتمد الوزارة بعد ماقبلت به وأخذت على نفسها القيام بتنفيذه وقد استدعاها بعد ورود الانذار المذكور ليقف منها على خطتها ازاءه بصورة رسمية فلم تلب الطلب فهو يعلن الآن للملأ أنه لايحق لأية حكومة كانت أن تقبل باسم الأمة السورية أى شرط من الشروط التى تخالف قرار المؤتمر التاريخى . فالحكومة الحاضرة اذا خالفت بيانها الرسمى ولم تقم بواجبها تجاه البلاد وأرادت أن توقع على صك يخالف قرار المؤتمر فالمؤتمر يعتبرها بتوقيعها غير شرعية والصك غير صحيح ويحمل أشخاص الوزارة كل تبعة ومسؤولية تجاه الوطن ويعتبر أن البلاد مستقلة استقلالا تاما كما جاء فى قراره التاريخى واستند فيه على حقها الطبيعى والشرعى وجهادها المديد وأن كل مداخلة أجنبية فى البلاد هى غير مشروعة سواء وقعت بالقوة أو بموافقة أشخاص لانيابة لهم عن الأمة تخولهم هذا الحق . ويحق للأمة السورية أن ترفضها فى كل وقت وهو يشهد العالم المتمدن على بيانه هذا ويذيعه للأمة ويرفعه لمعتمدى الدول »

وعقد المؤتمر جلسة ثانية بعد الظهر بدأها سرية ثم جعلها علنية أعلن رئيسه فى أثنائها انه يجب انتخاب وفد قوامه ٨ من أعضاء المؤتمر و ٨ من الأحزاب لمقابلة جلالة الملك واطلاعه على الروح السائدة بين الأمة

وانتخب المؤتمر وفده فانضم الى مندوبى الاحزاب وقصدوا البلاط الساعة السادسة مساء فهتف لهم الشعب هتافا عاليا فقابل بعضهم الملك ورئيس الوزارة وعادوا فى الساعة

الثامنة الى المؤتمر فاعلن الرئيس أنه لم يتم شيء نهائي وأن الوزارة تنتظر وصول جواب الجنرال غورو لتقرير خطتها

وبدأت الوزارة مساء الاثنين ١٩ منه بتنفيذ أحكام الانذار فسرحت الجيش كما قررت تأجيل المؤتمر السوري لمدة شهرين فجاء في الساعة التاسعة من صباح الثلاثاء ٢٠ منه هاشم الاتاسي ويوسف العظمة الى دار المؤتمر ووقف هذا وتلا مرسوما ملكيا بتعطيل جلساته لمدة شهرين فعارض بعض الاعضاء واحتج آخرون كما حاول غيرهم الخطابة فأشار اليهم وزير الحربية بلزوم الانصراف فانصرفوا فأقيمت مظاهرات في أسواق دمشق وسادت الفوضى واشتد الهياج وهاجم الغوغاء في السهرة قلعة دمشق لأخذ السلاح ونهبوا المستودعات وأطلقوا السجناء فذهب الامير زيد بنفسه مع قوة مسلحة بالرشاشات الى القلعة للدفاع عنها أصلت المتظاهرين نيرانا حامية فتفرقوا بعد ما قتل نحو ٢٠٠ منهم وقصد جمهور من الغوغاء البلاط بمظاهرة عدائية ففرقتهم الشرطة قبل وصولهم . وأغلقت دمشق في تلك الليلة وبات الناس في كرب وضيق عظيمين

الجيش الفرنسوي يزحف على دمشق

وعقدت الوزاره اجتماعا بعد ظهر الثلاثاء (٢٠ منه) لوضع نص المذكرة الجوابية المفصلة التي ترسل الى الجنرال غورو طبقا لاقتراحه الوارد في برقيته الاخيرة فاستغرقت هذه الجلسة نحو ثلاث ساعات . وفي الساعة السادسة مساء ذهب الكولونيل كوس الى البلاط بناء على برقية تلقاها من الجنرال غورو يسأله فيها عما استقر عليه القرار فسأل عن الرد فقيل انه انتهى ثم سلم اليه بنصه وهو مكتوب طبقا لاقتراح الجنرال فحمله وعاد به الى داره ووضع على الأثر برقية الى الجنرال سلمت الى مصلحة البرق في الساعة السابعة ونصف مساء وقد جاء فيها أن الملك وقع جواب القبول وأنه تسلمه وأرسله بالبريد

وقد كان المأمول بعد هذا الرد أن يقف الجيش الفرنسوي عن الزحف وأن ينتهي كل شيء بيد أن عدم وصول البرقية الى الجنرال في الوقت المعين أي قبل منتصف الليل غير الوضع فقد تذرع بتأخيرها فأصدر أمره الى جيشه بالزحف فتحرك الى دمشق

وبيان ما وقع أن موظفي البرق وجدوا الأسلاك البرقية مقطوعة بين دمشق وبيروت

حينما أرادوا إرسالها فى الساعة الثامنة مساء أى بعد وصولها بنصف ساعة فحاولوا إرسالها بطريق النبك ــ حمص ــ البقاع فاتصلوا بعد عناء طويل بمركز البقاع عند منتصف الليل وطلبوا من الموظف المختص أن يتسلمها فأجابهم ان ضابطا فرنسويا واقفا على رأسه والمسدس مشهر بيده يأمره بأن يرسل برقية من الجنرال غورو الى الكولونيل كوس حالا ويأتى بالجواب فأخذها منه ولما حاولوا إعطاءه البرقية المرسلة امتنع عن قبولها فتأخرت رغما عنهم

وجاء فى صباح ٢١ منه الكولونيل كوس ومعه جيل الالشى مرافق الملك الى مكتب البرق للبحث عن سبب تأخيرها فأجيبوا بأنها وصلت فى الساعة السابعة والنصف وبما أنها غير رسمية لأنها مأجورة ــ وكان معتمدو الدول فى دمشق يدفعون أجورا على برقياتهم ــ وتعد من البرقيات التجارية فقد حفظت لترسل عند حلول دورها . ولما أرادوا ارسالها عند الساعة الثامنة وجدوا الأسلاك مقطوعة فحاولوا ارسالها بطريق النبك ــ فامتنع الموظفون فى البقاع عن تسلمها . وأحيل الموظف المختص الى المحاكمة فى الديوان العسكرى الوطنى فحوكم يوم ٢٢ منه فأثبت عدم امكان ايصال البرقية فنيا للاعتبارات التى بسطناها فبرأه

وبعد ماتم للفرنسويين دخول دمشق وتألفت الوزارة الدروبية يوم ٢٦ منه أحالت حسن بك الحكيم مدير البرق والبريد العام فى الحكومة الفيصلية، يوم أول أغسطس سنة ١٩٢٠ الى الديوان العرفى لمحاكمته بتهمة الحيلولة دون ارسال البرقية عن قصد وتعمد فأثبت فى المحاكمة أنه استقال فى الساعة الخامسة والنصف من يوم ٢٠ يوليو أى قبل وصول البرقية بساعتين ونصف وانسحب من العمل محتجا على الوزارة لنقضها عهودها للأمة بقبولها انذار الجنرال غورو وقائلا ان التعاون معها ذل واستخذاء ، فبرأه الديوان بعد درس قضيته وبعد ما سمع شهادة الشهود وعالج القضية من الوجهة الفنية وبنى تبرئته على الاعتبارات الآتية ١ ــ لأنه استقال قبل ورود البرقية بساعتين و ٢ ــ لأنه لم توجه اليه تهمة من الموظفين المختصين ولم يشهد أحد منهم بأنه أوحى اليه أو أمره بوقفها و ٣ ــ لأنه بصفته مديراً عاما للبرق والبريد لايطلع على البرقيات الصادرة والواردة بل يتولى ذلك الموظفون المختصون

ولما أرسلت أوراق البراءة الى الوزارة نقضتها طالبة اعتقاله واعادة محاكمته فأعيدت محاكمته وهو غير معتقل وأعاد الديوان العرفى تبرئته للاعتبارات السابقة ولأنه لم يقم ماينقضها وحاولت اعادة محاكمته للمرة الثالثة ثم عدلت عنها لما رأته من اصرار الديوان العرفى على تبرئته فقد أجاب رئيسه أحد الوزراء حينما اقترح عليه أن يصدر حكما باعدامه قائلا انه يفضل قطع يده على اصدار مثل هذا الحكم ووقفت القضية عند هذا الحد

وهنالك من يعتقد بأن قطع السلك البرقى فى تلك الليلة بين بيروت ودمشق جرى باغراء بعض الموظفين الفرنسويين الذين أرادوا اغتنام هذه الفرصة لدخول دمشق متذرعين بهذه الوسيلة فكان لهم ما أرادوه

شروط غورو الجديدة

وفى صباح ٢١ منه طير الملك برقية الى الجنرال غورو فى بيروت وقد أبلغ عونى عبد الهادى صورة منها الى الكولونيل ايستون المعتمد البريطانى بدمشق وهذا نصها :

« على الرغم من المشكلات التى توقعتها مقدما فقد قبلت كتابة ورسما كل ماطلبتموه فى انذاركم وسرحت الجيش العامل طبقا لأحكامه وألغيت الخدمة العسكرية الاجبارية مما سبب استياء جانب من أبناء شعبى كما يشهد بذلك قناصل الدول فى دمشق . ولقد دهشت حينما علمت أن جيوشكم تزحف على دمشق رغم قبولى جميع الشروط الواردة فى الانذار بلا قيد ولا شرط مما يعد انتهاكا للعهود المقطوعة وخرقا للحقوق الخاصة وللروح الأدبى العام

« فكل تبعة تنجم عن هذا العمل الغريب تقع على عاتق مسببها ، وأطلب منكم فى الختام اتخاذ التدابير اللازمة لسحب جيوشكم بسرعة »

وأرسل الجنرال البرقية الآتية الى الكولونيل كوس :

« لقد تلقيت الساعة العاشرة من هذا الصباح ثلاث برقيات منكم بالترتيب الآتى :

١ – برقية ٢٠ يوليو الساعة ١٩ : ٣٠

٢ – برقية ٢١ « « ٢٠ : ٣٠

٣ – برقية بدون رقم و بتاريخ ٢١ منه تؤكد البرقيتين الأوليين بشأن قبول

الشروط المنطوية على عقوبات بطرق رسمية وتطلب منى عدم مواصلة الزحف على دمشق

٤ ــ وتلقيت برقية ٢١ منه المرسلة فى الساعة ٣٠ : ٧ المشيرة الى أن برقيتكم بتاريخ ٢٠ منه لم يمكن ارسالها بسبب قطع سلك التلغراف بين دمشق والزبدانى

٥ ــ ولم تصلنى البرقية الحاملة قبول الشروط المطلوبة فى خلال المدة المضروبة ولذلك بدأ الزحف على دمشق فى هذا الصباح

وخلافا لما أشرتم اليه لم يبدأ باطلاق النار فى مجدل عنجر وقد ارتد رجال المخافر العربيـة فى البقاع بطريق دمشق وربما ارتد رجال مجدل عنجر. وتتسلق جنودنا منذ الساعة ٩ صباحا هضاب لبنان الشرقية . ولذلك لم يعد بالامكان ايقاف زحفها

وفى امكانكم أن تنبهوا الأمير بأنه لولم تنظم الحكومة العربيـة عصابات السلب والنهب وتؤيدها لما تأخرت برقيتكم الخطيرة الشأن بسبب قطع السلك . فحكومة دمشق هى ضحية أعمالها السابقة . ويجب اعلام الأمير أن الزحف سيستمر حتى يصل الجيش الى مقابل دمشق فاذا لم يجد مقاومة واذا تم احتلال حلب والمحطات المذكورة فى الشروط بدون مقاومة فان الجيش لايدخل دمشق

وأؤكد لكم تلغرافى نمرة ٣/٣٥٦ الذى أرسلته مساء أمس وأبلغتكم فيه أن تبقوا مستعدين للمحادثة مع كل حكومة مستعدة للتعاون باخلاص مع فرنسا

وأرسل الملك فى اليوم نفسه البرقية الآتيـة الى حكومات الحلفاء بواسطة قنصل ايطاليا العام :

« رغم قبولى جميع الشروط الواردة فى انذار الجنرال غورو المؤرخ ١٤ يوليو وهى تنطوى على احتلال مدينة حلب الواقعة فى أقصى حدودنا الشماليـة ومحطات حلب وحمص وحماه وعلى سحب جيوشنا من الحدود وتسريح الباقى منها والغاء التجنيد الاجبارى وعلى قبول التعامل بالنقد السورى وعلى الاعتراف بالانتداب الفرنسوى لسورية ــ ذلك القبول الذى أعرب لى عن ارتياحه اليه فى كتابه المؤرخ فى ٢٠ منه والمقدم الى بواسطة ضابط ارتباطه فى دمشق ــ فانه أصدر الأمر الى جيشه بالزحف على دمشق

« وسيؤدى حتما هذا العمل الشاذ الذى لا يكاد تاريخ الانسانية والحضارة ينطوى

على مثيل له الى اراقة كثير من الدماء البريئة . خصوصا وهو يقع بعد قبول انذار باهظ الشروط سرح بموجبه الجيش السورى وأرسل رجاله الى بيوتهم ويخشى معه من انتقاض شعبي الذى يلح فى رفض هذا الانذار

فألفت نظر حكومتكم والعالم المتمدن الى هـذه الجناية السيئة ولن تقع تبعتها الا على عاتق مرتكبها ذاك الذى انتهك حرمة العقود الدولية المقدسة »

اعلان الحرب على الفرنسويين

وتبدل الموقف بعد ظهر الأربعاء ٢١ منه فقد ذهب الكولونيل طولا فى الصباح الى عاليه فقابل الجنرال غورو وأطلعه على قصة البرقية وأفهمه انه لايد للحكومة فى تأخيرها وطلب اليه فى النهاية وقف الجيش الزاحف فأجاب انه لايستطيع وقفه بعد كل ماجرى فعاد الى دمشق وأبلغ جلالة الملك الجواب فتأثر كثيرا وأدرك انه كان مخدوعا ورأى ان مقابلة الشر بالشر هى الوسيلة الوحيدة لانقاذ البلاد من حرب أهلية تكاد تنشب فيها بسبب قبول الانذار . ومما لاريب فيه ان وقوع الزحف فى صبح ليلة سوداء قضتها دمشق ولم يغمض لها فيها جفن، جعل جلالة الملك يختار هذه السياسة و يعدل عن خطته السلمية فقد تركب الأهوال ماليس يركب

ونادى على الأثر منادى الحرب فى أرجاء دمشق ودوى نذيره وأرسل جلالة الملك فاستدعى الشيخ كامل القصاب ــ زعيم اللجنة الوطنية يومئذ ــ وقال له لقد قررنا الدفاع فارنا همتك ونشاطك وجئنا بالقوى التى تقول انها مهيئة للزحف فانطلق يجوب الأحياء كما انتشر الخطباء فى كل ناحية يحثون الناس على الدفاع فأشرق وجه دمشق بعد القطوب وعادت اليها حركتها ــ بعـد جود قاتل ، وتراكض الناس الى محطة سكة الحديد للسفر الى ميدان القتال بميسلون والاشتراك بالدفاع ومعظمهم بلا زاد ولا سلاح

واذيعت على الأثر المناشير الثلاثة الآتية :

١ — منشور الملك

الى أبناء الوطن

عملنا للمحافظة على السلم حتى لا نفتح على الأمة باب التعلل والاحتجاج وحافظنا على شرفنا فى كل مواقفنا مع الفرنسويين وآخرما فعلناه فى هذا الباب اننا قبلنا شروطا لندفع بها عادية القوم ولنحافظ بها على كتلة سورية عربية ، متمتعة بالحرية والاستقلال ولـكن الجنرال غورو الذى لايهنأ له بال حتى يرى شرف هذه الأمة معرضا للاهانة والاحتقار حنث بيمينه وخالف الأصول المعترف بها وتعامى عن سماع الواجب وأمر جيشه بمهاجمة الجيوش العربية المرابطة على الحدود فالى معاضدة هؤلاء الأبطال الذين يعرضون مهجهم للدفاع عن الوطن المقدس ندعو كل فرد من أفراد الامة الى السير الى الامام حيث الشرف والمجد والدين والوطن

٢ — منشور القيادة العامة

ان أمارات السوء التى ظهرت جليا موشحة بتجاوز العدو واختراقه الحقوق الولائية والبشرية أنذرتنا بخطر الاستعباد و بطشه الايدى وايقـاد نيران حرب تـكون وبالا على الالوف من الأبرياء لهدم أمانى الأمة السورية والقضاء على مبادئها القويمة التى قامت تجاهد وتسعى لتضمن فوزها فى معترك الحياة

لقد حان الوقت الذى يحتم على شبان هذا الوطن وشيوخه أن يستبسلوا أمام هـذا الاعتداء الفعلى وأن يظهروا منتهى الغيرة والاقدام رابطى الجأش ساهرين على تنفيذ تلك المبادئ المقدسة رغما عن ممانعة هذا العدو ومعاكسته لنيلنا هذه الغاية فى الحياة . ان الامة السورية التى تعرف شرفها ومقامها والتى تتمتع بذكاء أبنائها ودهائهم وتعتمد على أخلاقها القومية يستحيل أن يندرس مجدها فى أى وقت وأمام أية قوة مهما تراكمت المصائب واشتدت فداحة الظلم والجور عليها فلابد أن يأتى اليوم الذى تعلن فيه ظفرها وانتصارها على غاصبها و يستحيل أن تموت هذه الاحساسات و يقتل هذا الشعور فتخديرا للعزائم الوطنية وتوهينا لها قد تأتى طيارات العدو المحتل وتحلق فى سمائنا لاستكشاف الأماكن والحركات العسكرية

ولا لقاء الرعب والارهاب فى قلوب الذين لايدركون أن تأثير الطيارات لايكون الا على الذين يخافونها ولربما ترمى قذائفها على المبانى العسكرية واذا رأت جموعا وجماهير محتشدة لتثبيط العزائم والمعنويات القومية التى لاتتزلزل أمام هذه الترهات والأوهام؟ قد يكون تأثير أعمالها بسيطا فيضمحل ويتوارى معها متى تفرقت الجموع المجموعة وانتشرت فى الأرض بلا خوف ولا وجل . وليعلم الشعب بأسره أن المدافع والطيارات والبنادق والأسلحة لا تقضى على آمال الامة اذ ان تأثير الطيارات على الماديات المجردة فقط وليس لها أى تأثير على الاحساس والوجدان امام ثبات الامة واقدامها على اقتحام المصاعب والعقبات التى يضعها العدو الفاغر فاه ليبتلعنا اذا زلت بنا القدم كما أن الحكومة قد اتخذت الحيطة والتدابير الممكنة لمنع تجول الطيارات واعتلائها فى آفاقنا ووضعت المدافع والرشاشات السريعة فى مواضع متعددة لصدها والتنكيل بها فعسى أن تكلل الأعمال بالفلاح والنجاح وما النصر الا من عند الله

٣ — منشور الحكومة

« ان الحكومه العربية السورية حبا للسلم وحقنا للدماء البريئة لم ترغب أن تدخل غمار الحرب فقبلت ماعرضه عليها الجنرال غورو من الشروط المصحوبة بالانذار وأرسلت اليه قبل انتهاء الموعد جواب موافقتها كما أبلغكم ذلك كبير الامناء الا أن الجنرال غورو نقض العهد مع الاسف وبادأنا بالعداء فعلا فأصبحت الامة بعد الاتكال عليه تعالى والاستمداد من روحانية نبيه مضطرة للدفاع عن كيانها وحياتها وشرفها ملقية تبعة ماينجم عن الحرب من الويلات على الجنرال غورو لذلك فانى أوصى جميع أبناء الوطن ورجال الحكومة أن يقوموا بواجباتهم الوطنية بعزم وقوة متوكلين على الله القدير ومنعا لهذا الاعتداء الفظيع وما النصر الا من عند الله يؤتيه من يشاء »

استئناف المفاوضات ومطالب جديدة

وعاد الملك ثانية ـ بعد ماأخذت ثورة عاطفته ـ فأرسل الى الجنرال غورو يوم ٢١ منه البرقية الآتية :

«على الرغم من قبول جميع الشروط الواردة فى مذكرة ١٤ الجارى وعلى الرغم من زحف الجيش الفرنسوى وتقدمه نحو دمشق ورغبة فى حقن دماء تسيل بلا طائل أطلب منكم فى الدقيقة الأخيرة ان تصدروا أمركم الى الجيش بايقاف أعماله للدخول فى محادثات تدور على القاعدة المبينة فى برقيتكم المبلغة اليوم. يسافر اليوم الى طرفكم أحد أعضاء الحكومة ومهمته التعاقد معكم باسمها» وغادر دمشق فى اليوم نفسه (٢١ منه) ساطع الحصرى وزير المعارف وجميل الالشى المرافق العسكرى لجلالة الملك الى عالية لمقابلة الجنرال غورو والبحث معه فى ايقاف زحف الجيش فسلم الجنرال الوزير المذكرة الآتية وقد حملها الى جلالة الملك وهى :

انه وان تكن طرق التنفيذ المنصوص عليها فى الانذار لم تنفذ خلال المدة المضروبة ولما كان الأمير قد اتخذ تدابير التنفيذ فالجنرال غورو مستعد لوقف زحف الحملة على دمشق بالشروط الآتية :

١ ـ تنشر حكومة دمشق منشورا ألحقت مسودته بهذا البيان يوضح الأسباب التى حملت الجيش الفرنسوى على الزحف وعلى التوقف

٢ ـ تستقر الحملة فى الأماكن التى بلغتها وتحد من الشرق بمسيل التكية وتظل هنا ريثما يتم تنفيذ شروط الانذار كاملة ، تلك الشروط التى قبلها الأمير وتخفض تدريجيا بنسبة لتنفيذ الشروط

٣ ـ تظل سكة حديد رياق ـ التكية فى خلال هذه المدة تحت مطلق تصرف الفرنسويين

٤ ـ تسترجع الحكومة الى دمشق القوات العسكرية الشريفية المرابطة غربى وشمالى مسيل التكية وفى المنطقة نفسها بما فى ذلك قوات البقاع وذلك رغبة فى سلامة الجيش الفرنسوى ويجعل الدرك الباقى فى هذه المنطقة تحت أمر السلطات الفرنسوية المحتلة

٥ ـ تمتنع حكومة دمشق من الآن عن مد يد المساعدة للعصابات التى تعمل فى المنطقة الغربية وخصوصا للشيخ صالح

٦ ـ ان الاضطرابات التى نشأت عن أعمال العصابات التى أوصلت الحالة الى هذا الحد وحوادث ٢٠ يوليو فى دمشق وقد أثبتت خطر تسليح الشعوب تسليحا عاما ان هذه

الاعتبارات تجعل من الواجب على الجنود المسرحين أن يسلموا أسلحتهم الى المستودع العسكرى على أن ينزع سلاح الشعب تدريجيا

٧ ــ تقيم فى دمشق لدى الحكومة بعثة فرنسوية مفوضة تمنح الاختصاصات الآتية :

ا ــ اختصاصات موقتة

تقوم بمهمة المراقبة على تنفيذ الشروط التى قبلتها الحكومة

ب ــ اختصاصات دائمة

تدرس طريقة تطبيق الانتداب فى المنطقة الشرقية أى تعاون فى تنظيم وفى قيام الوزارات بالخدمات العامة

توضع هذه البعثة تحت إشراف رئيسها (الكولونيل كوس) وتؤلف من الفروع الآتيـة :

فرع عسكرى

» مالى ــ للضرائب والمحاسبات العامة وأملاك الدولة والمساحة والبريد

» إدارى ــ لأعمال الأسعاف والصحة

» اقتصادى ــ للزراعة والمناجم والأشغال العامة

» للحقانية والشرطة

» للتعليم العام

٨ ــ فى حالة عدم تنفيذ شرط من هـذه الشروط أو فى حالة الاعتداء على الجيش الفرنسوى فى أى جهة من الجهات تسترد الحلة حريتها المطلقة فى العمل

وأبرق الكولونيل كوس يوم ٢٢ منه الى الجنرال غورو البرقية الآتية :

تلقى الأمير إعلانا بهدنة تنتهى يوم ٢٣ منه عند منتصف الليل وحيث انه لم يصله حتى الآن أى اقتراح من قبلكم فهو يطلب إبلاغه بسرعة الشروط المقترحة مع مهلة كافية لاعطاء الجواب

قبول شروط الإنذار الأخير

ودعا الملك الوزراء الى القصر الملكى وأطلعهم على شروط الانذار الجديد واستشارهم

فيما يرونه فأشاروا عليه بقبوله وعدم المعارضة ويقول أحد الثقات ان يوسف العظمة كان فى جملة الوزراء الذين أشاروا على الملك بقبول الانذار فلما سمع منه ذلك قال له

ـ ولماذا كنت تصر على الحرب ؟

ـ كنت أعمل « مناورة » على الفرنسويين

ـ يجب أن نموت بعد أن وصلت الحالة الى هذا الحد

ـ إذن أنت تأمرنى أن أموت

ـ يجب أن نموت شرفاء

اول بلاغ رسمى عن القتال

وفى يوم ٢٢ نشر فى دمشق البلاغ الرسمى الآتى :

« حالما أعلن الدفاع عن البلاد وقفت قواتها التى كانت راجعة من مجدل عنجر غربى خان ميسلون فصدمتها القوات الفرنسوية المتقدمة وفى طليعتها خمس دبابات فتبادلت مدفعيتنا والدبابات النار فحطمنا ثلاثا وأكرهنا الأخيرتين على التقهقر والانسحاب بسرعة

وكان قطار عسكرى فرنسوى يسير من رياق الى جهة حمص فاقتلعت قواتنا الوطنية قضبان سكة الحديد قرب القصير فهوى القطار وانفجر مافيه من مواد حربية ولم يرد علم بعد عما أصاب ركابه

وبينما كانت دورياتنا فى بعلبك تتجول للمحافظة على الأمن تعرضت لها قوة فرنسوية ولكنها انهزمت تاركة مركبة نقل وسبعة قتلى وثلاثة جرحى

وحامت طيارة اليوم فوق مواقعنا (؟) فأكرهتها مدفعيتنا على الانسحاب فارتدت نحو الغرب

وزحفت قوة فرنسوية نظامية مؤلفة من كتيبتين الى يحفوفا فقابلها الوطنيون وردوها الى رياق بعد ما كبدوها خسارة »

وعاد الملك فأرسل يوم ٢٣ منه البرقية الآتية الى الجنرال غورو :

« نحن نأبى الحرب بيد أن قبولنا لمذكرتكم الأخيرة يعرضنا لحرب أهلية ويجعلنى أنا وكل عضو من أعضاء الحكومة عرضة للتهلكة . نحن على استعداد لتنفيذ

انذار ١٤ يوليو بكامله وقد نفذنا حتى الآن أربعة بنود من بنوده وتتعهد بشرفنا بأن تنفذه بإخلاص اذا جلا الجيش الفرنسوى عن الأماكن التى احتلها »

ولما لم يرد جواب من الجنرال الذى كان مصمما على متابعة الزحف الى دمشق أدرك رجال الحكومة أنه لابد من القتال والمقاومة فذهب يوسف العظمة الى ميسلون لملاقاة الجيش الفرنسوى وتقلد ياسين باشا الهاشمى قيادة موقع دمشق والأمير زيد القيادة العامة للجيش ولكن الجيش كان مسرحا

معركة ميسلون

كانت الخطة العسكرية التى وضعها يوسف العظمة للدفاع عن دمشق تقضى بانشاء سلسلة من الحصون حول قرية مجدل عنجر المطلة على سهول البقاع والمسيطرة على طريق رياق ـ دمشق السلطانى وبحشد قوات من الجند لمنع الجيش الفرنسوى من التقدم نحو العاصمة ، وكان مجموع القوات المرابطة فى هذا الخط حينما اجتمع المجلس الحربى يوم ١٦ يوليو يقدر بثلاثة آلاف جندى نظامى مسلحين ببطاريتين من المدافع : بطارية جبلية وبطارية صحراوية يقودهم أمير الالاى تحسين الفقير وقد حل فى قيادة هذه المنطقة محل ياسين الهاشمى الذى أبى تولى القيادة كما رأيت لاعتقاده بعجز الجيش عن المقاومة والثبات لنقص معداته وأسلحته وفقده النظام

ولقد سرحت هذه القوى حينما صدر الأمر بتسريح الجيش يوم ١٧ منه فارتدت المدفعية الى دمشق تاركة خطوط الدفاع الخلفية كما تفرق المشاة عائدين الى بيوتهم ومنازلهم وبلدانهم ، لأن الخطة التى ساروا عليها فى تسريح الجيش تقضى بالغائه الغاء تاما وعدم الابقاء على شىء منه ولذلك تفرق رجاله المدربون هنا وهنالك ، ولم يبق من مجموع قوات مجدل عنجر عند مانودى بالحرب يوم الاربعاء ٢١ منه سوى ٦٠ جنديا جمعوا من هنا وهنالك وحشدوا فى ميسلون للدفاع والمقاومة . ولا نشك فى أن تسريح الجيش على هذا المنوال كان من جملة العوامل التى أطمعت الجنرال غورو وجعلته ينتقل من تشديد الى تشديد آخر ، ولو اكتفوا بسحب الجيش الى خارج المنطقة وأبقوه فيها على أن يسرح نهائيا بعد الاتفاق على جميع الشروط وتنفيذها لما حدث ما حدث .

وانتشرت الدعوة للتطوع فى دمشق يوم الاربعاء (٢١ منه) ونفخ فى بوق الحرب بعد ما كان الجيش الفرنسوى قد اقتحم منطقة مجدل عنجر ووادى الحرير وتقدم باتجاه ميسلون وتبعد عن دمشق ٢٨ كيلو مترا فقط من جهة الغرب

ورأى قواد الجيش العربى أن يصمدوا لجيش الجنرال غوابيه فى ميسلون وأن ينازلوه فيها فبدأوا من يوم الاربعاء بانشاء خط دفاع وباعداد معدات القتال وتنظيم المتطوعين القادمين من دمشق وقام بهذه المهمة الخطيرة البكباشى شريف الحجار مدير الاستخبارات العسكرية فى الجيش والاستاذ فى المدرسة الحربية فقد وصل الى ميسلون مساء ذاك اليوم على رأس ٣٠٠ فارس وتوالى وصول المتطوعين فبلغ عددهم مساء الجمعة ٢٣ منه ثلاثة آلاف يحملون بنادق مختلفة الأنواع والأحجام . ونظم شريف الحجار الأسلحة قبل الاشتباك فى المعركة فوضع حملة البنادق الانكليزية فى جانب كما وضع حملة البنادق الألمانية فى جانب آخر ومثلهم حملة البنادق العثمانية

وعبئت هذه القوى فى منطقة ميسلون ووهادها وجبالها تعبئة محكمة وأقامت فى انتظار وصول العدو وجاء يوسف العظمة صباح السبت ٢٤ منه ليشترك فى القتال. وانشئت مصلحة للتموين (منزل) فى دمر بقيادة لطفى الرفاعى لامداد الجيش المحارب بالمؤن والماء كما أنشئت مصلحة للصحة

وظلت القوى الفرنسوية تتقدم من دون مقاومة حتى أشرفت على منطقة ميسلون مساء الجمعة فحطت رحالها وأقامت تنتظر الصباح للبدء بالعمل ، وعند شروق فجر السبت ٢٤ منه أخذت المدفعية الفرنسوية تطلق نيرانها بشدة على أماكن المتطوعة فثبتوا وكانت المدفعية السورية تجيبها بمقدار لقلة العتاد وكان هنالك نحو ١٠ طيارات ترافق الجيش الفرنسوى فى زحفه وعدد كبير من الدبابات يمهد له . وفى الساعة ١٠ صباحا بدأ مشاتهم بالزحف الى الامام فصمد لها المتطوعة وأصلوها نارا حامية ووقف يوسف العظمة عند الساعة الحادية عشرة على احد التلول و بيده منظار يراقب حركة القتال ، فحاول مرافقه العسكرى ياسين الجابى أن يحمله على التراجع وعدم تعريض جسمه لرصاص الأعداء فأبى فجاءته رصاصة من رشاشة فى صدره وتلتها رصاصات أخرى فوقع مضرجا بدمه

واستمر القتال بين الفريقين حتى الظهر فاسكتت المدفعية الفرنسوية المدفعية السورية

كما زحزح المشاة فغادروا أماكنهم تاركين نحو ٨٠٠ شهيد أى انهم فقدوا فى هذه المعركة أكثر من الربع . وقدرت خسارة الفرنسويين بثلاثمائة قتيل

وهـذا بيان القوات الفرنسوية التى كانت تقاتل فى ميسلون كما جاء فى بلاغ فرنسوى رسمى :

« ألاى المشاة ٤١٥ وألاى رماة الجزائريين الثانى ولواء سنغالى من الرماة الافريقيين وألاى من السباهى المغاربة وخمس بطاريات ميدان ومثلها جبلية و بطاريتان من عيار ١٥٥ و يبلغ مجموع القوة نحو تسعة آلاف جندى تعززها طيارات ودبابات مع كمية من الرشاشات وكانت بقيادة الجنرال غوابيه . وقد تطوع فى هذه الحملة عدد كبير من اللبنانيين الموارنة بينهم بعض المتعلمين للقيام بأعمال الاستطلاع والترجمة والتجسس وأداء خدمات أخرى

الانسحاب من ميسلون

وتم انسحاب المتطوعة والضباط العرب من ميسلون عند الساعة الواحدة بعد الظهر وارتد المشاة الى سهول الديماس يقودهم شريف الحجار وقد حاول أن يقف بهم عند قدسيا و ينشئ خط دفاع للمقاومة ولكنه اضطر الى الانسحاب لضعف القوى الأدبية وفقد النظام ولأن الذين التفوا حوله لايزيدون عن ٢٥ جنديا فعاد فى المساء الى دمشق

جلالة الملك فى الميدان

قصد جلالة الملك صباح السبت ٢٤ يوليو دمر ومنها الى الهامة حيث كان مقر الجيش فوقف يرقب أخبار القتال الدائر فى ميسلون ونحو الساعة الحادية عشرة ركب الأمير زيد ومعه الدكتور أحمد قدرى سيارة قاصدين ميسلون وما كادا يتوسطان صحراء الديماس حتى حلقت فوقهما طيارة فرنسوية رمتهما برصاصها فأوقف الأمير السيارة ونزل منها واستلقى على ظهره وأخذ يطلق عليها الرصاص من بندقيته وأمر الدكتور بالنزول فنزل استعداداً للدفاع ولكن الطيارة تركتهما وانصرفت عنهما وكان هنالك عدة طيارات فرنسوية تروح وتغدو للاستطلاع وفيما هما على تلك الحالة مر بهما سائق سيارة يوسف العظمة وهو يسوق السيارة وهى خالية و يقول بأعلا صوته لقد انكسرنا

وما كادا يتقدمان قليلا حتى شاهدا المتطوعين عائدين فرجعا الى الهامة ورافقا الملك الى منزل الأمير زيد فى المزة وقصد الدكتور قدرى دار الحكومة لابلاغ الوزراء ماوقع ولابلاغ البلدية أن تكون على استعداد فمر بطريقه بدار المعتمد الفرنسوى فاستدعاه وقال له قل لجلالة الملك أن لايقيم بعيداً فعاد إلى المزة وقص على جلالة الملك ماوقع فتقرر أن يقصد الكسوة وسار اليها فعلا عند الاصيل وكان من رأى قناصل ايطاليا وأمريكا وانكلترا أن يظل جلالته فى دمشق فيخرجه الفرنسويون بالقوة إذا شاءوا

وكانت الخطة التى يميل جلالة الملك الى اتباعها فى هذا الدور تقوم على الانسحاب مع هيئة الحكومة إلى درعا وأنشاء خط دفاع هنالك وجمع القوى ومواصلة النضال ، بيد أن سقوط ميسلون بسرعة وتشتت قوى المتطوعة وعدم استطاعتها الوقوف طويلا فى وجه الفرنسويين وتخلف بعض الوزراء عن اللحاق بجلالته حال دون تنفيذ هذه الخطة يضاف إلى ذلك ان الكولونيل طولا وزميله كوس كانا يعملان حتى تلك الساعة ليظل جلالته على عرش سورية ساعين لاقناع الجنرال غورو بان ماوقع هو من فعل العناصر المتطرفة ولا تلبث أن تنفض وتذوب بعد الاحتلال

١٥

الجيش الفرنسوى فى دمشق

مشى الجيش الفرنسوى من ميسلون بعد ظهر السبت بحذر و بطء فبلغ المزة فى المساء فحط رحاله ونزل فى جوارها . وزاره فى المساء اللواء نو رى السعيد قائد موقع دمشق والقائمقام جميل الالشى مرافق الملك واتصلا بقائده وأركان حربه وأبلغوهم ان فى استطاعة الجيش أن يدخل دمشق فى أى وقت أراد

وفى الساعة الرابعة بعد ظهر الأحد ٢٥ منه بدأت جيوش الحملة تدخل دمشق - وكانت مقفلة الأسواق عابسة مقطبة تندب شهداءها ورجالها وآمالها وقد لبست ثوب الحداد - فوزعت فى ثكناتها ووقف الأهالى على برازق الارصفة مطرقين عابسين ، مقطبين كأن على رءوسهم الطير

تأليف الوزارة الدروبية

و وقع الملك فى صباح الاثنين ٢٦ منه وكان لايزال فى الكسوة مرسوما بتعيين علاء الدين الدروبى رئيس مجلس الشورى فى الوزارتين الركابية والاتاسية ووزير الداخلية فى الأخيرة رئيسا لوزارة جديدة تحل محل الوزارة الاتاسية المستقيلة

فألف هذا وزارته على الفور من عناصر عرفت بتأييد الانتداب الفرنسوى وموالاته . وقد أرادوا من هذا التدبير ومن اختيار هؤلاء أن يكونوا واسطة للتفاهم بين الملك والفرنسويين وهذه أسماء الوزراء : عبد الرحمن اليوسف للشورى وعطا الأيوبى للداخلية وبديع المؤيد للمعارف وجميل الالشى للحربية وفارس الخورى للمالية و يوسف الحكيم للزراعة وجلال الدين للعدلية أى انها كانت تضم معظم أعضاء الوزارة السابقة فرئيسها وثلاثة من أعضائها كانوا فيها .

وتبدل الموقف حينما أذاع الجنرال غوابيه قائد الحملة الفرنسوية البيان الآتى:

«بما أن الأمير فيصلا جر البلاد الى شفا الخراب والدمار فقد جرد من سلطة الحكم وصدر الأمر بدفع عشرة ملايين فرنك تعويض الخراب وسد الخسارة التي أصابت المنطقة الغربية من جراء حرب العصابات ونزع سلاح الجيش السوري عامة»

احتجاجات الملك وتدابيره

ولما اطلع الملك على هذا البلاغ أرسل إلى الجنرال غورو يوم ۲۷ منه الاحتجاج الآتي برقيا :

« احتج على التصريح الذي صرح به قائد حملتكم الى حكومتي بتاريخ أمس وأتنصل من كل تبعة أردتم أن تحملوني إياها وأعتبر جميع المكاتبات التي تدور بينكم و بين حكومتي أو التعليمات التي تصدرونها اليها مباشرة و بدون وساطتي ملغاة وغير مشروعة أمام جمعية الأمم

« وأكرر لكم بهذه المناسبة تصريحي السابق وقد أعربت فيه عن رغبتي في اجتناب كل نزاع وفي عدم معارضتي لوجود البعثة التي يوكل اليها تحديد أسس الانتداب وقد رضيت به في الأول والآخر»

وأرسل في اليوم نفسه الى اللورد كرزن وزير الخارجية البريطانية البرقية الآتية بواسطة اللورد اللنبي :

سيدي

أرسل اليكم طي هذا صورة تبليغ من قائد جيش الاحتلال الفرنسوي وقد احتججت عليه وتجدون صورة هذا الاحتجاج طيه أيضا . وأنا أنكر كل ماجاء في التبليغ المشار اليه وأضع المسؤولية كلها سواء كانت مادية أو غير مادية على السياسة التي جرى عليها جيش الاحتلال الفرنسوي منذ الاحتلال وعقد الهدنة مع تركيا . واني موقن من زمان طويل أن الغرض الأصلي هو اخراجي بحيل ودسائس من هذه البلاد وحملي على مغادرة العرش الذي أسسته بمساعدة حكومة صاحب الجلالة البريطانية وبذلك يثأرون مني لصلاتي الودية مع بريطانيا العظمى . وسأبقى على هذه الحال في دمشق منتظرا مشورتكم لي ومحتجا على كل مشاكسة ومعاكسة وأرجو أن لايطول انتظاري طويلا فاذا لم تصلني اشارة منكم بما

أفعل فأنا لا أرغب البقاء فى هذه البلاد مهانا ذليلا ولا أطيق الذم الذى يوجه الى أمتى من غير حق . وقد طلبت رسميا من القائد الفرنسوى أن يبلغنى رسميا بأن أغادر البلاد أو يعاملنى طبقا لحالة (شروط) الانتداب »

وأرفقه أيضا بالكتاب الآتى الى اللورد اللنبي:

سيدى اللورد

كما أخبرتكم قبلا بعد تسريح جيشنا واخلاء مراكزنا الحربية فى مجدل عنجر والفائدة التى نجمت عن هذا الاحتلال للجيش الفرنسوى بتقدمه الى وادى القرن ، و بعد تسلم البلاغ النهائى من الجنرال غورو وجوابى بقبول كل الشروط التى تضمنها البلاغان وطلبى منه أن يسحب جنوده من الأماكن المحتلة بلا حق ، لايستطع انزال العقوبات بأولئك الذين اتهموا باشتراكهم مع السكان فى الزحف الى الساحة ليحولوا دون تقدم الجيش الفرنسوى عند دخوله دمشق . وانى وحكومتى نرفض رفضا باتا أن نشهر حربا على فرنسا أو نثير نزاعا مع الفرنسويين . ولقد لقى الجنرال غورو حينما أراد اقتحام دمشق رجالا غير مسلحين وغير ممرنين تقدموا رغم ارادتى وكدت أواجه حربا أهلية داخلية لو سلمت بتقدمه الى خان ميسلون كما وقع عند قبول الشروط الأولى ولم يقبل الجنرال غورو طلبى بايقاف الزحف بل هاجم رجالا غير ممرنين ومسلحين فكانت مجزرة استعملت فيها جميع أنواع آلات الحرب الحديثة والدبابات والطيارات وزهقت ١٥٠٠ روح ثم تقدم ودخل دمشق بدون مسوغ شرعى وقد انسحبت الى الضاحية خشية وقوع حرب فى الشوارع لو بقيت فى داخلها . وعدت اليها بعد احتلال الجنود الفرنسويين الذين استعملوا جميع أنواع الدسائس والافتراء

ولقد أساء الينا الجنرال بنكثه فيما وعدنا به من عدم التقدم الى دمشق و بنقضه عهده وقد اعتمدنا عليه فسرحنا جيشنا وأخلينا مواقعنا العسكرية عند مدخل وادى الحرير »

مطالب الفرنسويين الجديدة

وأبلغ الجنرال غوابيه أيضا الحكومة السورية مذكرة تنطوى على المطالب الآتية :

١ ـ دفع عشرة ملايين فرنك غرامة حربية باسم تعويض

٢ ـ نزع سلاح الجيش السورى وتحويله الى قوة بوليس وتسليم أسلحته ومعداته

ومدافعه الى الجيش الفرنسوى غنيمة حربية

٣ ــ تسليم كبار المذنبين ليحاكموا أمام المحاكم العسكرية

٤ ــ انتهاء حكم الملك فيصل

٥ ــ نزع سلاح الأهالى وذلك بتقديمهم عشرة آلاف بندقية للجيش الفرنسوى

فقبلت الوزارة هــذه الطلبات وتعهدت بتنفيذ أحكامها ودفعت الغرامة وسلمت الأسلحة وسرحت الجيش وأخــذ الفرنسويون جميع معداته وأسلحته . وفرضوا مثل هذه الغرامات (مالا و بنادق) على جميع المدن السورية الداخليــة تقريبا فدفعت حمص وحماه وحلب غرامات كبيرة وسلمت مقادير وافرة من الأسلحة

خروج الملك

وفى مساء ٢٧ منه سلم الــكولونيل طولا رئيس البعثة الفرنسوية بدمشق الى الملك فيصل الــكتاب الرسمى الآتى :

« أتشرف بابلاغ سموكم الملــكى قرار الحــكومة الفرنسوية وهى أنها ترجو منكم مغادرة دمشق بأسرع مايستطاع بسكة حديد الحجاز مع عائلتــكم و بطانتكم وسيكون تحت تصرف سموكم والذين معكم قطار خاص يبرح محطة الحجاز بدمشق غــدا ٢٨ يوليو الساعة الخامسة صباحا »

ولما تلقى جلالة الملك هذا البلاغ أرسل على الفور الى الجنرال غورو الــكتاب الآتى :

« أبلغنى الــكولونيل طولا بكتاب مؤرخ ٢٧ الجارى قرارا للحكومة الفرنسوية يدعونى الى مغادرة دمشق بقطار خاص فى الساعة الخامسة من صباح غد فلى الشرف أن أصرح لــكم انى لا أعــترف للحكومة الفرنسوية بحق نزع الاختصاص الذى منحنى اياه مؤتمر الصلح رسميا لادارة المنطقة الشرقيــة حين احتلال سورية وتقسيمها الى ثلاث مناطق ثم تأيد عمليــا بتاريخ ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٩ بالمذكرة التى قدمها المســتر لويد جورج الى المسيو كلنصو والى

« وما أنا بمعترف للحكومة الفرنسوية بأى صفة فى نزع اللقب الذى لقبنى به الشعب السورى والقوة وحــدها هى التى تستطيع نزعه ، ولــكنكم تعلمون أنه لاعمل لها فى الحقوق الخاصة

« وغنى عن البيان أن دخول جيوشكم الى دمشق بعد معركة قصيرة مع الشعب واحتلال دور المصالح العامة عسكريا هو خرق لقررات مؤتمر السلام و بالأخص لمبادىء جمعية الأمم التى ألغت الحرب ووضعت قواعد لحل الخلافات بطريق التحكيم الدولى

« وكذلك فان احتلالكم لعاصمة البلاد عمل خطير الشأن وغير عادل لأنه وقع بعد تسريح الجيوش السورية طبقا لانذاركم المؤرخ ١٤ الجارى وقد قبلته بكامله ، ذلك القبول الذى أظهرتم ارتياحكم اليه فى كتابكم يوم ٢٠ الجارى وأقمتمونى شاهدا لعطفكم على الشعب السورى

« نعم انكم طلبتم فى الفقرة الثانية من ذلك الكتاب تأكيدا مفصلا لقبول شروطكم ، لاجوابا بالقبول ، لأن هذا كان فى يدكم ، على أن تأخير وصول هذا التأكيد المفصل ، وقد سلمته الى معتمدكم الكولونيل كوس قبل انقضاء الموعد بست ساعات لايسوغ لكم سوق جيوشكم الى دمشق خصوصا ، وقد أبلغتم قبل انقضاء الموعد المضروب الانذار باثنتى عشرة ساعة أنى بدأت بتنفيذ شروطكم بجد وفى مقدمتها تسريح الجيش السورى

« ولقد استخرجتم من هذه الحالة ــ وهى تثبت ماعانيته بسبب قبول الانذار ــ حجة للزحف على بلادى فاستقبل عدد قليل من الجند أقيم لحفظ الأمن والنظام، جيشكم كحليف فلم يحل هذا دون اعتقال ضباطكم لهؤلاء كأسرى حرب مع أن حالة الحرب غير موجودة

« وأذكركم أيضا بالكتاب الذى أرسلتموه الى مع وزير المعارف ، مندوبى لديكم وما انطوى عليه فقد اعترفتم بأنى غير مسؤول عن تأخير وصول البرقيــة المفصلة ، وقد أشير اليها آنفا وفى نفس الوقت الذى اعترفتم فيه هذا الاعتراف فرضتم علينا شروطا قاسية جديدة ، يستحيل علىّ حمل شعبى على قبولها فوضعتمونى بذلك بين أمرين كلاهما مخطر ومخيف : فاما قبول شروطكم الجديدة وفى ذلك الثورة على جيشى وحكومتى فتتذرعون بها للتدخل واحتلال دمشق و إما الرفض وفى هذه الحالة تزحف الألوف المؤلفة من جيوشكم المسلحة بجميع أدوات التدمير الحديثة وتنتصر على شعب حمل على أن يكون ضدها وتدخل دمشق . وقد وقع الشق الثانى

« ولو كانت الشعوب تعيش اليوم كما كانت تعيش فى القرون الوسطى يوم كان الحق للقوة وكان السيف هو الحكم فى الاختلافات لكان تصرفكم منطبقا على القوانين القائمة

ولكن الحرب العظمى وقد خضنا غمارها فى جانب الحلفاء لنفوز باستقلالنا قد بلغت غايتها باقرار مبدأ الحق وسحقت الروح العسكري . واذا لم تكن مبادىء مؤتمر الصلح التى أعلنت حرية الشعوب وحقها فى أن تحكم نفسها بنفسها ليست لغوا من القول واذا ظل عهد جمعية الأمم وقد وقع عليه الحلفاء والأعداء وهو يلغى الحرب بين الشعوب واستعباد الأمم ، باقيا ومحترما فالقوة العسكرية الفرنسوية التى احتلت المنطقة الشرقية وقد عهد الى بادارتها ، ذلك الاحتلال الذى لايمكن الا أن يعد أداة للارهاق ويجب أن يعتبر كذلك

« وختاما فان تصرفاتكم تخالف اتفاق سايكس — بيكو وقد وقعت عليه الحكومتان الفرنسوية والانكليزية سنة ١٩١٦ ، والاتفاقات المعقودة فى أواخر سنة ١٩١٥ بين الحكومة الانكليزية من جهة وجلالة والدى ملك الحجاز من جهة أخرى ، والمادة ٢٢ من عهد جمعية الأمم ، وقرارات مؤتمر سان ريمو ، والتعهدات التى تعهدت لى بها الحكومة الانكليزية ، ونص معاهدة الصلح المعروضة على تركيا ، والاتفاقات المعقودة بين المسيو كلنصو رئيس الوزارة الفرنسوية السابق وبينى ، وتخالف فى النهاية القوانين العامة ومبادىء الأخلاق الدولية » فيصل

احتجاج الحكومة السورية الرسمى

وفى يوم السبت ٢٤ منه أبلغ معتمد الحكومة العربية السورية فى مصر احتجاج حكومته الى دول العالم والحلفاء على أعمال الجنرال غورو وهذا نصه :

« بعد أن قبل الملك فيصل والحكومة السورية شروط الجنرال غورو التى نشرت فى الصحف حبا بحقن الدماء وسحب جيشه الى الداخل أمر الجنرال غورو جنده بالزحف على دمشق فاحتج الملك فيصل على هذا العمل مستصرخا العالم المتمدن ومعلنا تنصله من كل تبعة تنشأ عن مخالفة الجنرال غورو للوعود الرسمية »

وفى يوم ٢٥ منه أذاع المعتمد فى الصحف المصرية البيان الآتى :

« أخبرتنى حكومتى السورية بقبولها الشروط التى اشترطها الجنرال غورو على جلالة الملك فيصل فى الاسبوع الماضى ومنها سحب الجنود العربية المخيمة فى حدود المنطقة الشرقية وتسريح باقى الجيش الموجود فى دمشق وغير ذلك من الشروط التى نشرتها الصحف

وقبلها جــلالة الملك حبا بحقن الدماء ومحافظة على السلام واعتمادا على وفاء الجنرال غورو بالعهود وعدم زحف جيشه الى المنطقة الشرقية . وقد اغتنم جنابه فرصة انسحاب الجيوش العربية من الحدود الى الداخل فأمر بزحف الجنود الفرنسوية الى دمشق رغما عن الاتفاق الذى تم بينه وبين الحكومة السورية

« وبما أن هذا العمل الذى هو خرق للعهود وتأباه العدالة والقوانين الدولية ويترتب عليــه من النتائج ما لا يتفق مع حب السلام فانى باسم الحكومة السورية أحتج عليــه وأستصرخ العالم المتمدن لافتا نظره الى ذلك والحكومة تتنصل عن كل تبعة تنشأ عن مخالفة الجنرال غورو للعهود الرسمية التى ألزم بها نفسه »

الامير فيصل يغادر دمشق

وازدحم القصر الملــكى بالمودعين من كبار القوم وقد جاءوا لاظهار عاطفتهم نحو جلالة الملك ومما قاله لوفد كان فيه كاتب هذه السطور « لقد كان فى إمكانى أن أعمل ماعمله الخديو توفيق فاستعين بالانــكليز وانفق معهم ولــكننى لم أفعل ذلك لأننى واثق من حق ومن فوز الأمة فى النهاية » .

وقال يومئذ « أنا ذاهب الآن الى درعا ولا أعلم الى أين أتوجه بعد ذلك ألى الجنوب أم الى الغرب . لقد طلبت ثقة البــلاد دفعات فــكانوا يقولون انه يحرص على المقام وانه عقد اتفاقات سرية وكنت أقول لهم ثقوا بى ولا تعصوا أمرى لعلى أبلغ بكم نهج السبيل فــلم أقدر على الاسماع . وقد رأيت الخطر بعينى وفعلت مالا رأى لى بفعله وقد يجعل الله بعد عسر يسرا

« كلنا وطنيون وفينا المتعقل والمتهور ولما جئت الى هــذه البــلاد ورأيت بعض الاخوان يتنادون بالحركة العربيــة نصحت لهم بالاناة والتبصر ثم عدت فوجدت بعضهم قتيلا والآخر شريدا . أنا ذاهب الآن وقد ضاعف همتى ونشاطى مارأيت وستسمعون صوتى ان حييت ويفعل الله بعد ذلك مايشاء ويختار »

وغادر جلالته دمشق فى الساعة الخامسة من صباح ٢٨ يوليو وقد اختاروا لسفره هذا الوقت لئلا يخرج الناس لوداعه فودعه بعض كبار القوم وسافر معه بعض رجاله ولما وصل

درعا التف حوله شيوخ حوران فاقلق ذلك الفرنسويين فخافوا العواقب وطارت إحدى طياراتهم على الأثر وألقت على درعا و بقية القرى الحورانية المنشور الآتى :

من الجنرال قائد القوات الفرنسوية الى أهالى درعا وضواحيها

«ان الأمير فيصلا كان قد تلقى أمرا بأن يترك دمشق و يسافر رأسا الى بلاده وقد تعهد باطاعة هذا الأمر . أما وقد بلغنا على العكس مما تعهد به أنه بقى فى درعا وشرع فى مخادعة الأهالى ليدفعهم الى أعمال سيئة العواقب ومضرة بمصالح البلاد التى لم يبق له فيها أقل علاقة فقد كتب له أن يتابع سفره بلا تأخير

« فنحن الآن ندعو عموم الأهالى أن يكلفوه بأنفسهم بترك بلادهم حالا إذ أن إقامته بينكم تجعل بلادكم هدفا للقنابل والآن نعطيكم مهلة عشر ساعات ليتوجه الأمير فى ختامها الى بلاده . واذا مانع فى ذلك يجب عليكم ارجاع قطاره الى الشام »

وأرسل علاء الدين الدروبى رئيس الوزارة الجديدة برقية الى الملك فيصل يقول :

« تبلغ السلطة العسكرية جلالتكم الخروج من حوران وقد وضعت تحت تصرفكم قطارا فان لم تفعلوا فقد تضرب طياراتها قرى حوران » فرد عليه كبير الأمناء قائلا :

« يقيم جلالة الملك فى جزء من البلاد التى بايعته و يتابع عمله فى إسعاد الوطن وتخليصه من المحن والمصائب التى لحقت به وهو لايرى أن يتضرر أحد بسببه »

وفعلا غادر جلالته درعا بقطار خاص صباح أول اغسطس قاصدا حيفا لانه رأى أن الأفضل لمصلحة الأمة والبلاد التوسل بالوسائل السياسية بدلا من المقاومة . وقد استقبل استقبالا رسميا فى حيفا ومما يستحق الذكر للعظة والاعتبار أنه طلب شايا حينما مر قطاره بمحطة العفولة (إحدى محطات سكة الحديد بين درعا وحيفا) وهى داخلة فى منطقة الاحتلال الانكليزى فشربه ودفع ثمنه وهى أول مرة يدفع ثمنا لشاى يشربه فى أراضى مشمولة بالحماية البريطانية منذ الثورة

ولما بلغ حيفا أرسل برقيـة الى والده يطلب منه مالا لانه غادر دمشق وهو لايملك شيئا فأرسل اليه حوالة بخمسة وعشرين ألف جنيه على البنك العثمانى تسلمها واستطاع بواسطتها أن يواصل سفره الى أوربا

وأقام جلالته فى حيفا حتى يوم ١٨ منه ففى صباحه غادرها الى بور سعيد فودعه

الكولونيل ستانتون باشا حاكمها العسكري ويقال انه أشار عليه بأن يقصد الحجاز بدلا من أوربا . ولما بلغ القطار الزملة جاء السر هربرت صموئيل المندوب السامي لحكومة فلسطين يومئذ من القدس وحياه رسميا باسم الحكومة البريطانية . وبلغ بور سعيد فى المساء فاقام يومين وفى صباح ٢٠ منه ركب الباخرة ستروبى الى ايطاليا فنزل ميلانو ومنها قصد كومو فى ايطاليا ليواصل نضاله ودفاعه وسافر معه احسان الجابرى وساطع الحصرى ونورى السعيد وتحسين قدرى .

احكام النفى والاعدام تصدرها المحاكم الفرنسوية

بعد مااستتب الأمر للفرنسويين فى دمشق و بعد أن فرضوا الغرامات المالية الباهظة على المدن السورية وتقاضوها التفتوا الى مطاردة رجال العهد الفيصلى فاجتمع المجلس العسكرى التابع للفرقة الثالثة من الجيش الفرنسوى فى الشرق فى دمشق يوم ٩ اغسطس وأصدر الحكم الآتى :

« بعد جلسات ومقررات المفوض العسكرى قرر بأن : كامل القصاب وعلى خلقى وأحمد مريود والأمير محمود الفاعور وفؤاد سليم وصبحى الخضرا وصبحى بركات ومنح هارون وعونى القضمانى وشكرى الطباع وعمر شاكر وسليم عبد الرحمن وعمر بهلوان وعثمان قاسم وسعيد حيدر وعبد القادر سكر وخليل بكير وحسن رمضان وعادل ارسلان ومحمد اسماعيل و رشيد طليع وعونى عبد الهادى واحسان الجابرى والدكتور احمد قدرى ورفيق التميمى وتوفيق اليازجى ورياض الصلح وخير الدين الزركلى ومحمد على التميمى وبهجت الشهابى ونبيه العظمة وشكرى القوتلى وعيد الحلبى وياسين دياب وخالد الحكيم هم مجرمون بالاتفاق والتحريض والدسائس لكونهم عملوا بالاتفاق مع أعداء الحكومة الفرنسوية لتسهيل مقاصدهم وأعمالهم فلذلك قرر المجلس العسكرى اداتنهم والحكم عليهم جميعا بعقوبة الاعدام وبمصادرة جميع أملاكهم وبمقتضى وطبقا للمادة ٢٠ من قانون الجزاء العسكرى وقانون ١٩ مايو سنة ١٩١٨ ونظرا للمادة ١٣٩ من قانون العقوبات العسكرى والمادة ٩ من قانون ٢٢ يوليو سنة ١٨٦٧ قرر المجلس أن يؤدى المحكوم عليهم نفقات

المحاكمة على أن تستوفى من ادارة أموالهم وتدفع رأسا الى خزينة الحكومة الفرنسوية.
وحكم أيضا بالاعدام على كل من صادق حزه ومحمود احمد البزة و رياض محمد حسن فرحات
وعبد المجيد محمد البزة ومحمود فرح سليمان وموسى بورقيلي والشيخ عبد الله عز الدين
وطرفه الحاج فياض شراره ومحمد سويدان وأدهم خنجر وعلى حرب ومحمود قاسم وعبد
الحسين سرور ونمر بليبوز ومحمد تامر وسعيد يوسف تامر و بمصادرة أملاكهم

وحكم بالنفى على كل من كامل الأسعد وعبد اللطيف الأسعد وحسن يوسف ونصرالله
صعب والحاج محمد برى والسيد عبد الحسين شرف الدين ومصادرة أملاكهم

وقبض بعد ذلك فى دمشق على كل من أحمد اللحام و ياسين الجابى وسليم طبنج
وعبد الفتاح المدفى وعارف الجراح وياسين الحواصلى ومحمد غصوب من ضباط الجيش
السورى وأرسلوا منفيين الى ارواد كما توارى معظم ضباط ذلك العهد خوفا من الانتقام

١٦

مذكرة الملك فيصل الى الحكومة الانكليزية

واستقر الملك ومن معه فى مدينة كومو الايطاليــة حيث وافاه الجنرال حداد باشا معتمده الخاص فى لندن يومئذ . وفى كومو أعد الملك مذكرة طويلة بسط فيهــا الحوادث التى تعاقبت على البلاد العربية بعد الحرب بسطا وافيا وحملها حداد باشا نفسه الى المســتر لويد جورج يوم ١١ سبتمبر سنة ١٩٢٠ مع الـكتاب الآتى :

الفندق الـكبير

قصر « ايستى » ايطاليا ١١ سبتمبر عام ١٩٢٠

لحضرة المستر لويد جورج رئيس الوزارة الانـكليزية المحترم

أرفع اليـكم طيه المذكرة التى وضعتها عن القضية العربية ثم أقول :

عند ماغادرت سورية ، كنت أرغب أن أذهب توا الى سويسرا ، لمخابرتـكم منهــا عن الوقت الذى تجدونه مناسبا لمقابلتى فى انـكلترا

على أننى عند ماوصلت الى هنا (ايطاليا) علمت أنـكم فى « لوسرن » ، فرأيت أن لا أذهب اليـكم مخافة أن لاتـكون الفرصة سانحة عندكم لمقابلتى

والآن ، وقد عدتم الى بريطانيا ، فانى أقدم اليكم مذكرتى بواسطة الجنرال حــداد باشا ، الذى أضع أنا ووالدى كل ثقتنا به

و إنى لآمل أن تطلعوه بسرعة على رغبتـكم فى مقابلتى شخصيا فى انكلترا ، لأن لدى تصريحات شفوية عظيمة الأهمية ـ وخاصة فيما يتعلق بالموقف الجــديد ـ أرغب فى اطلاعكم عليها

وفوق هــذا أريد أن أضيف الى ذلك أن والدى ملك الحجاز ، قد عهد الى مرة أخرى بمهمة تمثيله فى القضية العربية عامة ، وكلفنى ترأس الوفد الذى عينه ، لتقديم تشكراته للملك جورج ، لتفضله بارسال الهدايا له ، كما أبرق لـكم بذلك من بورسعيد

فيصل

نص المذكرة

ان الأعمال غير الشرعيــة التى قامت بها فرنسا فى سورية قد اضطرتنى للسفر الى أوربا موفدا من قبل والدى الملك حسين ـ لأعرض القضية العربيــة مرة أخرى أمام حكومة صاحب الجلالة

فالأعمــال التى قامت بها فرنسا لا يمكن تطبيقها على اعترافاتها السابقــة فيما يتعلق بأغراضها وغاياتها فى الحرب . وأعتقد من جهتى أن فى هذه الأعمال خرقا لمعاهدة فرسايل التى يصر الفرنسيون على تطبيقها بحذافيرها

فقد أخذت فرنسا من العرب المنطقة الوحيدة التى تضم المدن العربية ـ خلا الجزيرة العربية ـ وجعلت موقف عائلتنا أمام العالم الاسلامى عامة ، والعالم العربى خاصة موقفا لايمكن لعائلة احتماله

فعائلتى هى العائلة الحاكمة أو القائدة فى جزيرة العرب

ولما كان والدى هو زعيم هذه العائلة فقد اعترف به زعيما للحركة العربيــة الرامية للفوز بالاستقلال

وقد حمــل العرب أسلحتهم ضد الأتراك اعتمادا على بعض العهود التى قطعها الملك حسين لهــم

وهــذه العهود التى قطعها والدى كانت مؤسسة على العهود التى قطعتهــا له بريطانيا العظمى

وستطلعون فى هذه المذكرة على الحوادث التى أدت الى احتــلال دمشق بالجيوش الفرنسوية وأظن أن تفاصيل هــذه الحوادث لابد أن تعطيكم فكرة صريحة واضحة عن الغايات التى كانت ترافق أفكار الجنرال غورو منذ مغادرته باريس قادما الى سورية

وهذه الغايات هى حديث البلاد العربية اليوم . . واعتقد أنها تمس مصالح بريطانيا الحيوية فى كل شىء

يدرك كل عربى اليوم أن غايات الجنرال غورو منحصرة فى احتــلال المنطقة التى

تعهدت بريطانيا بتاسيس حكومة عربية مستقلة فيها ، احتلالا عسكريا ، بأية حجة من الحجج

وبما أن فرنسا قد أدركت أن عائلة الشريف هي زعيمة الحركة العربية ، وانها تعمل بموجب التعهدات التي قطعتها بريطانيا لها ، فقد قررت أن تضرب هذه العائلة ضربة قاضية وأن تتخلص من العثرة التي وجدتها أمامها — وهى أنا — فقامت تنشر النفوذ الفرنسى وتعلو به ، وتقضى على النفوذ الانكليزى فى الشرق الأدنى فى آن واحد

ففى اليوم الذى وقعت فيه الحوادث فى دمشق ، قامت الصحف الباريسية تهاجم عائلتنا مهاجمة متتابعة

فبعد أن اعترف بوالدى ، وبعض افراد العائلة ، وزعماء العرب الأبطال المناضلين فى سبيل الحرية، قامت الصحف الفرنسيه تعمد الى عبارات السب والاهانة، حتى ان احدى الصحف نشرت مقالا قالت فيه « العائلة الهاشمية التى كان وصولها الى الملك فى دمشق من « اختراع » الانكليز »

وعلى هذا فان أغراض الحكومة الفرنسوية ، والاهداف التى ترمى إليها ، قد تحققت أخيرا . فقد احتل الجنرال غورو دمشق ، وثلاث مدن أخرى ، وأصبح العالم أمام « الامر الواقع »

ولست أتكلم أنا الآن لدوافع وأسباب شخصية . فأنا ليس لى مطامع خاصة وأعتقد أن كل اهانة ، وظلم ، وسباب يصيبنى انما يضاف الى مفاخر العرب الوطنية التى أظهروها خلال الحرب

أنا أعتقد — من كل وجهة من وجهات النظر — ان احتلال دمشق كان غير شرعى . فقد أيد مؤتمر الصلح فى اجتماعاته الاولى ايكال أمر ادارة المنطقة الشرقية الى وهى الادارة التى كنت تسلمت زمامها منذ الهدنة تحت سلطة الجنرال اللنبى ، كما اعترف بذلك ضمنا فى ١٥ سبتمبرسنة ١٩١٩ فى المذكرة التى أرسلها مستر لويد جورج للمسيو كلنصو ، ولممثلى الدول العظمى ، والى شخصيا .

اذن فليس لاى قائد فرنسى الحق فى أن يسلبنى هذا المركز . وان يخرق حرمة استقلال سورية . ثم ان مركزى بصفتى رأس حكومة سورية ، قد أعلن وفق رغائب

الشعب ، واعترفت به بريطانيا العظمى ، على أثر القرار الذى اتخذه مجلس مؤتمر الصلح فى سان ريمو

فاذا روعيت معاهدة فرسايل وما تضمنته من مبادئ «الحق فوق القوة» والعدول عن التدابير العسكرية ، وحق الشعوب فى الاستقلال والحرية ، وكان قرار عصبة الامم ليس قرارا فارغا لاقيمة له ، يجب أن يعتبر عمل فرنسا تدبيرا جائراً لامبرر له

يدعى الجنرال غورو انه انما ينفذ الانتداب فى الاعمال التى قام بها ، فما هو هذا الانتداب

هل صادقت عليه عصبة الأمم والمجلس الأعلى

ان الشروط التى أرسلها الجنرال الى من جهة ، والتصرفات التى تبدو من الجانب الفرنسى من جهة أخرى ، إنما هى شروط وتصرفات محتل يريد فرض شروطه بقوة السلاح

وهذا تدبير يناقض المبادئ التى كانت الدول المحالفة تحارب من أجلها ، كما يناقض معاهدة السلام « المادة ٢٢ ، الفقرة الرابعة من قرار عصبة الأمم » التى تنص على وجوب اعتبار رغائب الشعوب فى قضية الانتداب . وهذا مالم يطبق فى سورية

والجهد الوحيد الذى بذل فى هذا السبيل فى سورية كان من جانب حكومة الولايات المتحدة التى أرسلت لجنة عام ١٩١٩ ، لتتعرف مطالب الشعب فى هذا الصدد

وقد أعلن اللورد اللنبى إذ ذاك ان هذه اللجنة هى الوحيدة التى توفد الى سورية ، وان مؤتمر الصلح سيعتمد على تقريرها عند ما يبحث فى تقرير مصير هذه البلاد

والعدل والانصاف يقضيان باذاعة ونشر هذا التقرير الذى بقى سرا مكتوما حتى الآن (١)

ان مايفهمه الجنرال غورو من الانتداب ــ الانتداب الذى يفرضه بثمانين الفا من الجند يحملون أحدث أنواع القتل والتدمير ــ لايتفق قط والتصريحات الانكليزية ــ الفرنسية فى ٨ نوفمبر سنة ١٩١٨ ، التى تنص على رغبة هاتين الحكومتين فى مد يد

---

(١) انظر نص التقرير فى ص ٥١ من هذا الجزء

المساعدة لتشكيل الحكومات الوطنية المحلية ، فى البلاد العربية ، وعدم رغبتهما فى فرض الانظمة الخاصة فى هذه البلاد ، كما تنص على أن رغبة هاتين الدولتين الوحيدة هى السعى والمساعدة فى تأمين أعمال الحكومة العربية ، وتنفيذ الانظمة التى تقررها بنفسها بحرية

واعتقد أننى لست فى حاجة هنا لأن أؤكد وجود التناقضات بين كلمات الحكومة الفرنسية سنة ١٩١٨ ، وأعمال الجنرال غورو سنة ١٩٢٠

وعلى كل حال لم يكن من المنتظر ، ولم يكن من العدل أن يطبق الانتداب على دمشق والمدن الأربع ، لأن فى هذا التدبير ما يناقض العهود التى قطعتها بريطانيا للعرب تناقضا صريحا

لقد أشرت فى حديثى الى المسائل المتعلقة بمؤتمر الصلح ، والانتداب ، والى قرار عصبة الأمم وتصريحات انكلترا وفرنسا عام ١٩١٨ ، لابين أن عمل فرنسا لم يكن مشروعا فى أى وجه من الوجوه

غير أن قضية العرب ليست متعلقة بأى قرار من قرارات مؤتمر الصلح ، أو قرار أية دولة من الدول ، خلا انكلترا

فنحن قد تفاوضنا مع انكلترا لاسواها ، والعهود التى قطعت لنا انما هى عهود قطعتها لنا انكلترا ، وقد قال والدى فى كتاب بعث به فى اكتوبر عام ١٩١٨ الى المفوض السامى فى القاهرة مايلى :

« أما ما يتعلق بقضيتنا ، والبحث فيها فى مؤتمر الصلح فانى أقرر وأقول منذ الآن انه ليس لى علاقة بالمؤتمر ، أو أية سلطة أخرى . واعتقد انه من الأصلح أن لا تبلغ الينا مقررات المؤتمر بواسطة المؤتمر لأننى أكون ناكرا لرحمة الله اذا أنا قبلتها »

وقد أراد صاحب الجلالة والدى أن يقول ان انكلترا هى التى قطعت العهود لاسواها وان على انكلترا نفسها أن تسعى لأن ترى عهودها منفذة

و إذا أنا حضرت مؤتمر الصلح ـ رغم انى أقدر الشرف الذى أولانى إياه صاحب الجلالة البريطانية ـ فانما فعلت ذلك ، لأن السلطات البريطانية هى التى طلبت الى أن أفعل ذلك

ولئن سافرت الى باريس فى شهر اكتوبر السابق ، وسعيت للمفاوضة مع الحكومة الفرنسية وعدت لسورية احمل أحسن الرغائب للتفاهم مع الفرنسيين وعملت لجعل الشعب هادئا ولأحول بينه وبين مهاجمة الفرنسيين عندما كانوا ضعفاء فى سوريا وكانت المصاعب تكتنفهم من كل حدب وصوب ولم يكن لديهم سوى حامية كانت تتألف بعض الأحيان من الف رجل — فما فعلت هذا كله الا كى استطيع ان اقول ذات يوم للدولة التى اعطتنى كلمتها انى نفذت التعليمات التى تلقيتها منها بكل دقة وكل اخلاص .

فقد كانت الكتب الرسمية التى تصلنى من اللورد اللنبى تصر على ملحة أن لا أتخذ موقفا عدائيا من الفرنسويين حتى إننى تلقيت برقية من اللورد كرزون ، قبل احتلال دمشق بثلاثة ايام ، يطلب الى فيه بالحاح ان لا اتخذ أى موقف عدائى

ولهذا كله لم افكر قط فى محاربة الفرنسويين ومقاومتهم ، الأمر الذى كان يجعل موقفهم فى سورية صعبا للغاية لو أقدمت عليه

وفوق هذا ، فقد كنت أقبل دواما شروطهم — رغم انها مستحيلة — آملا أن أسافر فيما بعد الى أوروبا ، وأسوّى المسألة فيها

وكتبي التى أرسلتها إلى الحكومة الانكليزية من باريس ، تبرهن على أننى كنت أرفض أن أخطوا خطوة واحدة بدون استشارتها

وإنى لفخور أن أقول بانى كنت مخلصا للمبادئ التى وضعها والدى . وهو أن أفاوض حكومة واحدة ، وهذه الحكومة هى بريطانيا

والآن وقد خطت فرنسا خطوة جعلت كل أمل فى التفاهم والصلح مستحيلا ، فقد جئت باسم والدى أطلب من انكلترا أن تقوم بوعودها

لقد كانت الحركة العربية موجودة قبل الحرب . فقد وضع العرب نصب أعينهم دوما استعادة استقلالهم ، وتجديد عظمة المملكة العربية والخلافة الاسلامية السابقة

فالظن اذن بأن الحركة العربية قد نشأت عام ١٩١٥ ، ظن خاطئ

وكل مافى الأمر ان زعماء العرب وجدوا فى نشوب الحرب فرصة لتحقيق امانيهم ، فقاموا بحركتهم

وقد حث الالمان السلطان ـ خليفة الاسلام ـ على اعلان الحرب المقدسة ، آملين من وراء ذلك ان يتحد العالم الاسلامى على الحلفاء . وكانت انكلترا ـ بلا ريب هى العدوة الكبرى

وقد ادركت بريطانيا ما يمكن ان يصيب المسلمين من اخطار هذه الحرب ، وعرفت ان هناك فتورا فى قلوب العرب من الترك ، فدخلت فى المفاوضات مع والدى الملك حسين

واعترف قبل شئ ان اساس الاتفاق مع والدى شريف مكة ، هو الاعتراف باستقلاله لأنه رفع السيف فى وجه الترك ، ولأن هذا العمل هو أعظم عمل سياسى تستفيد منه الدول المتحالفة فى العالم الاسلامى

وقد أعلن والدى على أثر هذه العهود بأن الجهاد ضد الترك ليس من الاعمال غير المشروعة ، لأنهم يقومون بأعمال تناقض مصالح الاسلام الحقيقية

وقد نجحت عائلتى فى اقناع العرب بهذه النظرية ، بمساعدة بريطانيا . وأسست سياستها مع العرب على أساس الوعود التى قطعتها انكلترا لوالدى

وبهذه الوسيلة حمل العرب سلاحهم تحت علم خليفة النبى ، رغم انه كان المطلوب منهم محاربة السلطان الذى كان الى ذلك الحين خليفتهم

وقد رافقهم النجاح فى ثورتهم ، فسقطت مكة دفعة واحدة بين أيديهم . وذاعت الانباء بين جميع الاقطار الاسلامية ، ففشلت خطة المانيا فشلا مريعا

وهكذا قام والدى وعائلته ، واتباعه وأكثرية الشعب العربى بالقسم الذى يتعلق بهم فى الاتفاق.

فقد قدموا كل المساعدة لجيوش الجنرال اللنبى وكانوا عاملا هاما فى نجاح الحلفاء فى المعركة

وقد جئت الآن باسم والدى أسأل بريطانيا أن تقوم بتنفيذ القسم الذى يتعلق بها فى الاتفاق

أنا لا اود ان اعود هنا الى ذكر الاقتراح الذى عرضته انكلترا على والدى من اول الأمر وهو ان يظل شريف مكة « حياديا » فنحن لو ظللنا حياديين لفزنا من انكلترا بنفس العهود فى منح الجزيرة العربية استقلالها

ومع هـذا فقد خرجنا للحرب فقاتلنا وخسرنا عددا كبيرا من رجالنا المقاتلين وعرضنا انفسنا لخطر مهاجمة ابن سعود الذى كان يستطيع ان يهاجمنا بالنظر لضعفنا و بفضل الاسلحة التى فاز بها من انكلترا

لقد فعلنا هذا كله . . . ومع هذا فقد قطعت علائقنا اليوم مع البلاد العربية وأصبحت حالتنا أسوأ مما لو كنا لم نذهب للحرب وظللنا « حياديين » كما إقترحت علينا انكلترا فى اول الامر لقاء الاعتراف باستقلال المملكة العربية

لقد كنا نعتقد فى ذلك الحين ان حملنا السلاح الى جانب انكلترا ومحاربتنا معها بدلا من البقاء حياديين سيفيد القضية أكثر مما أفادها ، وسيجعل انكلترا تؤكد تنفيذ عهودها كل التأكيد والعهود التى قطعتها انكلترا لوالدى هى عهود صريحة واضحة لالبس فيها ولاغموض

فقد طلب والدى فى كتاب أرسله فى ٢٤ يوليو عام ١٩١٥ مايلى :

أولا — يجب أن تعترف انكلترا باستقلال البلاد العربية التى يحدها شمالا مرسين واطنه حتى الدرجة ٣٧ من خط العرض ، الذى يمر على بيره جك ، وماردين ، حتى حدود العجم ، وشرقا الخليج الفارسى ، وجنوبا المحيط الهندى — خلا عدن — وغربا البحرالأحمر، والبحر المتوسط حتى مرسين وعلى انكلترا أن توافق على إعلان خليفة عربى للمسلمين

ثانيا — على دولة الشريف العربية أن تعتبر انكلترا الدولة المفضلة فى جميع المشروعات الأقتصادية . . . الخ

وفى ٣٠ اغسطس عام ١٩١٥ كتب المفوض السامى فى مصر الى والدى كتابا يعبر له فيه عن السرور الذى شعر به عند مارأى العرب ينظرون الى مصالحهم مع مصالح انكلترا ويؤكد له أن الحكومة الانكليزية ترحب بأن يستعيد الخلافة الاسلامية ، رجل عربى من العرب الخلص . أما فيما يتعلق بالحدود فقد قال المفوض السامى فى كتابه ان البحث فى مثل هذه التفاصيل سابق لأوانه

وفى ١٩ سبتمبر عام ١٥ أجاب والدى على هذا الكتاب ، بكتاب طويل ينقض فيه غموض جواب المفوض السامى ، ولهجته الباردة المترددة فيما يتعلق بنقطة الحدود الهامة

وقد أشار والدى فى كتابه هـذا الى ان مصالح اتباع ديانتنا تتطلب تصريحا واضحا فى هذا الموضوع لان حياة المملكة العربية العتيدة متعلقة بالحـدود المذكورة

وفى ١٤ نوفمبر عام ١٩١٥ أجاب المفوض السامى والدى قائلا ان منطقتى مرسين واسكندرون ، والمناطق الواقعة فى غرب دمشق وحمص وحماة وحلب ، لا يقال ولا يمكن أن يقال انها عربية صرفا وانه من الواجب استثناؤها من الحدود المذكورة

أما فيما يتعلق بالأراضى التى تستطيع انـكلترا أن تعمل فيها بحرية ماتريده دون استشارة فرنسا حليفتها فقد أضاف السير هنرى مكماهون قائلا :

« ان لى السلطة باسم بريطانيا العظمى أن أعطى العهود والتأكيدات التالية :

« ان بريطانيا العظمى على استعداد للاعتراف وتأييد استقلال العرب فى البـلاد المحددة فى اقتراح الشريف

أما ما يتعلق بولايتى بغداد والبصرة فان العرب سيعترفون بمركز ومصالح بريطانيا فيهما على أن يكون لهـا الحق فى أن تتخذ فيهما التدابير الادارية لحفظهما من الاعتداء الخارجى »

وفى كتاب آخر مؤرخ فى ٢٥ اكتوبر عام ١٩١٥ أضاف المفوض السامى الى سابق تصريحاته انه « من المفهوم أن العرب قد وافقوا على اختيار بريطانيا وحـدها فى مهمة الاستشارة والارشاد واستخدام الانـكليز وحدهم اذا احتاجوا الى مستشارين فنيين لتنظيم شؤون المملـكة»

فأجابه والدى بكتاب مؤرخ فى ٥ نوفمبر عام ١٩١٥ يقول : « انه رغبة فى تسهيل الاتفاق ، وخدمة المسلمين ، واعترافا بموقف انـكلترا ومزاياها ، يتنازل عن اصراره فى ضم مرسين وادنه الى المملـكة العربيـة ولـكنه يقول ان حلب وبيروت ومرفأ بيروت انما هى عربية محضة

أما مايتعلق بالعراق فقد قال والدى انه قسم من المملـكة العربية ، وانه كان مركز الخلافة فى العصور السابقة ، وان العرب بأجمعهم يعلقون عليه اهتماما خاصا ، ولا يمكن أن ينسوا تقاليدهم وينسوا البلد الذى كان مركزا لأكثر خلفائهم »

ثم أضاف الى ذلك قائلا : « وعلى هـذا لا يمكننا إرضاء الشعب العربى وارغامه على

التنازل عن العراق بأى حال من الأحوال »

على انه رغبة منا فى تسهيل الاتفاق ، نستطيع أن نوافق على ترك العراق تحت الادارة الانكليزية « وهى محتلة بالجيوش الانكليزية » وذلك لقاء مبلغ من المال يدفع كتعويض ، بالنظر لما يتطلبه تأسيس كل مملكة جديدة من مال »

أما مايتعلق بالادارة والمستشارين والموظفين فقد أشار والدى الى ما كان قاله فى رسالة سابقة وهو انه لايعارض فى ذلك ، وخاصة ان المفوض السامى قد صرح ان كل هؤلاء لا يكون لهم أى دخل فى الشؤون الداخلية

وفى ١٤ ديسمبر عام ١٩١٥ اجاب المفوض السامى بكتاب قال فيه : « أما مايتعلق بولايتى بيروت وحلب فأنه سيخاطب بشأنهما مع والدى فى وقت آخر ، وصرح ان الحكومة الانكليزية مستعدة أن تعطى كل ضمانات المساعدة والتأييد للملكة العربية ، ولكن مصالحهما معا تتطلب ادارة ثابتة حبية فى ولاية بغداد . كما ان المحافظة على هذه المصالح تحتاج الى سرعة ، لاتسمح الظروف الحاضرة فى المفاوضة بشأنها

وفى أول يناير عام ١٩١٦ كتب والدى الى المفوض السامى يقول : « أما مايتعلق بالعراق ، والتعويض الذى أشرنا اليه لقاء فترة الاحتلال ، فاننا نترك تقدير المبلغ لحكمة بريطانيا وعدلها تقوية لثقتنا ببريطانيا ، واخلاصنا فى مفاوضة حكومتها »

أما مايختص بالأقسام الغربية ومرفئها فان نفس الشعور السابق يجعلنى أتجنب مايمكن أن يسىء الى تحالف بريطانيا وفرنسا

ومتى انتهت الحرب ، فاننا سنسألكم فى أول فرصة « عن تلك الأقسام التى غضضنا النظر عنها ، والآن تركناها لفرنسا حليفتكم »

ويتحدث والدى بعد هذا عن وجود فرنسا ، ويقول ان وجودها فى أى مكان كان ليس من الحكمة فى شىء

ثم يضيف الى ذلك قائلا

« ان الشعب البيروتى لن يرضى حتما بمثل هذا الانفراد ، ولا بد أن يضطرنا لاتخاذ تدابير جديدة قد تجعل انكلترا ازاء اضطرابات ، ومشاغل لاتقل عن اضطرابات ومشاغل اليوم »

ثم شرح باسهاب لمـاذا يعتقد باستحالة السماح لفرنسا أو لأية دولة سواها ، بقطعة واحدة من تلك المنطقة

وفى ٢٥ اكتوبر عام ١٩١٦ كتب المفوض السامى ، مقدرا الدوافع التى دفعت والدى لبحث هـذا الموضوع باهتمام ، وقال انه كتب الملاحظات الـكافية على ملاحظاته المتعلقة ببغداد ، الأمر الذى سينظر فيه باهتمام تام عند ماتغلب الجيوش التركية على أمرها ، و يعود السلام الى نصابه

وأما مايتعلق بالأراضى الشمالية فقد شـكر المفوض السامى والدى على رغبته فى تجنب كل ما من شأنه أن يضر التحالف الانـكليزى والفرنسوى

و بعد هـذا أود أن أعود هنا لذكر الشروط التى اتفق عليها بين والدى والمفوض السامى وهذه هى :

١ ـ تأسيس مملـكة عربية تمتد من الخليج الفارسى الى حدود كيليـكية ـ بما فيها حلب وحمص وحماة ودمشق ـ حتى حدود مصر ، على أن تـكون هنالك « ادارة خاصـة » فى ولايتى بغداد والبصرة بالاتفاق مع الشريف فى نهاية الحرب

٢ ـ رغبة من والدى فى أن لايخلق شيئا من المشاكل بين الحلفاء خـلال الحرب ، فانه « يغض النظر » عن لبنان و بيروت ، ومرفئها ، و يتركها لفرنسا ، على أن يعاد البحث فى أمرها بعد الحرب

وليس هنالك أية رغبة ـ حتى ولا من جانب انـكلترا ـ أن تترك مملـكة داخلية كبرى دون منفذ بحرى على الشاطئ ، بين اسكندرون وصيدا

٣ ـ تتعهد انـكلترا بتأييد المملـكة العربية ومساعدتها بالاستشارة ، والمحافظة عليها من الهجمات الخارجية ، على أن لاتستخدم المملـكة مستشاريها وموظفيها من أية دولة غير انـكلترا

وما كان من المنتظر أن تطلب الحـكومة البريطانية من العرب أن يعذروها فى عدم

قيامها بتلك العهود بحجة أنها لاتتفق ومعاهدة سايكس - بيكو أجاب والدى على ذلك بهذه الملاحظات :

١ - ان العهود التى قطعتها الحكومة البريطانية على نفسها هى سابقة لهذه المعاهدة ولذلك فان ماجاء فى معاهدة سايكس - بيكو مناقضا لتلك العهود، يجب أن يعتبر لاغيا باطلا

٢ - وعند مالفت والدى النظر الى هـذه المعاهدة السرية التى اطلع عليها بواسطة جمال باشا - الذى اطلع عليها من الأرمن - أجابه المفوض السامى بهذا الكتاب :

« لقد اطلع البلاشفة فى وزارة الخارجية فى بتروغراد على سير المفاوضات والمحادثات الاحتياطية « لا المعاهدة » بين انكلترا وفرنسا وروسيا التى جرت فى خلال الحرب ، لتجنب المصاعب بين الدول التى تحارب تركيا

وقد شوه جمال الغرض الأساسى من هذه المفاوضات والمحادثات - اما عن جهل واما عن خبث - فلم يذكر الشروط المتعلقة بالموافقة على تأسيس الحكومات الوطنية المستقلة والمحافظة على مصالحها ، وجهل أن نجاح الثورة العربيـة وانسحاب روسيا قد أحدثا موقفا مختلفا »

وعند ماتلقى والدى هذا التصريح الواضح طلب أن لايكون فى معاهدة سايكس بيكو مايقف معارضا للعهود المقطوعة للعرب

وفينا فلم يفوا

لقد زرت أوربا مرتين من قبل ولكنى لم أسأل قط عما تم فى فلسطين والعراق فقد كنت أعمل مع والدى حسب مانعتقد أنه حسن تجاه انكلترا

لقد اطلعت الجنرال حداد - الذى تركته فى انكلترا - على الخطيئات التى ارتكبت للفت نظركم اليها

وقد كان من نتيجة هـذه الأخطاء اننا أخرجنا من سورية والعراق ، وهما بين ألسنة اللهيب

أما مايتعلق بفلسطين ، فقد تركت التعليمات مع مندوبى للاطلاع على وجهة نظر الحكومة البريطانية بهذا الشأن التى أعتقد انها ستكون موافقة على جميع الأعمال

وآنا آت الآن للمرة الثالثة للحكومة البريطانيـة باسم والدى وأنا على ثقة بأن تلك التعهدات ستكون موضع نظر وعناية واهتمام الحكومة

فالعرب يعتقدون أن « الانكليزى » يحافظ على تنفيذ كلمته ، ويعلقون أملهم على « كلمة الانكليزى » ويعتقدون أنه ليس فى التقاليد الانكليزية مايعتبر المعاهدات كأوراق مهملة لاقيمة لها

وأنا لاأطلب من الحكومة الانكليزية شيئا ليست مستعدة للقيام به . فقد قال مستر لويد جورج فى اجتماع حضرته فى دوننج ستريت « ولقد قامت القوى العربية بالعهود التى قطعتها لبريطانيا ، ويجب علينا نحن أن نقوم بعهودنا »

وأخيرا فانى أسأل الحكومة الانكليزية اذا كان من العدل أن يعامل رجل حالف انكلترا وعمل تحت لوائها ، وقاد الثورة نحو النجاح ، وكان رأيه الوحيد أن يظل مخلصة لبريطانيا وحليفاتها . أن يعامل بمثل هذه المعاملة ، لأنه كان مخلصا نحو بلده ، أمينا لانكلترا

وانتقل الملك بعد ذلك الى الكلام عن احتلال فرنسا للساحل وعما صحبه من اضطرابات فى جبل لبنان ومرجعيون وتل كلخ واللاذقية واسكندرونة وحارم وجسر الشغور فوصفه وصفا مناسبا ثم قال

ولم يكد نبأ هذه الاضطرابات يصل الى مسامعى ، حتى أرسلت على الفور رسلا الى تلك الأنحاء ، لتهدئة الشعب ، واقناعه بأن يكون صديق الفرنسويين . وقد حدث اذ ذاك أن الترك والأكراد أفلحوا فى اقناع احد زعماء العشائر البدوية بمشاركتهم فى العمل فى اخراج الفرنسويين من أورفه . فجاء هذا الزعيم يستشيرنى فنصحته بأن لايفعل ، فسار على نصيحتى

وقد عرضت نفسى بهذا العمل لانتقاد شعبى نفسه ، الذى بدأ يعتقد انى اخونه مع الفرنسويين

وقد عرف الفرنسيون أنفسهم الغاية من سياستى فأرسل اذ ذاك رئيس دائرة الجنرال غورو السياسية ، بمذكرة الى الجنرال قال له فيها : « ان لجنة الدفاع الوطنى التى كانت قبل وصول الأمير فيصل تدير شؤون الحكومة ، ومازالت حتى الآن تنشر فى البلاد

أفكار الاستقلال التام قد قررت هذه اللجنة محاربة الأمير فيصل اذا كان هـذا قد وقع معاهدة مع فرنسا

« وقد كانت الاستقبالات فى دمشق هذه المرة ، أقل حماسة مما كانت عليـه فى أى وقت آخر. وذلك لأن الجمهور يتنبأ أو يشعر بأن الأمير فيصلا قد باع سورية الى فرنسا . .

« وهذه اللجنة لا تزال مستمرة فى المعارضة ، و يظهر انها لاترغب فى مشاركة الأمير فى غاياته ومراميه ـ الزائدة أوالناقصة فى الاخلاص ، للتقرب منا »

هذا وأعتقد أن كل من يعرف طبيعة المنطقة الشرقية وصعوبة المواصلات ، وطبيعة العشائر المشاغبـة ، يدرك صعوبة العمل فى تهدئة الخواطر الثائرة ، والحيلولة دون رغبـة هؤلاء ، فى مهاجمة الفرنسويين فى المنطقة الغربية

ومما يجب ذكره هنا انه عند ما كانت حامية الفرنسويين فى أقصى مراتب الضعف ، وكان عدد رجالها لايزيد عن الألف ، فى ذلك الحين ، زرت حلب زيارة شخصية لأوقف العصابات الذاهبة لمشاركة الترك الوطنيين فى محاربة الفرنسويين فى كيليكية

وازداد استياء الشعب فى كل مكان ، ورأى الناس أنه انقضى ثمانية عشر شهرا على اعلان الهدنة ولم يظهر شئ يدل على أن هناك رغبـة فى العمل على اجابة رغائبهم . وكان الشعب من ناحية أخرى يرى الفرنسويين يطبقون سياسة استعمارية محضة كما كان الترك يرسلون دعاتهم الى المدن ويحرضون الرأى العام ضـد الحلفاء الذين يقومون بهـذه الأعمال و يطبقون مثل هذه السياسة بالرغم من محاربتهم الى جانبهم ، و يقولون ان سورية والعراق سيقسمان الى قسمين ، وأنه من الأفضل لهـم ولمصلحتهم أن يسـيروا الى جانب الترك لمعارضة أنانية السياسة الأوربية بقوة السلاح

وكل ما كنت أستطيع عمله فى هذه الظروف هو أن أقنع كل واحد بأنهم اذا صبروا وانتظروا فانهم واصلون الى مايرضيهم

وفى ٨ مارس عام ١٩٢٠ أعلن شعبى بواسطة مندوبيـه الذين اجتمعوا فى دمشق استقلال سورية، وانتخابى ملـكا عليها . وقد قال هؤلاء المندوبون فى أنفسهم انه اذا كان الحلفاء مخلصين فى أعمالهم ووعودهم ، فانهم يعترفون بهذا القرار الناشىء عن رغبة الشعب

العامة ، والذى يضع وعود الحلفاء موضع التنفيذ ؛ ويبرهنون بذلك على كذب الترك فى ادعاءاتهم

أما اذا كان الأمر على النقيض من هذا ولم يؤيد الحلفاء عمل الشعب السورى وقرار مندوبيه ، يظهر صدق الترك فى كل ادعاءاتهم وأقوالهم وتحذيراتهم

لقد قيل عن المؤتمر السورى ، الذى مثل الشعب السورى حق التمثيل انه مؤتمر غير قانونى . مع أن هذا المؤتمر قد انتخب بأفضل الوسائل المشروعة ، وكان — حسب أوامرى وطلبى — يمثل الشعب السورى بكامله كل التمثيل

فقد جرت الانتخابات على الدرجة الثانية وحسب القوانين التركية القديمة فانتخب ٨٥ مندوبا من مختلف الجهات . آضفنا اليهم ٣٥ مندوبا عن زعماء القبائل ورؤساء الأديان

وقد جاء الأعضاء من المنطقتين الشرقية والغربية ، وكان هؤلاء يمثلون مختلف المذاهب والديانات . وأرسل لبنان ثلاثة مندوبين ، كان انتخبهم لاطلاع اللجنة الأميركية على رغائب اللبنانيين وأمانيهم

وبعد أن نزلت عند قرار المؤتمر ، وقبلت العرش ، أعلنت السياسة التى يجب أن تسير عليها الحكومة الجديدة ، وعنيت عناية خاصة أن " لا ألعب بعواطف الشعب الوطنية وأن لا أخدعه ، مع انه كان فى وسعى اذ ذاك — اذا أردت — أن أكون محبوبا من الشعب الى أقصى حد

وقد أسرعت بعد هذا الى الشروع فى تنظيم الادارة والحكم بشكل يتفق وطبيعة البلاد فألفت حكومة ، كان للمسيحيين من يمثلهم فيها وكان موقف الوزارة فى العمل موقفا صعبا الى حد كبير

وذلك لأن الفرنسويين كانوا مسيطرين على السواحل ، وكانوا يتقاضون الرسوم الجمركية التى كانت المورد الأساسى فى الخزينة ، ولا يدفعون حصتنا الا بصورة متقطعة ، كما أنهم لايدفعون الينا سوى قسم ضئيل من هذه الحصة وهذا ماجعل حكومتى تواجه صعوبات جة منذ تأليفها ، وتقع فى حيرة شديدة لشدة حاجتها للمال

ثم ازداد سوء الحال بعد ذلك ، وأخذ الفرنسويون يطبقون سياسة جائرة فى

الشؤون الجركيـة . فأضروا التجارة ، وأوقعوا اضرارا لاحـد لها باسواق دمشق وهذا ما كانوا يرمون اليه من وراء سياستهم هذه

وهكذا بدأت المملكة الجديدة حياتها تحت هذا الـكابوس . فاخبرت وزارة الخارجية الانكليزية بواسطة الجنرال حداد باشا ، عن الأسباب التي أدت للقيام بهذا العمل ، واعلان الاستقلال والملكية . فأجابتني الوزارة المذكورة بعد مقررات « سان ريمو » ان انكلترا تعترف باستقلال حكومة سورية، وتعترف بي ملـكا عليها

أما فرنسا فقـد رفضت أن تتخذ مثل هذا القرار و تعترف بالاستقلال و بي . وذهب الجنرال غورو فوق هـذا الى لبنان وأخـذ يخطب خطبا ضد حكومتي ، مثيرا اللبنانيين للاحتجاج على مقررات المؤتمر السوري

وعند ماعدت للمرة الثانيـة لقضية البقاع ، وطلبت الى الجنرال غورو أن يجـلو عن البقاع أجابني جوابا غريبا قال فيه : « كيف تريد أن أنسحب من البقاع ، وأنا لا أستطيع أن أمنع الضباط الذين يصرون على التقدم » فأجبته : « اذا كان الجـنرال غورو يجد أنه من الصعوبة منع ضباطه ــ وهم الذين يسيرون على نظام الجندية ــ فـكيف أستطيع أنا أن أمنع رجال القبائل الذين لايعرفون شيئا عن النظام »

وكان موقف فرنسا يزداد غموضا يوما بعد يوم . وقد استطاعت بعد عقد الهدنة مع مصطفى كمال أن ترسـل قسما كبيرا من جيوشها الى هذه البـلاد ، وأخذت تحشـد الجند والمصفحات والطيارات الخ . .

لقد كنت دوما أفـكر في السفر الى باريس لبحث هـذه المشكلة مع الحـكومة الفرنسوية ، بيـد أن ازدياد خطورة الموقف يوما بعد يوم ، جعلني أعتقد أن وجودي في سورية ضروري للغاية

فقد كان وجودي في سورية ، أكثر ضرورة في ذلك الحين من وجودي في أوربا وقد اعترف الجنرال غورو بذلك في كتاب بعث به الى حكومته كما اعترف اللورد كرزون بمثل هذا في الخطاب الذي ألقاه في مجلس اللوردات رغم أنه صرح برغبته في أن يراني في المستقبل القريب في لندن

واذ ذاك سرت حسب الآراء التي أبرق الي بها الجنرال حداد من لندن ، وقررت أن

أذهب الى أوربا حالا — كما تريد وزارة الخارجية الانكليزية — وكان موقف الجنرال غورو يتضح شيئا فشيئا ، ويقوى عزمى على السفر بأسرع ماأستطيع

فقد فكرت انه قد يكون من الممكن — اذا سافرت لأوربا — أن أصل الى حل للقضية كلها . وكتبت الى الجنرال غورو فى ٩ يوليو ، أطلب اليه أن يهيئ لى أسباب سفرى فأجابنى بأن لديه بضعة شروط يريد أن يعرضها على قبل مغادرة سورية ، والا فان الحكومة الفرنسوية لن تدخل معى فى أية مفاوضة

ومنذ تلك اللحظة أخذت الحوادث تمر بسرعة ...

فقد أصبح لدى الجنرال غورو قوى كافية لسحق كل معارضة نحاول أن نبديها ، وأعتقد أن ذهابى الى أوربا قد ينهى القضية فحال دون سفرى . وتحركت الجيوش الفرنسية فى ١١ — ١٢ يوليو . وأخذت تتقدم من جرابلس نحونا فاحتلت جسر الشغور ثم دخلت رياق مزودة بالأسلحة والمدافع لتقوية الحامية المعسكرة فيها

وقد حدث كل هذا فجأة و بطرفة عين دون اخطارى بشيء . وكان من الواضح أن الجنرال غورو يعد العدة للقيام بحملة عامة على منطقتى

وفى ١٤ يوليو تلقيت من الجنرال غورو انذاره المعروف

وانه لمن المستغرب أن يدعى الجنرال غورو فى هذا الانذار انى وضعت له العراقيل فى محاربة العدو المشترك مصطفى كمال ورفضت السماح بنقل الذخائر الى جيشه

فالذخائر لم يعترض أحد على نقلها . ولم يوقفها أحد ، أما الجيوش فكل مافعلته فى هذا الصدد هو انى طلبت اليه أن يعترف بما اعترفت به انكلترا — فيما يتعلق بالحكومة العربية — وأن يقوم بالتعهدات التى قطعتها حكومته لنا قبل أن ينقل جيوشه على الخطوط الحديدية . وأوضحت له بصراحة أنه يستحيل على تهدئة الشعب اذا لم يجب هذه المطالب

وقد طلبت الى الجنرال غورو أن يعترف بالحكومة وبى لأنى كنت أعرف عن ثقة أن حكومته تركت له هذا الأمر يقرره حسب ما يراه

ويجب أن أضيف الى هذا أن الجنرال غورو كان يرسل الذخائر الى جيوشه فى القطارات ، وقد أدركت الآن أن ماقالته الصحف المحلية عن غايات الجنرال غورو فى ارسال هذه الذخائر كان صحيحا لاريب فيه

فالجنرال غورو لم يكن يرغب فى نقـل الجند والذخائر لمحاربة العدو المشترك مصطفى كمال بل لمهاجمة منطقتى

أما أنا فقد أظهرت شعورى نحو مصطفى كمال بصراحة وجلاء قبل أن تجلو الجيوش الفرنسوية عن جرابلس

فقد أرسلت الى الجنرال غورو اذ ذاك كتابا أشرت فيـه الى النتائج الخطيرة التى يؤدى اليها فتح الباب للترك لاثارة القلاقل والاضطرابات فى سورية والعراق واقترحت عليه أن أرسل اليه جيوشى لتتعاون مع الجيوش الفرنسوية فى سبيل احتلال المناطق التى قرر مؤتمر الصلح أن تكون من منطقتى

غير ان الجنرال غورو لم يوافق على هذا الاقتراح . وأعتقد أن رجلا يقترح محاربة الترك لا يمكن أن يتهم فى « وضـع العراقيل » أمام الجيش الفرنسوى المحالف لمحـاربة العدو المشترك

وقد ذكر الجنرال غورو ـ استنادا الى القلاقل التى اتهمنى باثارتها ـ ست حوادث قال انها وقعت بمعرفتى ، ولم يذكر قط أن ثلاثا منهـا قد وقعت خـلال غيابى فى أوربا ، وكانت المخابرات ـ حين وقوعها ـ مقطوعة بينى و بين سورية

والحقيقة أن هـذه الحوادث الثلاث وسواها قد وقعت على أثر الأعمال التى كان يقوم بها الموظفون الفرنسويون ... وهى الأعمال التى كنت لفت اليها نظر الجنرال غورو مرارا عدة ، وأرسلت اليه كتابين بشأنهما

أما الكتاب الأول فيبرهن على شـدة اخلاصى ورغبتى فى العمل مع الفرنسويين بروح المودة ، ويدل على أنى عند ما ألفت الحكومة الجديدة ، كنت واضعا هـذه الرغبة نصب عينى

وأعتقد أن التهمة التى ألصقت بحكومتى ، بأنها تشجع العصابات وتحثها على دخول المنطقة الغربية ، تثير استغراب كل رجل كان فى سورية خلال تلك الشهور

ومما يجدر ذكره هنا أن الفرنسويين أنفسهم سلحوا العصابات المسيحية فى مختلف الجهات لاثارة القلاقل فى منطقتى

وقد تبودل كثير من الرسائل بين الضباط السياسيين الفرنسويين و بعض الأهلين ،

بشأن استخدام بعض متطوعة الأكراد - بالراتب الذى يريدونه - لتأليف العصابات واثارة القلاقل فى سورية ، وعلى الحدود الكردية فى العراق تملؤ صحائف صفراء من تاريخ سورية الحديثة

إذن . . . فقد كان من الطبيعى - فى بلاد هذه حالتها - ان ترتكب بعض الجرائم الشخصية ضد بعض الجند الفرنسوى

وعند ما كان يقع مثل هذه الجرائم فى احدى النواحى لم نكن نجد جهدا من الجانب الفرنسوى للبحث عن المجرمين ، بل كان كل ما فى الامر أن يحرق الفرنسويون أقرب قرية وان يحجزوا غلالها ، ويسوقوا ماشيتها ، ويتركوا سكانها فى شقاء وتعاسة لاحد لهما

وانه لمن سوء حظ سورية انها بعيدة وان شعبها يجهل كيف يلفت نظر العالم المتمدن ويطلعه على جلية الامر . ولو لم يكن الحال كذلك ولواستطاع السوريون أن يسمعوا صوتهم للعالم المتمدن لاثارت هذه الأعمال والاضطهادات عاصفة شديدة فى العالم الأوربى «تنسف» فرنسا من سورية الى الأبد

على ان هذه الأخبار اذا لم تصل الى اسماع أوربا واميركا ، فقد انتشرت فى كثير من الانحاء العربية ، وكان كره الفرنسويين يزداد يوما بعد يوم

أما التهمة الثالثة التى وجهها الجنرال غورو الى حكومتى ، فهى رفض هذه الحكومة ادخال العملة الجديدة على أساس الفرنك

وانى لاجيب على هذه التهمة ان الجنرال غورو ليس لديه قوة شرعية لابدال العملة فى البلاد ، بعملة سواها ، وهو اذا فعل هذا فانما يكون مستعملا سلطة «الحاكم» المطلق . . . الأمر الذى لاحق له فيه

ثم ان رفض العملة الجديدة لم يكن من حكومتى ، بل من الشعب أجمع

ويدعى الجنرال غورو فى انذاره ان حكومتى قد عاملت أنصار فرنسا معاملة سيئة ، وكرمت - من ناحية أخرى - أعداء فرنسا

وعلى ذلك أجيب أن هؤلاء الانصار الذى قيل انهم عوملوا معاملة سيئة ، كانوا

من المتآمرين على الامن ، الساعين لاثارة النعرات الدينيـة بين مختلف المذاهب لقاء الأموال التى دفعها لهم الفرنسويون

أما هؤلاء الذين يدعوهم الجنرال غورو «أعداء فرانسا» فانهم من الرجال الوطنيين المخلصين ، يحاربون الذين مقاصد فرنسا وانه من المضحك أن يدعى هؤلاء « أعداء فرنسا » وأن يعاملوا معاملة سيئة بالنسبة لهذا العداء

فقد كان هؤلاء يرغبون أن يعيشوا تحت الحكم العربى ، وكان قسم كبير منهم يقيم فى المنطقة الغربية ، وهى المنطقة التى لا سلطة لى عليها

ولم يكن فى وسعى فى أى حال من الأحوال أن أخنق الشعور التى تولد فى النفوس وشجعته تصريحات الحلفاء المختلفة فى كثير من الظروف

وهنالك تهمة مضحكة أخرى فى انذار الجنرال غورو ـ وهى تهمة لاظل لها من الحقيقة ـ وهى ادعاؤه أننا رشونا المجلس اللبنانى بمبلغ ٤٢ ألف ليرة انكليزية ليطلب الاستقلال بدون مساعدة فرنسا واتهام أعضاء المجلس بالخيانة لانهم طالبوا بهذا الاستقلال

وهذه التهمة مضحكة لأسباب عديدة :

١ ـ لم يكن لدى الحكومة السورية مال تتمكن معه من دفع شئ

٢ ـ ان المادة الخاصة بلبنان الكبير ، قد كانت دوما خارجة عن السياسة التى كنت اتبعها . ولم أكن أعتقد أن أمراً كهذا يقابل بالارتياح بين سكان الأراضى المقترح الحاقها بلبنان وقد أرسلت لكم طيه ترجمة قرار المجلس وهو القرار الذى نفى من أجله كثير من اعضائه

وانى أعرف السبب الذى حدا بالجنرال غورو للوم الحكومة السورية فى هذا الشأن وهو محاولة هؤلاء المنفيين السفر الى فرنسا وعرض شكواهم عن طريق المنطقة الشرقية بعد أن حالت فرنسا دون سفرهم من المنطقة الغربية

واتهم الجنرال غورو الصحف الدمشقية بأنها تهاجم السياسة الفرنسوية ونسى أن الصحف التى تساعدها فرنسا لم تترك فرصة تمر دون أن تهاجمنى وتهاجم القضية العربيـة مهاجمة شديدة وتحمل على السياسة الانكليزية فى الشرق الادنى وتحاول الانتقاص من قيمتها

وقد طلبت مرارا عديدة الى السلطات الفرنسوية أن توقف صحفها عن التهجمات فلم

فصغ الى طلبى ، ولهذا لم يكن فى وسعى أن أمنع صحف دمشق عن الجواب

ثم بالرغم من لهجة الجنرال غورو القاسية فى انذاره غير المشروع فقد بذلت كل جهد لأقنع حكومتى بالموافقة عليه

فقد كنت أعرف أن رفضه سيؤدى حتما الى مصيبة

وتلقيت فى تلك الظروف الحرجة ـ والضغط يشتد حولى ـ برقيـة من اللورد كرزون فأعلمت الـكولونيل كوس بموافقتى على شروط الجنرال غورو وطلبت اليه فى نفس الوقت أن يمدد مهلة الانذار حتى أتمكن من تنفيذ الشروط فمددها ٢٤ ساعة بناء على طلبى

وفى ١٩ يوليو طلبت مهلة أخرى، لأتمكن ـ هذه المرة من ابدال الموظفين الذين يترددون فى قبول الشروط

وفى اليوم الذى أجيب فيه طلبى ، أعلمت الجنرال غورو ان الجيوش العربيـة التى كانت تحتل مراكز مجدل عنجر القوية ، والفرق التى كانت ترابط على الحدود، فدانسحبت بناء على أوامرى الى دمشق ، وبدأت منذ ذلك اليوم أسرح الجيوش فى العاصمة ، بناء على تأكيد الفرنسويين بان الجيوش الفرنسوية لن تتقدم . وقد كان القناصل فى دمشق شهودا على هذا التأكيد

أريد أن أؤكد هنا أن موافقتى على شروط الجنرال غورو ، انما كانت مؤسسة على اعتمادى الذهاب الى أوربا ، لأعرض القضية أمامكم ، ليأخذ العدل مجراه ، بناء على عهودكم المقطوعة

وفى ٢٠ يوليو أغلقت المؤتمر ، وكنت مضطرا لاتخاذ هـذا التدبير ، بعد أن رأيت أعضاءه يرغبون فى معارضة مطالب الفرنسويين بقوة السلاح

وفى الساعة الخامسة والخمسين دقيقة من هذا اليوم نفسه ، أعطيت الـكولونيل كوس جوابى المفصل ، وموافقتى على شروط الجنرال غورو بأجمعها فوصـله الجواب قبل ست ساعات و نصف من نهاية مهلة الانذار

ولكن الجنرال غورو يدعى أن برقيـة الموافقة لم تصله الا فى صباح اليوم التالى أى فى ٢١ يوليو

ويجب أن أذكر هنا أن موافقتى على شروط الجنرال غورو قد جعلت موقفى فى دمشق صعبا الى أقصى حد

فقد أدى تسريح الجيوش العربية ، الى قيام حركة فى دمشق ضد الحكومة . وكان الشعب يؤثر أن يحارب على أن يوافق على مثل هذه الشروط

ولم تنته الحركة الا بعد سقوط مئة وعشرين من القتلى ، وثلاثمائة جريح

وفى صباح ٢١ يوليو نقـل الىّ أن الجيوش الفرنسوية تتقدم نحو دمشق ، وانها أسرت فرقة صغيرة من الجيش العربى التى تركت فى البقاع لتجمع الأسلحة والذخائر من السكان ، وتعود بها الى دمشق

وقد كانت هـذه الفرقة الأسيرة ، تحمل أوامر بأن تعامل الفرنسويين كحلفاء ، فكانت النتيجة أن وقعت أسيرة فى أيدى هؤلاء الحلفاء دون أن تبدى أقل مقاومة

ولم أكد أطلع على هذه الأنباء حتى أرسلت الكولونيل طولا الى الجنرال غورو ، أطلب اليه أن يقوم بوعده ، ويأمر بانسحاب الجيوش الفرنسوية

وفى اليوم التالى أرسل الى الجنرال غورو كتابا يطلب فيـه ان أوقع على شروط أخرى وقد أرسلت اليكم طيه هذا الكتاب وتلك الشروط لتطلعوا عليها

وقد أجيب الجنرال على هذا الكتاب بأن هذه الشروط الجديدة ، لم تكن موجودة فى الانذار ، وانى قد نفذت القسم الاكبر من الشروط الأولى ، وأنا مستعد لتنفيذ القسم الآخر اذا انسحبت الجيوش الفرنسوية

ولو قبلنا الشروط الجديدة ، لما بقيت لى ولا لوزرائى أية سلطة فى البلاد

وفوق هذا لم أكن أثق بأن الجنرال غورو لن يبعث بشروط جديدة اذا قبلت هذه

وبينما كنت أسعى لتسوية هذه المشاكل بروح المسالمة والود وصلتنى أخبار جديدة عن تقدم الجيش الفرنسوى ، فخرجت الجموع من دمشق ، دون نظام ودون أسلحة ، للمدافعة عن المدينة

ولم يزد عدد هؤلاء الذين تجمعوا فى خان ميسلون عن الالفى رجل . وقد اشترك مع

هؤلاء مثتا رجل من رجال القبائل المسلحين ، وهم بقايا الجيوش المنسرحة ـ فعهد اليهم بالمحافظة على الاسلحة ، والذخائر وكان من الطبيعى أن يذهبوا ضحية المصفحات والطيارات الفرنسوية

وقد كان بين هؤلاء الذين سقطوا صرعى فى ميسلون بعض رفاق فى معارك فلسطين وانى لاحنى رأسى احتراما لجميع هؤلاء الذين ضحوا بحياتهم فى سبيل الاحتجاج على اعتداء لم يعرف له التاريخ مثيلا

لقد وثقت بكلمة الجنرال غورو ، واعتمدت على وعده بأن لايسمح للجيوش الفرنسوية بالتقدم فأخليت المراكز من الجند ، وسرحت قسما كبيرا من الجيش ... وأجبت ـ انا الرجل الأعزل ـ بأنى ارفض الحرب

وقد كنت اعرف ان موافقتى على الشروط الجديدة لابد ان تثير حربا اهلية فى دمشق فاعطيت الجنرال غورو عهدا صريحا بأن انفذ شروط ١٤ يوليو بكاملها . وطلبت اليه لقاء ذلك ان يوقف تقدم الجيوش نحو دمشق . فكان جوابه لى اطلاق النار على النظاميين والمتطوعين .

وبالرغم من هذا كله فقد أمرت النظاميين الذين نجوا من القنابل أن يتركوا السلاح . وقد فنيت فرقة من الجنود الشجعان ـ تحت قيادة البطل يوسف العظمة ـ وهى فى مكانها .

ثم تكلم بعد ذلك عن ما جرى بعد حوادث ميسلون وهى مطابقة لما نشرناه فا كتفينا به وناشد فى الختام انكلترا ان تفى بعهودها للعرب

١٧

اتفاق فرنسا وانكلترا

على الحدود بين سورية ولبنان وفلسطين والعراق

ونختم هذا الفصل بنشر نص الاتفاق الذي عقد بين انكلترا وفرنسا يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢٠ لتحديد الحدود النهائية بين الاراضي المشمولة بالانتداب الفرنسوي والانتداب الانكليزي وهو :

أنابت الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسوية الوزيرين المفوضين الواضعين اسميهما أدناه ليحلا جميع الأمور التي لها علاقة بالانتداب الذي منح لبريطانيا العظمى على فلسطين والعراق ولفرنسا على سورية ولبنان في المجلس الأعلى الذي اجتمع في سان ريمو وقد اتفقتا على الشروط الآتية :

١ ــ تعينت حدود المناطق التي شملها الانتداب الفرنسوي أي سورية ولبنان وحدود المناطق التي شملها الانتداب البريطاني أي فلسطين والعراق كما يلي :

من الشرق بنهر الفرات وجزيرة ابن عمر الى حدود ولايتي ديار بكر والموصل القديمة ومن الجنوب الشرقي بحدود هاتين الولايتين القديمة الى غاية روماليين كوي ومن هنا خط يمتد من المنطقة التي يشملها الانتداب الفرنسوي فيترك فيها جميع الاراضي الواقعة في حوض نهر الخابور الغربي ويمر باستقامة نحو الفرات فيجتازه بالبوكمال ويمتد باستقامة الى أمتار بجنوب جبل الدروز ومن هنا يمتد الى جنوب نصيب الواقعة على خط حديد الحجاز فسمخ الواقعة على بحيرة طبرية سائرا الى جنوب خط السكة الحديدية وموازيا له . وتبقى درعا وما حولها في المنطقة التي يشملها الانتداب الفرنسوي ويبقى ذلك الخط في وادي اليرموك ضمن المنطقة الفرنسوي ويسير بصورة ملاصقة وموازية لخط السكة الحديدية كي يصبح في الامكان أن يمد في وادي اليرموك سكة حديدية واقعة في الأراضي المشمولة بالانتداب البريطاني

وستوصع التخوم فى سمخ بصورة يمكن معها للفريقين المتعاقدين الساميين ان يبنيا مرفا ومحطة للسكة الحديدية ليتمكنا من استعمال بحيرة طبرية بحريا.

ومن الغرب يسير الخط من سمخ مارا داخل بحيرة طبرية فأول وادى المسعدية حيث يسير مع مجرى هـذا النهر فى وادى جرابا ، إلى نبعه ومن هنا يتصـل بطريق القنيطرة و بانياس بالمكان المعروف بالسكيك فيسير مع الطريق التى تبقى فى المنطقة الفرنسوية لغاية بانياس ومن هنا يسير نحو الغرب حتى يصل الى المطلة وتبقى المطلة فى المنطقة البريطانية.

وسيضع هذا الجزء من الحدود تفصيلات دقيقة يمكن معها تسهيل المواصلات بين جميع أطراف البلاد المشمولة بالانتداب الفرنسوى كصور وصيدا والمناطق الواقعة الى الغرب والى الشرق من بانياس.

وتفصـل التخوم بالمطلة بمفرق الماء فى وادى الاردن وحوض نهر الليطانى وتسير جنوبا مع وادى الاردن فوادى فرعم ووادى كركرة اللذين يبقان فى المنطقـة البريطانية فوادى البلاونه ووادى العيون والزرقاء التى تبقى فى المنطقة الفرنسوية ويصـل الحد الى شاطئ البحر المتوسط فى مينا رأس الناقورة ونظل فى المنطقة الفرنسوية.

٢ ـ تؤلف بعد التوقيع على هذه المعاهدة بثلاثة أشهر بعثـة لتدرس الحدود بين المناطق المشمولة بالانتداب الفرنسوى والمناطق المشمولة بالانتداب البريطانى التى بيناها فى المادة الأولى وتتألف هذه البعثة من أربعة أعضاء تعين الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسوى اثنين منهم وتعين الاثنين الآخرين الحكومة المحلية المشمولة بالانتداب الفرنسوى والحكومة المحلية المشمولة بالانتداب البريطانى بعد مشورة الحكومتين المنتدبتين.

اذا وقع خلاف بين أعضاء هذه البعثة يعرض على مجلس جمعية الامم ويكون قراره قطعيا

وتقدم تقارير البعثة النهائية عن الحدود الثابتة التى عينت أخيرا وترتبط معها المصورات الضرورية الموقع عليها من قبل أعضاء البعثة . وتوضع ثلاث نسخ من هـذه التقارير والمصورات تحفظ النسخة الواحـدة بين سجلات مجلس جمعيـة الأمم وتحفظ النسختين الاخريين الحكومتان المنتدبتان.

٣ ـ توافق الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسوية على ترشيح لجنة خاصـة

مهمتها درس الخطط التمهيدية التى تعينها الحكومة الفرنسوية المنتدبة لأجل مصلحة الرى فى البلاد المشمولة بانتدابها لئلا يقلل ابرازها لحيز الفعل ماء دجلة والفرات فى الموضع الذى يدخلان به المنطقة العراقية المشمولة بالانتداب البريطانى

٤ ـ توافق الحكومة البريطانيـة بالنظر الى مكانة جزيرة قبرص من الوجهـة الجغرافية والعسكرية بالنسبة الى خليج الاسكندرونة على أن لا تفاوض أحدا بخصوص التنازل عنها أو تسليمه إياها قبلما توافق فرنسا على ذلك

٥ ـ ا : توافق الحكومة الفرنسوية على وضع ترتيب حر يبين كيفية استعمال خط السكة الحديدية الواقع بين طبرية ونصيب استعمالا مشتركا

تضمن سير هـذا الترتيب وانتظامه ادارتا السكة الحديدية المؤلفتان فى منطقتى الانتداب البريطانى والفرنسوى باسرع مايمكن أى بعد تنفيذ الانتداب على سورية وفلسطين وتسمح هذه الاتفاقية بصورة خاصة لادارة السكة الحديدية البريطانية أن تسير قطاراتها ذهابا وإيابا بين هاتين المنطقتين وفقا لمصالحها. وتنقل البضائع التجارية الى المنطقة المشمولة بالانتداب الفرنسوى بواسطتها ، وتعين هذه الاتفاقية الشروط الماليـة والادارية والفنية اللازمة لسير القطارات البريطانيـة ، أما اذا لم يتم الاتفاق خلال ثلاثة أشهر من تنفيـذ الانتداب بين الادارتين المذكورتين أعلاه فستعين جمعية الأمم حكما يفصل الخلاف وعندئذ تنفذ شروط هذه الاتفاقية التى حازت رضا الطرفين

يعمل بموجب هذه الاتفاقية الى أجل غير مسمى وتصحح أحيانا بمقتضى الاحوال

ب : يمكن للحكومة البريطانية أن تمد خطا من الانابيب الحـديدية بجانب السكة الحديدية ولها الحق فى نقل جنودها على هذه السكة الحديدية دائما

ج : توافق الحـكومة الفرنسوية على تعيين بعثة خاصة تدرس الأراضى ، وبعـد درسها إياها تعين الحدود فى وادى اليرموك حتى نصيب بطريقة فنية يمكن معها بناء الخط الحـديدى البريطانى وخط الانابيب الموصـل بين فلسطين وبين سكة الحجاز ووادى الفرات فى المنطقة المشمولة بالانتداب البريطانى . وتبقى السكة الحديدية الحالية المارة بوادى اليرموك داخـل الأراضى المشمولة بالانتداب الفرنسوى ، ويجب على بريطانيا العظمى احقاق حقها هذا فى مدة لاتتجاوز عشر سنوات

د ــ تتألف البعثة التى ذكرناها أعلاه من عضو بريطانى وعضو فرنسوى يضاف اليهما نواب عن الحكومات المحلية بصفة مستشارين فنيين هذا ان رأت الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسوية لزوما لذلك

هـ : إذا اقتضى الأمر لاسباب فنية أن يمر خط السكة الحديدية البريطانية ببعض الاماكن المشمولة بالانتداب الفرنسوى توافق الحكومة الفرنسوية على مرور هذا الخط بتلك المناطق وتقدم للحكومة البريطانية أو لعملائها المساعدات اللازمة

و ــ اذا شاءت الحكومة البريطانية العمل بموجب الحق الممنوح لها بالفقرة الثالثة من هذه المادة أى أن تمد سكة حديدية فى وادى اليرموك تنفذ الحكومة الفرنسوية الشروط التى اشترطتها على نفسها بالفقرة الأولى والثانية من هذه المادة غب مرور ثلاثة أشهر من انشاء السكة

ز ــ توافق الحكومة الفرنسوية على اتخاذ التدابير الفعالة لحمل الحكومات المحلية المشمولة بالانتداب الفرنسوى لتصادق على هذه الحقوق الممنوحة للحكومة البريطانية

٦ ــ تم الاتفاق على هذه الشروط التى تسهل أعمال الحكومة البريطانية مقابل عقد الاتفاقية الفرنسوية البريطانية بخصوص الزيت فى سان ريمو

٧ ــ لاتضع الحكومة البريطانية ولا الحكومة الفرنسوية موانع فى منطقتى انتدابهما لجمع الموظفين اللازمين لادارة خط السكة الحجازية أو لاستخدامهم

تمنح جميع التسهيلات الضرورية لمرور جميع المستخدمين فى الخط الحديدى الحجازى بمنطقتى الانتداب البريطانى والفرنسوى لئلا تتأخر أعمال هذا الخط

توافق الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسوية عند اللزوم على أن تعقدا اتفاقية مع الحكومات المحلية خلاصتها استثناء جميع مهمات هذا الخط ومعداته من الرسوم الجمركية عند ماتمر باحدى مناطق الانتداب

٨ ــ يعين خبراء واختصاصيون من قبل حكومة سورية وفلسطين غب مرور ستة أشهر من امضاء هذه المعاهدة مهمتهم فحص أحوال مياه نهر الأردن الأعلى ونهر اليرموك وتوابعهما لاستخدامها لأجل الرى ولأجل توليد الكهرباء وتعيين المقدار اللازم للاراضى الواقعة تحت الانتداب الفرنسوى

تزود الحكومة الفرنسوية الاخصائيين الذين تعينهم لدرس هذا المشروع بالتعليمات اللازمة لمنح فلسطين الماء الزائد خدمة لمنافعها العامة

اذا لم يحصل الاتفاق المطلوب بنهاية هذا الدرس تعرض المسألة على الحكومتين البريطانية والفرنسوية لتدرساها وتقررا فيها قرارا نهائيا

تشترك ادارة فلسطين بقدر انتفاعها من هذه الأعمال فى دفع نفقات بناء الترع والخلجان والسدود والخزانات والأحواض والأقبية وخطوط الانابيب الحديدية الخ وتشترك فى جميع الأعمال التى من شأنها انبات الحراج وتنشيط تربيتها

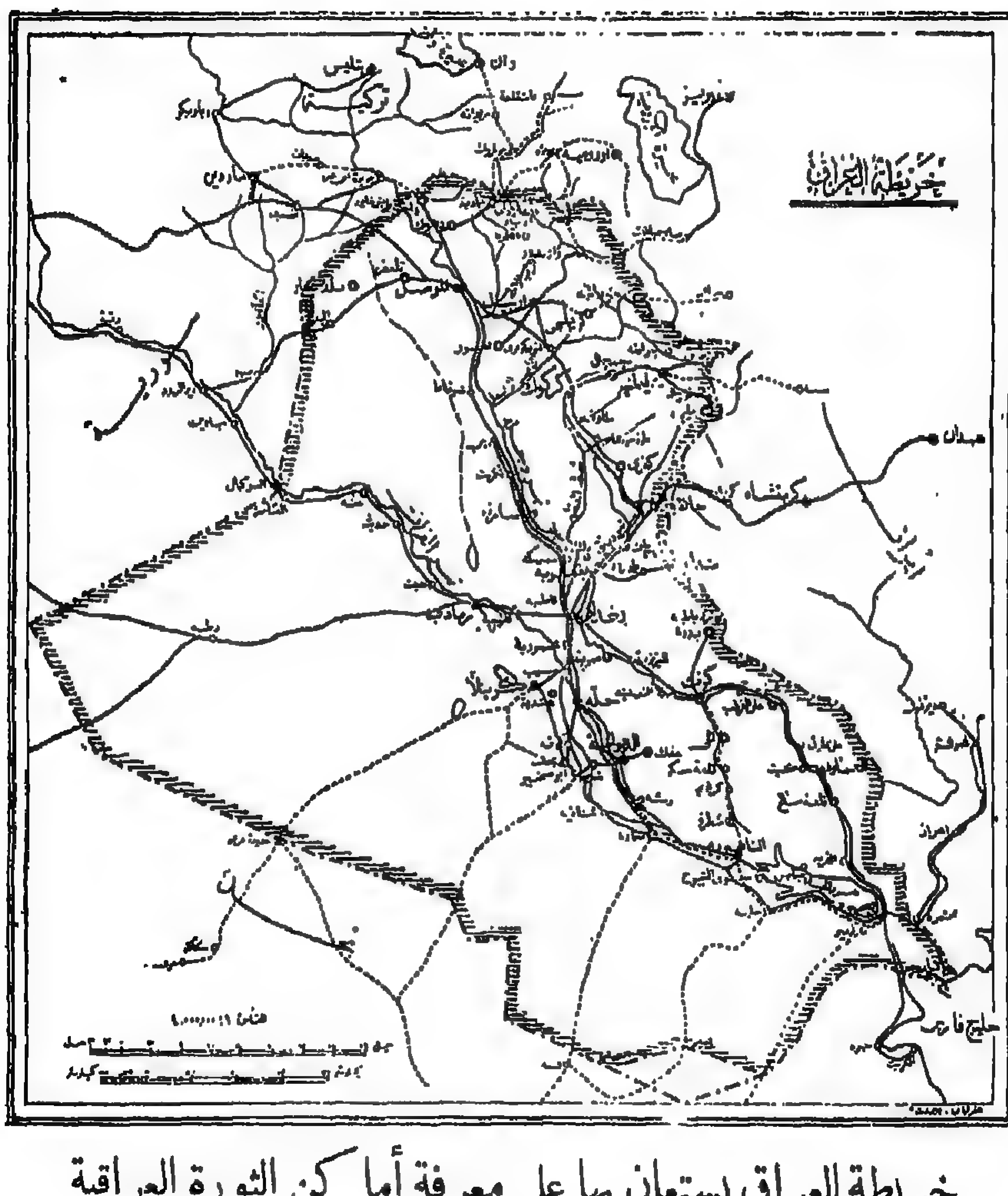
٩ ــ توافق الحكومتان البريطانية والفرنسوية عملا بنص المادة ١٥ والمادة ١٦ من نظام الانتداب الفلسطيني وعملا بنص المادة الثامنة والمادة العاشرة من نظام الانتداب العراقى وعملا بنص المادة الثامنة من نظام الانتداب اللبنانى السورى وعملا أيضا بموجب الحق العام المعطى من قبل الحكومات الوطنية للمدارس المحلية بخصوص التربية والتعليم على السماح للمدارس التى تخص أناسا من التبعة الفرنسوية أو من التبعة البريطانية على المثابرة فى ادارة هذه المدارس فى منطقتى انتدابهما ، ويسمح بتعليم اللغة الفرنسوية واللغة الانكليزية فى هذه المدارس

لاتعنى هذه المادة بحال من الأحوال منح رعايا إحدى الدولتين المشار اليهما حق فتح مدارس جديدة فى الوقت الحاضر فى منطقة انتداب الدولة الأخرى

هاردنج ج . بيج

٢

الثورة العراقية الكبرى



خريطة العراق يستعان بها على معرفة أماكن الثورة العراقية

١

عوامل الثورة ومقدماتها

بينما كان النضال على أشده بين العرب والفرنسويين فى الشام وقد حشد هؤلاء قواهم ليضربوا الضربة الكبرى ، كان العراق يتمخض عن ثورته الكبرى على الانكليز الذين جاءوه زمن الحرب واحتلوا مدنه وأنشأوا فيه نظام حكم غريب شاذ دعموه بالسيوف والحراب

والعوامل التى حفزت السوريين الى منازلة الفرنسويين وقد قاتلوا واياهم الترك واشتركوا فى تدمير سلطنة الاتحاديين هى نفس العوامل التى حفزت العراقيين الى قتال الانكليز ومنازلتهم فقد كان العراقيون يرجون أن يبر هؤلاء بوعودهم وينجزوا عهودهم للعرب فيأخذوا بيدهم ويساعدوهم فى انشاء دولتهم الكبرى ، فلما أدركوا أن الأمر بالعكس وان القوم يعملون على استعمار العراق واذلال أهله والعرب كافة نهضوا للدفاع عن حقوقهم نهضة عرب الشام . ومعنى ذلك أن العوامل الأصلية للحركتين واحدة مع وجود اعتبارات محلية وظروف خاصة لابد من مراعاتها وحسبان حسابها

ومن تحصيل الحاصل القول بأن الحركة العربية قامت فى دورها الأول على أكتاف العراقيين قيامها على أكتاف السوريين ، فقد كان الشبان من هؤلاء وهؤلاء يعملون جنبا الى جنب فى الاستانة و بيروت ودمشق و بغداد والبصرة و يؤلفون الجمعيات و ينشرون الصحف باسم استقلال العرب ووحدتهم لا باسم قطر من أقطارهم ولا اقليم من اقاليمهم ، ولئن كثر عدد الضحايا من السوريين خلال ذلك الدور فما ذلك الا لان عدد المشتغلين بالقضية منهم كان أكثر . وتبدل الحال فى خلال الدور الثانى فقد أتاح احتلال البصرة ثم بغداد لضباط العراق وشبانه من الذين كانوا فى الجيش العثمانى وتخلفوا عن الانسحاب معه يوم انسحب أو سقطوا فى أسر الانكليز أو انضموا اليهم — الاشتراك فى الثورة الكبرى فى الحجاز وقتال الترك فى سبيل الاستقلال الذى وعد به العرب فكان عددهم أكثر . نعم لاننكر أن بعض

الفلسطينيين تطوع فى الجيش العربى بعد احتلال القدس الا ان كفة العراقيين فى جيش الثورة كانت الراجحة وان ظلت خسارة السوريين من جهة الكيفية لاالكمية الأرجح فقد أودت مظالم جمال باشا بنخبة ممتازة من خيرة رجالهم وكتابهم ومفكريهم — وكل هؤلاء لايعوضون ولا يمكن تلافى الخسارة الناجمة عن فقدهم ولم يقصر الفريقان ولم يتوانيا فبذل كل مافى وسعه لخدمة القضية العامة قضية العرب الكبرى . ومات ضحاياهم سواء فى عالية أو دمشق أو حول المدينة المنورة أو حول معان أو فى صحراء الشام وحوران باسم العرب وفى سبيل استقلالهم لاباى اسم آخر . ولا بد لنا من التنبيه الى أمر آخر وهو أن كلمة عراقى وسورى لم تعرف الا يوم دخل الحلفاء بلاد العرب فى زمن الحرب فبذروا هذه البذرة لتفريق الكلمة وايقاع الشقاق لاعتقادهم ان بقاء العرب متحدين متفقين يحول دون تحقيق مطامعهم فى بلادهم ويقضى على خططهم الاستعمارية فأتوهم من هذه الناحية — الناحية الأقليمة — وأغروا السورى بالعراق ، كما أغروا هذا بالحجازى ، وضربوا هذا بذاك فتنبه العرب أخيراً ، الى ما يراد بهم وأحبطوا كيد الدساسين ، ونهضوا يقاتلون العدو المشترك ، وتقلد العراقيون من رجال الثورة ومن غيرهم المناصب الكبرى فى الحكومة الفيصلية بالشام وهم من مؤسسيها كما اشتركوا فى أعمال ذلك الدور من أوله الى آخره سواء فى داخل الحكم أو خارجه وساعدهم هذا الاشتراك فى أعمال الحكومة وتقلدهم المناصب العليا على اعداد الثورة العراقية وتهيئة أسبابها ونشر الدعاية لها فهم واضعو أساسها وهم النافخون فى ضرامها

٢

حروب الانكليز فى العراق

يشبه موقف الانكليز فى العراق موقف الفرنسويين فى الشام من وجوه كثيرة فهم مابرحوا منذ استقروا فى الهند يطمعون فى استصفاء هذا القطر ويرغبون فى امتلاكه. ولما زلزلت الدولة العثمانية فى الحرب البلقانية وظن بعضهم بمصيرها الظنون دارت مفاوضات رسمية فى شهر ديسمبر سنة ١٩١٢ بين الانكليز والفرنسويين لم تلبث أن اقترنت بالنجاح التام فقد اعترف هؤلاء بالعراق منطقة نفوذ بريطانية مقابل اعتراف الانكليز بما للفرنسيين من حقوق ومصالح فى الشام . ولم يجدا أى صعوبة فى الاتفاق على اقتسام هذين القطرين العربيين اللذين وحدت بينهما الطبيعة وجعلت كل واحد منهما متمما للآخر

واغتنم الانكليز فرصة اشتراك الدولة العثمانية فى الحرب العظمى فهاجموا العراق على الفور فبزوا فرنسا من هذه الناحية ـ وقد كان لها من مشاغلها الكبرى يوم اكتسح الالمان بلادها فى أوائل الحرب ودكوا حصونها ومعاقلها ،مالا يدع لها وقتا للتفكير فى إرسال مثل هذه الحملة بعكس الانكليز الذين كانوا فى مأمن من مثل هذه الغارة تشن على بلادهم. ولئن اعتمد الانكليز على قواهم المادية فى احتلال العراق وفى طرد الترك منه فقد اعتمد الفرنسويون على المعاهدات السياسية التى حملوا الانكليز إبان الحرب على توقيعها معهم ، وقد رأيت أن هؤلاء بذلوا الجهد لحمل الفرنسويين على التنازل عن سورية مقابل تعويضهم بنيجيريا فلم ينجحوا، ولم يسع الانكليز الا مجاراتهم ـ ولو كان فى ذلك نقض للعهود المقطوعة للعرب ـ لان الفرنسويين أقوى من العرب وأنفذ فى المقامات الدولية واعتمد الفرنسويون على القوة ـ بعد الحرب ـ فى تنفيذ تلك العهود ولم يحجموا عن منازلة الحلفاء الذين كانوا يقاتلون واياهم جنبا الى جنب فتم لهم ما أرادوه

الحرب بين الترك والانكليز فى العراق

بدأ الانكليز غارتهم على العراق فى شهر نوفمبر سنة ١٩١٤ ففى يوم ٧ منه وصلت قوة من جيوشهم بقيادة الجنرال دلماين الى «الفاو» فاحتلتها بلا مقاومة كما احتلت عبادان. ثم تقدمت الى سينه فاحتلتها أيضا ، وفوجئت صباح ١١ منه بهجمة هجمتها قوة عثمانيــة كبيرة وصلت من البصرة فصدتها

ووصل يوم ١٣ منه الجنرال باريت القائد العام لحملة العراق على رأس قوة جديدة ودارت أول معركة شديدة بين الانــكليز والعثمانيين يوم ١٤ منه فى قرية سيحان وقد احتشد فيها ثلاثة آلاف من هؤلاء ثلثهم من رجال العشائر العراقية ، فحمل عليهم الجنرال دلماين ثم ارتد فى المســاء وثبت الترك فى مواقعهم . على أنهم مالبثوا أن ارتدوا ولم يجــد الانــكليز أحدا هنا حينما عادوا الى الهجوم يوم ١٧ منه

وبدأ العثمانيون بالجلاء عن البصرة منذ صباح ٢١ منه وفى صباح ٢٢ أشرفت الحملة البريطانية البحرية على البصرة ووصلت الحملة البرية بعد الظهر واحتلتها رسميا يوم ٢٣ منه . فنزل الجند فى الثكنات واستقبل الجنرال باريت والسر برسى كوكس (قنصل بريطانيا العام فى الخليج الفارسى يومئذ) أعيان البلاد فقرأ بيانا باللغة العربية حوى ذكر الأسباب التى أدت الى الاحتلال وبيان مايجول فى صــدر الحــكومة البريطانية من العواطف الودية نحو العرب

واستقر الانــكليز فى البصرة فانشأوا فيها حكومة واتخذوها قاعدة لأعمالهم العسكرية الــكبرى فى العراق وبعــد ماأتموا اعداد معداتهــم تحركوا يوم ٣٠ ديسمبر قاصــدين الى القورنة لمنازلة قوات الترك ـ بقيادة صبحى بك والى البصرة وقائدها العسكرى ـ فدار قتال يوم ٧ منه فى المزيرعة انتهى بطرد الترك وفى يوم ٨ منه عبر الانــكليز دجلة لمهاجمة القورنة الحصينة وهددوا مواقع العثمانيين فيها من الخلف ومن الجناح فأرسل صبحى بك فى منتصف تلك الليلة كتابا الى القائد الانــكليزى يقترح فيه التسليم بشرط أن يخرج جنوده بسلاحهم فأبى هذا قبول الشرط فاستسلم الجند بلا قيد ولاشرط وعددهم ١٢٠٠ جندى و ٤٢ ضابطا ورد الانــكليز الى صبحى بك سيفه اعترافا ببسالته

٥

ولما وصلت هذه الأخبار الى الاستانة عزل جاويد باشا القائد العام لجيش العراق وعين سليمان عسكرى بك وهو من صناديد الاتحاديين وأبطالهم خلفا له فبلغ بغداد فى أواخر شهر ديسمبر مع حاشية كبيرة ، وقوى عسكرية وأخذ يخطب وينادى بأنه لابد له من استرداد البصرة والقاء الانكليز فى البحر ، وتحرير سواحل الخليج الفارسى والزحف على الهند والاستيلاء عليها

وبدأ عمله العسكرى فحشد قواه فى الناصرية للزحف على البصرة كما حشد قوة أخرى فى جوار المزيبلة وعران للزحف على الأهواز والأحداق بجناح الجيش البريطانى الأيمن وحمله على التقهقر . ونشط الموظفون الترك فى العراق خلال هذه المرحلة نشاطا زائدا فاستثاروا حمية السكان من العرب والكرد وحملوهم على التطوع فى الجيش ومشاركته فى الدفاع عن الوطن فتسنى لهم حشد نحو ١٠ آلاف مقاتل فى الشعبية

وزحف الانكليز يوم أول يناير سنة ١٩١٥ للاستطلاع فى شمال عران ثم ارتدوا الى القورنة واستأنفوا الزحف فى ٢٠ منه فتقدموا الى المزيرعة على ضفة دجلة اليمنى فصدمهم سليمان عسكرى بك ودارت معركة بين الفريقين انتهت بارتداد الانكليز بعد ماجرح سليمان بشظية قنبلة وتحول الموقف بعد هذه المعركة وبعد التدابير العسكرية التى اتخذها الترك فأصبحوا مهاجين بعد ما كانوا مدافعين

ودارت معارك عديدة بين الفريقين فى هذا الميدان كانت معركة الشعيبة يوم ٤ ابريل أعظمها شأنا فقد هجم سليمان على المعسكر البريطانى المحصن فى الشعيبة بعشرين ألفا من المحاربين ومعظمهم غير مدربين معهم ١٥ مدفعا فردوه وهزموه بعد ما قتلوا نحو ثلاثة آلاف من رجاله وأسروا نحو ألف فلجأ الى الناصرية وانتحر فيها فحل محله فى القيادة أميرالالاى حليم بك وكان الترك قد خندقوا فى عران وحصنوها . ولم يلبث هذا أن ارتد أمام البريطانيين يوم أول يونيو تاركا المراكز العسكرية بين يدى الجنرال تونسند القائد الجديد للحملة العراقية ، فطارده هذا بأسطوله النهرى حتى أدركه فى العمارة يوم ٣٠ منه ، فاستقبله حليم بك نفسه مع عاصم بك متصرف اللواء وأربعة ضباط كبار مع ٤٠ ضابطا صغيرا واستسلموا اليه بلا حرب ولاقتال وقد كان فى امكانهم أن يأسروه لأنه كان وحيدا

وعينت حكومة الاستانة أميرالالاى نورى الدين بك قائدا للعراق بعد انتحار سليمان عسكرى واستسلام حليم فوصل فى شهر يونيو . وبدأ كما بدأ سليمان عسكرى لحشد القوى فى محل حصين يدعى السن ويبعد عن كوت العمارة نحو ١٢ كيلو مترا من الشرق . فانضمت اليه القوات التركية المتراجعة من سوق الشيوخ ومن الناصرية وقد احتل الانكليز الأخيرة بعد معركة دامية يوم ٢٤ يوليو وأسروا فيها ١١٠٠ أسير تركى

وسير الترك نجدات قوية للدفاع عن العراق وألفوا لجنة لتحصين مدينة بغداد نفسها استعدادا للدفاع عنها . ووقعت المعركة الأولى بين نور الدين بك والجنرال تونسند صباح ٢٧ سبتمبر فى السن استمرت نحو ٢٠ ساعة واشترك فيها الأسطولان النهريان (الانكليزى والتركى) وانتهت بفوز الانكليز بجلا الترك عن خطوطهم عند الفجر وانسحبوا الى خطوط الدفاع الجديدة التى أقاموها شمالا على خط سلمان باك ـ طيسفون ـ وخسروا فى هذه المعركة ١٧ ألفاً بين قتيل وجريح و ١٢٨٩ أسيرا مقابل ١٢٢٩ قتيلا وجريحا من الجيش الانكليزى . ونظم الترك قواهم تنظيما جديدا فى سلمان باك استعدادا للقاء الانكليز وتلقوا نجدات جديدة وحصنوا مواقعهم تحصينا زائدا

وبدأ الجيش البريطانى الزحف على سلمان باك يوم ١٦ نوفمبر بعد استعدادات امتدت ستة أسابيع . وفى يوم ٢١ منه هجم على قلب الجيش التركى وعلى جناحه الأيسر . كما انصرفت قوة منه الى مشاغلة الجناح الأيمن وكان الانكليز يرمون الى الاحداق بالترك وقطع خط رجعتهم على نهر « ديالى » ففازوا بادىء بدء واستولوا على الخطوط الأمامية وغنموا ٨ مدافع وأسروا ١٧٠٠ أسير ومزقوا فرقة كاملة للترك . ووصلت والمعركة دائرة فرقة تركية بقيادة خليل بك (عم أنور باشا) فتعزز مركز الترك ورجحت كفتهم فاستردوا الخطوط الأمامية وضربوا الانكليز ضربة شديدة فبدأوا بالانسحاب ليلة ٢٢ منه فطاردهم نور الدين وكاد يحدق بهم يوم أول ديسمبر فى أم الطبول لولا أن أدركته قوة انكليزية وفى يوم ٣ ديسمبر بلغ الجنرال تونسند كوت الامارة وفى يوم ٦ منه أدركه الجيش التركى وفى ٧ منه ضرب الحصار عليه

ووصل الى بغداد فى أواخر شهر نوفمبر المارشال فون درغولتز الالمانى فتقلد قيادة

الجيش التركى فى العراق وبدأ فأنشأ خط دفاع فى الفلاحية شمالى «كوت العمارة» المحصورة لرد القوى البريطانية الزاحفة لانقاذ الجيش المحصور وصدها ورغم مابذله الانكليز من جهود وما بذلوه من مال[1] وماجاءوا به من قوى فقد عجزوا عن بلوغ الكوت وانقاذ الجيش المحصور فسلم يوم ٢٩ ابريل سنة ١٩١٦ بعد ما أتلف سلاحه ومعداته وبلغ عدد رجاله ١٣٥٠٠ جندى عدا الضباط فأرسلوا الى الأناضول

وحل خليل باشا محل الجنرال فون درغولتز فى قيادة الجيش التركى المحارب ومات هذا يوم ٦ ابريل بالحمى فخسر الترك قائدا حكيما مجربا

وبدلا من أن يوجه الترك اهتمامهم الى قتال الانكليز فى ميدان دجلة اتجهوا نحو فارس فأرسلوا فيلقا بقيادة على احسان باشا الى خانقين لمنازلة القوى الروسية التى بلغتها فأدى مهمته على الوجه الأكمل وطرد الروس من الأراضى التركية وأطمع الترك هذا الفوز فأوغلوا فى ايران واحتلوا كرمنشاه وهمدان وأعلنوا انهم يعدون المعدات للزحف على طهران ومنها الى أفغانستان فالهند لضرب انكلترا ضربة قاضية

واغتنم الانكليز الفرصة فأرسلوا حملة كبيرة الى البصرة بلغ عددها ٤٠ ألف جندى تولى قيادتها الجنرال مود فبدأ الهجوم على الترك فى امام محمد يوم ٩ يناير سنة ١٩١٧ فاحتل خطوطهم الأمامية فقاوموه مقاومة شديدة ودارت معارك هائلة فى هذا الميدان انتهت يوم ٩ فبراير باستيلاء الانكليز على خطوط الترك فتقدم الانكليز على ضفاف الفرات وعبروا دجلة ليلة ١٦ منه . وهاجموا الفلاحية على الضفة اليسرى فاحتلوها يوم ٢٢ منه كما اجتازوا الفرات . ولم يأت يوم ٢٥ منه حتى تضعضع الترك وفقدوا كل أمل بالانتصار

---

(١) كان من جملة التدابير التى لجأ اليها الانكليز يومئذ انهم انتدبوا الكبتن لورانس وكان يعمل فى دائرة المخابرات بالقاهرة للسفر الى العراق ومقابلة خليل باشا وتهيئة الأسباب لاخراج الجيش البريطانى المحصور فى كوت الأمارة مقابل مليون جنيه رشوة تدفع له . ولما أجاب بالرفض وعده بزيادة المبلغ فأجاب بالرفض أيضا ، وقد انتقد بعض مؤرخى لورانس تصرفه هذا التصرف المخالف لقواعد الأخلاق

فارتدوا يوم ٢٧ منه الى سلمان باك وتحصنوا فيها فطاردهم الانكليز فلم يقووا على الثبات فانسحبوا ليلة ٦ مارس الى ديالة فهاجمهم الانكليز فجلوا عنها الى بغداد فلحق بهم الجنرال مود ودخلها بفجر ١١ مارس سنة ١٩١٧

وواصل الانكليز الأعمال العسكرية فاحتلوا سامرا يوم ٢٢ ابريل ثم تقدموا نحو شرقاط وكان الترك قد تحصنوا فيها وأنشأوا خطوط دفاع محكمة

وسير الانكليز القوى لاحتلال المدن العراقية الواقعة على الفرات فاحتلوا الرمادى فى الغرب يوم ٢٩ سبتمبر كما احتلوا تكريت يوم ٦ نوفمبر واحتلوا أيضا كركوك وأوخرى فى الشرق فى أواخر ابريل

واستؤنف القتال فى هذا الميدان بعد انقضاء فصل الصيف فاحتل الانكليز الفتحة والبلاليج وشرقاط والجزناف قرب الموصل فأقلق ذلك الترك فقرروا الجلاء عن هذه. و بينما كانوا يخلونها مرتدين الى نصيبين وقد جلا عنها قائدهم العام على احسان باشا عقدت الهدنة بين تركيا والحلفاء يوم ٣٠ اكتوبر سنة ١٩١٨ فعاد هذا الى الموصل ثانية وأمر الموظفين الترك باستئناف عملهم

ووصل الى الموصل ظهر يوم ٢ نوفمبر الكولونيل ليجمان مدير المخابرات فى الجيش البريطانى فقابل على احسان باشا ودعاه الى زيارة القائد البريطانى فى جوار اليوسف (جنوبى الموصل) فأجاب الدعوة وعاد الى مقره وفى الغداة جاء الكولونيل ليجمان الى دار الحكومة ومعه جندى بريطانى فأنزل العلم التركى وأنذر على احسان باشا بوجوب السفر حالا . وتقدمت فرقة الجنرال « واكهوب » فاحتلت الموصل

ودارت مفاوضات رسمية بين الباب العالى وممثل انكلترا السياسى فى الاستانة حول مصير الموصل فأرسل هذا بلاغا الى الحكومة التركية ألح فيه بسحب القوات التركية من الموصل فى الحال عملا بمواد الهدنة لأن الحلة البريطانية محتاجة الى احتلالها للدفاع عن نفسها أزاء جيش الجنرال نورى باشا (شقيق أنور باشا) المرابط فى اذربيجان قال :

«واذا أصر الترك على عدم الجلاء فالحلة البريطانية تطرد على احسان باشا وتأسره وتحتل المدينة بالقوة» فوافقت الحكومة التركية على الجلاء مشترطة أن يكون الاحتلال

العسكرى البريطانى وقتيا وأن يظل فيها الموظفون الترك يؤدون أعمالهم كالسابق باسم السلطان

وغادر الموصل على احسان باشا يوم ٥ منه بسيارة الى نصيبين تحميه مدرعات بريطانية خوف اعتداء العربان عليه . وتولى الكولونيل ليجمان انشاء الحكومة الجديدة فى الموصل وقد تولى رياستها وفى يوم ١٢ منه انتهى الحكم التركى فى الموصل وفى العراق . فانتهى بانتهائه دور الأعمال العسكرية ودخل هذا القطر فى قبضة الجيش البريطانى بعد حروب هائلة امتدت أربع سنوات

٣

العراق زمن الهدنة

كان عقد الهدنة بين الترك والحلفاء فى موندروس يوم ٣٠ اكتوبر سنة ١٩١٨ فاتحة دور جديد فى العراق ، ابتدأ بانشاء نظام حكم شاذ وغريب وانتهى باعلان الثورة العراقية الكبرى يوم ٣٠ يونيو سنة ١٩٢٠ وقد خاضها العراقيون دفاعا عن حقوقهم وطلبا لاستقلالهم

كان العراقيون يرجون أن يتاح لهم بعد ختام الحرب وحلول عهد السلام إنشاء حكومة عربية مستقلة فى بلادهم ، تتحد مع الحكومات العربية فى الشام والحجاز ، وتحيي مجد العرب ، طبقا للوعود التى قطعها الانكليز للحسين باسم العرب عامة ، وللعراقيين أنفسهم فى أثناء الحرب خاصة ، فقد كان هؤلاء فى أول الحرب يعطفون على الترك كاخوانهم أهل الشام، ويرون أن مصلحة العرب هى فى التضامن معهم وتأييدهم فتخرج الدولة ظافرة من حربها ، ولا تسقط بلادهم فى قبضة الاستعمار الأوربى ، وتبدل موقفهم حينما بدأ جمال باشا ينفذ سياسته فى الشام وقد ذهب ضحيتها عدد غير قليل من العراقيين ، وحينما ظهرت نيات الاتحاديين إزاء العرب وهى ترمى كما قلنا الى القضاء على مفكريهم و رجالهم. يضاف الى هذا ماارتكبه الترك أنفسهم من مظالم فى العراق خلال الحرب العظمى فقد فعل خليل باشا هنا مافعله جمال باشا فى الشام وذلك أنه سير فى شهر اغسطس سنة ١٩١٦ قوة كبيرة الى الحلة بقيادة اميرالالاى عاكف بك الالبانى فدمرها تدميرا وسبى نساءها وارسل رجالها الى الأناضول منفيين وكانوا قد فعلوا مثل ذلك فى كربلاء من قبل مايو من تلك السنة فقتلوا وشنقوا عددا من رجالها لانهم لم يقدموا الجنود المطلوبة للدولة وقد استوفينا الكلام على هاتين الحادثتين فى مكانهما

وعود الانكليز للعراقيين

وننشر هنا نص الوعود الرسمية التى قطعها الانكليز للعراقيين فى أثناء الحرب العظمى وفى زمن الهدنة مبتدئين بمنشور الجنرال مود وهو أولها فقد صدر يوم ١٩ مارس سنة ١٩١٧ وهذا نصه :

١

يا أهالى ولاية بغداد

انى باسم مليكى المعظم واسم شعوبه التى يحكم عليها أوجه اليكم الخطاب الآتى

ان الغرض من معاركنا الحربية هو دحر العدو واخراجه من هذه الأصقاع فاتماما لهذه المهمة وجهت الى السلطة المطلقة على جميع الأطراف التى تقاتل فيها جنودنا

ان جيوشنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم بصفتهم قاهرين أو أعداء بل بصفتهم محررين فقد أخضع مواطنوكم منذ أيام هلاكو لمظالم الغرباء فخربت قصوركم وزوت حدائقكم وأنت أشخاصكم واسلافكم من جور الاسترقاق . لقد سيق أبناؤكم الى حروب لم ينشدوها وجردكم القوم الظلمة من ثروتكم وبددوها فى أصقاع شاسعة . تكلم الترك من أيام مدحت باشا عن الاصلاح أفليس دثور العراق وافقاره برهانا على بطلان هذه المواعيد

انها ليست أمنية جلالة مليكى المعظم وأمنية شعوبه فقط ، بل هى أيضا أمنية الأمم العظمى المتحالفة معها حكومة جلالته أن تعودوا كما فى السابق وقد كانت أراضيكم مخصبة وكان العالم يتغذى بألبان آداب أجدادكم وعلومهم وصناعاتهم وقت كانت بغداد إحدى غرائب الدنيا .

« لقد ارتبط قومكم بممتلكات جلالة مليكى المعظم بعروة المصالح الوثقى . فقد تبادل تجار بغداد وتجار بريطانيا من مئتى سنة المنفعة والصداقة . أما الالمان والاتراك الذين نهبوكم أنتم وذويكم فقد اتخذوا بغداد مدة عشرين سنة مركزا يهجمون منه على نفوذ البريطانيين وحلفائهم فى ايران والبلاد العربية ولذلك لم تستطع الحكومة البريطانية السكوت عما يحدث فى وطنكم حاضرا أو مستقبلا ، ولا تتسامح قياما بواجب مصلحة

الشعوب البريطانية ومصلحة حلفائها فى أن يرتكب الترك والالمان ماارتكبوه مرة ثانيـه فى بغداد

ويجب عليكم يا أهل بغداد ، يا من جئنا نحميكم من الظلم والغزو ونضمن حرية تجارتكم ويامن ستنالون ما يستوجب أدق اهتمام الحكومة البريطانية أن تعلموا أن هذه الحكومة لن تفرض عليكم أنظمة أجنبية عنكم فأمنيتها الوحيدة أن تحقق ما تطمح اليـه نفوس فلاسفتكم وكتابكم مرة أخرى ولسوف يسعد أهالى بغداد ويتمتعون بالغنى المادى والأدبى بفضل نظامات توافق قوانينهم المقدسة وأطماعهم القومية

لقد طرد العرب فى الحجاز الترك والالمان الذين بغوا عليهم ونادوا بعظمة الشريف حسين ملكا عليهم وعظمته يحكم مستقلا حرا وهو متحالف مع الأمم التى تحارب دولتى تركيا والمانيا ، وهذا شأن أشراف العرب وأمراء نجد والكويت وعسير

لقد ذهب كثيرون من أشراف العرب ضحية فى سبيل الحرية على أيدى أولئك الحكام الغرباء الذين ظلموهم . وانكلترا وحلفاؤها مصممون على أن لايذهب دماء هؤلاء الأبطال هدرا وأمنية انكلترا وحلفاؤها أن تسمو الأمة العربية مرة أخرى وتستعيد عظمتها ومجدها وأن تعمل لأدراك هذه الأمنية متحدة متفقة

يا أهل بغداد تذكروا أنكم تألمتم ٢٦ جيلا آذاكم الظلمة والغرباء الذين سعوا دائما الى الايقاع بين البيت ورب البيت كى يستفيدوا من شقاقكم فهذه السياسة مكروهة عنـد بريطانيا وحلفائها لانها إغراء بالعداوة ولا يستقيم معها حال ولا يستقر معها سـلام ، وأنا مأمور بأن أدعوكم بواسطة أشرافكم وشيوخكم الطاعنين فى السن وممثليكم الى الاشتراك فى ادارة مصالحكم الملكية لمعاضدة ممثلى بريطانيا السياسيين المرافقين للجيش كما تنضمون الى ذوى رحمكم شمالا وشرقا وجنوبا وغربا فى تحقيق أطماعكم القومية

صدر من مركز رئاسة الجيش البريطانى ببغداد فى ٢٤ جادى الأولى سنة ١٣٣٥ هـ الموافق ١٩ مارس سنة ١٩١٧

٢

ولما عقدت الهدنة بين الحلفاء والالمان يوم ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ دعا السير وليم مارشال القائد العام للجيش البريطانى فى العراق وقد حل محل الجنرال مود المتوفى بالحمى أعيان بغداد وتلا عليهم البيان الآتى :

« حينما دخل بغداد المرحوم السر ستانلى مود على رأس جنوده المنصورة قبل ثمانية عشر شهرا كان أول عمل قام به هو إصداره منشورا الى أهالى بغداد وبواسطتهم الى سائر سكان العراق وكان ماحواه تأمينا فى الحاضر ورجاء فى المستقبل ولا بد أن كثيرا من الحاضرين يذكرون كلمات الجنرال مود وعندهم أيضا صور من منشوره فقد قال لكم ان الجيش البريطانى جاءكم منقذا لافاتحا وانه لا يوجد تحت الحكم البريطانى تعرض لديانة أى رجل كان ولا لأعماله الخاصة ولكن عدالته شاملة يتساوى فيها كل أحد ويكون فيها مجال لسعى الجميع . وقد وعدكم أيضا أن نبذل قصارى جهدنا فى تنشيط التجارة وزيادة التقدم وأن نسخر أنفسنا لرفع منار الحرية ولانقاذ منافعكم المادية ولكن الجنرال مود كما تعلمون أيها السادة لم يجد سعة فى عمره لانجاز هذا الوعد فقد وضع الأساس و بقى على اتمام البناء وفى هذا اليوم الذى يقع فيه على حسب التقريب ذكرى مرور سنة على وفاته، تلك الوفاة التى جاءت فى غير أوانها أتيت لأذيع بينكم نبأ انتهاء القتال مع الجيوش التركية بصورة ظافرة. ففى خلال بضعة الأشهر الأخيرة تبدل شكل الحرب بعد قتال شديد، تبدلا فجائيا. فبلغاريا أمضت بدون قيد شروط الهدنة والنمسا سلمت تسليما كاملا والجيوش الالمانية تنسحب انسحابا تاما كما أن تركيا طلبت الصلح . وقد علمتم آن الجيوش البريطانية تقدمت فى أيام قلائل من الناصرة الى دمشق ومنها الى حمص وحماه ولم يكن التقدم فى سورية وحدها بل نلنا نصيبنا على دجلة بعد أن مزقنا الجيش التركى وأسرناه بأجمعه فأصبحنا الآن فى موقف يجعل مقادير الموصل بيدنا وبذلك تكون الحرب قد انتهت فى هذه البلاد ويمكننا اليوم أن نبين أن الوعود التى أعطيت مرارا يجب أن تنجز فى أول فرصة ممكنة وبمثابة عربون فى الوقت الحاضر يدل على نياتنا الحسنة أبلغكم ما يأتى :

١ — يسمح لأسرى الحرب المعتقلين فى الهند بالرجوع الى أوطانهم ماعدا الذين من الجيش التركى

٢ ـ تطلق الحرية التامة للتجارة وتخفف تضييقات الحصار فى داخل الأراضى المحتلة

٣ ـ يخفف التضييق أيضا على العمل الشخصى

٤ ـ يسمح بنقل الجثث التى تدفن فى كربلا والنجف بشروط مناسبة

٥ ـ تفتح الطريق من جديد للزيارات المنظمة للاماكن المقدسة

٦ ـ يعطى راتب شهر مكافأة للموظفين الدائمين من الأهالى فى دوائر الحكومة الملكية من الذين لايخدمون فعلا فى صفوف الجيش وقد قاموا بوظيفتهم حق القيام

٧ ـ يختار بعض المسجونين فى السجون الملكية ويطلق سراحهم

٨ ـ يوزع طعام وألبسة على فقراء بغداد والمدن الأخرى وتخفف القوانين الحالية بعض تخفيف

ولا أجد أيها السادة ماأقوله غير ماقلته وأطلب اليكم أن تعتقدوا أن التضييقات والازعاجات التى لابد من وقوعها بسبب وجود الجيش بين ظهرانيكم لم تنشأ عن رغبتنا فيها وانما اقتضتها الضرورة العسكرية وأعدكم باسم جلالة الملك الامبراطور أن أقوم بازالة مايدعو الى الشكوى بالسرعة الممكنة

٣

وزار وفد من علماء النجف الحاكم السياسى ، يوم ٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ وكلفوه أن يبلغ القائد العام للجيش البريطانى فى العراق تهانيهم بما ناله الحلفاء من نصر فى ميدان سورية وفى البلقان وذكروه بما للعرب من حقوق فأرسل اليهم ردا باسم القائد العام هذا نصه :

« يود القائد العام منكم أن تذكروا علماء النجف وأعيانها وتجارها بما هو معروف عند كل أحد وهو أن بريطانيا العظمى تحارب المانيا لأجل صيانة العهود التى لايحل نقضها وتأمين حرية الشعوب الصغيرة التى تتوقف سعادتها على رعاية العهود ، والنتيجة الحاضرة للفوز الذى أحرزته جنود الحلفاء فى الشرق الأدنى هى تحرير الشعوب التى قاست العذاب من جور الدول الوسطى وحلفائها . وقد أذعنت بلغاريا للصلح بعد ماهزمت فأجليت جنودها عن البانيا وصربيا والجبل الأسود ، وعلى حسب ماتقتضيه حقوق الشعوب فالمناطق

التي يسكنها اليونانيون تعطى لليونان والتي يسكنها الصربيون تعطى لصربيا ، و يتخذ الحلفاء هذا المنهج الذي يسيرون عليه في معاملة الشعوب الأخرى قاعدة لهم في سياستهم نحو العرب وكما أن الصربيين اشتركوا في استرداد بلادهم فالعرب أيضا حاربوا جنبا الى جنب مع الحلفاء لتحرير قطر عربي

٤

وفي يوم ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٨ نشرت السلطة البريطانية المحتلة في العراق نص المنشور الذي أذاعته الحكومتان الانكليزية والفرنسوية عن الغاية من مواصلتهما الحرب في الشرق الأدنى

تلك هي نصوص الوعود الرسمية التي نشرها الانكليز في العراق خلال الحرب العظمى وعلى أثر عقد الهدنة . وقد وعدوا فيها العراقيين بالحرية والاستقلال وأعلنوا أنهم ما جاءوا فاتحين ولا مستعمرين بل محررين ومنقذين يضاف اليها الوعود الرسمية التي قطعوها للعرب ومنشورات الشريف وقد كانت تذاع في العراق وكلها ترمى عن قوس واحدة وتبشر العرب بقرب تحريرهم وانقاذهم

٤

خيبة الآمال

وبينما كان العراقيون ينتظرون أن تبر لهم انكلترا بما وعدت به وتنشئ حكومة عربية مستقلة فى ربوعهم، على منوال الحكومة الفيصلية فى الشام، وقد اشترك العراقيون اشتراكا فعليا فى انشائها وكانوا من أوتادها، كما كانوا من أوتاد الثورة العربية الكبرى، خابت آمالهم بالمنشور الذى نشره الكولونيل واسن الحاكم السياسى العام للعراق فى يوم ١٩ نوفمبر سنة ١٩١٨ وهو:

« أذيع على أهل العراق من وقت الى آخر أن سياسة الحكومة البريطانية تسعى دائما الى تنشيط روح الوطنية والاستقلال فى جميع البلاد التى يمتد اليها النفوذ البريطانى والنفع الذى يعود على أهالى البلاد من انعاش هذا الروح هو عظيم جدا ولكنه لا يمكن للذين لم يحصلوا على اختبار عملى فى الأمور احراز كل ذلك مرة واحدة بل يرقون اليه تدريجا. ولا ريب أن الطريق المثلى التى يخطو بها الأهالى أول خطوة هى اشتراكهم فعلا فى إدارة أمورهم المحلية الخاصة ثم يرتقون مع الزمان الى أمور أوسع نطاقا، وطبقا لهذه الخطة تقرر أن ينشأ فى بغداد من أول شهر يناير سنة ١٩١٩ المقبل « مجلس بلدى » للنظر فى أمور البلدية. ويتألف هذا المجلس من رئيس ونائبين ثانيين ومن كاتم أسرار ومعاون كاتم أسرار وكل من هؤلاء يكون موظفا لدى الحكومة ويكون أيضا فى المجلس عشرة أعضاء غير رسميين يعينهم الرئيس وستة أعضاء غير رسميين آخرون ينتخبون على طريقة تشرح فيما بعد. ويرتآى أن ينظر هذا المجلس عند تأليفه فى رسوم البلدية وايرادات بلدية بغداد تحت رعاية الادارة الملكية ونظارتها ويزود بسلطة مالية ثانية يمكنه معها أن يصادق على صرف مبلغ نهايته ٥٠٠ روبية فى السنة ويمكنه أيضا التصديق على مبلغ قدره ١٥٠ روبية فى الشهر لكل شأن من الشؤون وتكون هذه السلطة ثابتة على كل حال لما خصص فى الميزانية لهذا الشأن. وعلى المجلس الذى أعطى هذا المقدار

من السلطة المالية أن يعنى فى الأمور الآتية : النظافة والصحة العامة والمستشفيات واسعاف الفقراء والطرق والمتنزهات والاسواق والحرف وتخطيط الدور والابنية والنجارة الهندسية والأمور الأخرى المتعلقة بالبلدية . وقد وضعت قوانين العمل وصودق عليها وحدد فيها عدد الجلسات التى يعقدها المجلس فى كل شهر والطريقة التى تتبع فى المناقشات ويكتب محضر المجلس باللغتين الانكليزية والعربية وينشر من وقت الى آخر ليطلع عليه العموم وينشأ مثل هذا المجلس فى جميع المدن العراقية الكبيرة ويكون عرضة للتغيير حسبما تقتضيه الحالة المحلية وهذا العمل يكون عربونا يدل على نيات الحكومة البريطانية الحسنة نحو أهالى العراق الذين يؤمل منهم أن ينتهزوا هذه الفرصة السانحة ويبادروا بروح الاخلاص لخدمة الوطن المشترك »

ولقد نبه هذا البيان أفكار العراقيين الذين كانوا يطمعون أن تبادر السلطة البريطانية الى انشاء حكومة عربية وطنية فى بلادهم الى ماىراد بهم فأدركوا أن الانكليز عازمون على حكم العراق حكما عسكريا استعماريا مباشرا ظهرت مقدماته بتعيين ضابط عسكرى لكل مدينة من مدنهم باسم الحاكم السياسى . فكان حاكم الموصل ضابطا عسكريا برتبة كولونيل وهو لنجمان ، ومثل ذلك حكام البصرة والنجف وكربلاء وبقية المدن الأخرى وعلى رأسهم الكولونيل ولسن الحاكم العام وهم إما من ضباط المستعمرات الذين ألفوا الحكم والسيطرة أو من ضباط الجيش الذين لم يمارسوا الشؤون المدنية وقد انتفخت أوداجهم غروراً وصلفا فازدروا الناس واحتقروهم وأوصلوا أنواع الاذية اليهم . ولم يكتفوا بذلك بل اصطفوا طائفة ممن لا خلاق لهم قربوهم اليهم وأدنوهم منهم فأمعنوا فى الارهاق . يضاف الى هذا وهذا أن الجانب الأكبر من موظفى تلك الحكومة كان من الهنود الذين جاءوا مع الحملة ومن النصارى واليهود والأجانب الذين مالأوا الاحتلال وكانوا عونا له فى تنفيذ سياسة رامية الى اذلال العرب أصحاب البلاد الشرعيين واضطهادهم وقد أقصوا عن أبواب الحكومة وحيل بينهم وبين ادارة بلادهم فاستاءوا ونقموا وأخذوا يفكرون فى الوسائل التى يتوسلون بها لانقاذ بلادهم من الحالة التى صارت اليها فى عهد الاحتلال وقد خيب كل أمل وقضى على كل رجاء

الاستفتاء السرى

وزاد فى استيائهم ونفرتهم ماأصدره الحاكم السياسى للعراق يوم ٣٠ نوفمبر سنة ١٩١٨ من تعليمات سرية الى الحكام السياسيين فى المدن والأقاليم بأن يلقوا على الرؤساء والعلماء وذوى الرأى أسئلة وجهها اليهم وهى :

١ ـ هل تريدون تأليف حكومة عربية مستقلة تحت حماية بريطانية تضم البلاد الواقعة من شمالى الموصل الى خليج فارس ؟

٢ ـ هل تريدون أن يرأس الحكومة أمير عربى

٣ ـ من تختارون لرئاسة هذه الحكومة

وأضاف الى تعليماته مادة تقضى على الحكام بأن يسعوا لحمل الشعب على انتخاب السر برسى كوكس معتمد انكلترا فى خليج فارس رئيسا للدولة العراقية الجديدة

ولجأ الحكام الى الحيلة فى القاء الأسئلة والحصول على أجوبتها وسعوا كثيرا لينالوا الأجوبة الموافقة الا أن افتضاح أمرها وشيوع خبرها أحدث رد فعل وبعث جمهرة من المفكرين فى المدن والأقاليم على مقاومة الحركة وحملم على الاجتماع لوضع خطة ثابتة يسار عليها ويعمل لتحقيقها . ولاريب أن حادث الحلة هو الذى نبه الرأى العام العراقى الى مايحيكه الانكليز فى الخفاء وبيان ماوقع هو أن حاكم الحلة السياسى استشار أحد المقربين اليه فى طريقة القاء الأسئلة فاختار له سبعة من الأعيان كلفه أن يلقيها عليهم فيجيبوا عليها كما يريد ، على أن يتم ذلك سرا ومن دون اطلاع أحد . وانتشر الخبر فى المدينة وعرف الوطنيون ما هنالك فكتبوا الى الحاكم كتابا وقعه كثيرون قالوا فيه انهم علموا بأنه عازم على استفتاء سبعة من المدينة وأنهم يطلبون عطف الحكومة على حقوقهم المكتسبة بسؤالهم عن آرائهم ، وحمل رئيس البلدية الكتاب الى الحاكم فأبى تسلمه وأسرع لجمع السبعة الذين اختارهم فأجابوه الأجوبة التى لقنهم اياها وقالوا انهم يختارون السر برسى كوكس حاكما للعراق . ولم يكتفوا بذلك بل لطخوا الكتاب الذى حمله رئيس البلدية الى الحاكم بالأوحال وأرسلوا كتاب السبعة الى دار البلدية وأمروا رئيسها بأن يأتى بالناس منفردين اليه ويحملهم على توقيع كتاب السبعة فنفذ أمرهم ووقع عليه كثيرون وأبى آخرون توقيعه . ولما شاع ذلك أصدر حجة الاسلام

محمد تقي الشيرازي كبير مجتهدي الشيعة فتوى بعدم جواز انتخاب غير مسلم للحكم على المسلمين وهذا نصها :

« ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب أو يختار للامارة أو السلطنة على المسلم غير مسلم » (١)

وقصد الحاكم السياسي العام، النجف في الأسبوع الأول من شهر ديسمبر سنة ١٩١٨ وعقد مجلسا كبيرا ضم لفيفا من العلماء والوجهاء والأعيان وأكثر رؤساء القبائل فتكلم طالبا منهم أن يفصحوا عن آرائهم في نظام الحكم الذي يختارونه لبلادهم فطلب السيد علوان الياسري من زعماء القبائل امهالهم ليتمكنوا من امعان النظر في هذا الأمر الخطير ويتفقوا على صيغة جواب يجيبون به

واجتمع هؤلاء في الغداة في دار الشيخ جواد الجواهري فتبودلت الآراء وأقر الجميع في الختام خطبة موجزة القاها الشيخ عبد الواحد آل الحاج سكر وقال فيها :

« لسنا اليوم أيها السادة اكفاء للجمهورية ولسنا فرسا أو تركا أو انكليزا فنختار أميرا فارسيا أو تركيا أو انكليزيا وانما نحن عرب فيجب أن نختار أميرا عربيا وحيث ان البيت الشريف في مكة أكبر بيت في العالم العربي فاننا نرغب أن تكون لنا حكومة عربية مستقلة يرأسها أحد أنجال جلالة الحسين »

وتكررت الاجتماعات في النجف على الأثر وأدت الى وضع جواب مطول لايخرج في معناه عما ذكر ولما أرسل الى الحكومة رفضته وأخرجت زعماء القبائل الى بلادهم بحجج تافهة ثم دعتهم الى الكوفة وكلفتهم أن يجيبوا منفردين على الأسئلة الثلاثة فأجابوا طالبين انشاء حكومة عربية تحكم العراق بحدوده الطبيعية يرأسها أحد أنجال الحسين وأجاب النجفيون بعد ذلك بمثل هذا الجواب

---

(١) هذا نص السؤال الذي وجه اليه « مايقول شيخنا وملاذنا حضرة حجة الاسلام والمسلمين أيده الله في العالمين الشيخ مرزا محمد تقي الحائري الشيرازي متع الله المسلمين بطول بقائه في تكليفنا معاشر المسلمين بعد أن منحتنا الدولة المفخمة البريطانية حق انتخاب أمير لنا نستظل بظله ونعيش تحت رايته ولوائه فهل يجوز لنا انتخاب غير المسلم للأمارة والسلطنة علينا أم يجب علينا اختيار المسلم بينوا تؤجروا

أما فى الكاظمية وهى من المراكز الكبرى فى العراق وتأتى بعد النجف فقد عقد فيها اجتماع خطير يوم ٨ يناير سنة ١٩١٩ للاجابة على هذه الأسئلة أقر المجتمعون فى ختامه الجواب الآتى :

« بناء على الحرية التى منحتنا إياها الدول العظمى وفى مقدمتها الدولتان الفخيمتان انكلترا وفرنسا وحيث اننا ممثلو جمهور كبير من الأمة العربية العراقية المسلمة فاننا نطلب للعراق حكومة عربية اسلامية يرأسها ملك عربى مسلم هو أحد أنجال جلالة الملك حسين على أن يكون مقيدا بمجلس تشريعى وطنى والله ولى التوفيق »

وعهدت السلطة فى بغداد الى القاضيين الامامى والحنفى بأن ينتدب كل منهما خمسة وعشرين رجلا من أبناء طائفته للاشتراك فى اجتماع تعقده الحكومة لاستطلاع رأى أهالى بغداد كما دعت عشرين من اليهود وعشرة من المسيحيين فعقد هذا الاجتماع يوم ٢٢ يناير ووضع بأكثرية الآراء القرار الآتى :

« لما علم أن الغاية التى ترمى اليها كل من دولتى بريطانيا وفرنسا فى الشرق هى تحرير الشعوب وانشاء حكومات وطنية وتأسيسها تأسيسا فعليا بكل من سورية والعراق حسب مايختاره السكان الوطنيون فاننا ممثلو الاسلام من الشيعة والسنة من سكان مدينة بغداد وضواحيها بما أننا أمة عربية واسلامية فقد اخترنا أن تكون بلاد العراق الممتدة من شمالى الموصل الى خليج العجم دولة واحدة عربية يرأسها ملك عربى مسلم هو أحد أنجال سيدنا الشريف حسين مقيدا بمجلس تشريعى وطنى مقره بغداد عاصمة العراق »

وقد ختم هذا الدور بالقبض على سبعة من الوطنيين الذين قاوموا خطط السلطة وتدابيرها فأخرجوا من العراق وأرسلوا الى الاستانة منفيين بطريق الهند ومصر فكانوا طليعة المنفيين الذين كثر عددهم بعد ذلك

٥

الجمعيات السرية ومضابط التوكيل الوطنية

ولقد أراد الانكليز باقصاء هؤلاء القضاء على الروح الوطنية واخماد الحركة الجديدة و بث الرعب والارهاب نخاب أملهم اذ سلكت الحركة سبيلا آخر ودخلت دورا جديدا هو دور التنظيم . وقد ساهم فيه العراقيون الذين كانوا فى دمشق فقد توفروا فى خلال هذه الفترة على العناية بقضية وطنهم الأصلى بعد ماظهرت نيات الحلفاء و بعد ماتبين أن الفرنسويين يسعون لاستصفاء الشام سعى الانكليز لامتلاك العراق عملا بما بينهما من عهود مكتوبة لم يبق مجال لانكارها أو تجاهلها

ا — جمعية العهد

فقد بدأ هؤلاء فبعثوا جمعية العهد القديمة من مرقدها ، بعد ما أضافوا اليها كلمة العراق تمييزا لها عن العهد السورى ، وقد جاء فى المادة الأولى من برنامجها الجديد مانصه :

« ان غايات الجمعية الأساسية هى مايأتى :

(ا) استقلال العراق استقلالا تاما ضمن الوحدة العربية وداخل حدوده الطبيعية وهى :

يقسم العراق الى ثلاث مناطق الأدنى والأوسط والأعلى ويمتد من حدود الفرات الواقعة شمالى دير الزور وضفة دجلة الممتدة من قرب شمالى ديار بكر الى خليج البصرة ويشمل ضفتى دجلة والفرات من الشمال واليمين المحددة بالمواقع الطبيعية

(ب) طلب المساعدة الفنية والاقتصادية من بريطانيا العظمى على أن تكون هذه المساعدة بالثمن وأن لاتمس استقلال العراق التام

(ج) انهاض الشعب العراقى ليبارى أرقى الأمم الغربية

(د) السعى لخير الأمة العربية عامة

واتصل مركز العهد فى دمشق بفروع العهد القديمة المؤسسة فى الموصل و بغداد والبصرة وأخذ يرسل اليها منشوراته ورسائله السرية فتوزعها ويصدر اليها التعليمات بما يجب عمله لتنمية الحركة الوطنية ومقاومة الاحتلال وهكذا تم الاتصال بين العراقيين فى الشام ووطنهم الأصلى . كما ساعد وصول بعض ضباط الثورة الذين سرحوا بعد انتهاء الحرب على تعزيز الروح الاستقلالية بما نشروه من دعايات ورووه من روايات وكان من جملة أعمال هذه الجمعية المبرورة فى ذاك العهد أنها وضعت مضابط وقعها أعيان البلاد وزعماؤها انتدبوا فيها الأمير فيصلا للدفاع عن قضية العراق وحقوقه وكان يومئذ فى أوربا يمثل العرب أمام مؤتمر الصلح و يعمل لقضيتهم

ولما زارت اللجنة الأميركية دمشق فى شهر يونيو سنة ١٩١٩ قابلها وفد جمعية العهد العراقية وقدم اليها باسم العراق المطالب الآتية :

١ ــ استقلال العراق من ديار بكر الى خليج فارس بحدوده الطبيعية المعروفة مع قبول بعض التعديلات المتفق عليها بين الفرس والترك

٢ ــ تأسيس حكومة دستورية مدنية ملكية فى العراق ملكها الأمير عبد الله أو شقيقه الأمير زيد

٣ ــ تحتج الجمعية احتجاجا شديدا على الفقرة الخاصة بالانتداب من المادة ٢٢ من عهد جمعية الأمم وترفضها رفضا باتا ولا تعترف لأى دولة كانت بحقوق أو تقاليد سياسية أواقتصادية أوتاريخية فى البلاد العربية المنسلخة عن تركيا

٤ ــ ترى الجمعية الاستعانة بأميركا فيما تحتاجه البلاد من المساعدات الفنية والاقتصادية على أن لا تمس المساعدة المذكورة استقلال البلاد السياسى التام

٥ ــ رفض مهاجرة العناصر الأجنبية كالهنود واليهود الى البلاد العربية

٦ ــ تطلب الاستقلال التام لسورية كلها ورفع الحواجز السياسية بين سورية والعراق ، تلك الحواجز التى تضر بوحدة العرب وترفض ماتدعيه فرنسا فى سورية من الحقوق والتقاليد

وهذا نص ماجاء فى تقرير لجنة كراين الأميركية عن العراق :

«استحالت على اللجنة زيارة العراق فى مثل هذا الظرف بعد أن سئلت بالحاح القيام

بهذه الزيارة . وتلقت فى دمشق وحلب شكايات عن السلطات الانكليزية المحتلة بانها تضيق على السكان حريتهم السياسية فى الخطابة والعمل ، وأنها تنوى فتح باب المهاجرة للهنود بصورة تؤذى سكان العراق فى حقوقهم ومصالحهم

وقدمت هيئة فى حلب بيانا وافيا الى اللجنة يشبه برنامج المؤتمر السورى الدمشقى هذه خلاصته :

١ ـ يجب أن يكون العراق مستقلا استقلالا تاما بما فيه ديار بكر ودير الزور والموصل و بغداد والمحمرة

٢ ـ تكون الحكومة ملكية دستورية نيابية

٣ ـ يكون الملك أحد أنجال الملك حسين فاما عبد الله وإما زيد

٤ ـ الاحتجاج على المادة « ٢٢ » من عهد جمعية الأمم

٥ ـ رفض تدخل أى دولة أجنبية فى البلاد

٦ ـ طلب المساعدة الاقتصادية والادارية من أميركا بعد نيل الاستقلال أو الاعتراف به

٧ ـ الاعتراض على المهاجرة كلها ولا سيما هجرة الهنود واليهود

٨ ـ أن يكون لسورية الاستقلال التام

٩ ـ أن لاتتدخل فرنسا فى سورية

ومما يلاحظ ان هذه الشعوب القديمة تطلب اتباعا لتقاليدها حدودا واسعة ليس فى الامكان الحصول عليها مثل دير الزور فى سورية وديار بكر فى أرمينية والمحمرة فى العجم

وجاء بطريرك السريان الارثوذكس « النساطرة » من دير زفران ـ الواقعة قرب ماردين ـ فقابل اللجنة فى حمص وقال ان (٩٠) ألفا من قومه قتلوا سنة ١٩١٥ ولما جاء الانكليز سنة ١٩١٨ كانوا جميعا مستعدين للدخول فى حكمهم والخضوع لهم ولكن وصول رسل الاستانة لاستثارة الأكراد ونهوض العرب للمطالبة باستقلالهم زاد الحالة سوءا فلذلك يطلب ضم المقاطعة التى يقطنها شعبه الى العراق تحت الوصاية الأميركية أو البريطانية

هذا وقد وضع المستشارون الثلاثة فى اللجنة تقويما عاما عن البحث الذى قامت به وراعت اللجنة فى التعليمات جميع الشؤون والاعتبارات المحلية والوطنية والجنسية والدينية كما راعت السياسة العملية ومبدأ حاجة العالم الى السلام الدائم ـ اهـ

ب — جمعية حرس الاستقلال

أنشئت هذه الجمعية فى بغداد فى شهر نوفمبر سنة١٩١٩ ومؤسسوها هم على البزركان وجلال بابان وشاكر محمود والحاج محمود رامز ومحي الدين العسكرى والشيخ محمد باقر الشبيبى وجاء فى المادة الأولى من منهاجها

« تأسست فى بغداد جمعية سرية سياسية باسم «حرس الاستقلال» وجاء فى المادة الثانية : تسعى الجمعية المذكورة وراء استقلال البلاد العراقية استقلالا مطلقا . وجاء فى الثالثة: « تعترف الجمعية باسناد منصب الملكية فى هذه البلاد الى أحد أنجال جلالة الملك حسين على أن يكون ملكا دستوريا دمقراطيا » وجاء فى الرابعة « على الجمعية أن تتخذ أقصى مايمكن من التدابير على طريقة التدريج لاحراز الغاية السياسية المذكورة فى المادة الثانية » وجاء فى الخامسة « يجب على الجمعية أن تفرغ قصارى جهدها فى سبيل ضم المملكة العراقية الى لواء الوحدة العربية» وجاء فى السادسة «على الجمعية أن تتعاون وتتآزر بكل قواها مع الجمعيات والاحزاب التى تشترك معها سواء فى مبدئها المقرر فى المادة الثانية أو فى سياستها المنصوص عليها فى المادة الخامسة » وجاء فى السابعة « يجب على الجمعية أن تبدأ قبل كل شئ بتوحيد كلمة العراقيين على اختلاف مللهم ونحلهم وأن تبذل أقصى ما يمكن من المجهودات للقضاء على كل بواعث الافتراق فى الدين والمذهب »

وظهر نزاع بين جمعية حرس الاستقلال و بين حزب العهد العراقى نشأ عن اختلاف فى المبادئ وكانا يعملان فى الخفاء لأن السلطة البريطانية ما كانت تسمح بانشاء الاحزاب ولا باصدار الصحف ولا بعقد الاجتماعات فى ذلك العهد. فقد أنكر حراس الاستقلال على العهد الفقرة الخاصة بطلب مساعدة انكلترا ونصها «طلب المساعدة الفنية والاقتصادية من بريطانيا العظمى على أن تكون هذه المساعدة بالثمن وأن لا تمس استقلال العراق التام ». وطلبوا الغاءها لأنها لا تتفق مع مبادئهم ولأن فى استطاعة العراق أن يطلب هذه المساعدة من أية دولة أراد

و بلغ خبر هذا الخلاف مقر جمعية العهد فى دمشق فانتدب جميل المدفعى وابراهيم كمال من أعضائه فجاءا بغداد لحل الخلاف والتوفيق بين الجمعيتين و وفقا الى انشاء هيئة ادارية

مشتركة للجمعيتين تديرهما وتتولى شؤونهما على أن يظل الشيخ سعيد النقشبندى معتمدا سياسيا فى بغداد لجمعية العهد العراقى ، وعاد الخلاف بين أعضاء الهيئة الادارية الجديدة بعد سفر المندوبين فضعف شأنهما

وأعيد بعد ذلك انشاء جمعية حرس الاستقلال وتألفت لجنتها الادارية فى هذه المرحلة من عارف حكمت وشاكر محمود وجلال بابان وعلى البزركان واتخذت المدرسة الأهلية الجديدة ، وقد أنشأت فى تلك الفترة ، مقرا لها تعقد فيه اجتماعاتها السرية . واتسع نطاقها فى خلال هذه المرحلة فأنشأت لها فروعا فى الكاظمية والنجف والحلة والشامية ، وغيرها وتولى رئاستها السيد محمد الصدر

ج — جمعية الشبيبة

وتألفت فى تلك الفترة أيضا جمعية سرية ثالثة قوامها عدد من الشبان للمساهمة فى العمل للاستقلال لم يطل الأمر على قيامها حتى انضمت الى جمعية حرس الاستقلال واندمجت فيها

٦

الفرات مهد الثورة

للفرات مقام خاص فى العراق نشأ عن وضعه الجغرافى والقومى والدينى وتشمل كلمة الفرات المنطقة الممتدة من حدود دير الزور حتى خليج البصرة لجميع سكان ذلك السهل الفسيح الرحب ولا يقلون عن مليونين فراتيون لهم طابع خاص وآداب خاصة وتقاليد خاصة تميزهم عن بقية المناطق العراقية الاخرى ولعل فى مقدمة هذه الميزات ائتمارهم بأوامر رؤسائهم وانقيادهم الى المجتهدين العلماء الاعلام — والفراتيون من الشيعة الامامية فى الغالب ويكثر السلاح فى بلادهم ، فقل أن يخلو بيت فى الفرات من بندقيات تدربوا على استعمالها كما الفوا بذل الارواح تلبية لأوامر رؤسائهم وشيوخهم ولا يزال معظمهم على الفطرة ويعولون على العصبيتين الدينية والعنصرية

ولم تكن العلاقات الودية بين الترك والفراتيين على ما يرام فى العهد العثمانى لأن هؤلاء كانوا يسيئون الظن بهذا الفريق القوى من رعاياهم ويعتقدون أنه يفضل الفرس عليهم ولذلك كانوا يضطهدونه ويقصونه عن أبواب الحكومة وعن الوظائف الحكومية مما أدى الى جفاء فنفور استغله الانكليز زمن الحرب العظمى لمصلحتهم فوقاهم كثيرا من الويلات والخطوب

وترك الانكليز الفرات وشأنه فى ابتداء زحفهم فلم يدنوا منه ولم يسيروا اليه جندا ولم يتدخلوا فى شؤونه فأنشأ الفراتيون حكومة فى كربلاء وأخرى فى الحلة والنجف على أثر انسحاب قوات الترك منها فى سنة ١٩١٥ — ١٩١٦[١]

---

(١) حدث فى الحلة حادثان خطيران الأول سنة ١٩١٥ وخلاصته كما كتب الينا أحد الفضلاء المحققين هو أن الاهالى استثقلوا كلف الجندية وغيرها فتمردوا على الحكومة التركية وقد يجوز انهم أساءوا اليها والى بعض موظفيها فأرسلت قوة بقيادة القائمقام

وأبقى الانكليز للفراتيين حكومتهم حتى ختام الحرب العظمى وكانت تحكم البلاد حكما شعبيا ، على انهم مالبثوا بعد الهدنة أن مدوا شباكهم فى الفرات فاتصلوا بالشيوخ والرؤساء وأخذوا يوجهون اليهم الدعوات لزيارة العاصمة (بغداد) فيجزلون قراهم

....

عا كف بك لاخضاعهم فقابلوها بالسلاح وقتلوا نحو مائة من رجالها فارتدت عنهم

و رأت الحكومة التركية أن تتغاضى عنهم لئلا تثير عليها مشكلة جديدة وكانت فى حرب مع الانكليز . ولما استراح بالها من جهةهؤلاء وانتصرت عليهم فى الكوت وأسرت الجنرال تونسند رأت أن تصفى حسابها مع الحلبيين فسيرت حملة كبيرة فى يونيو سنة ١٩١٦ بقيادةعاكف بك نفسهفلما عرفوا بقرب وصولها و بعدد قواهاخافوا واضطربوا ونزح بعضهم الى النجف وغيرها من مدن العراق مع عائلاتهم ولذلك لم تجد القوة حين وصولها سوى عدد قليل كما أنها لم تلق مقاومة فطلب قائدها الى الباقين بأن يخرجوا منها فخرجوا ، و بعد ساعات أمرهم بالرجوع على أن يبقوا ثلاثة أحياء وهى (جبران والكاف والجامعين) خالية من مجموع الاحياء التسع ثم وجه مدافعه نحو الاحياء الخالية فدمرها و بعد ذلك دخل المدينة وأباحها لجنده ثم دعا بعض رؤساء الأحياء فسجن منهم نحو ثلاثين وأمر بصلبهم فصلبوا و بنهب دورهم فنهبت و بأسر المتزوجين وسبي نسائهم فأسروا وسبيت نساؤهم وتفنن فى تعذيبالسكان وقتل من ضعفائهم عددا يبلغ ١٠٩ مع الذين صلبوا ثم أمر باحراق دور كل متمرد على الحكومة من الدور الواقعة فى الأحياء الثلاث فأحرق من الحلة نحو ألف دار وجند معظم أبنائها فأرسلوا الى ساحات الحرب وبقى فى المدينة يتربص الفرص لضرب النجف و بينما هو كذلك انتصر الانكليز على العثمانيين فى دجلة فجاءت اشارة الى القائد بارسال معظم جنده الى ساحة الوغى ثم سحبت الحكومة بقية الجند لتستعين به فى حربها . وفى ليلة سقوط بغداد أبرقت الى موظفى الحلة بوجوب اخلائها والسفر الى المسيب فأرسل المتصرف الى بعض الرؤساء وأخبرهم بعزمه على الانسحاب وطلب اليهم أن يتولوا محافظة بلدهم بأنفسهم ثم انسحبت الحكومة فى اليوم الثانى وبدأ الاهلون المتشردون يعودون الى بلدهم بالتدريج فلما عادوا اليها نهبوا دور

و يهدونهم الهدايا الثمينة ، و يمنونهم الأماني المعسولة وتدرجوا من ذلك الى العمل لبسط نفوذهم السياسي وادخال البلاد فى حظيرة الطاعة وبدأوا فعينوا الكبتن مارشال حاكما للنجف بعد مامهدوا لذلك مع الرؤساء . ولما قصد هذا مقر عمله رافقته المس بل السكرتير الشرق لدار المندوب السامي فى بغداد وقدمته الى العلماء وأثنت كثيرا على أخلاقه ومزاياه وقالت ان مهمته تنتهي عند النظر فى الشؤون العسكرية وانه سيتجنب التدخل فى الشؤون الادارية وستبقى على ما كانت عليه

وجاءوا للحاكم مارشال بترجمان وسكرتير وحاشية تتألف من ٢٠ حارسا « شبانه » وفعلوا مثل ذلك فى الألوية الأخرى فعينوا الكبتن بلفور للحلة والكبتن رايلى للديوانية ثم تدرجوا فى إرسال الجيوش والقوى ، كما تدرجوا فى التدخل فى الشؤون الادارية واستخدموا بعض العناصر لتخدير الأعصاب واستمالة الجمهور متظاهرين بحسن النية وكونهم لا يضمرون للعراق شرا

ورأى العقلاء بعد ماتم للانكليز بسط نفوذهم السياسي والاداري على الفرات والقبض على مرافقه أنه لابد من القيام بعمل واسع النطاق لدفع الخطر — وكانت فكرة الحرية والاستقلال واحياء المجد العربي قد تغلغلت فى أدمغة المفكرين من أبناء هذا الوادي الخصيب ، فبدأوا بعقد الاجتماعات السرية فى المشخاب وأبي ضخير والديوانية عاملين على ازالة الحزازات القديمة من بين العشائر وعلى توحيد الصفوف وجمع الكلمة حتى اذا جاء يوم العمل برز الكل كتلة واحدة . وكان النجفيون روح الحركة وكانوا يشتركون فى كل اجتماع يعقد ويديرونه

الحكومة ومخازن أطعمتها واسترجعوا بعض منهوباتهم منها و بقيت الحلة يتولى أمرها سكانها

ولا يختلف عصيان كربلاء فى أسبابه عن عصيان الحلة فقد كانت قوة الحكومة ضعيفة وروح الشغب والتمرد ظاهرة فى الاهلين بسبب هذا الضعف حتى ان الكربلائيين حملوا على دور بعض الموظفين فنبهوها فاستعانت السلطة بقوى جديدة فلم يكتب النصر لأحد الطرفين على الرغم من تسليط الحكومة مدافعها على المدينة وضربها ثم تصالح الفريقان

رفض التعاون مع السلطة

ولم يطل بالحاكم السياسي للنجف المقام حتى بدأ فعين مجلس ادارة للواء الشامية برئاسته اختار لعضويته السيد نور الياسري والسيد علوان الياسري والحاج عبد المحسن شلاش والسيد هادي زوين والسيد عباس الكليدار والسيد هادي نقيب الأشراف والشيخ عبد الواحد الحاج سكر والسيد محسن أبا طبيخ والشيخ علوان الحاج سعدون وطلبة والشيخ سلمان الظاهر ومحمد العبطان وعبادي آل حسين والحاج عبد الرحيم . ولما تناول هؤلاء كتب التعيين استغربوا هذا التصرف من الحاكم فاجتمعوا وتداولوا مليا وقرروا بعد استشارة العلماء عدم التعاون مع السلطة ورفض قبول العضوية وأرسلوا كتابا الى الحاكم قالوا فيه « ان هذا التعيين لاينطبق على المبادئ الصحيحة للحكم الوطني فيجب أن يفسح المجال للشعب في مجالس كهذه لعقد اجتماعات عامة وبحرية تامة يقرر فيها ما يجب اتخاذه في قضية الحكم الوطني»

اول هيئة وطنية

وعقد على أثر هذا الرفض اجتماع كبير في النجف حضره العلماء والزعماء وانتخبوا الشيخ جواد الجواهري والشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ عبد الرضا والشيخ راضي والسيد نور الياسري والحاج عبد المحسن شلاش والسيد عبد المحسن الياسري للمداولة مع السلطة ومطالبتها بتحقيق رغبة الشعب في انشاء حكم وطني واختاروا الشيخ محمد باقر الشبيبي سكرتيرا لهذه اللجنة

اغتيال الحاكم مارشال

وتصرف الكبتن مارشال تصرفات شاذة آلمت النجفيين ولمست موضع الكرامة من نفوسهم فكان يجبر الناس على الوقوف له على الأقدام حين مروره وكان يعاقب كل من لايقف الى غير ذلك من التصرفات المؤلمة فاجتمع عدد من الشبان وقرروا اغتياله وانقاذ البلاد منه . وقد نفذوا قرارهم فعلا فذهب بعضهم بعد ماتزيوا بزي الحراس (شبانه) الى دار الحاكم ودخلوا عليه موهمين حراسه انهم يحملون كتابا رسميا له وأطلقوا عليه الرصاص وقتلوه وسلبوا الحراس أسلحتهم

وجاء على الأثر الكبتن بلفور حاكم الكوفة على رأس قوة كبيرة وضرب نطاقا حول النجف وأعلن حصارها وانه لا يسمح لأحد بالدخول اليها والخروج منها ما لم يسلم اليه سكانها القتلة وعددهم أحد عشر وهم : كاظم صبي وعباس على وكريم حاج سعد وأخواه احمد وراضي وحاج نجم البقال ومحسن أبو غنيم وعباس الخليلى وثلاثة آخرون .
وبعد حصار استمر ٤٥ يوما ذاق النجفيون فى خلاله الأمرين سلموا عشرة من المطلوبين فشنقوا من دون محاكمة واستطاع عباس الخليلى النجاة فقصد طهران

وقبض بسبب هذه الحادثة على ٧٠ من أعيان النجف وعلمائها وألقوا فى غياهب السجن نذكر منهم الشيخ محمد جواد الجزائرى والسيد محمد على بحر العلوم والسيد ابراهيم البهبهانى وغيرهم ولم يطلق سراحهم الا بعد مدة ودمرت السلطة فى الكوفة والنجف دور كل من السيد عبد المحسن أبو طبيخ والسيد نور الياسرى ومرزوق العواد وعبد الواحد الحاج سكر وعبد المحسن شلاش وكاظم الحاج سكر

الفراتيون يوكلون الحسين

ووضع الفراتيون ثلاث مضابط يطلبون فيها ملكا للعراق من أبناء الحسين وأرسلوها الى الحسين وهذا نصها :

الى ملك العرب الحسين بن على

السلام عليك ورحمة الله ، أما بعد فان الحلفاء فى الحرب العظمى ، أذاعوا على سكان العراق فى هذه الأيام منشورا عاما فحواه انهم لم يحاربوا الا لتحرير الشعوب ، وأن يكون لكل شعب من الشعوب حق تقرير مصيره بنفسه وإدارة شؤونه من قبله ولم يكن لهم نية الفتح والاستعمار ، وبناء على هذا طاف الحاكم الملكى فى العراق واجتمع بكافة الزعماء والرؤساء والعلماء طالبا إليهم أن يبدوا رأيهم فى النقاط التالية :

١ — فى حدود المملكة العراقية ، وما اذا كانت الموصل جزءاً من العراق أم لا ؟

٢ — فى الحكومة التى يرغبون فيها ، أو الأمير الذى يملكونه فى البلاد ؟

وبعد المداولات والمذاكرات أبلغوا الحاكم السياسى البريطانى العام فى العراق بأن الموصل جزء لايتجزأ من العراق وطلبوا اليه تأسيس حكومة عربية دستورية على

أن يكون أحد أنجال جلالتكم ملكا على العراق ، كما يبلغكم تفصيله المندوب من قبل عموم العراقيين الشيخ محمد رضا الشبيبي

و وقع على الأولى علماء الدين فى العراق وعلى الثانية زعماء القبائل ورؤساء العشائر العراقية وعلى الثالثة الشبان

وحمل هذه المضابط الى مكة الشيخ محمد رضا الشبيبي . وقد اتصل بالانكليز أمره قبل سفره فحاولوا القبض عليه وانتزاع المضابط وكان يضعها فى داخل جلد مصحف و يطوف بها على الناس لتوقيعها فقصد الزبير واختفى فيها أياما ثم صحب قافلة للبدو الى نجد معلنا أنه ذاهب الى الحجاز لقضاء فريضة الحج ، ولم يطمئن الا بعد وصوله الى حائل فنزل ضيفا على أميرها فأكرمه وسهل له السفر الى المدينة المنورة من دون أن يعرف شيئا عن مهمته وقوبل بالحفاوة الزائدة حين وصوله الى طيبة وبالغ الأشراف والعلماء والضباط العراقيون فى اكرامه . ثم سافر الى مكة واجتمع فى وادى فاطمة بالأميرين على وعبد الله فرحبا به ولم يطلعهما على تفاصيل مهمته ، بل أبقى كل شئ مكتوما حتى قابل الحسين فسلمه المضابط و بسط على مسامعه مايعرفه فأكبر ماسمع وسر كثيرا وقال سأكون عند حسن ظن العراقيين ان شاء الله . و بعد ما أدى فريضة الحج ذهب الى دمشق وكانت مركز الحركة فى تلك الأيام واتصل بالأمير فيصل ورجال العراق النازلين فيها فقابلوه بالحفاوة فانضم اليهم وعمل معهم لخدمة العراق . ثم عاد واياهم الى بلاده بعد يوم ميسلون

وأرسل الحسين المضابط الى الأمير فيصل فى باريس

٧

العصابات فى دير الزور والموصل

كان احتلال رمضان شلاش ورجاله لدير الزور يوم ١١ ديسمبر سنة ١٩١٩ باسم الحكومة الفيصلية فى الشام و بمساعدة الضباط العراقيين فى الجيش العربى من جملة العوامل التى ساعدت على نمو الحركة الوطنية فى العراق كما كان من جملة الأسباب التى عجلت فى اعلان ثورته ، فقد اتخذتها جمعية العهد مقرا لأعمالها ومركزا لنشر دعايتها لوقوعها على الحدود فكانت ترسل النشرات والصحف والتقارير فتذاع فى المدن العراقية وتنشر بين طبقات الشعب

ولما استقر قرار هذه الجمعية على إضرام الثورة فى العراق اوعزت الى بعض الضباط العراقيين فى الجيش بأن يستقيلوا ويقصدوا دير الزور للاشتراك فى تأليف العصابات التى تقرر تأليفها لمنازلة الانكليز وبث الفوضى والارهاب فيحملهم ذلك على تغيير سياستهم فرحل كثيرون . وقصد الدير يومئذ ثلاثة من أقطاب جمعية العهد فى سورية وهم : جميل المدفعى وعلى جودت الأيوبى وتحسين على لازالة ماحدث بين مولود مخلص حاكم الدير العسكرى ورمضان شلاش من خلاف ولانشاء مركز قوى للثورة وتنظيم العصابات فقاموا بهذه المهمة وهاجمت أول عصابة عراقية سكة الحديد بين سامراء وشرقاط فى أواخر شهر مارس سنة ١٩٢٠

عصابة جميل المدفعى

وألف جميل المدفعى عصابة قوية فى القدعم على الخابور قادها بنفسه وزحف بها لمنازلة الانكليز فمر بالقبائل العربية النازلة فى نصيبين داخل الحدود التركية فاستنفرها فنفرت وانضمت اليه ومعظمها من قبيلة شمر وأيدته قبائل الزيدية فى جبل سنجار وقدمت له الطاعة ولما وصلت الى تلعفر أرسل كتابا الى موظفيها وضباطها قال فيه :

«لامناص لكم من الانضمام الى القوة الزاحفة بعددها الكثيرة وعددها الوافر وأنتم بين أمرين فاما أن تشتركوا معها فى الحرب واما أن تقدموا لها الميرة والمؤن ويجب عليكم أيضا أن تعتقلوا الموظفين البريطانيين ليكونوا رهينة بيدنا فلا يفرج عنهم حتى يفرج الانكليز عن ياسين باشا الهاشمى المعتقل فى فلسطين»

وقبضت العصابة يوم ٤ يونيو على الميجر باولو معاون الحاكم السياسى لتلعفر بينما كان يتجول فى ضاحيتها فرأى سيارتين فركض نحوهما فأطلقت عليه الرصاص فقتل كما قتل ضابط عراقى الكبتن استورات قائد الدرك وتحصن الموظفون البريطانيون فى تلعفر بدار الحكومة مع الجند وأطلقوا نيران بنادقهم ورشاشاتهم على الثوار وعرض عليهم هؤلاء التسليم مرارا فأبوا فنسفوا دار الحكومة بالديناميت فقتل كل من كان فيها . ووصلت سيارتان مدرعتان وسيارات نقل فالتقى بها الثوار عند مدخل المدينة وحطموها وقتلوا من فيها.

وأرسل المدفعى قوة من رجاله فى الغداة لمهاجمة القوافل العسكرية بين الموصل والشرقاط وكانت هنالك عصابات أخرى تعمل فى ذلك الجانب ، جاءت من دير الزور لمهاجمة سكة الحديد وتعطيلها وعرقلة النقليات الانكليزية وقامت بما يترتب عليها . وفى يوم ٦ منه غادرت العصابة تلعفر الى الموصل فداهمتها فى الطريق قوة انكليزية جهزها قائد الموصل وأرسلها على الفور فصمد لها الثوار . وقسم الانكليز قواتهم الى قسمين تفرغ قسم منهم للثوار واتجه القسم الآخر الى تلعفر لاحتلالها وقطع خط مواصلات هؤلاء فلم يخف ذلك على قائدهم فشرع بالانسحاب وسبق الانكليز الى تلعفر فوجدها خالية وقد نزح عنها سكانها فاتجه الى الخابور وعاد الى دير الزور

٨

اعلان استقلال العراق

وقرار المؤتمر العراقى العام

وبينما كانت العصابات العراقية تعمل فى الشمال وتنازل الانكليز ، وتهاجم معاقلهم كان رجال السياسة فى دمشق يدرسون مشروعا جديدا يرمى الى جعل أوربا أمام حالة راهنة ويقوم على اعلان استقلال سورية والعراق فى وقت واحد فينادى بالامير فيصل ملكا على الشام وبالامير عبد الله ملكا على العراق

ولما اختمرت هذه الفكرة وتم الاتفاق مقدما على تنفيذها أرسل توفيق السويدى بصفته رئيسا للمؤتمر العراقى[1] فى دمشق كتابا الى رئيس المؤتمر السورى يوم ٤ مارس سنة ١٩٢٠ ونصه :

« الى حضرة رئيس المؤتمر السورى الاكرم

« لما كانت الثورة العربية لاترمى الى تحرير قطر دون سواه من الاقطار العربية

---

(١) تألف المؤتمر العراقى من الاعضاء الآتية أسماؤهم مع حفظ الالقاب :

مندوبو مقاطعة بغداد وجنوبى العراق ــ جعفر العسكرى وسعيد الشيخلى وتحسين على واسماعيل نامق وسامى الاورفلى وفرج عمارة وناجى السويدى وتوفيق السويدى ويونس وهبى وحامد صدر الدين وأحمد رفيق ونورى قاضى ورشيد الهاشمى وصبيح محمد ورضا الشبيبى ومحمد أديب وعزت الكرخى وعبد اللطيف الفلاحى وتوفيق الهاشمى ومحمد البسام .

مندوبو الموصل وشمالى العراق : جميل المدفعى وعلى جودت وعبد الله الدليمى ومكى الشربتلى وابراهيم توحلة وثابت عبد النور وأسعد الصاحب

ولما كان العراقيون عضوا عاملا فيها فقد قاموا بما يحب عليهم من الخدمة للقضية العربية في الحرب الماضية حتى وصلوا مع اخوانهم السوريين الى سورية التى تربطها بقطرهم العراق روابط اقتصادية وجنسية وسياسية وبما ان المؤتمر السورى لم يهمل مقررات المؤتمر العراقى المرتبطة بسورية فى قراراته السابقة ، لذلك قرر المؤتمر العراقى المنعقد فى دمشق فى جلسة ٤ مارس سنة ١٩٢٠ أن يرجو من المؤتمر السورى الاشتراك معه فى تقرير مصير البلاد المحررة وفقا لرغائب الامة وبيانات الحلفاء ومبادىء الرئيس ولسن فلى الشرف أن أبلغكم الكيفية »

رئيس المؤتمر العراقى

توفيق السويدى

واختار المؤتمر خمسة من أعضائه للاتصال بحزب الاستقلال العربى فى دمشق لتحديد علاقات المؤتمرين « المؤتمر العراقى والمؤتمر السورى » وتقرير الاسس التى تبنى عليها قرارتهما ، وهذا نص قرار المؤتمر العراقى وقد تلاه فى حفلة البيعة بدار بلدية دمشق يوم ٨ مارس رئيسه بالذات :

قرر المؤتمر العربى العراقى العام الذى يمثل الشعب العراقى تمثيلا قانونيا فى جلسته المنعقدة فى دمشق الشام [١] يوم ٨ مارس سنة ١٩٢٠ و ١٨ جمادى الاولى سنة ١٣٣٨ اعلان القرار الآتى

باسم الشعب العربى العراقى.

خاضت الامة العربية غمار الحرب الماضية فى جانب الحلفاء لرفع نير الاجانب عن عاتقها واسترجاع سالف مجدها واستئناف مهمتها الطبيعية فى تمدين الشرق وتحقيق آمالها القومية بالوحدة والاستقلال التام اسوة بغيرها من الشعوب التى نالت استقلالها وهى دونها حضارة ورقيا . وكان الحلفاء الكرام قد قطعوا لها العهود على الاخذ بنصرتها فى هذا السبيل وأعلنوا بلسان رؤساء حكوماتهم ومجالس نوابهم ان لاغاية لهم من الحرب الا استقلال الشعوب وترك الخيار لها فى بت مصيرها وتعيين شكل حكومتها فابرمت بريطانيا

(١) عقد المؤتمر فى منزل نورى السعيد فى حى الشهداء بدمشق

العظمى مع جلالة الملك حسين تلك المعاهدة المعروفة التى اعترفت فيها باستقلال العرب من جبال طوروس وشمالى ولاية الموصل الى خليج فارس والاوقيانوس الهندى والبحر الاحمر،وأيد الرئيس ولسن ذلك بما أعلنه من المبادىء السامية التى وافق عليها الحلفاء قاطبة واتخذوها آساسا للصلح الدائم كما جاء فى بيان اللورد غراى وزير خارجية انكلترا أمام لجنة الامور الخارجية فى ٢٣ اكتوبر سنة ١٩١٦ وتصريح المسيو بريان رئيس الوزارة الفرنسوية فى ٣ نوفمبر سنة ١٩١٦ وردود الحلفاء على مذكرة الدول الوسطى التى أرسلت على يد السفير الاميركى فى باريس وجوابهم على مذكرة الرئيس ولسن فى ٢٢ مايو سنة ١٩١٧ و بيان مجلس النواب الفرنسوى فى ٥ يونيو سنة ١٩١٧ و بيان مجلس الشيوخ فى ٦ منه وتصريح المستر لويد جورج فى غلاسكو يوم ٩ يونيو سنة ١٩١٧ وما شاكل ذلك من البيانات القائلة بتحرير الشعوب الكبيرة والصغيرة واستقلالها وترك الخيار لها فى بت مصيرها والغاء المعاهدات السرية المجحفة بحقوقها

وقد كان لجلالة الملك حسين الاول وانجاله أصحاب السمو الامراء العظام الفضل الأكبر فى تحرير الامة العربية وانقاذها من نير العبودية والذل واحراز النصر المشترك على الاعداء فى الشرق فأبلوا فى الحرب أحسن بلاء وقادوا الامة من نصر الى نصر ثلاث سنوات متواصلة أراقوا فيها دماء زهرة أبناء العراق وسورية والحجاز وكانوا موضع اعجاب الحلفاء والاعداء على السواء ، وذلك فضلا عما تحملته الامة فى الاقطار العربية المختلفة من المصائب والاهوال وماقامت به من جليل الاعمال تأييدا لقضيتها الحقة وانتصارا لجلالة الملك وحلفائه الكرام

وقد أسفر هذا الجهد المشترك المتواصل عن اندحار الأعداء وجلائهم عن العراق ودخول الجيوش البريطانية اليه بصفة حلفاء ومحررين فأعلنوا حينئذ انه لامطمع لهم فى البلاد ولاغاية الا استقلال الأمة وترك الخيار لها فى بت مصيرها وتقرير شكل حكومتها

على أن الحرب العظمى قد وضعت أوزارها منذ نحو عام ونصف والبلاد لا تزال تئن تحت رزء الاحتلال الأجنبي الذى ألحق بها أضرارا جسيمة مادية وأدبية وأوقف سير أعمالها ومصالحها الاقتصادية والادارية بشكل كاد يزلزل موقفها السياسى فعيل صبر الشعب من هذه الحال وانتقض فى أماكن مختلفة على الحكم العسكرى الأجنبي مطالبا باستقلاله التام

فنحن أعضاء هـذا المؤتمر الذى يمثل الشعب العربى العراقى تمثيلا قانونيا صحيحا رأينا الآن أن نجهر بارادته ونخرج البـلاد من هذا الموقف الحرج والحال المبهم المضطرب واستنادا الى حق الأمة الطبيعى فى الحياة الحرة والاستقلال التام والى المبادىء السامية التى أعلنها الحلفاء العظام أكثر من سبعين مرة فى خـلال الحرب الماضية والى الرغائب التى أعربت عنها الأمة العربيـة العراقية فى ٦ ربيع الثانى سنة ١٣٣٧ بوثائق رسمية وقعها الأمراء والرؤساء والزعماء والمفكرون وسائر طبقات الشعب والى ماشاهدناه ونشاهده كل يوم من عزم العرب العراقيين على نيل استقلالهم التام والتوسل بكل الوسائل الممكنة التى تؤدى اليه و بصفتنا ممثلى الشعب المكلفين بالاعراب عن ارادته أعلنا الآن باجماع الآراء استقلال البلاد العراقيـة المسلوخة عن تركيا بحدودها المعروفة من شمالى ولاية الموصل الى خليج فارس استقلالا تاما لاشائبة فيه وأيدنا استقلال سورية التام وأعلنا اتحاد العراق بها اتحـادا سياسيا واقتصاديا وونادينا بحضرة صاحب السمو الملكى الأمير عبد الله ملكا دستوريا بلقب صاحب الجلالة ملك العراق وعهدنا فى نيابة الملك الى صاحب السمو الأمير زيد المعظم وأعلنا انتهـاء حكم الاحتلال العسكرى الحاضر على ان تقوم مقامه حكومة وطنية مسؤولة أمام الشعب

واننا باسم الأمة العربية العراقية التى أنابتنا عنها وعهدت الينا تقرير مصيرها نعلن محافظتنا على صداقة الحلفـاء الكرام وعزمنا على احـترام مصالحهم ومصالح جميع الدول الأجنبية فى بلادنا راجـين منهم أن يعترفوا بهذا الاستقلال ويجلوا عن بلادنا العراقيـة ليحل محلهم فيهـا الجند الوطنى والادارة الوطنية فتتمكن دولتنا حينئذ من أن تكون عاملا من عوامل الرقى فى العالم المتمدن

هذا وان الحكومة العراقية التى تتشكل عاجلا مكلفة بتنفيذ قرارنا هذا

تحريرا فى ٨ مارس سنة ١٩٢٠ و ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٣٨

وقد وقع قرار المؤتمرين وقعا حسـنا فى العراق يؤيد ذلك الكتاب الذى أرسـله رئيس المؤتمر العراقى يوم ٦ يونيو سنة ١٩٢٠ الى رئيس المؤتمر السورى ونصه :

كتب الينا أخـيرا فريق من رؤساء قبائل العراق الكبيرة وطائفـة من العلماء والمفـكرين فى تلك البلاد يطلبون منا النيابة عنهم فى الاعراب لـكم عن ارتياحهم العظيم

الى ماقرره المؤتمر السورى وأعلنــه من استقلال سورية والمناداة بصاحب الجلالة فيصل بن الحسين ملكا عليها وعن مشاركتهم للأمة السورية فى الأفراح التى نشأت عن ذلك وهم يشكرون المؤتمر بنوع خاص على مادرجــه ضمن بيانه الخطير من الاهتمام بمصير العراق وتأييــده قضيته مما كان له وقع كبير جدا فى نفوس سكان العراق وقد جاء فى أحد كتبهم مانصــه :

«الآن وقدقرأنا كتابكم المؤرخ فى ١٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٨ وهوالكتاب الذى كان لمضمونه دوى هائل فى انحاء القطر العراقى لايسعنا أن نصف لكم مبلغ الفرح الذى عم هذه الربوع بعد أن اطلعت الأمة على موقف سورية ذلك الموقف الخطير الذى قوى عزائم بنى قومكم وليتكم تشهدون المشاهد التى تمتعت بهـا الأماكن المقدسة على أثر ماجرى عندكم من قرار المؤتمرين السورى والعراقى فانها وايم الحق من أعظم المشاهد وأكبرها فقد سرت روح النشاط فى مناطق العراق كلها فهاهى هائجة مائجة تتمخض بمولود شرف ومجد وسيكون قرة عيون العرب فى جزيرتها فبشرا كم نهوض بنى قومكم ووحدتهم ورجاؤنا أن تعربوا للمؤتمر السورى والأمة السورية النجيبة عن مشاركتنا لها فى أفراحها بنيل استقلالها وشكرها على تأييد قضيتنا »

هذا ماجاء فى بعض رسائل اخواننا زعماء الأمة العراقيــة وذوى الشأن فيها وممن نعتقد أن لهم القول الفصل فى القضية العراقيــة فنحن نيابة عن هؤلاء الأبطال نرفع الى المؤتمر الموقر أخلص التهانى وأجزل الشكر ــ اهـ

٩

الانتداب للعراق

الاتفاق بين بغداد والفرات على اعلان الثورة

و بينما كان العراقيون ينتظرون حلا شريفا لقضيتهم فوجئوا يوم ٢٥ ابريل سنة ١٩٢٠ باعلان قرار مؤتمر سان ريمو وهو يقضي بانتداب بريطانيا لقطرهم وزاد فى استيائهم البلاغ الرسمي المنشور فى بغداد يوم ٣ مايو سنة ١٩٢٠ و به تعلن انكلترا قبولها لقرار مؤتمر الحلفاء فى سان ريمو « بوضع العراق تحت انتدابها لتدريبه على أساليب الحكم الذاتي »

ورأى العراقيون بعد هذا القرار أنه لامناص لهم من النضال لاسترداد حقوقهم فأوفد الفراتيون الحاج عبد المحسن شلاش والسيد هادى زوين الى بغداد للاتصال برجالها والاتفاق معهم على خطة نهائية للعمل يشترك الكل فى تنفيذها . فاتصل القادمان برجال جمعية الحرس وتم الاتفاق على عقد اجتماع كبير فى منزل حمدى باشا البابان فعقد يوم ٣ شعبان سنة ١٣٣٨ وحضره من أعيان البغداديين السيد محمد الصدر ويوسف السويدى والشيخ أحمد الشيخ داود وجعفر جلبي أبو التمن ورفعت الجادرجى وفؤاد الدفترى والشيخ عبد الوهاب النائب والشيخ سعيد النقشبندى والسيد محمد المصطفى الخليل فبسط السيد هادى زوين باسم الفرات الحالة فى بلادهم وذكر استعدادهم للعمل وطلب الى البغداديين تحديد موقفهم فقال جعفر جلبي أبو التمن ان قادة بغداد مستعدون للعمل على أن يكون بنسبة مايبديه العلماء ورؤساء القبائل وأعلن أنه سيسافر قريبا الى كربلاء ليدرس الحالة بنفسه فقال الحاضرون انهم يضعون ثقتهم فيه وينيبونه عنهم فيكون ممثلهم لدى العلماء وأهل الفرات . وقد غادر بغداد يوم ١٣ شعبان الى كربلاء

وعقد بعد منتصف ليلة نصف شعبان اجتماع سرى بكربلاء فى منزل الامام محمد تقى

الشيرازى كبير علماء الشيعة فى العراق حضره جعفر جلبي مندوب بغداد ومندوبو النجف وقبائل الشاميــة فدرسوا الموقف واتفقوا فى النهاية على اعلان الثورة وأقسموا الامام بالقرآن العظيم انهم لايتأخرون عن تلبية نداء دينهم ووطنهم وأنهم يجازفون بكل مرتخص وغال فى سبيل انقاذ وطنهم تحت طاعــة امامهم الميرزا محمد تقى الشيرازى الذى يقودهم الى مافيه صلاح دينهم ودنياهم

و بعد الاتفاق على هذا القرار الخطير تفرق المجتمعون عندالفجر وعاد أبو التمن الى بغداد لاطلاع اخوانه على ماجرى . وقد كان محل ثقة الفراتيين واعتمادهم وكانوا يعولون على رأيه و يثقون باخلاصه وايمانه ووطنيته

وفى مســاء ٢٠ شعبان عقد اجتماع فى منزل حمدى باشا البابان فى بغداد لسماع أقوال أبى التمن العائد من الفرات فقص على زملائه ماشهده فى اجتماع كربلاء وأبلغهم ماتم الاتفاق عليه فقر قرارهم على المباشرة بنشر الدعوة لانشاء حكومة وطنية فى العراق

واغتنمت اللجنة التنفيذية لجمعية الحرس فرصة حلول شهر رمضان فقررت أن تقيم مساء كل خميس حفلة فى مسجد لنشر الدعوة للحركة الوطنية

وأقاموا الحفلة الأولى فى آخر ليلة جمعة من شعبان فكان الاقبال عليها قليلا فى أول الأمر لأن الناس لم ينتبهوا الى الغاية منها ، على أن الأمر تبدل فى الحفلة الثانية فكثر الاقبال والازدحام وشعرت السلطة البريطانية بما هنالك فعمدت الى الحيلة فدعت الآنسة بيل بعض الشبان المتحمسين لشرب الشاى فى منزلها ليلة الجمعة (أى ليــلة اقامة الحفلة) لمنعهم من الاشتراك فيها وأبلغتهم أنها تود أن يزوروها مساء كل خميس لشرب الشاى معها ففطنوا الى غايتها ولم يعودوا الى تلبية دعوتها

وأقيمت الحفلة الثانية فى حى الميدان (من أحياء بغداد) وكانت فى كل مرة توجه باسم الحى الذى تقام فيه وكانت تتعدد فى الاسبوع الواحد أحيانا وكان الزعماء يحضرونها فيقابلون بالهتاف وكانت خطب الخطباء تدور حول مطالبة الحلفاء بانصاف العرب ورد حقوقهم اليهم

مندوبو بغداد وطلباتهم

قبضت السلطة العسكرية البريطانية على الشاب عيسى افندى الموظف فى الأوقاف لأنه ألقى قصيدة حماسية فى احد هذه الاجتماعات ونفته الى البصرة فأضربت بغداد احتجاجا وقررت لجنة الحرس اقامة مظاهرة سياسية كبيرة . وخطب على البزركان أحد رجالها فى اجتماع عقد فى جامع الحيدرخانة طالبا من الشعب انتخاب ١٥ مندوبا من بغداد والكاظمية لمفاوضة الحكومة فى المسائل السياسية الجوهرية وفى مقدمتها الغاء الادارة العسكرية وانشاء حكومة وطنية فانتخبوا على الفور وهم : السيد أبو القاسم والشيخ أحمد الشيخ داود والشيخ أحمد الظاهر وجعفر جلبى أبو التمن ورفعت الجادرجى والشيخ سعيد النقشبندى وعبد الرحمن باشا الحيدرى وعبد الوهاب النائب وعلى البزركان والسيد عبد الكريم السيد حيدر وفؤاد الدفترى والسيد محمد الصدر والسيد محمد مصطفى الخليل ويوسف السويدى والحاج ياسين جلبى الخضيرى وما كاد الجمهور يفرغ من انتخابهم حتى ظهرت سيارتان مدرعتان فى الشارع وأطلقتا النار فأصيب أخرس ومات فاحتفل الشعب احتفالا عظيما بتشييع جنازته وسماه فقيد الوطن وأرسل حاكم بغداد السياسى والعسكرى على أثر هذا الحادث فدعا أبا التمن والشيخ أحمد الشيخ داود والشيخ مهدى البصير وعلى البزركان الى مقابلته فقابلوه يوم ٨ رمضان فقال لهم انه مسؤول أمام حكومته عن المحافظة على النظام فى داخل مدينة بغداد وانه وان كان يعدهم مسؤولين عما حدث فى الليلة الماضية من مشاغبات واضطرابات الا أنه لا يود أن يناقشهم الحساب وانما يرجوهم أن يكفوا عن خطتهم وعن العبث بالأمن فقالوا له ان عدم انجاز بريطانيا لوعودها هو السبب فى نقمة الشعب وأن انشاء حكومة وطنية هو السبيل الوحيد لتهدئة الأفكار

كتاب المندوبين الى الحاكم ورده

وأرسل المندوبون الخمسة عشر فى الغداة (٩ رمضان) كتابا الى الحاكم الملكى العام يطلبون تحديد وقت للاجتماع والبحث فضرب يوم ١٤ منه موعدا لهم وأرسل فدعا ٢٠ عينا بغداديا للاشتراك فى المباحثات التى ستدور بينه و بين المندوبين وهذه أسماء العشرين : السيد محمود الكيلانى والسيد داود الكيلانى وعبد المجيد الشاوى وعبد القادر

الخضيرى ومحمد حسن جلبي الجواهرى والشيخ شكر قاضى الجعفرية وصالح الحلى والحاج علي الألوسي وعبد الجبار خياط وخسرو قوجيان وساسون حسقيل وعزره مناحيم دانيال ويهودا زلوف ومحمود جلبي الشابندر ومحمود جلبي الاطرقجى والسيد جعفر عطيفة وجميل صدقى الزهاوى وعبد الكريم آل جلبي ومحمود جلبي الاسترابادى والحاج عبد الحسين آل جلبي

ولم تخف الغاية من دعوة هؤلاء على مندوبى الشعب فدعوهم مقدما الى اجتماع عقدوه فى منزل رفعت الجادرجى للاتفاق على توحيد الخطة واتفقوا جميعا على مطالبة الحكومة بما يأتى :

١ ـ انشاء مجلس تأسيسى (جمعية وطنية) تضع الدستور وتقرر شكل الحكم
٢ ـ اطلاق حرية الصحافة
٣ ـ رفع الحواجز الموضوعة فى طريق البرق والبريد بين العراق والبلاد المجاورة

وأقفلت بغداد يوم الاجتماع واحتشدت الجماهير حول السراى وجاء الحاكم العام وحوله حاشيته وخاطب الحاضرين قائلا :

أيها السادة :

اجتمعنا اليوم لنصغى الى اقتراحاتكم وللمداولة معكم بخصوص مطالبكم ولى كلمة يتلوها عليكم حضرة حسين افندى افنان فاسمعوها

ثم وقف هذا فألقى الخطبة الآتية :

اتصل بى أن بعضا من حضراتكم يريد أن يقدم لى فى هذا اليوم مطالبه بخصوص مستقبل العراق لعرضها على حكومة جلالة ملك بريطانيا فلا حاجة لى أن أبين لكم سرورى من هذه الفرصة التى يتاح لى فيها أن أرحب بحضراتكم وأشرح لكم بقدر مالى من السلطة شرحا اجماليا ماهية سياسة حكومة جلالة الملك بازاء هذه المسالة

لابد أنكم قرأتم تصريحات الحكومتين البريطانية والفرنسوية التى سبق نشرها فى اليوم الثامن من شهر نوفمبر سنة ١٩١٨ ولا بد أنكم قرأتم المادة الثانية والعشرين من عهد جمعية الأمم وقد وقع عليه معظم أمم العالم من سنة . ومن باب التذكير أتلوها على مسامعكم مرة أخرى (ثم تلاها)

فهذه التصريحات تبين لكم سياسة حكومة جلالة الملك وتوضح مراميها . تلك السياسة التي لم تنحرف الحكومة البريطانية عنها قيد شبر في وقت من الأوقات وأصرح لكم أن حكومة جلالة الملك ترغب في تأسيس حكومة وطنية في العراق وقد أرادت تنفيذ ذلك في أسرع وقت ممكن على أنه حصل تعطيل حال دون تحقيق ارادتها وكنت أشد الناس أسفا على هذا التأخير الذي حدث بدواع وأسباب لم يكن في وسعنا تلافيها فان طول الحرب الحاضرة والصعوبات التي حالت دون عقد الصلح واختلال النظام في البلاد المجاورة للعراق سواء من جهة ايران أو من جهة تركيا أو سورية ـ كل هذه الاضطرابات عاقتنا عن تأليف حكومة ملكية بالسرعة التي كنا نتمناها وأملي أن تعتقدوا أنه لم يكن بوسعنا قط اجتناب هذا التأخير وأؤكد لحضراتكم أن الذين يسعون الى تأسيس حكومة ملكية بصورة مستعجلة بالحض على استعمال العنف وتهييج البسطاء من الأمة يجنون على وطنهم مهما كانوا مدفوعين الى أعمالهم هذه بدافع الوطنية أو بعوامل أخرى . ولا أمل بتأسيس حكومة ملكية كما تريدون قبل أن يستتب الأمن العام وتتثبت أركان النظام في هذه الآونة التي تتطور فيها البلاد وليعلم أولئك الذين يحرضون على الاخلال بنظام البلاد الحالي ويثيرون خواطر الأهلين ويهيجونها على السلطة انهم انما يثيرون عوامل تستطيع الحكومة اتخاذ التدابير لمقاومتها ولا تتأخر عن اتخاذها اذا اقتضت الحال وقد تؤثر على وضعية ونظام الادارات الوطنية التي نقترح تأسيسها و بصفتي رئيسا موقتا للحكومة الملكية الحاضرة أحذركم وأبلغكم أن كل تحريض على العنف أو الاخلال بالنظام سيقابل بالحزم والعزم من السلطتين العسكرية والملكية واعلموا أن القوة هي في جانبنا واننا قد عزمنا على توطيد دعائم النظام في هذه البلاد الى أن تؤسس الحكومة الملكية التي تنشدونها ولن أتردد في الاستعانة بالسلطة العسكرية لاستخدام القوة الكافية لتوطيد النظام ولن تقصر السلطة المذكورة في امدادي بالقوى التي تكفل صون النظام وتمنع العبث به . وأملي أن لا أضطر الى اعادة هذه التحذيرات عليكم وأن لا تقضي الظروف المقبلة باستخدام الجنود أو باتخاذ التدابير الخصوصية حفظا للنظام العام

وأتكلم الآن عن حكومة العراق المقبلة فأقول ان الحكومة البريطانية وطدت العزم على وضع نظام للحكومة العراقية المقبلة في أقرب وقت ممكن بعد استشارة الرأي العام

فى ذلك . وقد دارت مكاتبات كما يعلم أكثركم بينى و بين حكومة جلالة الملك وكبار رؤساء الحكومة الملكية هنا توصلا الى إنشاء حكومة ملكية موقتة تقوم بعبء الادارة الى أن تتم مذاكرات الحكومة مع الأهلين و بوضع نظام ثابت للحكومة الجديدة . وقد طبعت الادارة الملكية هنا دستور هذه الحكومة الموقتة وكانت رامقة الى حكومة جلالة الملك وكان فى النية نشره غير أن حكومة جلالته لم يكن فى وسعها التصريح لى بنشره كما تقدم قبل انتهاء مفاوضات الصلح مع تركيا أو على الأقل تقرير شىء منها . ومع هذا فلا بأس من أن أقول لكم بوجه الاجمال ان ما ننو يه هو تشكيل مجلس للأمة برئاسة رئيس عربى الى أن يرفع دستور العراق الى المجلس التشريعى المنوى تشكيله أيضا ونعتقد بضرورة اعطاء البلاد متسعا من الوقت الى أن تستقر أمورها واعطاء الأهلين فرصة لتأسيس فكرة صحيحة تنشر بواسطة المجلس التشريعى بعد تشكيله وليس هنالك خير يرجى من الاسراع فى أمور كهذه

هذا وأذكركم بأن العراق يختلف عن سائر الممالك بانه لم يتأثر بو يلات الحرب مع ان رحاها دارت فيه وهاهى الأخبار تأتينى عن الحالة فى سورية والقفقاس وقسم من ايران وتركيا وحتى من فلسطين وكلها تدل على الغلاء وسوء الادارة وقد استحوذ الفقر على أهالى تركيا وسورية و بلغ استياء الأهالى هنالك مابلغ

اننا لننكث عهودنا اذا تراخينا فى إدارة شؤون الحكومة قبل أن يحين الوقت لتسليم زمامها الى الحكومة الوطنية التى ننوى تشكيلها فى المستقبل فلا تغرنكم الظواهر فقد كانت العراق تحت سيطرة حكومة أجنبية مدة مائتى عام ومهما سلمت النيات فلا يمكن تأسيس حكومة وطنية فى لحظة واحدة بل لابد من التدرج فى هذا السبيل والا فالفشل مؤكد واعتقدوا باننى وجميع رجال الحكومة متشربون روح الرغبة فى تنفيذ البيان الذى تلوته عليكم غير أننا لانستطيع القيام بالأمور المستحيلة واعلموا أن مصالحنا موحدة وما يهمكم يهمنا

وأشكركم فى الختام لاستماعكم أقوالى ويسرنى معرفة اقتراحاتكم وسأرفعها الى حكومة جلالة الملك المهتمة بمصالح العراق

و وقف السيد محمد الصدر يتكلم باسم الحاضرين فقال ان حركتهم سلمية لايقصد

منها إثارة القلاقل وان كل مايطلبونه هو إنشاء حكومة وطنية حسب تصريح الحلفاء يوم ٨ توفمبر سنة ١٩١٨ وان الأمة انتدبتهم للدخول مع السلطة المحتلة فى مفاوضات تمهيدية لانجاز هذا الأمر وهى تنتظر بفارغ الصبر تحقيق أمانيها العادلة قال وأرى اننا متفقون على المبادئ الأساسية لان المنافع المتبادلة تقضى بذلك وأن كل مانطلبه الآن هو عقد مؤتمر وطنى يمثل الأمة وتشترك جميع المدن العراقية فى انتخابه وتكون مهمته وضع أسس الدولة الجديدة وتحديد علاقاتها بالحكومة البريطانية واطلاق حرية المطبوعات والمراسلات ثم قال ان هذا الذى نطلبه قد اتفق عليه بين مندوبى الأمة والذين اختارتهم الحكومة ثم سلم يوسف السويدى الى الحاكم الملكى نص المطالب مكتوبة وهى :

الى سعادة الحاكم الملكى العام المحترم

تعلمون أن الشعب قد انتدبنا فى مظاهرته التى أقامها ليلة ٧ رمضان الحالى الموافق ٢٦ مايو للنيابة عنه فى مطالبة السلطة المحتلة ومفاوضة رجالها بشأن تنفيذ ثلاثة مطالب جوهرية يرى جمهور الشعب ومعظم قادة آرائه اليوم ضرورة تطبيقها وتنفيذها حالا وهى أولا :

١ ـ الاسراع فى تأليف مؤتمر يمثل الأمة العراقية ليعين مصيرها ويقرر شكل ادارتها فى الداخل ونوع علاقاتها بالخارج

٢ ـ منح الحرية للطبوعات ليتمكن الشعب من الافصاح عن رغائبه وأفكاره

٣ ـ رفع الحواجز الموضوعة فى طريق البريد والبرق بين أنحاء القطر أولا و بينه و بين الأقطار المجاورة له والممالك الأخرى ثانيا ليتمكن الناس هنا من التفاهم مع بعضهم ومن الاطلاع على سير السياسة الراهنة فى العالم

فبصفتنا نوابا عن أهل بغداد والكاظمية نطلب اليكم أن تصادقوا على تنفيذ هذه المطالب الثلاثة بكل سرعة ممكنة وأن تهتموا حالا بمراجعة حكومة جلالة الملك فى ما تلزمكم مراجعتها فيه لأجل تنفيذ المطالب المذكورة . ولا يغرب عن بال سعادتكم مافى قبول هذه المطالب واحلالها محل الاجراء والتنفيذ من صيانة الأمن وحفظ النظام والسلام العام واننا لننتهز هذه الفرصة فنتقدم الى سعادتكم فائق الاحترام والاكبار

ثم وجه السويدى الكلام الى الحاكم قائلا ان ماذكرتموه فى خطابكم عن مستقبل البلاد ينطبق كل الانطباق على مطالبنا فقد علم انه قد تقرر استقلال سورية والعراق

باتفاق فرنسا وبريطانيا وقلتم ان هذا الامر لايتم الا بانتخاب مجلس عال يمثل العراق ويرئسه رئيس عربى لكى تجرى التشكيلات الادارية بمعونته وذكرتم أنكم ترغبون أن يتم هذا الامر بأسرع ما يكون وان موانع عاقتكم عن تنفيذه ونحن نبدى أسفنا العظيم لذلك ونقول لم هذا التأخير فان حياة كل فرد من الأمة تتوقف على تحقيق ذلك والامن مستتب فى البلاد فلا داعى لتأخير انشاء الحكومة الوطنية التى هى مطمح أنظار الجميع

ثم دار البحث على المجلس التشريعى واختصاصاته وطريقة انتخابه فقال الحاكم انه سينتخب وفق القواعد الانتخابية التى تتألف بمقتضاها مجالس التشريع وقال أيضا انه سمح قبل أيام لأحد الوطنيين باصدار جريدة هى (جريدة الاستقلال) وان قانون المطبوعات التركى هو الذى سينفذ وقال الحاكم فى الختام انه لابد من انقضاء شهرين قبل اجابة طلبات الاهلين

الفرات يشارك بغداد

وحدث فى النجف ماحدث فى بغداد فقد قابل الوفد النجفى المفوض حاكم لواء الشامية السياسى يوم ٢٦ رمضان وسلمه كتابا يحتوى على المطالب الآتية : ١ـ الاسراع بجمع المؤتمر العراقى لتقرير شكل الحكم الذى ترغب فيه الامة العراقية ٢ ـ اطلاق سراح المنفيين ٣ ـ افساح المجال للامة لاظهار رغائبها المشروعة وذلك بالسماح بعقد الاجتماعات فدعاهم الى العمل لتسكين الهياج فقالوا ان ذلك يكون بقبول طلبات الشعب

وألف أهل كربلاء وفدا منهم قوامه الميرزا عبد الحسين الشيرازى والسيد محمد على الطباطبائى والشيخ محمد الخالصى والشيخ صدر الدين المازندرانى والسيد عبد الوهاب الوهاب والحاج محمد حسن أبو المحاسن والشيخ عمر الحاج علوان لمقابلة الحاكم وتقديم هذه الطلبات اليه وأصدر العلامة الشيرازى بهذه المناسبة المنشور الآتى :

الى اخواننا العراقيين

« السلام عليكم جميعا ورحمة الله وبركاته :

«أما بعد فان اخوانكم المسلمين فى بغداد والكاظمية والنجف وكربلاء وغيرها من انحاء العراق قد اتفقوا فى ما بينهم على الاجتماع والقيام بمظاهرات سلمية وقد قامت جماعة

كبيرة بتلك المظاهرات مع المحافظة على الامن طالبين حقوقهم المشروعة المنتجة لاستقلال العراق ان شاء الله بحكومة اسلامية وذلك بأن يرسل كل قطر وناحية الى عاصمة العراق وفدا للمطالبة بحقه متفقا مع الذين سيتوجهون من أنحاء العراق عن قريب الى بغداد فالواجب عليكم بل على جميع المسلمين الاتفاق مع اخوانكم على هذا المبدأ الشريف وإياكم والاخلال بالامن والتخالف والتشاجر بعضكم مع بعض فان ذلك مضر بمقاصدكم ومضيع لحقوقكم التى صار الآن أوان حصولها بأيديكم وأوصيكم بالمحافظة على جميع الملل والنحل التى فى بلادكم فى نفوسهم وأموالهم وأعراضهم ولا تنالوا أحدا منهم بسوء أبدا وفقكم الله جميعا لما يرضيه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »

وقام الكربلائيون بمظاهرات سلمية فى صحنى الحسين والعباس ألقيت فيهما الخطب السلمية فأقلق ذلك الحكومة وأزعجها فأرسلت يوم ٤ شوال سنة ١٣٣٨ و ٢١ يونيو سنة ١٩٢٠ قوة كبيرة جاء على رأسها الميجر بولى حاكم الحلة فضرب نطاقا حول المدينة فعلم بذلك العلامة الشيرازى فأرسل يدعو الحاكم الى زيارته ويسأله عن السبب فامتنع عن القدوم وأرسل اليه الكتاب الآتى :

« بعد تقديم مراسم التحية والسلام نعرض لحضرتكم أن قسما من قواتنا قد وردت هذه الانحاء لأجل حفظ الامن والقاء القبض على عدد من الاشرار الذين يقصدون الافساد ونهب الأموال والقاء الرعب فى قلوب الاهلين وان قواتنا هذه لا تتعرض للصلحاء الابرار فنرجو أن تطلعوا العموم على هذه المسألة لكى يرتفع الرعب والاضطراب عنهم وفى الختام نقدم لحضرتكم فائق الاحترام »

فرد عليه بالكتاب الآتى :

« الى حاكم سياسى الحلة الميجر بولى هداه الله

« قرأنا كتابك وتعجبنا غاية العجب من مضمونه حيث ان جلب العساكر لمقابلة الاشخاص المطالبين بحقوقهم المشروعة الضرورية لحياتهم من الامور غير المعقولة ولا تطابق أصول العدل والمنطق بوجه من الوجوه ، ويحتمل أن الاشخاص الذين يقصدون الاستفادة من ايجاد الخلاف بين أهالى العراق والانكليز هم الذين غشوكم لينالوا بواسطة ذلك مقاصدهم . وفى الليلة الماضية أردت ملاقاتكم لدفع الشبهة من نفسكم كى لا تغفلوا عن هذه النكتة

« لكنكم امتنعتم عن ذلك وان نظرياتنا فى أمور المملكة أصلح وأنفع من سوق الجيوش واستعمال القوة الجبرية وأدعوكم عجالة لابلغكم أن توسلكم بالقوة فى مقاومة مطالب الأمة واستدعاءاتها مخالف للعدل ولادارة البلاد وان امتنعتم عن المجئ فى هذه المرة فتصبح وصيتى للامة بخصوص مراعاة السلم ملغاة من ذاتها وأترك الامة وشأنها وبهذه الصورة تقع مسئولية كل نتائج السوء عليك وعلى أصحابك

« وفى الختام لى الامل أن تؤثر نصايحى فيك كى لا يقع مايفسد النظام والامن وكى لاتكونوا سببا لاراقة دماء الابرياء »

فلم يحمل ذلك الحاكم على تغيير سياسته فأرسل غداة وصول هذا الكتاب اليه فاستدعى نخبة من أهالى كربلاء هم الشيخ محمد رضا نجل الشيرازى والسيد محمد على الطباطبائى والشيخ هادى كمونه وعبد الكريم العواد وعمر الحاج علوان وعثمان الحاج علوان ومهدى قنبر وأحمد قنبر والسيد أحمد البير والشيخ كاظم أبو أذان ومحمد شاه فترددوا فى اجابة دعوته لأنهم أدركوا أن وراءها النفى فألح عليهم العلامة الشيرازى بالذهاب فقبض عليهم الحاكم فور وصولهم وأرسلهم يوم ٢٥ شوال منفيين الى جزيرة هنجام فأزعج هذا التدبير الفرات كله وأقامه وأقعده وكان من جملة العوامل التى عجلت بالثورة(١)

---

(١) فعلت الحكومة البريطانية فى سنة ١٩١٩ فى كربلاء مافعلته الآن فقد اعتقلت يوم ٥ ذى القعدة سنة ١٣٣٧ خمسة من رجالها وهم السيد محمد على الطباطبائى والسيد محمد مهدى المولوى والشيخ عمر الحاج علوان والشيخ عبد الكريم العواد والشيخ طليفح الحسون ومحمد على أبو الحب ونفتهم الى الهند فكتب العلامة الشيرازى يوم ٨ منه كتابا الى الحاكم العام للعراق كتابا استنكر فيه هذا التصرف وطلب اطلاق سراحهم فأجابه بالكتاب الآتى :

بغداد فى ٩ - ٨ - ١٩١٩

حضرة آية الله العظمى حجة الاسلام الميرزا محمد تقى الشيرازى دامت بركاته

لى الشرف أن أعرض لكم أنه وصلنا كتابكم المؤرخ ٨ ذى القعدة تذكرون بكل أسف أن الاعمال التى أقدمت عليها حكومة بريطانيا العظمى لاجراء واجبات وظائفها

فريق من زعماء الثورة العراقية

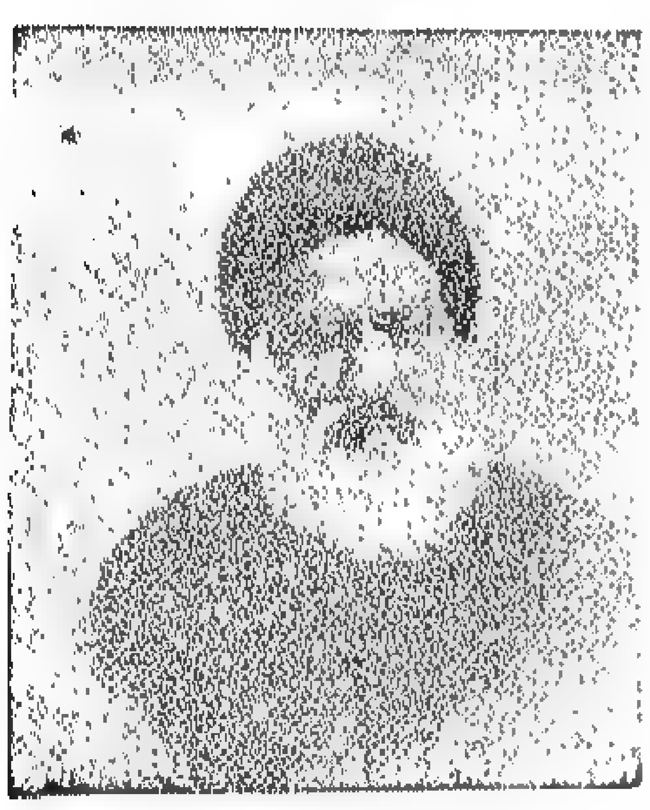

العلامة الشيرازى

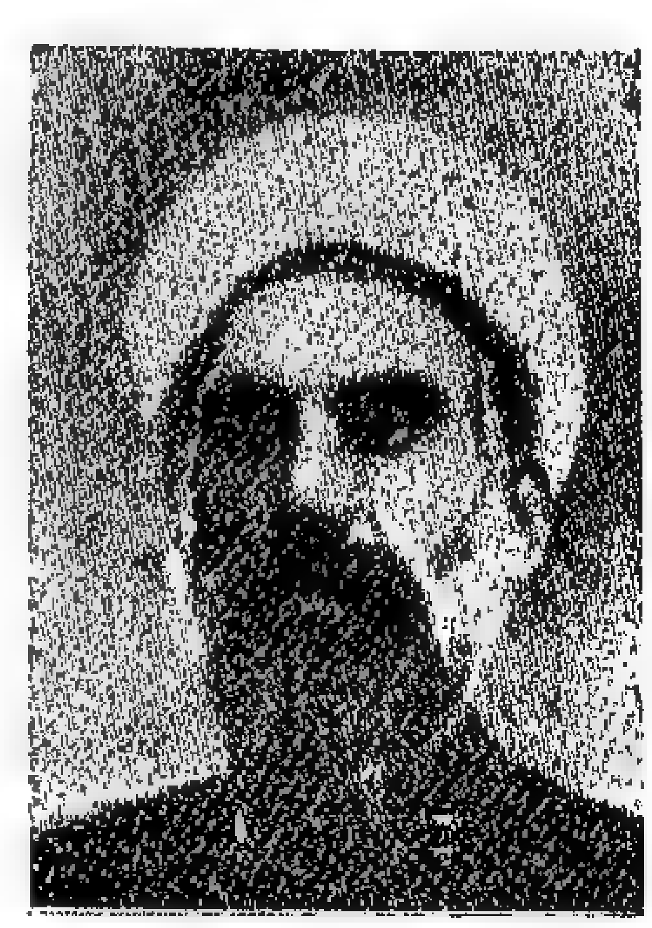

يوسف السويدى


جعفر ابى التمن

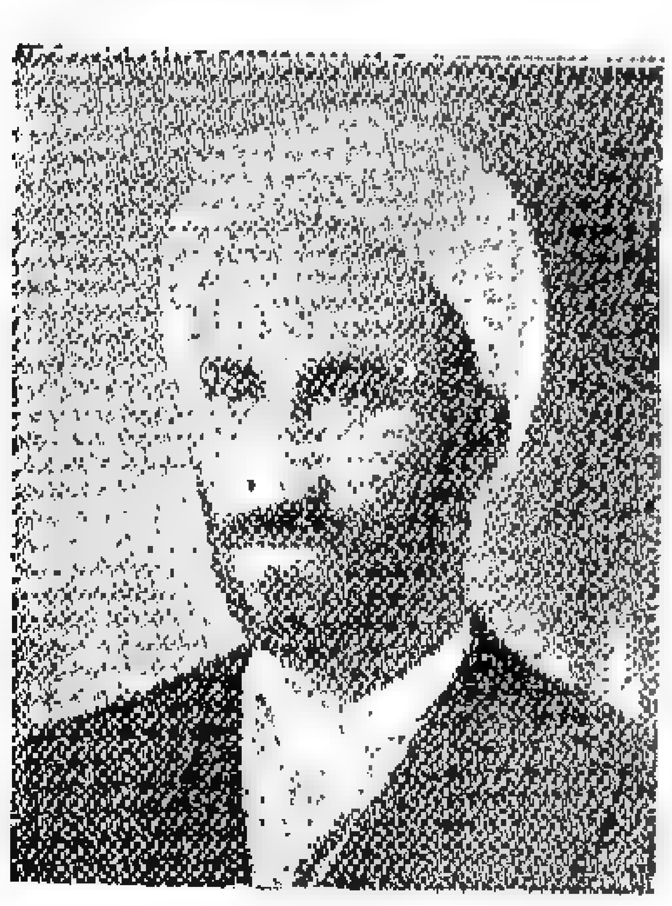

علوان الياسرى


عبد المحسن شلاش


هبة الدين الشهرستانى


الشيخ احمد الشيخ داود


على البزركان


رضا الشبيبي

فتوى جديدة

وأصدر الحجة الشيرازى يومئذ الفتوى الآتية : « مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم فى ضمن مطالباتهم رعاية السلم والامن ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الانكليز عن قبول مطالبهم »

ولحفظ أحكام القوانين والانظمة أوجبت استياء وتشويش العلماء الاعلام دامت بركاتهم فى كربلاء وكنت أعتقد أن فى تجارب الاربع السنوات الماضية قد ثبت لدى حضرتكم والمتعلقين بكم بأن الحكومة البريطانية اعتنت بصيانة وسلامة العتبات المقدسة أكثر من أية دولة أخرى

كانت كربلاء منذ مدة طويلة بؤرة للاغتشاشات والثورات بين الاهالى والحكومة وكما لا يخفا كم بأن هذه الثورات كانت تحدث اضرارا وخسائر وتلفيات كثيرة من قبل الجنود التركية على الأهالى والمدينة لاسيما أن شرف العلم والعلماء كان غير مصون فى تلك العصور مما أدى الى تيقظ الحكومة البريطانية واهتمامها بمثل هذه الاصول المخالفة للعادات البريطانية. لقد حصلت لنا اطلاعات كافية فى مدة الاثنى عشر شهرا الماضية تثبت أن بعض الاشخاص فى كربلاء يقومون بتشويش الاذهان وينشرون أخبارا غير مرضية وغايتهم من ذلك تشويش أفكار الناس ضد الحكومة البريطانية . وكنت منتظرا من مدة طويلة انتهاء هذه الاشاعات غير المرضية بعد اعلان الصلح لكنى ألاحظ أن الأمر قد انعكس وأن بعض الجاهلين قد زادت جسارتهم وكثر سعيهم فى تشويش الناس فلذا لاحظت أن من الواجب القبض على بعض الافراد وأن الاشخاص الذين قبض عليهم هم أربعة من أهالى المدينة الذين لم يكن لهم أية علاقة معكم ولامع العلماء الاعلام والروضات المطهرة . والاثنان اللذان من السادة وان لم يكونا من ذوى الاهمية الا أنهما ينشران الاشاعات الكاذبة ضد الانكليز وهو باعث لتشويش أفكار الاهالى ونظرا لاقداماتكم فقد عزمنا على تسريح السيد محمد على الطباطبائى وارساله الى سامرا على أن يسكن هنالك ولا يخرج منها بدون اجازة منا فنرجوكم اشعاره بهذا الأمر تحريريا عند وصول كتابنا هذا اليكم

مظاهرات الحلة

وأقيمت فى الوقت نفسه مظاهرة وطنية فى الحلة لتأييد الطلبات الشعبية وأعلن الناس أنهم يضعون ثقتهم فى رؤوف الامين والسيد حسن القزوينى فأسرعت الحكومة فاعتقلت الأول مع خمسة من اخوانه الأحرار ونفتهم الى هنجام وأقامت الموصل مظاهرة كبيرة لتأييد مطالب الأمة وانتخبت أربعين مندوبا قابلوا حاكم الموصل وقدموا له المطالب كتابة

السلطة تنشىء حكومة مدنية

وفى يوم ٢٠ يونيو أذاع الحاكم العام البلاغ الرسمى الآتى :

ترى مقدما حكومة جلالة الملك التى استؤمنت على تنفيذ الانتداب ان هذا الانتداب يعنى إنشاء حكومة عراقية تضمن استقلالها جمعية الأمم وتخضع لانتداب بريطانيا . ويضع

مع اخباره بأن يبقى هناك ساكنا وأن لا يتدخل فى أمور الناس واذا تخلف عن التقيد بهذا الامر فانا بكمال حريتنا ننفيه عن هذه المملكة الى محل لايتمكن فيه من احداث أى تشويش

وأما السيد محمد مهدى المولوى فان له اليد الطولى فى تشويش أفكار العموم وبما أنه هندى الأصل فقد استحسن ارساله الى وطنه الأصلى حتى يعيش بكمال الحرية لانه لايمكن ابقاؤه فى كربلا حيث وجوده موجب لعدم استراحة الناس فيها

لنا وثيق الرجاء ان بعض الأشخاص فى كربلاء قد انتبهوا واحترزوا من بعض أعمالهم التى توجب عليهم المسؤولية وان حكومة بريطانيا ترغب فى اعطاء جميع الناس الرفاهية التامة لكنها لاتود أن يستعمل بعض الأشخاص هذه الحرية والرفاهية لأغراض تولد الاغتشاشات والتشويشات بين الناس . وقد قدمت هذه الرسالة بواسطة النواب محمد حسين خان المعروف بالخدمة لدينا وفى الحقيقة انه الرجل الوحيد الذى نعتمد عليه وقد زودته ببعض معلومات شفوية ليعرضها على حضرتكم والسلام

وفى يوم ٩ ربيع الأول سنة ١٣٣٨ أطلق سراح المنفيين من الكربلائيين فعادوا الى بلدهم

هذا الانتداب على عاتق بريطانيا تبعة حفظ الأمن فى الداخل وسلامة المملكة فى الخارج ويقضى عليها بوضع نظام أساسى تستشير العراقيين فى وضعه مع ملاحظة حقوق الطوائف المختلفة فى العراق ورغائبها ومنافعها ويحتوى على شروط من شأنها أن تسهل ترقية العراق وتقدمه وتجعله قادرا بعد زمن على أن يقف على ساقيه ويحكم نفسه بنفسه فتنتهى عندئذ مدة هذا الانتداب

وقد عهدت حكومة جلالة الملك الى السر برسى كوكس بتنفيذ هذا المشروع وسيعود الى بغداد فى الخريف ليتسلم زمام منصبه ويتقلد منصب الممثل الأعلى للحكومة البريطانية فى العراق فينقضى بتسلمه عهد الادارة العسكرية الحاضرة

وخول السر برسى كوكس الحق فى ايجاد هيئات وطنية وهى :

١ — مجلس شورى برئاسة رئيس عربى

٢ — مجلس مؤسسين ويمثل العراق كله وينتخب العراقيون أعضاءه بتمام الحرية ويعد القانون الأساسى بالاشتراك مع مجلس الشورى

وأرفق الحاكم العام هذا البيان ببيان آخر هذا نصه :

أشاع بعضهم اشاعات مؤداها ان الحكومة البريطانية على وشك سحب قواها العسكرية من العراق مما يفضى الى الاخلال بالأمن العام فأنا السر ارنولد تالبوت ولسن نائب الحاكم الملكى العام فى العراق أنشر لأجل افادة العموم أن الحكومة البريطانية من حيث هى مسؤولة عن السلم الداخلى والأمن الخارجى فى هذه البلاد لاتفكر فى سحب قواها العسكرية بعضها أو كلها ولا يزال لديها قوى من جميع الأسلحة تكفى لحفظ النظام الداخلى والأمن الخارجى كفاية تامة . ولا أحجم عن أن أطلب من السلطات العسكرية المساعدة اللازمة عند الحاجة

وأرسل مندوبو بغداد يوم ٣٠ يونيو كتابا الى الحاكم العام العسكرى طلبوا فيه الاسراع بعقد مجلس المؤسسين وقالوا انهم لايرون موجبا لتأخير دعوته الى الخريف فأذاع الحاكم يوم ٩ يوليو البلاغ الآتى :

أعلنت بمنشور صادر يوم ١٧ يوليو سنة ١٩٢٠ موافقة حكومة جلالة الملك على انشاء مؤتمر عام ينتخبه أهالى العراق وحيث انه لابد من وضع قانون للانتخاب ينتخب

بموجبه الأعضاء فقد فوضت حكومة جلالة الملك الحاكم الملكي العام أن يدعو ممثلي الرأى العام فى جميع المقاطعات ليبحثوا بالاشتراك مع الهيئات الادارية فى الطريقة التى يجب اتباعها فى انتخاب أعضاء هذا المجلس الذى سيعقد قريبا وفى اعداد الوسائل الضرورية للانتخاب واعداد سجلات بأسماء الذين يحق لهم الاشتراك فى الانتخاب وحيث ان فى العراق أفرادا مثلوه فى مجلس الأعيان والنواب العثمانيين ولهم سابق خبرة فى شؤون الانتخابات والمصالح العامة فقد دعا الحاكم العام هؤلاء الى الاجتماع فى بغداد فى زمن غير بعيد فتتألف منهم لجنة تشترك مع الحكومة الملكية فى وضع المشروعات الانتخابية

وينتخب أعضاء اللجنة المذكورة أحدهم للرئاسة عليهم ويدعون آخرين من المقاطعات التى توفى نوابها أو لم يحضر نواب عنها

ورد مندوبو الشعب على الحاكم العام يوم ١٢ يوليو بالكتاب الآتى :

لايخفى على حضرتكم أننا طلبنا فى كتابنا المؤرخ ٣٠ يونيو سنة ١٩٢٠ من جناب الحاكم العسكرى والسياسى لبغداد الاسراع بعقد المؤتمر العراقى العام وذلك جوابا على المنشور المؤرخ ١٧ يونيو والقاضى بعقد المؤتمر المذكور فى الخريف ولم نتلق حتى الآن جوابا على كتابنا المذكور . ولما كانت جريدة العراق الصادرة يوم ١٢ يوليو نشرت منشورا من سعادتكم وردت صورته الى بعضنا مع مذكرتكم الخصوصية (وهنا أوردوا خلاصة المنشور) ولما كان هذا المنشور يدل على أن حكومة بريطانيا استحسنت اقتراحنا الخاص بالتعجيل بعقد المؤتمر فاستحقت بذلك الشكر والامتنان واستوجب اطمئنان الأفكار رأينا أن من الواجب عرض الاقتراحات الآتية طبقا لرغائب الأهلين وهى :

لايخفى على حضرتكم أن الحقوق الدولية والأساسية تقضيان بتنفيذ قوانين الدولة التى انفصلت عنها البلاد حربا الى أن يبت فى مصيرها نهائيا فعلى هذا يجب أن تكون أحكام القوانين العثمانية نافذة فى هذه البلاد الى ذلك الوقت لذلك نرى أن الأفضل أن تستند المشروعات كلها الى مستند قانونى لتنطبق على أساس قويم وعملا بهذا المبدأ يمكن الأخذ بقانون انتخاب أعضاء المجالس العمومية فى تأسيس لجنة تحضيرية يكون رئيسها منها كما ورد فى المنشور المذكور لتقوم بالمشروعات المدرجة فيه وأن ينفذ ماهو ملائم من أحكام قانون مجلس النواب العثمانى فى تأليف المؤتمر العراقى ليكون الأمر موافقا لرغائب

الأهلين ومطابقا لقرار الدولتين الفخمتين فرنسا وانكلترا اللتين أعلنتا فيما سبق أنه لايخطر في بالهما ارغام سكان البلاد السورية والعراقية على قبول نظامات وقوانين معينة فرجاؤنا أن يصادف طلبنا هذا قبولا من حضرتكم وهذا مانعرضه عليكم بالنيابة عن مندوبي بغداد والكاظمية واقبلوا منا فائق الاحترام

يوسف السويدي　　　　السيد محمد صدر الدين

وتألفت اللجنة الانتخابية من ١٩ عضوا هم شيوخ البلاد العراقية ونوابها في العهد العثماني واجتمعت رسميا يوم ٦ أغسطس فافتتح الحاكم العام اجتماعها بخطبة قال فيها :

«لقد دعيت هذه اللجنة لتساعد في سن قانون الانتخاب لتجرى بمقتضاه انتخابات المؤتمر العام الذي تريد حكومة جلالة الملك عقده بأسرع مايمكن وعند سنوح الفرص المناسبة . ولا يخفى عليكم أن على هذا المؤتمر أن يسن قانونا أساسيا لهذه البلاد باستشارة الحكومة الملكية وأصرح الآن أن الترتيبات الانتخابية التي سترونها ستكون موقتة لها مقصد واحد وهو الانتخاب للمؤتمر العام الأول وعلى هذا المؤتمر أن يبت في شأن قانون الانتخاب الموقت وموافقته لاحتياجات القطر

«ومن المعلوم أن قانون الانتخاب العثماني لايمكن تطبيقه على الأحوال الحاضرة من دون تعديل لان فيه مواد لا توافق الأحوال الحاضرة فهو مثلا يشترط على المرشح للانتخاب أن يحسن اللغة التركية . أما هذا المجلس فيمثل أكثر مناطق العراق وطوائفها وبما أن هنالك مناطق لم يحضر مندوبوها بسبب وفاة بعضهم وتغيب آخرين فعلى حضراتكم أن تقترحوا طرقا لانتخاب من يقوم مقامهم في هذه اللجنة التي تتوقع الحكومة الملكية أن تستمد منها كل معونة لافيما يختص بالغرض الذي دعيت لأجله بل في أمور مهمة أخرى يمكن حدوثها . وأغتنم الفرصة فأشكر لكم اجابتكم دعوتي لمساعدتي في هذا العمل واني واثق في أننا سننال بالتعاون المشترك أمنيتنا التي تتوخاها حكومة جلالة الملك وهذه الأمنية هي تأسيس حكومة وطنية في العراق »

وانتخب السيد طالب النقيب لرئاسة اللجنة بأكثرية الآراء وعقدت هذه اجتماعا آخر قررت فيه دعوة السيد محمد الصدر ويوسف السويدي وجعفر أبي التمن وعبد الرحمن باشا الحيدري الى الانضمام اليها فأبلغهم الحاكم الملكي القرار فاستقال الثلاثة وقبل الأخير

فساءت استقالتهم السلطة وقررت اعلان الادارة العرفيــة ومنع المظاهرات وتمزيق شمل المندوبين وفعــلا هاجت فجر ١٣ أغسطس منازل يوسف السويدى وجعفر أبى التمن والشيخ أحمد الشيخ داود وعلى البزركان فقبض على الثالث وأرسل الى البصرة حالا وسجن فيها أياما ثم نفى الى هنجام وقوبلت الشرطة بالنار حينما هاجمت منزل السويدى فاضطرت الى استقدام نجدات فتخلص وقصــد الى اليوسفية وكانت الثورة تضطرم فيهــا . وخرج الثانى والرابع متنــكرين من بغــداد ولحقا بالفرات ولجأ عارف حكمت مع بعض أعضاء جمعية الحرس الى كربلا وقبض على جلال بابان وعارف السويدى والســيد محمد مصطفى الخليــل من المندوبين وجعفر الشبيبى ونورى فتاح من رجال العهد والحرس وأرســلوا الى البصرة ومنها الى هنجام وأذاع قائد بغداد العسكرى يوم ١٣ منه البيان الآتى :

«اعتاد بعض المفسدين منذ شهر رمضان أن يحتفلوا بتلاوة قصة المولد فى ليالى الجمع ظاهرا لمقاصد دينيــة ولــكن فى الباطن لتهييج الأفــكار ضد الحــكومة ولبث روح الفساد ولــكى لايجد الناس مجالا لسوء الظن بأن السلطة المحتلة تريد الممانعة فى المذاكرة العلنية الحرة فقد اجتنبت حتى الآن التدخل فى الموضوع ولــكن المحركين أساءوا استعمال الحرية الممنوحة وضللوا العامة ضلالا مبينا فلهــذا وجب علينا أن نعلن منع اقامة هــذه الحفلات وكل اجتماع يعقد لأغراض سياســية يعرض القائمين به لأشد العقاب الا اذا كان مطابقا للقانون العثمانى فى هذا الموضوع وباذن من حاكم بغداد العسكرى والسياسى ولقد ألف مجلس عســكرى للنظر فى أمثال هذه الجرائم التى تقع ضد الأمن العام»

وفتش رجال الشرطة دار يوسف السويدى بعد الانتهاء من اطلاق الرصاص وبعد خروجه فعثروا على أوراق سياسية قبض بموجبها على عبد المجيد كنه وحوكم أمام محكمة عسكرية بتهمة الاشتراك فى تأليف عصابة مسلحة تسعى الى قتل كل مخالف لمبادئ حزبها فحكمت عليه بالاعدام شنقا ونفذ الحــكم فيه ليلة ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٢٠ وقبض على أخيه عبد الحميد ونفى الى جزيرة هنجام

١٠

اعلان الثورة

أين أطلقت الرصاصة الأولى

بينما كانت المناقشات دائرة فى بغداد على هذا المنوال بين مندوبيها والسلطة البريطانية كانت نيران الثورة تتأجج فى الفرات وكان القتال على أشده بين الثوار والانكليز.

بدأت الثورة فى الفرات يوم ٣٠ يونيو أى قبل أن يطارد الانكليز أحرار بغداد ويمنعوا عقد الاجتماعات السياسية بمدة ٤٤ يوما وقد عجل فى اضطرامها اعتقال نجل العلامة الشيرازى وصحبه الأحرار ونفيهم الى جزيرة هنجام على المنوال الذى بسطناه من قبل مما كان له أسوأ وقع فى نفوس العراقيين عامة والفراتيين خاصة فأرسلوا احتجاجات شديدة اللهجة الى الحكومة مطالبين باطلاق سراحهم فردت عليهم بانها اعتقلتهم لانهم عبثوا بالأمن وأن الضرورة تقضى بابقائهم فى خارج العراق فى الوقت الحاضر.

ودعا حاكم أبى صخير رؤساء الشامية الى مقابلته فامتنعوا وقالوا انه لما كانت الحكومة قد اعتدت على مقام أكبر زعيم دينى فى العراق فقبضت على نجله وتسعة من اخوانه ونفتهم الى هنجام كما نفت غيرهم من الأحرار فهم يخشون على أنفسهم اذا جاءوا لمقابلته.

وتتابعت الاجتماعات خلال هاتيك الأيام فى أبى صخير وعفك وقرر رجال القبائل اضرام الثورة وتداولت الأيدى نص كتاب أصدره أحد أنجال الامام الشيرازى يحض فيه على الجهاد.

وكان مكتب الثورة فى النجف وقد أسسه الشيخ محمد رضا الشبيبى والشيخ باقر الشبيبى والسيد سعيد كمال الدين وأخوه حسين كمال الدين والسيد علوان الياسرى والشيخ عبد الكريم الجزايرى والشيخ أحمد صافى وعبد الحميد زاهد يبث الدعوة للحركة الوطنية

وكان على صلة وثيقة برؤساء القبائل وكانوا يأتون النجف بحجة الزيارة فيجتمعون برجال المكتب فى داخل صحن الامام . وكان المكتب أيضا على صلة برجال بغداد ودمشق فلا يكاد يفوته شيء مما يحدث هنا وهنالك . وكان شديد الحذر في مراسلاته يتخذ أغرب الطرق لاخفاء رسائله ومناشيره وقد اتخذ له مقرا فى وسط المسجد العلوى « الصحن » فى مكتبة عبد الحميد الزاهد وكان يضع فى داخل جلود الكتب والمصاحف مناشيره و رسائله ومما يستحق الذكر أن المكتب وما كان يخفى عليه ماتعده السلطة من معدات فى الفرات وتتخذه من تدابير عسكرية شديدة أنشأ صلات مع بعض مسلمى الهنود المجندين فى الجيش البريطانى فكانوا يطلعونه على حركة الجيوش وتنقلاتها فيذيعها على الرؤساء والشيوخ ليأخذوا حذرهم

وأرسل المؤتمر العراقى فى دمشق العلم الذى اتخذه شعارا للدولة العراقية الجديدة مع بدوى ـ وكان البدو واسطة الاتصال فى تلك الأيام بين الشام والعراق ـ فكان أول علم دخل النجف فصنع المكتب نماذج منه سرا و وزعها على القبائل فى الفرات

ولما قبضت السلطة فى كربلاء على الميرزا محمد رضا الشيرازى واخوانه عقد المكتب اجتماعا فى جامع الهندى « النجف » للاحتجاج فاعتقلت السلطة على الأثر السيد سعيد والسيد حسين كمال الدين والسيد أحمد الصافى والسيد ضياء الخراسانى وعبد الحميد زاهد وفتشت بيوتهم و بيوت غيرهم فزاد ذلك فى استياء الناس فاستغل قادة الحركة الفرصة وطبعوا مناشير بالدعوة الى الثورة وزعت فى الشامية والشطرة والمشخاب والعمارة وخطب خطباء المساجد داعين علنا الى الانتقاض والثورة طلبا لحقوق بلادهم

وتدخل شيخ الشريعة الأصبهانى وكاتب الحاكم السياسى فى بغداد طالبا اطلاق سراح نجل الامام الشيرازى واخوانه و بقية المعتقلين الآخرين وتعهد بأن يبذل قصاراه فى سبيل تهدئة خواطر الناس اذا أجيب طلبه و بأن يستخدم نفوذه فى حفظ النظام بشرط أن تسرع الحكومة فى تحقيق أمانى الشعب واجابة مطالبه فأجابه الحاكم العام على كتابه بالبرقية الآتية يوم ٢٢ شوال بواسطة حاكم لواء النجف قال :

« أنا لاأقدر أن أتدخل مداخلة شيخ الشريعة بشأن المنفيين لان أكثرهم معروفون بالفساد وسوء الأخلاق على أنى قد أستطيع أن أتدخل بشأن اثنين أو ثلاثة منهم فليسمهم

بأسمائهم لألتمس من القائد العام اطلاق سراحهم وأعتقد أنه يقبل ذلك اذا كان جناب الشيخ يسعى لتوطيد الأمن فى الشامية لاعتقادى أنها لاتجرؤ على مخالفته وليعلم جنابه ان قبائل الرميثة مشغولة بقتالنا فعلا »

فساءت البرقيـة وما انطوت عليه من عبارات قاسية الشيخ فأرسل على الفور الى الحاكم البرقية الآتية :

«أخذنا برقيتكم المؤرخة ٢٢ شوال ونقول لكم اننا لم نشفع أبدا فى رجال معروفين بسوء الأخـلاق وانما شفعنا فى الأحرار الأبرياء الذين سجنوا وأبعدوا لغير ماجرم على أن الحكومة اذا كانت تعتبرهم جناة مجرمين فعليها أن تسلمهم الى القانون ليجرى حكمه فيهم وتكون آنئذ قد استراحت من شرهم وتخلصت من التهم والظنون السيئة . ثم ان الميرزا محمد رضا نجل آية الله الشيرازى بين المنفيين فهل تستطيع الحكومة أن تقول انه معروف بالفساد ولولا اهتمام والده بالسكينة العامة وبالنظام والأمن لرأينا الحالة على غير ماهى عليه الآن فان معالجة الحالة الحاضرة بالاصلاح أمر غير مقدور »

و بينما كان هذا يجرى فى بغداد وكربلاء والنجف أصدر الميجر رايلى حاكم الديوانية وقد امتاز بين الحكام السياسيين بشدة الوطأة والضغط ـ أمرا الى الليفتننت هيات حاكم الرميثة باعتقال الشيخ شعلان أبى الجون شيخ قبيلة الظوالم وهم بطن من بنى حجيم ـ ويرسله مخفورا الى الديوانية فدعا الشيخ الى مقابلته فجاء بعد ماقال لزميله الشيخ غثيث الحرجان قبل ذهابه انه غير آمن من كيد السلطة و بطشها وانه يجب الاستعداد لانقاذه اذا لزم الأمر وقال له اذا أرسلت اليك بطلب جنيهات فاعلم أن المطلوب هو رجال لاجنيهات

واستقبل اللفتننت هيات الشيخ شعلان حينما جاءه وذلك يوم الجمعة ١٣ شوال و ٣٠ يونيو استقبالا سيئا و وبخه وعنفه وأسمعه كلاما مرا وأبلغه أن الحكومة عازمة على نفيه فحذره هـذا من سوء العاقبة ونصحه وأشار عليه بالتريث خوف النتائج السيئة فلم يصغ اليه وأمر بوضعه فى السجن لارساله الى الديوانية فقال الشيخ لرجل جاء معه اذهب فبلغ الأهل أنى مسجون اليوم ومنفى غدا واننى فى حاجة الى عشرة جنيهات فليرسلوها حالا فأسرع عشرة من قومه فبلغوا الرميثة عند الأصيل وقصدوا دار الحاكم فقتلوا شرطيين وهجموا

على السجن [وأنقذوا شيخهم وعادوا به الى مقره فكانت تلك الرصاصات أول رصاصات أطلقت فى الثورة العراقية وكانت اعلانا لها

وأعلنت الثورة فى النجف يوم الاحد ٢ يوليو فقد تجمهر الناس حينما وردت الأخبار من الرميثة بوقوع ماوقع ، فى صحن المسجد العلوى ورفعوا العلم العربى وقاد كل شيخ قبيلته وأسرع الى الجهاد فى سبيل الله والوطن

فى ميدان الرميثة

وأرسل اللفتننت هيات فأبلغ حاكم الديوانية الحادث وقال له ان رجال الشرطة تخلوا عنه وولوا منهزمين وطلب ارسال نجدات فأرسل اليه ١٥٠ جنديا من الهنود بلغوا الرميثة يوم ٢ يوليو

وسار الميجر رايلى نفسه مساء ٣٠ يونيو على رأس قوة من الفرسان مسلحة بالرشاشات الى منازل قبيلة بنى الأقرع وكان شيخها الحاج سعدون الرسن فى الرميثة - وتبعد عنها نحو خمسة عشر كيلو مترا فبلغها فجر يوم أول يوليو فهاجمها وأحرق مضافة الشيخ فأهاج ذلك رجاله فانبروا لمقاومة المهاجمين وأصلوهم نيرانا حامية فارتدوا الى الديوانية خاسرين

وخرب الثوار عدة أماكن من سكة الحديد جنوبى الرميثة يوم أول يوليو وهاجموا قطارا للاستطلاع وصل فى تلك الأثناء من البصرة فى طريقه الى بغداد يخفره جنود من الهنود ويقوده الميجر كرناندر وأطلقوا عليه رصاصهم فنجا بصعوبة وعاد الى البصرة لانه أدرك صعوبة بلوغ بغداد

وسير حاكم الحلة يوم ٢ منه قوة كبيرة الى الرميثة بقيادة الكبتن براك تتألف من ٤ ضباط انكليز و ٣٠٨ من الجنود معهم ١٥٨ عاملا من عمال سكة الحديد بقيادة ضابطين انكليزيين و ٦٠ هنديا لاصلاح السكة وانشاء جسر على الفرات لعبوره بدلا من الجسر الذى خربه الثوار ، فبلغت الرميثة يوم ٣ منه بعد مقاومات شديدة وكان الثوار يزعجونها برصاصهم وقد فتكوا ببعض رجالها . وأسرع قائد الحلة حينما بلغ الرميثة فتولى القيادة واحتل خندقين من خنادق الثوار فحفروا خنادق غيرها وضربوا الحصار عليها

وما كانت حاميتها تملك سوى مؤنة يومين ولذلك بدأ ضباطها يحسبون حساب المستقبل ويخشون سوء المصير

وسيرت الحلة قوة فى الغداة الى قرية البوحسن لانجاد قائدها اللفتننت ماريوث وانقاذه من الثوار ورافقها حاكم الرميثة بالذات وقال لقائدها ان عليه يحرق تلك القرية قبل العودة الى المعسكر ولا يتقيد بأوامر القيادة ففعل ماأشار به فهاج ذلك العرب فهاجوا القوة وقتلوا منها ٤٣ جنديا وجرحوا ضابطا بريطانيا وآخر هنديا و١٣ جنديا

وحمل العرب على الخنادق التى تحصنت فيها الحامية حول الرميثة فقتلوا ٦ من الجنود وجرحوا ١٤ فارتدت الى الداخل وتحصنت فى دار الحكومة وخسرت جنديين أثناء انسحابها

ولما اشتدت المجاعة عليها هجمت على الأسواق فنهبت من الأرزاق مايكفيها بضعة أيام وحفرت الآبار للاستقاء لصعوبة ورود الفرات . وطارت الطيارات البريطانية فوق الرميثة وألقت ثلاثة صناديق من العتاد وسقط صندوقان آخران فى محل بعيد استطاعت بلوغه ونقلهما بصعوبة واشتدت المجاعة حينما طال الحصار فهاجت الحامية الأسواق ثانية وجمعت كمية من الطعام بعد ماقتلت عشرين من الأهالى

وفى مساء ٦ منه غادر الديوانية قطار خاص مشحون بالطعام والعتاد والماء لحامية الرميثة بقيادة اللفتننت كولونيل مكين فوصل بعد عناء الى مكان يبعد ستة أميال عن الرميثة فتوقف وشرع فى اعادة المركبات الى الخط فظهرت أمامه يوم ٧ منه قوة كبيرة للثوار وفاجأته باطلاق النار فثبت وحاول التقدم وهبت قبل الظهر عاصفة اغتنم فرصتها وتقدم مسافة ميل من دون أن يشعروا به . ثم لحقوا به وطاردوه فاتجه شمالا وبلغ صباح ٨ منه الامام حمزة وهو يبعد عن الرميثة ١٨ ميلا وخسر فى تلك المعارك ضابطا بريطانيا و٤٧ جنديا من الجنود وجرح ضابط و٢٦٦ جنديا .

وغارت حامية الرميثة غارة ثالثة على السوق فأخذت مايكفيها حتى يوم ٢٢ يوليو وأيدتها فى غارتها تسع طيارات جاءت لهذه الغاية ، وعلى أثر هذه الحوادث جهزت السلطة العسكرية قوة كبيرة بقيادة الجنرال كوننغام احتشدت يوم ١٦ منه على مسافة ١٦ ميل من الرميثة ومعها قطار مشحون بالماء والعتاد والميرة

وبذلت مساع للافراج عن الحاميـة فلم تقترن بنتيجة فبدأ الجنرال كوننغام العمل ولما بلغ المكان الذى فشلت فيه قوة مكين قابله الثوار بنيران حامية وكانوا قد تحصنوا فى خنادق حفروها فى ترعةجافة ، وكان عددهم لايقل عن خمسة آلاف ـ فقابلهم بالمثل وبدأت المعركة فى الساعة الواحـدة بعد ظهر يوم ١٩ منه ودام القتال حتى المساء فلم توفق قواته ، وكانت مؤلفة من ثلاثة أفواج مشاة وفوج مدفعية مؤلف من فصيلة مدافع ميدان وحظيرة رشاشات الى زحزحة الثوار عن أماكنهم رغم استبسال المدفعيين وكفت الحلة عن اطلاق النار عند المساء فأغرى ذلك الثوار بها فحملوا حملة صادقة على أحد الأفواج فصمد لهم . وطلب قائد الحلة من الديوانية ماء وعتادا وأدوات صحية فأرسلت اليه بقطار خاص وصل صباح ٢٠ وتقدمت الحلة فى الصباح وعبرت الفرات الى الضفة اليسرى وحفرت خنادق بلا مقاومة لان الثوار جلوا ليلا و بلغت الرميثة عنـد الظهر وأنقذت حاميتها و بلغت خسارتها ٣ ضباط بريطانيين و ٣٢٣ جنديا قتلى وضابطين جريحين و ١٥٠ جنديا جريحا و بلغت خسارة قوة الرميثة ١٤٨ قتيلا وجريحا فى زمن الحصار

وفى صباح ٢١ منه تحركت الحلة من الرميثة عائدة الى الحلة مع الحامية القديمة لان القيادة الانـكليزية شعرت بعجزها عن الاحتفاظ بقوة هنالك فلحق بها الثوار واغتنموا فرصـة زو بعـة رملية هبت يوم ٢٢ منه ففتـكوا بساقتها وألحقوا بها خسارة كبيرة وفى يوم ٢٣ منه وصلت الى الديوانية

٢ ـ فى ميدانه الشامية

لما نشبت الثورة فى الرميثة ووقع ماوقع خرج الميجر نور برى حاكم النجف والشامية الى منازل الشيخ مجبل أحد رؤساء قبيلة الفتلة قرب الجيدية وطلب اليه أن يساعده فى حمل الزعماء على زيارة النجف أو الكوفة للمداولة معهم فأجابه انهم شديدو النقمة على الحكومة وتصرفاتها وانهم لايأتون وأخـيرا تم الاتفاق على الاجتماع فى منزل الشيخ يوم ٧ يوليو ووفد الرؤساء فى الوقت المعين وفى مقدمتهم السيد علوان الياسرى والشيخ عبد الواحـد فنزلوا فى ضيافة الشيخ وقبل وصول الحاكم جاء من أنبأهم أنه (الحاكم) أرسل قوة صغيرة للقبض عليهم وأنه غير آت . ولما كانوا قد اتخـذوا عدتهم وجاءوا بالقوى الـكافية

من الرجال فلم يعبأوا بالرواية و بعد برهة وصل الكبتن مان الحاكم السياسى للحميدية لمقابلتهم فلما ألفاهم مسلحين قال لهم أتظنون أنكم قادرون على مقاومة الحكومة البريطانية وان بنادقكم هذه تقيكم غضبها فأجابوه ان العراق غير الهند وانه مادامت البنادق على العواتق فهم قادرون على كل شىء . ثم أبلغهم أنه طرأت طوارىء منعت الميجرنوربرى عن الحضور وأنه جاء للمداولة باسمه فليبسطوا له مطالبهم فأجابوه انهم مستعدون للاتفاق مع الحكومة والتفاهم معها اذا أجابت المطالب الآتية :

١ ـ منح العراق الاستقلال التام

٢ ـ ايقاف رحى القتال فى الرميثة

٣ ـ جلاء الحكام السياسيين والقوات الانكليزية عن جميع مراكز الثورة فى الفرات واحتشادهم فى بغداد على أن تدور هنالك المفاوضات بين زعماء الأمة العراقية و رجال الحكومة المحتلة لتقرير العلاقات السياسية بين البلادين وتحديدها

٤ ـ اطلاق سراح المعتقلين السياسيين وفى مقدمتهم نجل العلامة الشيرازى

فقطع المفاوضات على الأثر لعدم امكان قبول هذه الشروط وعاد الى مقره وتفرقوا فى بلادهم وفى يوم ١١ منه أعلنت الثورة فى الشامية وزحفت قوة يوم ١٣ منه بقيادة السيد علوان الياسرى والشيخ عبد الواحد لاحتلال « أبو صخير » مركز قضاء الشامية واشترك معهم السيد هادى زوين برجاله فتحصنت الحامية الانكليزية فى دار الحكومة وأرسلت السلطة باخرة نهرية لانجادها فرست أمام الدار للدفاع عنها وليظل طريق الحامية الى الماء مفتوحا فلم يغن ذلك عنها فتيلا فقد دخل الثوار البلدة ووجهوا نيرانهم الى الباخرة من مسافة قصيرة فهربت وضربوا نطاقا حول دار الحكومة وتركوا القوات الكافية للحصار وتقدموا نحو الكوفة للاشتراك فى المعارك الدائرة حولها

اول هدنة بين الثوار والسلطة

وقصد السيد علوان والشيخ عبد الواحد الحيدية لاخراج الكبتن مان حاكمها وكان يملك مقدارا كبيرا من المال يستطيع بواسطته عرقلة حركة الثوار ، فذهب شيوخ قبائل الحيدية اليه وطلبوا منه أن يسافر الى الكوفة خوفا على حياته لانهم لايستطيعون حمايته فأجاب طلبهم وقصد الكوفة بحماية الشيخ سلمان العبطان رئيس قبيلة الخزاعل والحاج رايح آل عطية أحد مشايخ قبيلة الحيدات و بلغها سالما . واغتنم الميجر نوربرى فرصة وصولهما فدعاهما الى التوسط عند الشيوخ لايقاف حركة القتال فقابلا السيد علوان وصاحبه وعرضا عليهما اقتراح الحاكم فوافقا بشرط أن يحضر الاجتماع مندوبو النجف والشامية فوافق على ذلك وأرسل سيارتين الى النجف جاءتا بالشيخ جواد الجواهرى والشيخ عبد الكريم الجزايرى و بقية المندوبين الى الكوفة فعقد الاجتماع فى بستان مجاور وعرض الشيوخ المطالب التى عرضت فى الشامية و بعد مناقشة طويلة تم الاتفاق على عقد هدنة لمدة أربعة أيام يسافر فى خلالها الحاكم الى بغداد بالطيارة لابلاغ مطالب الثوار للحكومة . و وافق الثوار على اخراج حامية أبو صخير وايصالها سالمة الى الكوفة مقابل تعهد الحكومة بالامتناع عن القيام بأية حركة فى خلال هذه المدة و بعدم ارسال نجدات عسكرية و بعدم الاتيان بأى عمل عسكرى وان أى حركة تتحركها الحكومة خلافا لهذه الشروط تؤدى الى نقض الهدنة ووفى القادة بما عاهدوا عليه فأخرجوا حامية أبى صخير وجاءوا بها الى الكوفة ورابطوا على مقربة من هذه المدينة

وحدث فى إبان الهدنة أن مرت سفن نهرية تحمل ميرة وعتادا الى حامية الكوفة بمنازل قبيلة بنى حسن (وتنزل بين الكوفة والكفل) فهاجمتها وقتلت من فيها ونهبتها فانتقضت بذلك الهدنة واستؤنف القتال

٣ — معركة الرستمية

وعقد الزعماء اجتماعا على الفور لتقرير الخطة الجديدة التى يتبعونها فتم الاتفاق على أن تتولى قبيلة بنى حسن حصار الكوفة وتعمل قبائل الشامية فى ميدان الكفل والحلة ونفذ ذلك فورا فتحرك السيد علوان والشيخ عبد الواحد و بقيادتهما القبائل الى الكفل واحتلوها يوم ٢٢ يوليو وفر الموظفون

وسيرت القيادة الانكليزية قوة من الحلة الى الكفل للاستطلاع بقيادة الكولونيل كار دكاسل تتألف من الفوج الثانى من آلاى مانشستر وسريتين من كتيبة سند ٣٥ وسرية من فوج سيخ ٣٢١ الفنى والبطارية ٣٩ فواصلت تقدمها وعسكرت عند قناة الرستمية بقرب الكفل مساء ٢٤ منه وبدأت بحفر خنادق فبلغ ذلك الثوار فى الكفل فتحرك نحو ثلاثة آلاف لمهاجمة الحلة وبادرتهم البطارية باطلاق النار فتقدموا حتى صاروا على مسافة ١٥٠ يردة منها وباشروا باطلاق النار عليها فصدر اليها الأمر بعد قليل بالاستعداد للانسحاب فى خلال ساعة لأن قائدها خاف أن يهاجم الثوار الحلة نفسها ووقع ذعر واضطراب فى ساقتها فقتل بعضهم وأسر آخرون كما هاجمها من الأمام ثوار آخرون واردوا من أماكن قريبة فوقعت بين نارين بيد أنها استطاعت أن تشق طريقا لها فوصلت الحلة بعد عناء وفقدت كما جاء فى بلاغ انكليزى ٣١٨ جنديا أسر منهم العرب ١٦٠ منهم ٧٩ انكليزيا و ٨١ هنديا و ٢٠ قتيلا ويقول الثوار ان عدد الذين سلموا منها كان قليلا وانهم غنموا منها ٤٠ رشاشا وسقط مدفع من مدافعها فى القناة ليلا فاغتنمه الثوار مع كثير من القنابل . ويسمون هذه المعركة أيضا معركة الرارنجية

واقترب الثوار من الحلة على أثر هذا الانتصار فعسكروا فى الطهمازية قربها فاتخذت السلطة تدابير شديدة للدفاع عنها وحصنت محيطها ويمتد الى ستة أميال ويشمل البلدة ومحطة سكة الحديد ورصيف النهر والمطار كما قيدت حركات سكانها

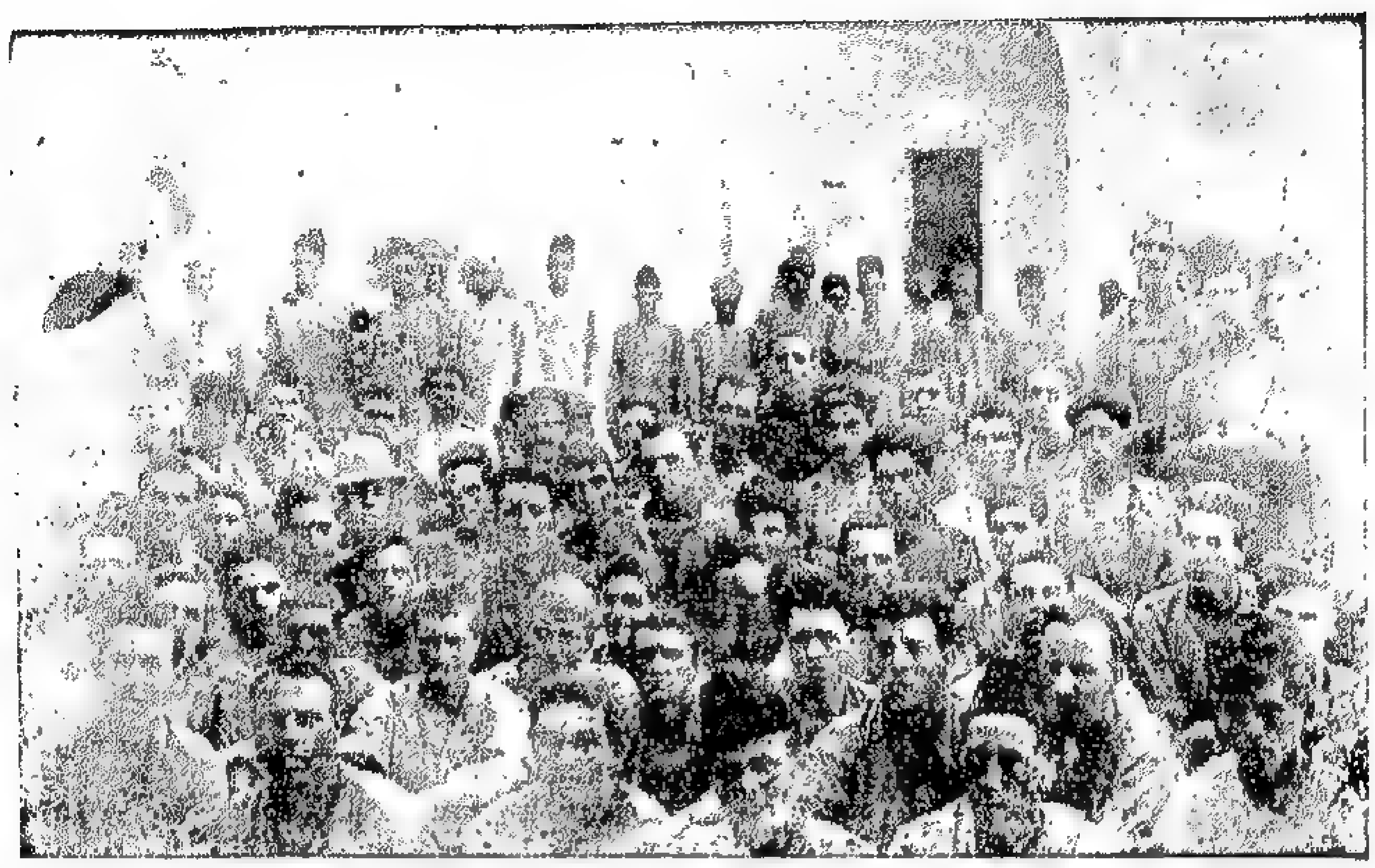
وحمل الثوار ليلة ٢٨ يوليو حملة استطلاع على الحلة فردتهم الحامية ثم حملوا حملة صادقة يوم أول أغسطس فقاومهم الجند مقاومة شديدة طبقا لتعليمات القائد العام وتقضى بعدم التنازل عنها بأى شكل كان، بيد أنهم شقوا طريقا لهم فى الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر ونقدموا من ناحية الجنوب ولم يكن هنالك سوى قوة صغيرة من الجنود ورجال الدرك المحلى وقد أبى هؤلاء أن يقاتلوا أبناء جلدتهم فتركوا المخفر وانسحبوا ودخل الثوار المدينة فدار القتال فى الشوارع ووصلت فى تلك الساعة نجدة للانكليز بقيادة الكولونيل (ابطر) اشتركت فى المعركة وحملت الثوار على الخروج من البلدة ولجأ بعض الذين كانوا فى الشوارع الداخلية الى بيوت السكان فآووهم فى منازلهم واستخدموا الحيل فى اخراجهم ولم يفقد منهم سوى واحد وأحرقت الحكومة بعض البيوت القريبة من السور

٤ — في عفك والدغارة

حمل الميجر رايلي حاكم لواء الديوانية بقوة صغيرة يوم ٢٥ يوليو على بني الاقرع وحرق منزل شيخهم سعدون الرسن فقابلوه بالرصاص وظلوا يطاردونه حتى أبواب الديوانية . ولما أطلق سراح الشيخ قصد الرميثة فتبين صحة الخبر القائل باعلان الثورة فعاد الى منازله وأمر رجاله بمهاجمة مخفر الدغارة و بما أن رجال المخفر من قبيلته انضموا اليه وسلموه المخفر . وفر حاكم الدغارة الى الديوانية . وانضم رجال قبيلة البوسلطان الى الثورة وهاجموا قطارا برح محطة الديوانية يوم ٢٠ منه فأخرجوه عن الخط وعطلوه وسعت مصلحة سكة الحديد لانقاذه فلم توفق .

٥ — الجلاء عن الديوانية

واستدعى الميجر رايلي حاكم الديوانية الشيخ شعلان آل عطية يوم ٢٨ منه وكان قد اعتقله في ابتداء الحوادث لما يعرفه من صلته بالثوار وقال له انه يطلق سراحه اذا تعهد بالمحافظة على الجنود أثناء الانسحاب فلا يقع اعتداء عليهم حتى يجتازوا آخر حدود موطن بني الأقرع — والشيخ من رؤسائهم — واشترط عليه أن يسلم أحد أولاده رهينة فقبل ذلك فأطلق سراحه . ولما أبلغ قومه ماتم بينه و بين الحاكم لم يجيزوه وتمت الاهبة للانسحاب فغادر الجنرال كوننغام يوم ٣٠ منه الديوانية بقواته بعد ماسلح بعض عربات القطار لحماية الساقة فهاجمه الثوار فأصلاهم نارا حامية وفتك بهم وواصل سيره وهم يتعقبونه حتى بلغ جسر خان جدول فعسكر فيه لقضاء ليلته واستأنف السير في الغداة فعلم حينما بلغ ابن على أن الثوار خربوا ٣٥٠ يردة من سكة الحديد وعطلوا جسر السكة بقربه فاستمر في طريقه ولم يتسن له يوم أول أغسطس أن يسير أكثر من خمسة أميال بسبب كثرة التخريب على سكة الحديد . واشتبك مع الثوار بمعركة شديدة حينما بلغ نهر الابخر قرب محطة قوجان ، استمرت ثلاث ساعات وأسفرت عن خسارة الثوار نحو ١٠٠ قتيل وخسرت الحملة أكثر من ذلك واشتركت قبائل الجبور بقيادة الزعيمين قوجان ودوهان وعشائر الدغارة بقيادة سعدون الرسن وقبائل عفك بقيادة الزعيمين الحاج مهدي فاضل وشقيقه الحاج صلال الموح في هذه المعركة



الاسرى البريطانيون الذين وقعوا بيد الثوار العراقيين



الملك فيصل مع فريق من رجال الثورة العراقية بعد وصوله الى العراق

و بلغت القوة البريطانية محطة قوجان بعد ظهر الاربعاء ٣ منه فاستقت وملأت مستودعات الماء وواصلت سيرها بحراسة قوة يقودها الكولونيل مكفين ومعه قطار الترميم ، وكانت مهمة هذا القطار ترميم السكة حتى نهر الجربوعية

واستأنفت الحملة سيرها يوم ٤ منه فعرقل حركتها خروج العربات عن الخط واغتنمت الفرصة فضربت بعض القرى التى انضم أهلها الى الثوار ، وكانت طول سفرها عرضة لهجومهم . ثم اشتبكت يوم ٥ منه فى أراضى الهاشمية بمعركة شديدة معهم وظلت تقاتل وتتقدم حتى دخل قسم منها الحلة بعد ظهر ٩ منه ودخل القسم الآخر يوم ١٠ وقد استغرقت رحلتها من الديوانية الى الحلة ١١ يوما وكان معدل سيرها خمسة أميال ونصف ميل كل يوم

٦ — فى السماوة

لم يكن للانكليز حين نشوب الثورة قوات كافية فى الفرات الأدنى (منطقة المنتفك والناصرية) فأرسلوا يوم ٣ يوليو باخرتين تحملان القوات الى السماوة استعدادا للنضال كما قصدها فى اليوم نفسه الميجرماى على رأس قوة صغيرة وسافر اليها قطار مدرع للدفاع عنها كما ذهبت قوة الى مخفر محطة الخضر (منطقة السماوة) للمرابطة فيها . وتأخرت الأعمال العسكرية فى هذه المنطقة نحو أربعين يوما لاشتراك قبيلة البوجحيم فى معارك الرميثة والديوانية فلما انتهت عادوا الى منازلهم فاستراحوا مدة قصيرة ثم شرعوا فى العمل فهاجموا سكة الحديد فى مواضع مختلفة قرب محطة الخضر وضربوا الحصار عليها وقد استمر مدة قصيرة . واتخذت السلطة تدابير شديدة لحماية السكة بين الناصرية والسماوة فأرصدت قطارين مدرعين ناطت بكل واحد حماية جانب منها . وهاجم الثوار يوم ١٢ أغسطس محطة الخضر فتبادلوا وحاميتها النار واشتركت الباخرة كرين افلاى وكانت جالسة على الطين فى النهر باطلاق النار على الثوار كما اشترك القطار المدرع المكلف بحماية السكة بين الخضر والسماوة فى المعركة فهجم عليه الثوار وتعلقوا بمركباته فعاد على الفور الى السماوة خوف الوقوع فى أيديهم وعلى أثر ذلك صدر الامر الى حامية الخضر بالجلاء

جلت تحت حماية القطارين المدرعين وقد ضايقهما الثوار وأخرجوا بعض المركبات عن الخط

وعبأ الانكليز قواتهم فى السماوة تعبئة فنية فحشدوا جانبا من الحامية فى المحطة وآخر فى جسر البربوتى وثالثا فى معسكر الميرة ورابعا فى مقر القيادة . وتولى القيادة الجنرال نبى وتلقى أمرا بالدفاع عنها وعدم الجلاء بأى طريقة كانت . وحاول الانكليز عبثا انقاذ الباخرة كرين افلاى الجالسة على الطين وكان الثوار يضايقونها برصاصهم ويفتكون برجالها الواحد بعد الآخر وكانت الطيارات تحمل اليها أكياس الدقيق من آونة الى أخرى وقد قنص رجال الثوار طائرة فهوت وتحطمت وقتل قائدها . ولما اشتد الجوع ببحارة الباخرة أطلقوا فيها النار . وطرأ عطل على محرك الباخرة رقم — ٩ فى أثناء سيرها من الناصرية الى السماوة يوم ٢٥ منه فرست على الشاطئ لاصلاحه فهاجمها الثوار فدافعت حاميتها وقتل بعضهم وسلم الذين أسرعوا فى الهرب فعادوا الى الناصرية

واستقر قرار ولاة الامور العسكريين على الجلاء عن السماوة لصعوبة المواصلات برا ونهرا فجلوا عنها يوم ٣ سبتمبر بدون عناء يذكر وغادرتها حاميتها بحماية القطار المدرع رقم ١ وتعطلت القاطرة قرب السماوة فوقف القطار فهاجمه الثوار وقتلوا الكبتن رسل والكبتن فيجي من ضباطه واستمر اطلاق النار متواصلا بينه و بينهم مدة ثلاثة أيام وصعدوا الى مركباته بعد نضال استبسل فيه الفريقان ولم ينج من حاميته سوى القليل

٧ — فى الكوفة

جلا البريطانيون من ابتداء الثورة عن النجف وكربلاء وحشدوا قواهم الكبرى فى الكوفة على الفرات وجاءوا بالبارجة فاير افلاى وهى مجهزة بمدفعين واثنى عشر رشاشا فوضعوها أمامها للدفاع عنها كما ادخروا كمية كبيرة من الميرة استعدادا للنضال . ولما كان بقاء هذا المعقل سليما فى وسط منطقة الثورة لايخلو من أخطار فقد اتجهت النية فى أواسط شهر أغسطس الى مهاجمته ومضايقة حاميته لحملها على التسليم ونقل الثوار على الأثر المدفع الذى غنموه فى معركة الرستمية بعد ما أصلحوه واستعملوه بمهارة فى مقاومة البارجة

فابر افلاى وصبوا منه قنا بل عليها فاتقدت فيها النار واحترقت فغادرها رجالها ولجاوا الى المعقل ، فأطلق عليه الثوار نار مدفعهم الوحيد وشددوا الحملة فقابلتهم الحامية بنيران مدافعها فأتلفت مدفعهم فلم يفت ذلك فى عضدهم بل انصرفوا الى حفر نفق يتصل باستحكاماتها الشمالية وحشوه بالبارود لنسفها فلم ينفجر وظلت الحامية ثابتة حتى نهاية الثورة

٨ — فى اعالى الفرات

دعا الكولونيل لنجمان حاكم لواء الدليم السياسى ومن أكثر الضباط الانكليز معرفة بشؤون العراق الشيخ ضارى المحمود رئيس قبيلة الزوبع الى مقابلته يوم ١٢ أغسطس فى خان المنطقة الواقع بين بغداد والفلوجة ويبعد عن الأولى ٣٠ كيلو مترا فقط فجاء الشيخ فى الموعد المضروب ومعه نجله خميس وبعض أتباعه ثم وصل الكولونيل بسيارته ومعه خادمه فاستقبله الشيخ ودخلا معا الى الخان وكانت فيه قوة من الدرك ، وبينما هما يتحادثان جاء جماعة الى ضابط نقطة الخان وأبلغوه أن عصابة من اللصوص هاجمتهم فأمره الكولونيل بأن يسرع فى مطاردتها مع عشرة من رجاله وبضعة من رجال الشيخ فصدع بالأمر وأثار هذا الحادث ثائره فأخذ يؤنب الشيخ ويلقى عليه تبعة الاخلال بالأمن فاستاء هذا واستأذن فى الخروج فخرج ثم عاد ومعه نجله وآخر من قبيلته فدخلوا على الكولونيل وبادره الثانى باطلاق خمس رصاصات فسقط صريعا وأجهز عليه الشيخ بسيفه ثم غادر النقطة وأعلن الثورة فانقطعت بذلك المواصلات بين بغداد والفلوجة وتحرج موقف القوات الانكليزية فى الرمادى ولم يهدئ روعها سوى زيارة الشيخ على سليمان فقد أبلغ قوادها أنه لاخطر عليهم وقد بر بعهده فقدرت السلطة عمله وخصصت له راتبا ضخما

وغادرت الرمادى يوم ١٥ أغسطس ثلاث بواخر تحمل مؤنة وعتادا الى حامية الفلوجة وباخرة صحية تحميها باخرة مسلحة وما كادت تبتعد خمسة أميال عن الرمادى حتى فاجأها الثوار بنيرانهم فلم تجبهم وواصلت سيرها حتى باتت على خمسة أميال من الفلوجة فجلست باخرتان منها على الطين لانخفاض الماء وأطلق الثوار الرصاص على الباخرتين الأخريين فأصابوا قائديهما فجرتا مع الماء ثم جلستا على الطين . وواصلت الباخرة المسلحة اطلاق النار حتى نفد عتادها فهجم عليها نحو ٥٠٠ من الثوار وأضرموا فيها النار ونهبوا

ما على الجيش إلا أن يخلي لهم بعض المناطق [illegible] بأن يقتل في الغداة الملفتننت

كولونيل لجمن [illegible] قبائل العرب وعادت من

[illegible] بمعركة .

٦ — في ديالى

لما شبت الثورة في الفرات واتسع نطاقها وخيف أن تشمل الأجزاء الأخرى بدأ
حكام المناطق باتخاذ تدابير [illegible] الميجر
هايس حاكم لواء ديالى [illegible] في
بعقوبة [illegible] رؤساء العشائر [illegible] وطلب إليهم
المحافظة على الأمن [illegible] الشيخ حبيب الخيزران [illegible] لما يعرف من
ميوله الوطنية [illegible] من زعماء الثورة [illegible]
وغادر الميجر هايس بعقوبة بعد أيام إلى بغداد للاستشفاء من مرض أصابه [illegible]
الكابتن لويد حاكم دلتاوة [illegible] الشيخ حبيب [illegible] بالسفر إلى بغداد لقضاء
أيام [illegible] أن يعود [illegible] وقضى فيها أياما [illegible]
[illegible] أن يلتحق [illegible]
[illegible] العشائر المجاورة [illegible] على الانضمام إلى الثوار، وعلى أن يقوم بعضهم بأسر
بعضهم وعلى أن [illegible] على [illegible] إلى [illegible] كل
تعطيل سكة الحديد بين بغداد وخانقين [illegible] على [illegible] الإيرانية [illegible] القوات
الإنكليزية التي [illegible] الثوار [illegible] في الغداة
[illegible] بعقوبة فاحتلها وغادرها الحاكم [illegible] الثوار [illegible] محمود
[illegible] الكابتن لويد حاكم دلتاوة والميجر [illegible] من موظفي الري [illegible] الإنكليز في
[illegible] الشيخ [illegible] إلى القرية [illegible] تسلم
[illegible] والكابتن [illegible] الحاكم السياسي في شهربان [illegible] أهل
[illegible] الثوار الذين [illegible] في الخيزران [illegible] ثلاثة أيام [illegible]

المخفر بأيديهم يوم ١٥ أغسطس فقتل وقتل [illegible] المخفر والمستر بوكننن والسارجن ميجر نيوتن عدا رجال المخفر الآخرين [illegible] روز مقراً للاسرى الذين سقطوا فى أيديهم من رجال الحكومة ولم يغفل الثوار تعطيل سكة الحديد وهى الغاية من الثورة فبدأوا يوم ٨ أغسطس بتخريبها فانقطعت المواصلات بين العراق وايران

ولما وصلت هذه الأخبار الى بغداد سيرت القيادة العليا يوم ١٠ أغسطس قوة كبيرة بقيادة الجنرال ينك لمهاجمة القرى العربيـة الواقعة شمالى بعقوبة وتأديبها فباغتها نحو ٣٠٠ ثائر أثناء سيرها فألقوا الرعب فى صفوفها على أنها مالبثت أن لمت شعثها وصمدت لهم وجاءتها نجـدة وهى تقاتل فارتد الثوار وانسحبوا وخلت القوة على القرى فلم تلق مقاومـة ثم عادت الى معسكرها عـلى نهر ديالى قبالة بعقوبة ومنها ارتدت الى بغداد بعد ماتركت قوة صغيرة لحماية جسر سكة الحديد ومحطة اللاسلكى القريبـة منه ثم عززت بنجدات جـديدة . وكان على مقربة منها معقل الاشوريين النازلين على ديالى فاستخدمتهم فى مقاومـة الثورة فقاتلوا العرب فأحاطوا بمعقلهم وحاصروه ثلاثة أيام قتلوا فى خلالها نحو ٤٠ من رجاله وسـيرت السلطة قطارا الى بعقوبة شحنته بالميرة والعتاد فنسفه الثوار على أربعة أميال من هذه فأسرع قائد المعقل الأشورى واسمه الكولونيل كتيف هاون مع رجاله الى محل الحادث وحال بين الثوار و بين الذخائر والبنادق ونقلها الى معقله فاطمأن الأشوريون وتسلحوا واستبسلوا فى الدفاع عن معقلهم

١٠ — فى كركوك واربيل

وامتدت الثورة الى شرقى بغداد حتى بلغت كركوك وأربيل كما وصلت فى الغرب حتى الفلوجة والرمادى ولما كان الجنوب كله تقريبا بيد الثوار فقد أصبحت بغداد شـبه محصورة ولاسيما بعد ماوصل الثوار الى قرب المسيب وعطلوا سكة الحديد بين بغداد والحلة وشرعوا فى مهاجمة المحمودية بالاتفاق مع قبائل اليوسفية المجاورة بغداد . ولهذه الاعتبارات أصدر القائد العام أمرا الى الجنرال ساندرسن قائد بغداد العسكرى بانشاء الحصون والمعاقل

استعدادا للدفاع عنها كما عهد اليه باعادة خط المواصلات بين بغداد والفلوجة ووضع تحت أمره قوة مختلطة كبيرة مع فرقة من العمال و بدأت هذه القوة عملها يوم ٣ سبتمبر فتقدمت ببطء ثم عززت بسريتين فنيتين يوم ٢٠ منه فبلغت خان النقطة فى ٢١ منه وضربت بمدافعها قلعة الشيخ ضارى (قاتل لنجمان) ونسفتها وقطعت الماء عن مزارعه ، وكان يقاتل مع الثوار فى أعالى الفرات . وفى يوم ٢٤ منه وصل قطار مدرع الى الفلوجة وأنشأ الانكليز الحصون على طول خط الفرات وشحنوها بالجند كما أنشاوا معقلا قويا تجاه قناة العقلاوية لمراقبة الماء ومنع الثوار من كسر السد

وماجرى فى هذا الميدان جرى فى ميدان ديالى (شمالى بغداد) تقريبا فقد سيرت السلطة قوة دخلت بعقوبة يوم ٢٩ أغسطس بدون مقاومة تذكر وقصد أحد ضباطها منزل القاضى حسين افندى وأطلق عليه الرصاص فقتله لأنه كان من دعاة الثورة وقتل عدد من الأهالى . ووصلت نجدات جديدة من ايران ومن الهند للسلطة فأصلحت سكة حديد بغداد ــ خانقين و بسطت نفوذها على تلك الربوع

١١

التنظيم الداخلى فى الفرات

ورأى زعماء النجف وعلماؤها بعد مادارت رحى القتال وجلا الانكليز عن البلاد أنه لابد لهم من تنظيم الشؤون الداخلية فبدأوا فانشأوا مجلسا بلديا للنجف هذه أسماء أعضائه :

الحاج عبد الرزاق شمسه والشيخ عباس شمسه وحسين الظاهر وكردى عطية أبو طلل والسيد سعيد كمال الدين

وكان فى مقدمة مهامه جمع الرسوم والضرائب المحلية والاشراف على الشؤون الصحية وأنشأوا أيضا كتيبة من الدرك للمحافظة على الامن وأنشأوا أيضا حكومة محلية تتألف من هيئتين : هيئة أعضاء مجلس الادارة وهم : الشيخ جواد الجوهرى رئيسا وعبد المحسن شلاش ناظر المالية والسيد مهدى السيد سلمان رئيس القوة الاجرائية . وهيئة القوة التنفيذية وتتألف كما يأتى :

السيد مهدى السيد سلمان والحاج حسون شربه والحاج حسين الظاهر وكردى عطية أبو طلل والحاج محمد البرشاوى والحاج عبد الله الشمرتى وعنيدان عدوه والسيد على جريو .

وكانت هناك هيئة خاصة لادارة شؤون الاسرى البريطانيين تتألف من : الشيخ عبد الكريم الجزائرى وعبد المحسن شلاش وهادى الجوده كاتب الارزاق والشيخ عبد الحسين الحلى سكرتيرا . أما الهيئة العلمية الدينية العليا التى كانت تشرف على شؤون الثورة وتديرها فكانت تتألف كما يأتى:

الشيخ فتح الله الشريعة والشيخ جواد الجواهرى والشيخ عبد الكريم الجزائرى والشيخ مهدى والشيخ ملا كاظم والشيخ اسحق آل حبيب الله والشيخ موسى تقى والشيخ

مشكور الحولالى والشيخ عبد الرضا الشيخ راضى والشيخ على الحلى والسيد محمد على بحر العلوم والسيد على السيد حسين وعبد المحسن شلاش . وكانت الرئاسة العليا لشيخ الشريعة الاصبهانى وقد خلف المرحوم العلامة الشيرازى فقد انتقل الى رحمة ربه يوم الثلاثاء ٤ ذى الحجة سنة ١٣٣٨ الموافق ١٨ أغسطس سنة ١٩٢٠ أى بعد اعلان الثورة بخمسين يوما

وأنشئت أيضا حكومة وطنية فى كربلاء يشرف عليها مجلس قوامه السيد هبة الدين الشهرستانى والسيد أبو القاسم والشيخ أحمد الخراسانى وعين السيد محسن أبو طبيخ متصرفا لكربلاء

وتولى السيد علوان الياسرى والشيخ عبد الواحد رئيس قبيلة الفتلة ادارة دفة القتال بين الهندية وكربلاء وكانا يتوليان بالاشتراك قيادة الجموع المحاربة . وتولى السيد قاطع العواد قيادة القوى المحاربة حول الحلة . ويقدر ماأنفقه السيد علوان الياسرى والسيد نور آل السيد عزيز والشيخ عبد الواحد بثلاثين ألف جنيه على تموين الثورة وتدارك لوازمها واستمالة بعض العناصر لتأييدها . ومما يستحق الذكر انهم كانوا يرسلون الأموال من الفرات الى بغداد لانفاقها فى تنظيم المظاهرات وتنشيط الحركة الوطنية فيصل صدى مايقع على ضفاف دجلة الى الفرات فيتحمس الناس وينضمون الى العاملين للاستقلال ويشدون أزرهم

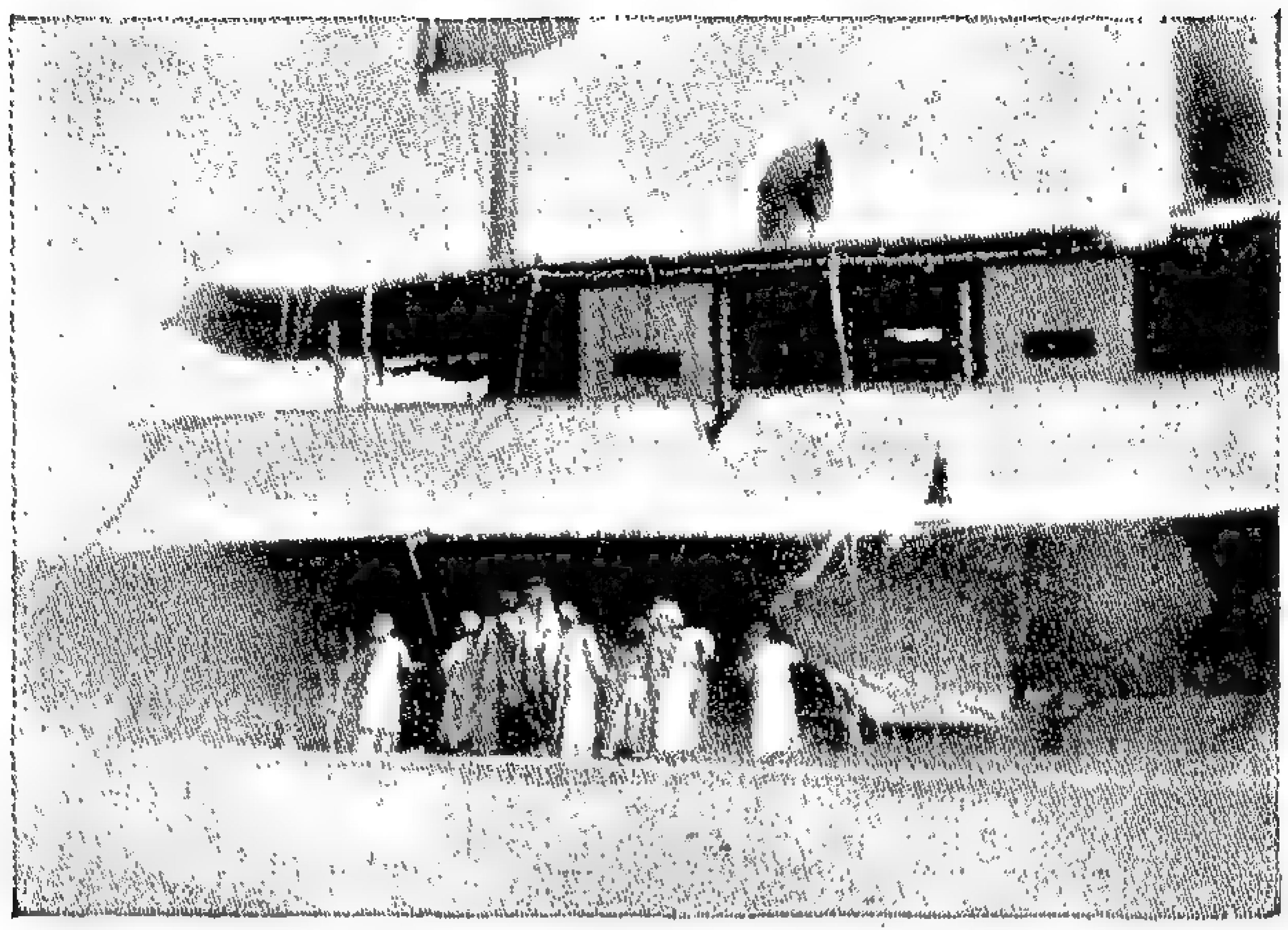
وتولى الشيخ محمد باقر الشبيبى الكتابة للثورة فكان يصدر مناشير يومية يذيع فيها أخبار القتال فى شتى مناطقه وسير الحركة ويدبج المقالات الوطنية النافعة المفيدة ومما جاء فى منشور أصدره يوم ١٤ ذى القعدة قوله :

ان الوطن الذى ألزم كل فرد منكم الدفاع عنه يلزمكم أيضا أن تراعوا الشروط الآتية

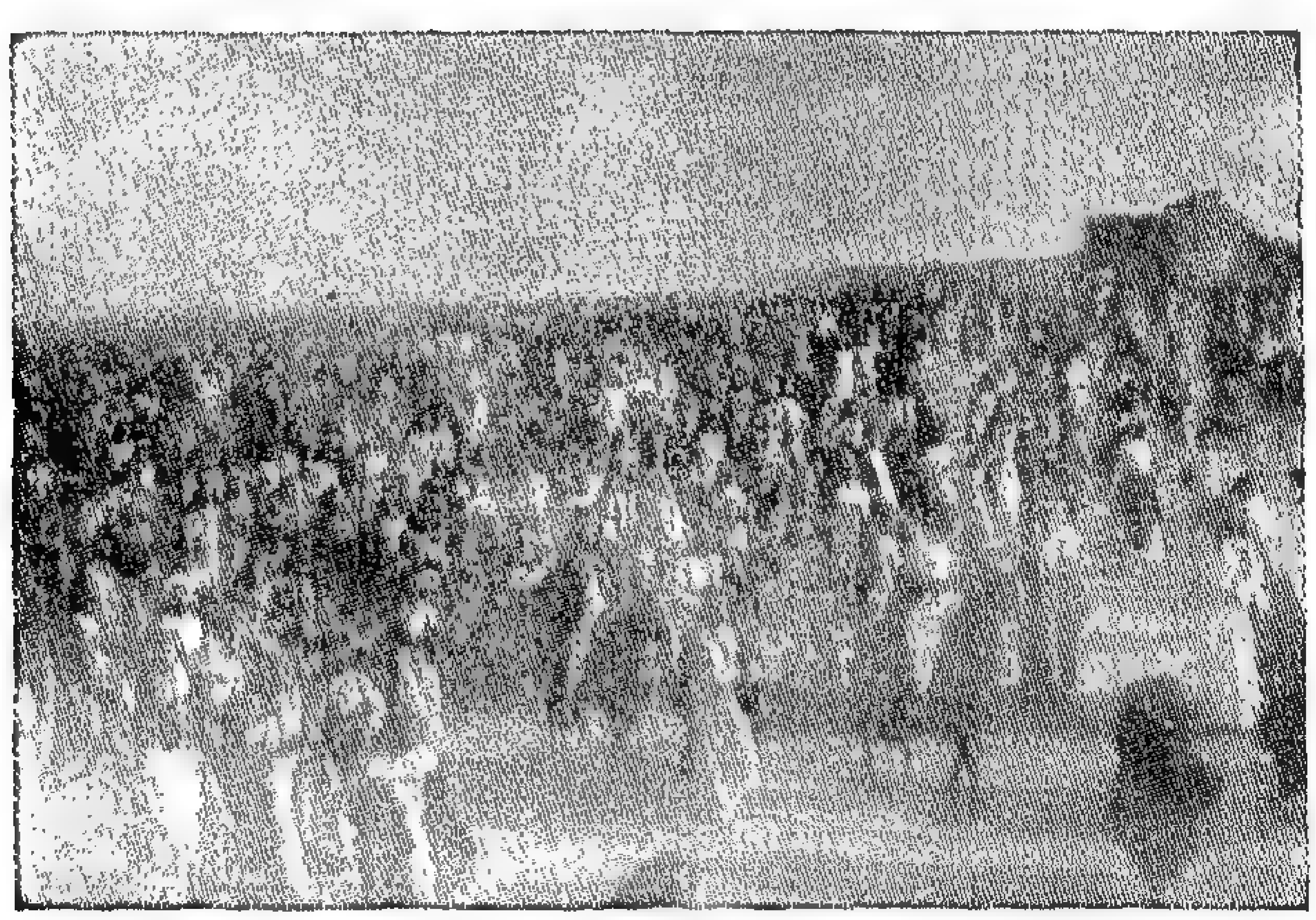
١ — يجب على كل رئيس قبيلة أن يفهم كافة أفرادها أن المقصود من هذه النهضة انما هو طلب الاستقلال التام

٢ — أن يهتف للاستقلال كل من فى ميادين القتال

٣ — يجب تأمين الطرق وحفظ المواصلات بينكم وبين مناطق الثورة فى البلاد



المدفعية فاير افلاى قبل أن يدمرها الثوار



المجاهدون في النجف يستعدون للذهاب الى ساحات الحرب

٤ — يلزم التمسك بالنظام وتدبير الحركات ومنع الاعتداءات فلا نهب ولا سلب ولاضغائن قديمة ولا أحقاد

٥ — من الواجب بذل الهمة لحفظ الرصاص فلا يجوز اطلاقه فى الهواء بدون فائدة

٦ — يجب الاعتناء بالأسرى ضباطا أوجنودا انكليزا أو هنودا

٧ — يجب ابقاء أدوات التلغراف والتلفون وحفظ الأعمدة فان فى حفظها منافع عظيمة للأمة . نعم يجب قطع الأسلاك البرقية الى حد تنقطع معه مخابرات الحكومة المحتلة

٨ — يلزم الاهتمام بقلع السكك الحديدية ولاسيما نسف الجسور والقناطر التى يمر منها القطار

٩ — يجب الاحتفاظ بما يقع تحت أيديكم من عربات النقل والسيارات والمراكب

١٠ — يجب حفظ المدافع والرشاشات ولا يجوز تخريب آلاتها أوتوزيعها مطلقا لأنها من أكبر وسائط الفوز وأعظم وسائل النصر

١١ — يلزم حفظ الذخيرة المغتنمة كالرصاص والقذائف والقنابل وسائر أنواع البارود

١٢ — اذا أسقطتم مدينة أوقرية فلا تتركوها منحلة بل الواجب ترتيب حكومتها الموقتة

١٣ — لاتهدموا محلات الحكومة وأبنيتها الا اذا كانت معقلا ولا تتلفوا أثاثها لاحتياجكم اليه فى المستقبل

١٤ — حافظوا على المستشفيات وكافة أدواتها وأجزائها

١٥ — ارفقوا بجرحى خصومكم الساقطين فى الحرب فلا شىء يستحق الرفق والعطف مثل الجريح الذى يعانى من ألم جراحه مايدمى القلوب ويبكى العيون

وأنشأ الشيخ محمد باقر جريدة الفرات أسبوعية لتأييد الثورة ولم يصدر منها سوى خمسة أعداد وأصدر السيد محمد عبد الحسين جريدة الاستقلال فى النجف لتأييد الثورة ولم ينشر منها سوى ثمانية أعداد

العودة الى المفاوضات السلمية

واغتنم السر ارنولد ولسن الحاكم العام فرصة وفاة المغفور له الامام الشيرازي وتبوأ شيخ الشريعة الأصبهانى الزعامة الدينية للشيعة الامامية فأرسل اليه يهنئه بما ناله ثم عززه يوم ٢٧ اغسطس بالكتاب الآتى وكانت الثورة فى أشد انتشارها وفوزها قال :

الى حجة الاسلام شيخ الشريعة الأصبهانى

حضرة العلامة الفهامة حجة الاسلام والمسلمين آية الله فى العالمين شيخ الشريعة الأصبهانى دام علاه :

بعد اهداء السلام والتفقد عن صحة ذاتكم الشريفة نؤمل أن كتابنا الذى أظهرنا فيه احساساتنا الودية وتبريكاتنا الصميمة بتقلدكم هذا المقام المنيع والشرف الرفيع الذى أنتم حائزون عليه الآن قد وصلكم سالما ولكن فى الحقيقة ونفس الأمر ان المقام الرفيع يستوجب التعزية والتسلية لاالتبريك والتهنئة وخصوصا فى هده الأيام نظرا الى المصائب التى انتابت العراق وسائر أبنائه ، وكان هذا من آراء سلفكم المرحوم العلامة المبرور الميرزا محمد تقى الشيرازى طاب ثراه الذى كما هو معلوم لدى العموم عبر فى إحدى مفاوضاته الأخيرة عن رغبته فى عقد الصلح بين الحكومة والملة واجتناب سفك الدماء وازهاق النفوس ولا يمكننى أن أشك أن الذات الممتازة بصفات الانسانية والتقوى كحضرتكم لابد أن تشعر بهذا الشعور السامى وأما من جهة الحكومة فكما هو المعلوم فى أقطار العالم ان الحكومة الانكليزية المعظمة قد اعتمدت دائما على الأركان الثلاثة وهى الرحمة والعدل والتسامح الدينى ومن قبل أن تقع الحرب العظمى كان للدولة الانكليزية التى شعارها المسالمة جيش صغير للدفاع عن نفسها فلما أسرع الترك والالمان بالهجوم على بريطانيا العظمى قامت الأمم الساكنة فى الممالك الانكليزية قومة واحدة ودخل أبناؤها فى صفوف الجيش

ولما انكسر العدو شر كسرة و وضعت الحرب أوزارها كان للدولة الانكليزية جيش جرار عدده خمسة ملايين منتشرا فى بلاد العدو وفى العالم بأسره ولما انتهت المنازعات بادرت انكلترا الى تسريح جنودها فرجعوا الى منازلهم وأوطانهم وعادوا الى الحياة السلمية

فنقص بذلك عددهم نقصا كبيرا على انه يمكن حشد هـذا العـدد العظيم مرة أخرى اذا دعت الحاجة الى ذلك

وأما من جهة ثروة الدولة الانـكليزية وسائر مواردها فلا يجب أن أبسط ماهو ظاهر كالشمس فى رابعة النهار فأهل العراق قبلوا الدولة الانـكليزية وكانوا مسرورين من بقاء جيوشها فى هـذه البلاد لما غلبت الترك ولما رأى بعض المفسدين والمغرضين أنها بدأت بتخفيض جيشها قاموا يشوشون الأذهان ويهيجون الأفـكار فظهرت الحالة الحاضرة التى توجب الأسف وماهى الحالة الآن ؟ هى ان العشائر العراقية فى حالة حرب قوية ولـكن عددها قليل ولا تملك من الدراهم الا الأقل وليس لها وسائل لاختراع الآلات الحربيـة كالمدافع والبنادق والرصاص ولا يمكنها أن تحصل على المساعدة من الخارج واذا لم ترجع الى زراعتها فانها ستتلف وتموت جوعا . هاقد بذل العرب حتى الآن مافى وسعهم من الجهد ولا يمكنهم أن يأتوا فوق ماعملوا وهم يرون رأى العين أن قواتهم مائلة الى الزوال بعكس الحـكومة فان قوتها كانت فى مبدأ الأمر قليلة فضايقتها العشائر بعض مضايقة أما الآن فان البواخر ترد كل يوم الى البصرة حاملة العساكر والمدافع والقنابل والبنادق والرشاشات والذخائر الحربية وسائر مايلزم للاعمال العسكرية واذا اقتضى نظركم الشريف أن تبعثوا معتمدا الى بغداد لـكى يشاهد هـذه الأشياء بعينه فانا نرحب به ونرجعـه سالما آمنا من دون تأخير

والخلاصة أن النتيجـة النهائية معلومة فسفك الدماء لا يدوم وستجازى الحـكومة البريطانية عملا بقواعدها بعض المشايخ وغيرهم من الذين ضللوا الناس وأسماؤهم معلومـة عنـدى كما هى معلومة لديهم ولا ريب أن فضيلتـكم تعرفونهم أيضا ولا حاجة الى ذكرهم هنا ولـكن لاخوف على غيرهم ولا على عامـة الناس بل يمكنهم أن يرجعوا الى أوطانهم ومنازلهـم آمنين وستسلم نفوسهم وكما لايخفى عـلى فضيلتـكم أنى بالنسبة لخطورة المسألة عينت الـكولونيل هاول ناظر المالية نائبا عنى ليدخل فى المفاوضات والمراسـلات التى لابد أن تجرى قبل أن تنتهى المنازعات وبما أن حضرتـكم مشغولو البال فى الامور الدينيـة والمسائل الروحانية على الاغلب نرجوكم أن تعينوا معتمدا أو معتمدين ليجتمعوا به فى مكان

يتفق عليه و يبحثوا معه هذه المسائل المهمة وفى الختام نبلغكم احترامانا الوافرة وتحياتنا الصميمة والسلام . فرد عليه الشيخ يوم ١٥ سبتمبر بالكتاب الآتى :

« حضرة الحاكم الملكى العام ببغداد

استشعرنا من القاء طياراتكم فى عدة أماكن صورة كتابكم الينا مضافا الى طبعه فى جريدة العراق اهتماما بوقوفنا عليه وطلبا لجوابنا عنه ومن الغريب أن كتابكم هذا سبق جوابه منا قبل أن تحرروه بمدة طويلة مرة بعد أخرى بثثنا نصائحنا فيها وأنذرناكم قائلين لكم تداركوا الامر قبل خروج علاجه عن مقدرتنا ولاشك انكم تعلمون أن تداركه باعطاء العراقيين حقوقهم التى طالبوكم بها مطالبة سلمية فأبيتم الا اغتصابها وجعلتم أصابعكم فى آذانكم حذرا من أن تسمعوا مطالبا بها ، وأخذتم بعد الوعود بالوعيد و بعد التأميل بالتضليل واستعملتم الشدة والغلظة فنفيتم وقتلتم وسجنتم وأخفتم وأضمرتم العداء الذى أظهرتم آثاره وكبلتم نفوس أولئك المظلومين وأموالهم وما يجب الدفاع عنه من حرمهم فدافعوكم قياما بواجبهم وهاجتموهم تبعا لهوى نفوسكم فوقفوا موقفا حذرناكم عاقبته وأنذرناكم سوء منقلبه ، انا والسلف المرحوم آية الله الشيرازى الذى سقتم مساق تعزيتى بنفسه الزكية نسبةالمصائب التىانتابت العراقيين الى آرائه المقدسة ، كأنكم ماوقفتم على كتاباته الى جميع الجهات والزام العموم بالهدوء والسكون والمطالبة السلمية بحقوقهم المشروعة فجرحتم بتلك النسبة عاطفتى خصوصا وعواطف المسلمين عموما وجئتم بها نكراء بلغ سيلها الزبى وضاقت لها حلقتا البطان وأرسلتم بواخركم مشحونة بأسباب الدمار وآلات النار وقدمتم العساكر وكتبتم الكتائب اخضاعا لتلك الأمة المظلومة وسحقا لحقوقها المهضومة »

ثم نقض الشيخ دعوى الحاكم بأن الدولةالبريطانية قد اعتمدتعلى الأركانالثلاثة وهى (الرحمة والعدل والتسامح الدينى) ورد عليها بشدة ثم قال «والأعجب أنكم تطلبون التئام هذا الصدع الذى لايجبر كسره وتقولون نحن لانريد أن نجازى العراقيين وانما نجازى من أساؤهم عندنا وعندكم وعندهم معلومة بزعم أنهم مفسدون فكان تعريف الفساد عندكم هو المطالبة بالحق

نحن لانعرف من أحوالهم الا أنهم طالبوا بحق فمنعتموهم وأدرتم رحى حرب طاحنة فدافعوكم عن أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ولو تركتموهم وحقهم ماسالت منكم ولامنهم قطرة دم ولكنكم أنتم فتقتم هذا الفتق الذى لايخاط بالخيوط ولا بالابر فأنتم السبب وعليكم التبعة ورأينا فى الأمر أن يمنح العراقيون استقلالهم التام خاليا من كل شائبة عاريا من كل قيد . أما أمر المفاوضة فلم تتضح لى غايته ولم أثق بحسن نهايته وعلى كل فهو أمر دقيق يحتاج الى جلاء فكر وحسن تأمل ومن الله حسن الختام »

حياة الشرق دوله وشعوبه ماضيه وحاضره للاستاذ لطفى جمعه المحامى

١٢

الثورة فى مرحلتها الختامية

بعد ماتم للسلطة اخضاع الثوار فى منطقة ديالى وفى أعالى الفرات التفتت الى الفرات الأوسط وكانت قد تلقت فى خلال هـذه الفترات نجدات كبيرة من الهند فزحف الآلاى ٥٣ يوم ١٢ اكتوبر سـنة ١٩٢٠ على بلدة طويريج فاحتلها فى اليوم نفسه بعـد قتال عنيف خسر فيه ٢٠ قتيلا . وحاول الثوار أن يحرقوا جسر البلدة عند انسحابهم فصدتهم القوى المهاجمة فتحصنوا ببعض المنازل المطلة على الفرات وأطلقوا النار من كواتها على العدو الا أنه دخل المدينة وأكرههم على مغادرتها بعد ماالحقت بالأبنية أضرار جسيمة

ولم ير أهل كربلاء بدا من التسليم بعـد ماسقطت طويريج فى يد الانـكليز فأرسلوا وفدا الى مقر قيادة الآلاى عرض خضوعهم فامر بالسفر الى بغـداد لمقابلة المندوب السامى فسافر وعند ماحضر فى ديوانه تليت عليه الشروط التى فرضتها الحكومة وهى :

١ ــ تسليم سبعة عشر شخصا فى خـلال ٢٤ ساعة للمحاكمة لان هنالك أسباباتبعث على الاعتقاد بأنهم مجرمون

٢ ــ على أهالى كربلاء أن يسلموا فى مدة ثلاثة أيام أربعـة آلاف بندقية مع كل واحـدة مئة طلقة ويجب أن يكون نصف البنادق من طراز حديث والنصف الآخر صالح للاستعمال . واذا لم تقـدم البنادق فيدفع ٢٠ ليرة عثمانيـة عن كل بندقية صالحـة للاستعمال وربية عن كل رصاصة لاتسلم

٣ ــ ارجاع الأموال العائدة الى الحكومة ودفع تعويض عن الخسائر التى لحقتها وسيقدر مبلغ التعويض ويبلغ

٤ ــ الطاعة لأوامر الحكومة

٥ ــ أن لايقبلوا لاجئا فارا من وجه العدالة

٦ ــ اذا لم ينفذ الشرطان الأول والثانى فى المدة المعينة ولم يقدم سبب معقول فالسلطة

العسكرية تتخذ التدابير اللازمة للتنفيذ .

فقبل الوفد الشروط ونفذت فعلا وسلم المطلوبون[١]

وزحف الآلاى ٥٥ يوم ١٦ منه لاحتلال الكفل ولما بلغها نصب فيها جسرا للعبور الى الكوفة فهاجمه الثوار وحاولوا منعه من انشائه فلم يفوزوا فارتدوا واستمرت الحملة فى زحفها حتى وصلت الى مكان قريب من الكوفة فقضت فيه ليلتها وفى الصباح شرعت فى الزحف فقاومها الثوار مقاومة شديدة واستقتل الفريقان فى معركة حامية انتهت بفوز الآلاى ودخوله الكوفة وافراجه عن حاميتها المحصورة وقد بلغت خسارتها زمن الحصار ٢٢ قتيلا بينهم الكبتن مان حاكم الحميدية وضابط آخر

وأرسلت النجف مفوضين الى الكوفة قابلوا قائد الآلاى ٥٥ للبحث فى شروط التسليم فاضطرهم الى توقيع عهد مفاده أنهم يسلمون بلا قيد ولا شرط وأنهم مستعدون

---

(١) هذه أسماء الذين سلموا :

هبة الدين الشهرستانى والسيد حسين القزوينى والسيد محمد الكشميرى والشيخ يحيى والسيد عبد الحسين الدره والسيد عبد الوهاب الوهاب وطليفح الحسون وشمس القزوينى ورحمن العواد وجودى الصليلى وعباس البرغش ووركان

واعتقلت السلطة فى الحلة كلا من :

الشيخ جواد الجواهرى والسيد محمد رضا الصافى وعبد المحسن شلاش والشيخ حسن ابن شيخ الشريعة والسيد عزيز الله وهم من أهالى النجف .

واعتقلت فى الكوفة : الحاج نجم العبود وحاج أمين كرماشه وعبد الرسول تويج

واعتقلت فى الشامية : الشيخ عبد الواحد الحاج سكر والشيخ عبد الكاظم والشيخ السيد هادى زوين والشيخ عمران الحاج سعدون والشيخ سماوى الحلوب والشيخ على المزعل ومحسن افندى من رؤساء عشيرة بنى حسن وكان ضابطا فى الجيش البريطانى ثم التحق بالثوار .

واعتقلت فى الحلة : سلمان البراك وابراهيم السماوى رئيس عشيرة خفاجه ومنوخ رئيس عشيرة خفاجه وشريف وعبود العنيد من رؤساء عشيرة الجبور ودوهان الدين من رؤساء عشيرة الجبور وفرحان الدن من رؤساء عشيرة الجبور

لقبول ماتفرضه الحكومة من الشروط التى ترى أنها ملائمة للمصلحة . وأطلق على الفور سراح الاسرى الانكليز الذين كانوا فى قبضة الثوار وهم ٧٩ أسيرا بريطانيا و ٨٩ أسيرا هنديا فنقلوا الى الكوفة وجيعهم بصحة جيدة وقد أثنى بلاغ بريطانى رسمى على المعاملة الحسنى التى عامل بها النجفيون الأسرى

وتقدمت حملة بريطانية أخرى لاحتلال السماوة فبلغتها مساء ١٣ منه وشرعت بمهاجمتها صباح ١٤ فتحصن الثوار فى غابات النخيل وقاوموا مقاومة شديدة ولكنهم أضطروا الى مغادرتها فى المساء بعد قتال عنيف فدخلتها الحملة فى الصباح وانسحب الثوار الى جسر السوير الواقع بقرب الامام عبد الله فرابطوا فيه

وهال الزعماء ماحق بالثورة من فشل فى هذه المناطق فأخذوا يجمعون جموعهم ويستعدون للمقاومة فى الشامية فحفروا الخنادق والحصون وكانت الطائرات الانكليزية تغاديهم وتراوحهم كل يوم وتلقى عليهم الديناميت والقنابل ، ولم يرعهم سوى اسراع سلمان العبطان ومحمد العبطان الى مقر قيادة الآلاى ٥٥ واستسلامهما بدون قيد ولا شرط فأعلن العفو عنهما فورا واقتفى أثرهما فى التسليم جاعة من كبار الشيوخ فحوكم بعضهم وأطلق سراح آخرين ونفى غيرهم . ولما وصلت الحالة الى هذا الحد غادر بعض الزعماء العراق الى الخارج فقصد السيد محمد الصدر ويوسف السويدى دمشق وسافر جعفر جلبى أبو التمن والسيد علوان الياسرى والسيد نور والسيد عزيز والسيد محسن أبو طبيخ ورزوق العواد ورابح العطية وعلى البزركان وعبد الرزاق الهاشمى وعلوان الحاج سعدون الى الحجاز

والقبيلة الوحيدة التى صمدت ولم تستسلم هى قبيلة البوجحيم . فقد تحصن رجالها بمراكزهم قرب الامام عبد الله (الرميثة) وكانوا يتبادلون الرصاص كل يوم مع الانكليز وأخيرا أوفدت السلطة مندوبا لمفاوضتهم بالتسليم فوافقوا على ارسال مندوب منهم الى السماوة وبينما كان يتداول مع قائد القوة البريطانية فى الشروط أصدر هذا أمره بالهجوم على القبيلة فثبت رجالها وقاوموا مقاومة عنيفة وأفلحوا فى صد الهجوم واحباطه

واستؤنفت المفاوضة بعد ذلك وتم الاتفاق على الشروط الآتية :

١ ــ أن تكون للعراق حكومة عربية مستقلة

٢ – أن لا يطالب عرب البوجحيم بشئ خسرته الحكومة فى أثناء الثورة عدا ماتراه أعين رجال الحكومة باقيا فى أيديهم

٣ – أن لايؤدوا شيئا من الضرائب عن سنة ١٩٢٠ لانهم لايستطيعون دفعها بسبب مالحقهم من الاضرار الفادحة من جراء الثورة

٤ – أن يتعهدوا بالمحافظة على سكة الحديد التى تمر بأرضهم

٥ – أن يتعهدوا بتوطيد الأمن وحماية السلم فى جميع أراضيهم

٦ – أن يسلموا الى الحكومة ٢٤٠٠ بندقية

وفى يوم ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٢٠ وقع على هذه الشروط وبذلك انتهت الثورة

١٣

عهد الانتقال

أسباب فوز الثورة العراقية

اتسع نطاق الثورة العراقية ، وفاز رجالها فوزا مبينا فى ابتداء عهدها فاستولوا على معظم مدن الفرات وحواضره كما فازوا فى منطقة ديالى و بسطوا عليها نفوذهم وطاردوا الانكليز وأسروا جانبا من ضباطهم وجنودهم ، بينما كان الفرنسويون يدكون بناء الدولة الجديدة فى بلاد الشام وهى الدولة التى أحاطها العرب بثقتهم وتأييدهم ، والتفوا حولها واتجهوا بقلوبهم اليها

وأسرع الانكليز فأذاعوا نبأ هذه القاصمة فى العراق وطبلوا و زمروا ، وكتبوا ونشروا وظنوا أنها لابد موهنة قوى الثوار ، وكانوا يتجهون نحو دمشق ، ويستمدون منها العون الأدبى ، ومعجلة فى القضاء على الثورة واخمادها ولكن ساء فألهم وخابت آمالهم فقد زاد ماوقع الثورة ضراما ، والثوار اقداما ، فشددوا عليهم وضيقوا ولولا نجدات قوية استقدموها من الهند وايران على جناح السرعة وحشدوها فى ميادين الثورة لتقلص ظلهم عن العراق ولفقدوا كل نفوذ فى أرجائه

وقد يعجب بعضهم لهذا التباين العظيم بين حركة دمشق وحركة بغداد ، وقد نشأتا فى زمن واحد ، وانبثقتا عن اصل واحد ، وقامتا لغرض واحد ، فتلك ترمى الى تحرير سورية وتحقيق وحدتها واستقلالها وتلك ترمى الى منازلة الانكليز حتى يفيئوا الى الحق والصواب وينفذوا العهود التى قطعوها للعرب باستقلالهم وحريتهم — ولا نرتاب فى أنه لو وفق الثوار السوريون الى ادراك الفوز الذى أدركه اخوانهم العراقيون فى أيام الثورة الأولى ، لتبدل الموقف فى دمشق وفى بغداد أيضا ، ولكانت النتائج غير مارأينا ، ولكن ما العمل وقد كانت الضربة شديدة مهد لها الفرنسويون واختاروا الزمن

الملائم لضربها فقد اشتد التنافس بين رجال الحكومة الفيصلية وقادتها ، هذا يقول بالدفاع وذاك يقول بالتسليم وهذا يعلق الاشتباك بالمعركة على تأييد الانكليز العاجل وهذا يقول بالاعتماد على الطليان وهكذا تفرقوا بددا فنكبوا وهزموا ونفذ المقدور ونكب العرب شر نكبة فى تاريخهم الحديث

فاتحاد سكان الفرات قلبا وقالبا وانقيادهم الى زعمائهم ورؤسائهم وانقياد هؤلاء الى شيوخ الدين وعلمائه واعتقاد هؤلاء وهؤلاء منذ الساعة الأولى بأن القوة هى الوسيلة الوحيدة لاسترجاع الحقوق ولبلوغ الأمانى هو الذى صان للثورة العراقية مقامها وحفظ لها جاهها وجلالها ، وضمن لها ادراك ماأدركته من نتائج باهرة ، بيضت وجه العرب ، وخففت من آلامهم ، ولا نرتاب فى أنه لو سارت الأمور فى سورية على هذا المنوال ، واتبع القوم منذ الساعة الأولى خطة معينة ، عملوا لتنفيذها وأعدوا المعدات لتحقيقها ، لاتقوا الكارثة ولكان ربح العرب من حركتهم أعم وأجزل

هذا من جهة واحدة ، أما من الجهة الأخرى فان حركة العراق كانت موضعية بالنسبة لحركة الشام . ولولا ماحدث فى ديالى ، لقلنا انها فراتية ، فقد وقف شمالى العراق كله على الحياد ، ولم يشترك فى عمل ايجابى ، اللهم الا تلك العصابات التى قادها الضباط العراقيون وجاءت من دير الزور قبيل الثورة ثم سكنت فى ابانها ، ولجأت بغداد الى السكون بعد ماضرب الانكليز ضربتهم يوم ١٣ أغسطس ومنعوا المظاهرات وطاردوا الزعماء وقد لجأ بعض هؤلاء الى الفرات واشتركوا فى ثورته وفى مقدمتهم السيد محمد الصدر ويوسف السويدى وجعفر جلبى أبى التمن ومحمود رامز وعلى البزركان . وانضم بعض الضباط الى الثورة واشتركوا اشتراكا فعليا وأدوا لها أجل الخدمات . والانكليز الذين درسوا شؤون الثورة العراقية مجمعون على أنها كانت منظمة

ووقفت البصرة على الحياد فى معظم الأدوار التى مرت بها حركة الجهاد الوطنى ولعل منشأ ذلك كثرة طوائفها وعناصرها ، وبديهى أن مثل هذا الانقسام لم يكن موجودا فى سورية فقد وثقت الأمة بحكومتها والتفت حولها ولم تبخل عليها بشىء من مال أورجال ، ولو تيسر للعراق ماتيسر لسورية وكان أهل العراق فى أول الأمر ينهجون نهج السوريين ويستمدون منهم العون والقوة ، ولم تبخل سورية على العراق بشىء فى تلك

الأيام العصيبة ، مما سنعود الى بسطه وتفصيله لكان فوزهم أعظم ، فقد كانوا يقاتلون ـ والبندقية سلاحهم الوحيد ـ جيشا قويا مسلحا بأحدث معدات القتال وأدوات الهلاك والدمار فمن طيارات الى دبابات الى قطارات مدرعة الى مدفعية قوية الى رشاشات مما لم يتسن للعراقيين الحصول عليه فى أزمتهم تلك ، وكان بعض هذه المعدات متوفرا عند حكومة دمشق وكان فى استطاعة رجالها الحصول على كل مايحتاجون اليه لو فكروا فيه من قبل وأعدوا المعدات اللازمة للدفاع فى خلال ثمانية عشر شهرا

ولئن كتب العراقيون فى ثورتهم هذه صفحة خالدة فى تاريخ البطولة ، ونالوا من انكلترا كل مايمكن نيله ، وما كانت تنوى أن تحدث حدثا أو تغير وضعا فى بلادهم ، لولا قيامهم فى وجهها ومنازلتهم لجيوشها ، فالسوريون لم يقصروا فى البذل والانفاق ، واذا كان هنالك تبعة فلا يحملها الشعب السورى بل يحملها أولئك الذين تربعوا فى مناصب الحكم من يوم ٦ اكتوبر سنة ١٩١٨ حتى يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٣٠ لافرق بين عهد وعهد ، ووزارة ووزارة ، وطبقة وطبقة ، وحزب وحزب ، وجمعية وجمعية . فالتبعة لاحقة بهم جميعا وهم مسؤولون عن كل فشل واخفاق

وهنالك من يعتقد أن فاجعة الشام كانت درسا مفيدا لزعماء العرب ورجالهم فقد مزقت الحجب التى كانت مسدولة على أبصارهم فرأوا الحقائق فنهجوا نهجا جديدا فى معالجة القضية العراقية . والواقع أنه ما كاد الملك فيصل يغادر دمشق حتى ظهرت فى دوائر السياسة البريطانية فكرة ترمى الى الاستعانة بنفوذه ومقامه فى تسكين الثورة العراقية وفى انشاء حكومة وطنية فى بغداد بعد ما ظهر فساد النظام الذى أنشأوه وتبين بطلانه

وسعى الفرنسويون الى مقاومة هذه الحركة والوقوف فى وجهها وحمل انكلترا على العدول عنها ولكنهم مالبثوا أن سكتوا مرغمين لما تبينوه من اصرارها وثباتها . وسنبسط فى الصفحات الآتية الأدوار التى مرت بها هذه الحركة فنرافق الملك فيصل فى رحلته من حيفا الى بورسعيد فكومو فلندن ثم نرافقه الى القاهرة فجده فمكة ونواصل السير معه الى البصرة فبغداد ونشهد انشاء الدولة العربية الجديدة فى عاصمة العباسيين وندون أخبارها فهى جزء ثمين من بحثنا التاريخى

١٤

الملك فيصل فى حيفا

وصل جلالة الملك فيصل الى حيفا مساء أول أغسطس سنة ١٩٢٠ قادما من درعا ودمشق فاستقبله ولاة الأمور البريطانيون استقبالا رسميا ونزل فى فندق الكرمل على حسابه الخاص وأبرق الى والده يطلب منه ارسال مبلغ من المال يستعين به فى رحلته الى أوروبا ـ ولم يك يملك شيئا ـ فأرسل اليه حوالة برقية على البنك العثمانى بخمسة وعشرين ألف جنيه تسلمها ـ ويقال ان ستانتون باشا حاكم حيفا يومئذ حاول اقناعه بعدم السفر الى أوربا والعودة الى الحجاز فأبى ذلك وأزمع الرحيل فى صباح يوم ١٨ منه فرافقه عدد من رجاله ولما بلغ الرملة جاء السر هربرت صموئيل المندوب البريطانى السامى لفلسطين مسلما ووصل فى المساء الى بورسعيد وغادرها يوم ٢٤ منه الى أوربا بعدماأذيع أنه يسافر الى لندن لشكر جلالة ملك الانكليز على الهدايا التى أهداها الى والده وأرسلت بواسطة اللورد اللنبى ، وفى يوم ٣١ منه نزل فى ميلانو وأعلن فيها « انه مصمم على الدفاع عن قضية سورية » وقد رافقه فى سفره هذا : احسان الجابرى وساطع الحصرى وتحسين قدرى

وكان المفهوم انه سيقصد لوسرن لمقابلة المستر لويد جورج ولكن اعلان هذا بأنه غير قادم اليها جعل الملك يعدل عن زيارتها وقصد بلدة كومو فى ايطاليا وأقام فيها

وزاره فيها الجنرال حداد باشا مندوبه فى لندن ، وكان يعمل فى خلال هذه الفترة بالاشتراك مع لورانس وبعض أنصار العرب لحل المشكلات القائمة بين هؤلاء والحلفاء وانشاء تفاهم بين الملك فيصل وفرنسا خاصة

وزار المسيو بريان وهو رئيس للوزارة الفرنسوية لندن فى أواخر سنة ١٩٢٠ لمفاوضة الحكومة البريطانية فى بعض الشؤون الدولية فدبرت التدابير لدعوة حداد باشا الى دوننج ستريت (دار رئاسة الوزارة) حينما يزورها المسيو بريان للاجتماع برئيس الوزارة البريطانية

وجاء فى الوقت المعين ودعى الى مقابلة الوزير البريطانى الأكبر فاغتنم هذا الفرصة وأثار مسألة الملك فيصل فاحتد المسيو بريان وقال انه غير مستعد للتفاهم معه بوجه من الوجوه لأنه حارب فرنسا وأهانها

فرد عليه حداد باشا قائلا انه بصفته جنديا من جنود الملك فيصل لايسعه أن يسمع مثل هذا الوصف يوصف به مليكه وأراد الانسحاب احتجاجا فتدخل المستر لويد جورج واستبقاه و بعد أخذ ورد دعى المسيو بريان حداد باشا الى زيارته فى باريس لبحث المشكلة من جديد ولم يتح لهذا السفر لان الوزارة الفرنسوية لم تعمر طويلا بعد ذلك فقد سقطت فى شهر يناير سنة ١٩٢١ . على أن الانكليز اعتبروا دعوة حداد باشا الى زيارة باريس دليلا على ميل فرنسا الى استئناف العلاقات الودية مع الملك فيصل والى تناسى الماضى فدعو الملك الى زيارة عاصمتهم فجاءها يوم أول ديسمبر سنة ١٩٢٠ فاستقبله فى المحطة السر ادورد ولنجتن باسم ملك انكلترا مع مندوبى الوزارات ونزل فى أوتيل كلاردج وفى يوم ٣ منه قصد الى قصر بكنجهام لمقابلة الملك فاستقبله حين وصوله اللورد كرزن وكبار رجال البلاط ثم قابل الملك وتلا خطابا شكره فيه على الهدايا التى أرسلها الى والده وأعرب عن ولاء بيت الشريف للملك جورج وعن رجائه فى أن تظل علاقات العرب والبريطانيين على مايرام لخير الشعبين . فرد عليه الملك معربا عن سروره الكثير بمشاهدته وكلفه أن يبلغ والده شكره وحسن تمنياته

اعماله فى لندن وترغيبه فى قضية العراق

واستأجر الملك منزلا خاصا أعد لاقامته فى لندن وأفضى يوم ٦ ديسمبر الى صحافى انكليزى بحديث تكلم فيه عن القضية العراقية فكانت المرة الأولى التى تعرض فيها لشؤون العراق ومما قاله : « انى كبير الأمل بنجاح السر برسى كوكس فى المهمة التى ندب لها فى العراق وهو يمثل أفضل نوع من رجال الادارة البريطانيين وقد اشتهر عند العرب بالعدل وسيوفق الى كثير من الأعمال الطيبة ولكن ذلك يستغرق زمانا يذكر . وقد كان العرب من أعظم أصدقاء بريطانيا وانى واثق بأن السر برسى كوكس سيفعل كل شيء لاجابة رغائبهم

« لقد نشأت ثورة العراق عن سوء تفاهم فالعرب لم يفهموا مقاصد بريطانيا فقد فرضت عليهم نظاماً من الحكم يتجاوز فى بيروقراطيته نظام الحكم فى الهند فبدلا من أن يرى العرب الحكومة الأهلية التى وعدوا بها شاهدوا الموظفين البريطانيين فى كل مكان وفى كل دائرة من دوائر الأعمال . نعم ان بين العرب زعماء كثيرين ماارتابوا قط فى نيات انكلترا وأنا أشهد للبريطانيين بالنزاهة وشرف القصد ومكارم الأخلاق ولكن لاينتظر أن يدرك عامة الشعب مايدركه زعماؤه أضف الى هذا أنه حدثت فى بعض الأحيان أمور استبد فيها بعض الضباط والموظفين فأضرم هذا نار الاستياء وأخذ العرب يظنون أن هذا النظام سيظل الى ماشاء الله.

« وعلاوة على ذلك ان البريطانيين مااتخذوا قط شيئا من التدابير لاحباط الدسائس التى كان أعداؤهم يدسونها لهم فكان من جراء ذلك مانشاهد من هذه الحالة التى يؤسف لها ».

احتجاج على صكوك الانتدابات

ولما نشرت صكوك الانتدابات على سورية وفلسطين والعراق أرسل يوم ٢٧ فبراير سنة ١٩٢١ الاحتجاج الآتى الى السر أريك درمند السكرتير العام باسم والده الملك حسين قال : «ان العرب قبل أن يخوضوا الحرب تلقوا وعدا من بريطانيا العظمى بنيل استقلالهم ولم يرد حينئذ ذكر الانتداب على الاطلاق فلما نص فى معاهدة فرسايل على الانتداب أبى الملك حسين أن يبرمها وان الملك حسينا يأسف لأن بلاده ليست عضوا فى جمعية الأمم التى ينظر اليها العرب بعين الارتياح وان دول الحلفاء ندبت أنفسها للبلدان العربية من غير أن تراعى نصوص العهد الذى قطعته ثم ان الحوادث التى حدثت فى البلاد العربية منذ عقد الهدنة لم تك مما يبدد شكوك العرب فى نيات الحلفاء . أما الآن وقد نشرت صكوك الانتداب فليس فيها ماينشط العرب على ابرام المعاهدة أكثر من قبل

قال « وقد أمرنى والدى بتقديم احتجاج رسمى ورجائى أن لاتوافق جمعية الأمم على هذه الانتدابات قبل أن تستشير الملك حسينا الذى قاد العرب فى أثناء الحرب وشد أزر

الحلفاء وأن لاتنشر صكوك الانتداب رسميا قبـل أن تقف على رغائب أهالى الولايات التى تشملها وذلك عملا بالمادة ٢٢ من عهد الجمعية »

مذكرته الى مؤتمر الشرق

وعقد وهو فى لندن مؤتمر دولى فى خلال شهر مارس سنة١٩٢١ للنظر فى مشكلات الشرق وحلها فانتدب حداد باشا لتمثيله فيه فذهب وألقى البيان الآتى :

خاض العرب الحرب الى جنب الحلفاء وقد وضعوا نصب أعينهم أغراضا جلية معينة فطمحوا الى نيل استقلالهم واسترجاع منزلتهم كشعب حر قابض على زمام مصيره ولـكن جلالة والدى الملك حسين لم يقدم على هذه المهمة الشاقة المفعمة خطرا وهى مهمة القيام على رأس الثورة العربية الا بعد أن قطعت له حكومة جلالة الملك العهود والمواثيق بأن يجنى العرب من النتائج والفوائد مايتـكافأ مع المخاطر التى يستهدفون لها والتضحيات التى سيضحونها وقد تضمنت هذه المواثيق وعدا صريحا باستقلال البلاد المحدودة بخط يمتد من الاسكندرونة تابعا دائرة العرض ٣٧ الى حدود فارس ومنها الى خليج فارس . أما من الغرب فقد جعل الحد البحر الأحمر وشبه جزيرة سينا والبحر المتوسط . واستثنت الحـكومة البريطانية بعض أمور سلم والدى بها وطلب أن يحال مابقى من الاستثناءات وهى تشمل جانبا صغيرا من هذا المجموع الى المفاوضات بعـد الحرب ورأى والدى ان هذه العهود تـكفل الوحـدة والاستقلال للبلدان التى ينطق أهلها العربيـة فى السلطنة العثمانية اذا أوتى الحلفاء النصر فخاض الحرب ودعا العرب اخوانه أن يتألبوا تحت رايته فلبوا دعوته وتقاطروا من جميع أنحاء الولايات العربية لأداء نصيبهم من المهمة العامة . ومع أن هذا النصيب كان صغيرا اذا قيس بنصيب الدول العظمى فانه لم يكن خاليا من الأهميـة والشأن كما هو معلوم لـكل من طالع البلاغات الرسمية التى صدرت فى أثناء الحرب و بعد ماوضعت أوزارها

ولـكن حلول عصر السلام خيب آمال العرب تخيبا لم يذق مثله سواهم من الحلفاء فانهم لم ينالوا الاستقلال الذين كانوا يطمعون به و يطمحون اليه وأضاعوا ما كان لهم من الوحدة النسبية لما كانوا تابعين للاستانة . وليس بين الاعتبارات السياسـية الصحيحة ما يسوغ التفريق بين الولايات العربية ولـكن تجزئة هذه الولايات الى دول منفصل بعضها

عن بعض ومستقل بعضها عن بعض شر من ذلك . فان هذه الولايات واحـدة من حيث جنس أهلها ومرتبط بعضها ببعض ارتباطا لا تنفصم عراه من الوجهة الاقتصادية فاذا لم تطلق حرية الاتجار اطـلاقا تاما فى تلك الولايات فلا نجاح لسورية وأريد بسورية ما يشمل فلسطين ولا فلاح للعراق . وقد بلغ من شدة الاتصال والاتحاد بين هذه الولايات أن قبائل عرب البادية تنتقـل من الواحدة الى الاخرى عاما بعـد عام وزد على ذلك أن العرب لا يستطيعون درء السيل الذى يهـدد بالتدفق من الشمال والذى يعـد عاملا من العوامل الدائمة فى تاريخ الشرق الاوسط اذا لم يتحدوا ويكونوا يدا واحدة فاذا انقسموا ضاعوا وهلـكوا واذا اتحدوا استطاعوا الدفاع عن حدودهم وسـلامة بلادهم من الخطر الخارجى وهما شرطان لازمان من شروط التوطئة للارتقاء المنظم

وهذه الاعتبارات ظاهرة جليـة حتى لقـد ترددت فى سردها للمؤتمر لولا انى رأيت الحلفاء يتجاهلونها فى ماوضعوا من الحلول للشرق الأدنى فى ما يتعلق بالعرب ولم يعبأوا بهـذا الأمر حتى انهم لم ينشئوا حلقة صلة يمكن أن تصير عاملا على بلوغ هذه الوحدة

وقد سلم والدى بأن لدول الحلفاء مصالح فى بعض أنحاء الولايات العربيـة وهو فى مقدمة القائلين بأن العرب يجب أن ينظروا الى هـذه المصالح والعلاقات بما يليق بها من الروية والاحترام . ومما هو جدير بالذكر ان الحلفاء جاهروا بتصريحات لوحدات جنسية يسر والدى أن تـكون موضوعا للبحث بروح التساهل وسعة الصـدر مع أن العهود التى قطعتها الحـكومة البريطانية له تتضمن شيئا من هذه التصريحات . ولـكنه يشترط أن يكون محور هـذا البحث العواطف البادية فى ماجاهر به رئيس الولايات المتحدة فى ٤ يوليو سنة ١٩١٩ وهو : « أن يفصل فى كل مسألة سواء كانت خاصة بالحـدود الجغرافية أو السيادة أو التدابير الاقتصادية أو السياسية على قاعدة قبول الشعب صاحب الشأن لهـذا الفصل بتمام حريته واختياره لا على قاعدة مراعاة المصالح المادية أو المنافع التى تـكون لأمة أخرى قد تتوق الى حل آخر حرصا على نفوذها الخارجى وسيادتها »

وغنى عن البيان أن أقطاب الحلفاء طالما جاهروا بهذه المبادىء وقالوا انهم اتخذوها رائدا لسياستهم فباسم جلالة الملك حسين أرجو من هـذا المؤتمر أن يعيد النظر فى الكيفية التى عومل العرب بها بنصوص معاهدة سيفر. انى أقف بالنيابة عن العرب وأطلب الاستقلال

والوحـدة اللذين قاتلنا لأجلهما ولأجلهما أراق العرب من مواطنى دماءهم فنحن نروم المحافظة على علاقات المودة التى كانت بيننا و بين الحلفاء كما كنا اخوانا تحت السلاح ولا نبغى الاضرار بالمصالح المشروعة التى هى لدولة أجنبية من الدول ، ولـكننا جميعا نروم بروح الوطنية الصادقة التى نشاطرها سائر الشعوب أن نـكون أحرارا فى تنظيم شؤون حياتنا القومية فينهض العرب مدفوعين بما لهم من التاريخ المجيد وينمون ملـكاتهم و براعتهم مرة أخرى و يقومون بنصيبهم فى حضارة البشر المشتركة كما فعلوا فى مامضى . فاذا لم تحقق أمنيتنا هذه فان السلام الذى ينشده هذا المؤتمر لاتتوطد أركانه فى الولايات العربية

ثم ألحق بيانه بالمذكرة التفصيلية الآتية :

١ ــ يعترض سمو الأمير فيصل باسم الملك حسين على الانتداب فانه لم يذكر فى العهود ويقول ان روح عهد جمعية الأمم كما يظهر فى المادة ٢٢ والفقرة الرابعة من فقرتها لاتناقض أمانى العرب ولـكن الألفاظ التى أفرغ فيها مطلقة المعنى وقد أثبتت نصوص الانتداب كما نشرتها الصحف ان العهد فسر تفسيرا يغاير هذا الروح ، فالملك حسين وجميع العرب يرفضون هـذا التفسير بتاتا . ولهذا يطلب جلالته أن يصحح تحديد هـذه المساعدة و يبين بجـلاء ووضوح . ان نيات الحلفاء تقتصر على بذل المساعدة التى ورد ذكرها فى العهود من غير تعرض للاستقلال القومى الذى مافتىء الحلفاء يفهمون العرب انه حظهم المنشود من سنة ١٩١٥

٢ ــ وافقت الدول العظمى المتعاقدة بمعاهدة فرسايل على عهد جمعية الأمم الذى كتب فى ٢٦ مادة وأدمج هذا العهد فى المعاهدة وجرى مثل هذا فى معاهدة سيفر وصارت كل مادة من مواد العهد جزءا من هذه المعاهدة وغنى عن البيان انه لايصح من الوجهة القانونية أن تنقض مادة مامن مواد المعاهدة مادة أخرى فالمادة ٢٢ تنص فى الفقرة الرابعة على « أن مشيئة هـذه الشعوب يجب أن يكون لها الاعتبار الأكبر فى اختيار الدولة المنتدبة » ولـكن المادة ٩٤ تقول فى الفقرة الثالثة « ان دول الحلفاء الـكبرى تختار الدولة المنتدبة » فلم يشر هنا بشىء الى مشيئة الشعوب وهذا الاغفال يؤول حتما الى الالتباس لان الحلفاء تغاضوا فى سان ريمو عن المادة ٢٢ فى توزيع الانتداب من غير استشارة الشعوب للوقوف على مشيئتها

٣ ـ اوصانى سمو الأمير خصوصا أن أقول انه لايبرز الاعتراض المتقدم توطئة لرفض قبول مساعدة دولة خصوصية من الدول ولكنه يقدمه كمبدأ يتمشى على جميع الولايات العربية . هـذا والملك حسين يتوق جـدا الى احترام مصالح جميع الحلفاء على السواء وهو مستعد لقبول المساعدة المذكورة فى العهود والمواثيق التى قطعت له من قبل أن يخوض الحرب بشرط أن لاتعتدى هذه المساعدة على الاستقلال القومى

٤ ـ وللمسألة مظهر آخر لاينشط الملك حسينا على ابرام المعاهدات ، وقد كلفنى الأمير فيصل أن أعرض الوقائع التالية على مسامع المؤتمر راجيا أن ينظر اليها بمثل الاخلاص الذى بعثه على عرضها

ان سكان العراق لايتجاوزون مليونين ونصف مليون وفى العراق حامية بريطانية عددها مع مايتبعها من غير المحاربين ٢٢٠ ألفا وفى فلسطين ٥٠ ألف جندى وسكانها ٦٠٠ ألف وفى ولايات سورية التى يحتلها الفرنسويون نحو مليونين من الأهالى وفيها من القوات الفرنسوية مع من يتبعها من غير المحاربين ١٦٠ ألف رجل . وهذه الجيوش مسلحة بأحدث آلات الحرب (ماعدا الغازات السامة) التى اخترعت لكسر عدو مشترك . وكل هذا لاخضاع أمة صغيرة انحازت فى الحرب الى الحلفاء لنبذ نير الاستعباد . فهذا الشعب انضم اليكم فى أدق ساعات الحرب ومع ذلك نرى جنودكم اليوم تحتل بلادنا وعددها بالنسبة الى الأهالى يفوق عدد جنود الحلفاء فى أى مكان آخر كان من البلدان الأجنبية التى خيمت عليها وزد على ذلك ان الحكم العسكرى لايزال ساريا فهل من مسوغ لهذه المعاملة

لقد كان من نتائج ذلك أن سكان البـلاد عمدوا الى هجرانها زرافات اما طوعا واما كرها فبعضهم فى الهند والبعض الآخر فى مصر أو كورسيكا وغيرها من أنحاء أوربا ناهيك بالألوف الذين يهاجرون الى اميركا كما كانوا يفعلون قبل الحرب

وقد أمرنى سموه أن أوجه أنظاركم خصوصا الى كثرة عدد الضباط الأبطال الذين قاتلوا معه فى الحرب وجرحوا برصاص الأعداء وهم اليوم مشمولون بأحكام الحبس أو النفى أو الاعدام التى أصدرتها محاكم الحلفاء العسكرية عليهم فى الولايات المختلفة وأمرنى فوق هـذا أن أقول ان الذين خدموا مصلحة العدو فى إبان الحرب اتخذتهم القوات المحتلة اليوم أنصارا لها وشملتهم برعايتها أما الذين قاتلوا مع الحلفاء فى حومة الوغى فيبعدون عن أوطانهم

وقد حرموا من خدمة بلادهم فاذا اعتبرتم هـذه الأمور تبينت لـكم علل الاضطرابات والباعث الذى بعث الملك حسينا على عدم ابرام المعاهدة

٥ ـ وفى الختام يرى الأمير فيصل انه اذا أسـدى الحلفاء مساعدة حقيقية الى العرب طبقا لوعدهم للملك حسين ونبذوا فـكرة السيادة أو الحـكم بالسيف فالأمير واثق ان الحلفاء سيلقون فى طاقتهم أن يسحبوا فى الحال الجيوش الجرارة لان شعب البـلاد يكون أعظم صديق للحلفاء كما كان فى أيام الحرب العصيبة

٦ ـ فاذا استحسن المؤتمر هـذه المبادئ وقبلها فالأمير فيصل يريد أن يعرض على مسامعكم أمورا تتعلق بمعاهدة سيفر لتنظروا فيها . ومنها :

١ ـ الامتيازات والحقوق التى تمتع الحجاز بها على الدوام والتى كانت محترمة لما كان الحجاز تحت حكم تركيا

٢ ـ المسائل المتعلقة بالأوقاف وسائر المهام الدينية التى يقوم بها الحجاز

٣ ـ تسوية العلاقات الاقتصادية بين الولايات العربيـة

٤ ـ تأليف اللجنة التى تحدد تخوم الولايات العربيـة وهى الحدود التى أشارت اليها المادة ٩٤ ومسائل ثانوية أخرى

مفاوضات الرسمية مع الانكليز وسفر تشرشل الى مصر

واتصل الملك منذ وصوله الى لندن بوزارة المستعمرات البريطانية فدارت بينه وبينها مفاوضات لحل المشـكلة العراقية ، وكان الـكولونيل لورانس يتقلد منصب مستشار للشؤون العربيـة فى هذه الوزارة وقد قبـله بعد مانال وعدا من حكومته بانها ستنصف العرب وتنيلهم حقوقهم

ولما تم الاتفاق مبدئيا سافر المستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية الى الشرق العربى لزيارة مصر وفلسطين وللاجتماع بالوفد العراقى القادم من بغـداد والاتفاق معه على طريقة العمل لانشاء الحـكومة الجديدة وكان ممثلو الحـكومة البريطانية فى العراق قطعوا خطوات واسـعة لتحقيق هـذه الأمنية منذ وصول السر برسى كوكس الى بغـداد فى شهر اكتوبر سنة ١٩٢٠ وتقلد منصبه الجديد

١٥

كيف أنشئت الدولة الجديدة

وصول السر برسى كوكس وتدابيره

انتهت مدة خدمة السر ارنولدولسن الحاكم السياسي للعراق فى ختام شهر سبتمبر سنة ١٩٢٠ فوصل الى البصرة يوم أول اكتوبر بطريقه الى بلاده فاجتمع فيها بالسر برسى كوكس المندوب السامى الجديد وفى يوم ١١ منه بلغ هـذا بغداد فاستقبل استقبالا رسميا وأجاب على خطب الخطباء بكلمات موجزة فقال : « ان دولة انكلترا أرسلتنى للاتفاق مع أعيان العراق وكباره ولمساعدتهم فى تأليف حكومة عربيـة مستقلة تحت اشرافها ولقد جئت لهذا القصد وانى لأرجو أن يحصل المقصود للطرفين غير انه لا يمكننى العمل مادام الاضطراب قائما ولذلك سأنتظر ريثما تحصل الفرصة والأمر بيدكم »

ثم ألقى بعد بضعة أيام بيانا مكتوبا على جهور من أعيان بغداد دعاهم للمداولة بشأن تأليف حكومة موقتة فقال :

« انى آت الى العراق لانشاء حكومة مستقلة . ان استقلال العراق محفوظ عند جامعة الأمم وعند بريطانيا ولكن لايفهم من هـذا الاستقلال انه بدون انتداب فقد أخـذت بريطانيا على عاتقها مهمة المحافظة على أمن العراق الداخـلى والخارجى وحسن ادارة الحكومة » قال «وانى أرغب الاسراع فى تأليف الحكومة الجديدة ولولا هذه القلاقل التى أشغلت قسما من العراقيين عن أمور بلادهم وأضحت عقبة فى سبيل المداولة معهم لباشرت عملى وسأبدأ بانشاء حكومة وطنية موقتة لأبرهن على حسن نيتى أما الحكومة الدائمة فتنشأ عند مايستتب الأمن. والاستقلال النهائى ليس فى يدى بل هو بيدكم ومتى برهنتم على انكم قادرون على الحكم الذاتى نودعكم ونلقى اليكم زمام الأعمال وسأدعوكم بعد أيام لاستطلاع آرائكم »

وفى يوم ٢٦ منه أذاع فى مناطق الثورة البلاغ الآتى :

«ان فخامة نائب الملك السر برسى كوكس يعلن لجميع أفراد العشائر وطوائف العراق ان حكومة بريطانيا العظمى انتدبته ليعود الى العراق ولينفذ مقاصدها الثابتة بمساعدة رؤساء الأمة ولتشكيل حكومة وطنية فى العراق بنظارة حكومة بريطانيا . و يصعب جدا على فخامته تنفيذ نوايا حكومته مادامت بعض أقسام العشائر والطوائف فى العراق تعادى الحكومة . و يظن ان الأحوال الحاضرة نتجت عن الشكوك الواهية التى تخامر أفكار بعض طبقات الأمة فى نوايا الحكومة البريطانية و يعتقد انه توصل الى ازالة كل شك من أفكار الذين قابلوه حتى الآن ولا يعلم غرض العشائر الذين يشغلون أنفسهم بالحرب فاذا كان هنالك سوء تفاهم فيسره أن يبلغ العشائر ذلك اليه بواسطة أقرب حاكم سياسى اليهم »

حكومة النقيب الاولى

وفى يوم ٢٧ منه أتم السر برسى انشاء الحكومة الموقتة برئاسة السيد عبد الرحمن الكيلانى نقيب أشراف بغداد وهذه أسماء أعضائها :

السيد طالب النقيب لوزارة الداخلية وساسون حسقيل للمالية ومصطفى الالوسى للعدلية وجعفر العسكرى للدفاع وعزت باشا الكركوكى للاشغال والمواصلات وعبد اللطيف المنديل للتجارة والسيد محمد مهدى الطباطبائى للمعارف والصحة ومحمد على فاضل للاوقاف

وضم الى الوزارة اثنى عشر وزيرا بلا وزارة لمساعدتها فى مهمتها وللاستعانة بآرائهم وهذه أسماؤهم :

عبد الرحمن الحيدرى وعبد الجبار الخياط وفخر الدين جميل والحاج عبد الغنى كبه والشيخ عجيل السمرمد وعبد المجيد الشاوى والشيخ محمد الصيود وداود اليوسفانى والشيخ سالم الخيون واحمد الصانع ونجم البدراوى والشيخ ضارى السعدون

وعقدت الوزارة بكامل هيئتها أول اجتماع رسمى يوم ٢ نوفمبر فألقى رئيسها الخطبة الآتيـة :

أيها السادة الأجلاء وجوه الوطن العزيز النبلاء

تعلمون ان ماانتدبتم اليه من القيام بالوظائف التى أودعت الى عهدتكم من أهم

الأمور فيجب على كل منا أن يتخذ صدق العزيمة شعاره وقوة الاقدام دثاره مع الثبات المكين عند مباشرة الأعمال التي تعود الى وظيفته . ويجب على كل واحد منا أيضا أن يسند صاحبه ويعاضده في عمله لتحصل الثمرة المطلوبة وتلتقط الضالة المنشودة للجميع واني لاأحب أن أطيل الكلام في هذا الباب لانكم تعلمون أكثر مما أعلم وواقفون على الأحوال أكثر مما أنا واقف عليه وأتم . ومما هو ظاهر في الميدان ومشاهد بعين العقل كالعيان تمايز الرجال بالأعمال وتشهد لهم على ذلك الآثار

والقول ان لم يقرن الفعل به تصديقه فهو الحديث المفترى

سدد الله خطاكم ووفقنا واياكم لما فيه النفع للبلاد والعباد بمنه وكرمه »

وفي يوم ٨ منه أذاع ديوان المندوب السامي البلاغ الآتي :

ان فخامة المندوب السامي يرغب في أن يطلع عموم الأهالي على قدر الامكان على الاجراءات التي يتخذها لتنفيذ مقاصد حكومة جلالة ملك بريطانيا . أما هذه المقاصد فهي الاسراع في تمهيد الطرق التي يتوصل بها الشعب العراقي الى ابداء رأيه في شكل الحكومة التي يرغب فيها ثم تعجيل تأسيس هذه الحكومة بارشاد حكومة بريطانيا العظمى واشرافها

ان اختيار شكل الحكومة أمر يجب أن يبت فيه العراقيون أنفسهم ولا يمكن اصدار مثل هذا القرار بدون تأليف مؤتمر عام يمثل الشعب تمام التمثيل . ثم ان لجنة النواب السابقين المجتمعة الآن تشتغل في وضع التعليمات الانتخابية وسيجري بالسرعة اللازمة كل مايقتضي حسب اقتراحات اللجنة المذكورة ويشرع في الانتخابات في الأمكنة الخالية من الاضطرابات ولا يمكن اجراء انتخابات في الأمكنة الثائرة ما لم يخضع سكانها للحكومة ويلوذوا بالسكون المعتاد وعلى كل حال فالاستعداد لاجراء الانتخاب لن يتم في مدة تقل عن شهرين أوثلاثة

وبما أنه يلزم اشتراك زعماء الأمة في أعمال الحكومة خلال هذه المدة أكثر من قبل وتجنبا من تسرب اليأس الى قلوب المسالمين الذين أقاموا على الولاء للحكومة من تأخير اجراء الانتخابات فقد دعا فخامة المندوب السامي حضرة صاحب الفخامة والسماحة السيد

عبد الرحمن افندى نقيب أشراف بغداد الى تأليف مجلس وزراء برئاسته حبا بالوطن . أما وظيفة المجلس المذكور فهى القيام بالواجبات العمومية بارشاد فخامة المندوب السامى الى أن يصدر قرار المؤتمر ويسن قانون أساسى للبلاد . والذين يشاركون المندوب السامى رغبته فى التعجيل بعقد المؤتمر واصدار قراره عليهم أن يشاركوه أيضا فى حض الأمة على الطاعة فى الأماكن الثائرة لكى لاتتأخر اعادة السلم والنظام الى نصابهما ولا تتأجل المباشرة فى الانتخابات . وفى الختام يصرح المندوب السامى للعموم أن تأليف مجلس الوزراء الحالى هو لتمهيد سبيل الاصلاحات القادمة وأنه لايعارض أحكام المؤتمر العام وقراراته

مؤتمر القاهرة

فى يوم ٩ مارس سنة ١٩٢١ وصل الى القاهرة المستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية مصحوبا بالكولونيل لورانس و بعض الخبراء البريطانيين لدرس شؤون الشرق الأدنى . وفى يوم ١١ منه وصل الوفد العراقى القادم للاجتماع بالوزير ويتألف من السر برسى كوكس والجنرال هلدين القائد العام للجيش البريطانى فى العراق وجعفر باشا العسكرى وزير الدفاع وساسون حسقيل وزير المالية والجنرال انكنش والجنرال ستورث والكولونيل تريفور المعتمد البريطانى فى بوشهر والكولونيل سلاتير والمس بل والكولونيل بونى والماجور ايدى والماجور جب والماجور بارت والمستر سمسن فاجتمع بالمستر تشرشل وعقدا جلسات عديدة للبحث فى شؤون العراق اتفقا فى ختامها على تفاصيل المشروع الجديد لانشاء الدولة العربية فى العراق برئاسة الملك فيصل . وسافر الوزير البريطانى بعد ذلك الى فلسطين وعاد الوفد العراقى الى بغداد ونشر على أثر وصوله البيان الآتى :

« كان السبب الأول الذى دعا الى عقد المؤتمر الذى التأم فى القاهرة رغبة وزير المملكة الجديد فى الاجتماع بالممثلين البريطانيين فى المناطق الواقعة ضمن دائرة مسؤوليته كالمندوبين الساميين فى العراق وفلسطين وحاكمى عدن و بلاد الصومال وذلك لكى يطلع الوزير المذكور رأسا على مجرى الأمور فى الأقطار المذكورة

أما فيما يختص بالعراق فكانت المسألة الموضوعة على بساط البحث انقاص المصروفات العسكرية انقاصا كبيرا لكى تتمكن الحكومة البريطانية من القيام باعباء المحافظة على حالة ثابتة الأركان فى البلاد العراقية ريثما تتمكن الحكومة الوطنية ذاتها من أن تأخذ على عاتقها مسؤولية الدولة العربية التى ترمى الحكومة البريطانية الى تأسيسها وتأييدها

وقد تمكن فخامة المندوب السامى وجناب القائد العام من أن يقدموا الى المؤتمر اقتراحات ترمى الى اقتصاد بعضه عاجل و بعضه تدريجى مما جعل وزير الدولة شديد الآمال بأنها ستأتى مرضية لآراء حكومة جلالة الملك والرأى العام البريطانى والعربى . وفى الوقت ذاته أحل الاتفاق الذى توصل اليه بشأن المحافظة على الأمن الداخلى وحماية الحدود والترتيبات المالية اللازمة لترقية الجيش العربى محلها من الاعتبار

وسيصدر فى وقت قريب عفو عام يشمل جميع الذين اشتركوا فى الاضطرابات الأخيرة عدا بعض أفراد ارتكبوا جرائم فظيعة كقتل الكولونيل لنجمان وما أشبه من الجرائم

ولما انتهى المؤتمر سافر الوزير الى فلسطين ومنها الى انكلترا لكى يقدم بذاته النتائج التى أسفر عنها المؤتمر الى مجلس الوزراء والأمل وطيد أن ترد فى بضعة الأيام القريبة برقية بمصادقة مجلس الوزراء عليها فيصدر المندوب السامى بلاغا آخر »

منشور العفو

وفى ٣٠ مايو أصدر المندوب السامى منشورا بالعفو العام هذا نصه :

« بناء على التخويل الصادر من حكومة جلالة الملك يعلن فخامة المندوب السامى بمزيد السرور عفوا عاما عن المجرمين السياسيين يعمل به ابتداء من هذا اليوم وعلى القاعدة الآتية :

١ ـ يشمل العفو العام جميع من كان لهم يد فى فتنة سنة ١٩٢٠ وذلك فيما يختص بالجرائم التى تعد مرتكبة ضد الحكومة مساعدة على الفتنة ويطلق سراح المسجونين والموقوفين ويؤذن للفارين بالعودة ولاخوف عليهم من أن يحاكموا ويستثنى من ذلك :

١ ـ الذين كانوا حين اشتراكهم فى الفتنة موظفين بالأجرة فى ادارة المناطق المحتلة فهؤلاء ينظر فى أمر كل واحد منهم على حدة حسب استحقاقه

٢ ـ الأفراد الآتيـة أسماؤهم والمعتقد أنهـم مسؤولون عن اقتراف جرائم شنيعة أوالتحريض على اقترافها وهم فارون الآن من وجه العدالة :

ا ـ الشيخ ضارى وولداه خميس وسليمان وسرب وأسلوبى وولدا مجباس ودهان بن فرحان وجميع هؤلاء تابعون لعشيرة الزوبع وهم متهمون بقتل الـكولونيل لنجمان أو التحريض على قتله

ب ـ جميل بك المدفعى وحميـد افندى دبونى المتهمان بالتحريض رأسا على قتل الـكبتن بارلو واللفتننت استيوارد وغيرهما من الموظفين البريطانيين فى تلعفر

ج ـ جاسم المويلى من عشيرة المهدية المتهم بقتل الـكبتن ريكلى

د ـ محمد الملا محمود من البحاحثة المتهم بقتل اللفتننت ابرادفيلد وحسن العبد وجاسم العوض من بنى تميم المتهمان بقتل المستر بوكانن

ه ـ باصر بن اريغير وعلاوى الجاسم وابن رميدى وهم متهمون بقتـل أسرى بريطانيين .

و ـ بسبوس بن محاويس ونعمة بن ضعينة من الجوابر وهما متهمان بقتل بعض ضباط سلاح الطيران الملـكى

ز ـ فالح بن حاج سفر الاعجيرب من الجوابر متهم بالتحريض على قتل اللفتننت هيدكار وخمسة من رجال المدفعية البريطانيين على المركب (اكرين فلاى)

٢ ـ أما بشأن الأفراد الذين لم تـكن لهم علاقة بفتنة سنة ١٩٢٠ ولـكنهم معتقلون أومنفيون أوشاردون لأسـباب مختلفة متعلقة بجرائم سياسية ارتـكبت قبلها ـ فقد خول المندوب السامى مبدئيا أن يشملهم العفو قبل أن ينظر فى أمر كل منهم على حدة وبحسب استحقاقه الخاص عند تقديم صاحب الشأن طلبا رسميا الى أقرب ممثل بريطانى أو الى فخامة المندوب السامى رأسا »

١٦

الملك فيصل فى العراق

لم يطل الملك فيصل الاقامة فى لندن ، بعد سفر المستر تشرشل الى الشرق العربى ، فقد غادرها يوم ٣١ مارس بعد ماوردت الأخبار الى لندن بنجاح مؤتمر القاهرة وباتفاق الوزير وولاة الأمور البريطانيين والمحليين فى العراق على القواعد والأسس التى يسار عليها فى انشاء الدولة الجديدة

أما القواعد التى تم الاتفاق عليها مبدئيا بين الملك والوزير قبل سفر هذا الى القاهرة فهى :

١ ـ تعترف الحكومة البريطانية باستقلال المملكة العراقية وتتعهد بالغاء الانتداب وبمساعدة العراقيين فى تأسيس حكومة وطنية وطيدة

٢ ـ تعقد معاهدة ولاء وتحالف بين الحكومتين البريطانية والعراقية تنال فيها الحكومة البريطانية بعض مزايا اقتصادية وتنص على استخدام مستشارين واخصائيين بريطانيين لمساعدة الموظفين العراقيين

وبلغ بور سعيد يوم ١٣ ابريل سنة ١٩٢١ وجاء القاهرة فى ١٤ منه وفى يوم ٢١ غادرها الى جدة ومعه الأمير زيد وقد جاء الى القاهرة لملاقاته . واستقبل فى جدة ومكة استقبالا حافلا ، واجتمع بالزعماء العراقيين اللاجئين الى الحجاز وحادثهم مليا ووقف على آرائهم

كتاب الحسين الى العراق

وفى الأسبوع الثانى من شهر يونيو غادر جدة ببارجة بريطانية قاصدا البصرة يحمل من جلالة والده الى الشعب العراقى الكتاب الآتى :

من الحسين بن على - الى الأماجد النجباء كافة اخواننا أهـل العراق حاضرهم وباديهم عافاهم الله من الأسواء

« بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأن محررى هـذا سيصلـكم ان شاء تعالى عن يد ابنى فيصل ، أنبئكم به بأنى لم أوفده اليكم الا لمحض انفـاذ رغبانـكم وطبقا لارادتـكم اذ لايهمنا ورب الـكعبة الا حصول اقوامنا على استقلالهم ببلادهم ووحدتهم بأى صورة وشكل كان وعلى يد أى شخص من أبنائها وحسبي الله تبارك وتعالى بكل ذلك وعلى كل حال فهو جل شأنه المسؤول أن يمن على الجميع بموجبات رحمته ومرضاته ويدفع عنا واياكم الأسواء ويختار لنا ما كان فيه الخيرة وصلى الله على خيرته من خلقـه وآله الطهر وصحبه الغر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »

فى ٤ شوال سنة ١٣٣٩ و ١٠ يونيو سنة ١٩٢١

واستقبل بالحفاوة الزائدة حين وصوله البصرة يوم ٢٣ منه . وجاء وفد كبير من بغداد للحفاوة به وفى يوم ٢٤ منه أقيمت له حفلة فخمة فألقى الخطابة الآتيـة وهى أول خطبة خطبها فى العراق قال :

« قبل كل شيء أريد أن أبدى مزيد شكرى لما رأيته من الوفادة والاستقبال من سكان هـذه المدينة نحو شخصى وليس ذلك عليهم بكثير لما اشتهر عنهم . ومايأتى من الطيب دائما طيب

أريد أن ألقى كلمتين عنى وعن أسرتى فأقول :

ان الواجب الدينى والجنسى هو الذى دفع بنا الى القيام بتلك النهضة المباركة ، وذلك الدافع هو شعور شريف جعل الأمة العربية فى موقع سام فى العالم فما رأيتموه من والدى ومنى ومن أخى لايوجب الشكر عليه بل هو واجب وأنا أرى نفسى وأسرتى مسؤولين عن هذا المبدأ أكثر من كل فرد لأن هذه الأمة شيدت بعمل البارى سبحانه وتعالى وجـدنا سيدنا محمد صـلى الله عليه وسـلم . فاذا كان على العربى واجب فعلينا أضعاف فلذلك لاأريد أن يشكرنا أحـد وأرجو أن لاأسمع بعد من أحد شـكرا عن شخصى لأن ذلك يزعزع همتى وانى أعمل الواجب ولا أرغب فى الشكر

اخوانى : أعد نفسى سعيدا بأن أكون معكم وأشـكر البارى للقياى اياكم وسائر

اخوانى فى هذا القطر فا كلكم فى هـذا المحضر (كفيصل) مجرد عن كل شخصية ، بل كواحد مجرد عن كل مقدرة أوصيكم أن تكونوا متحدين متعاضدين مساعدين بعضكم البعض . فتزيلون الشك من قلوبكم فى الآخرين وأن لايكون لكم قصد سوى خدمة هذه الأرض المقدسة فاذا عملتم بهذا بالصبر والثبات فلا بد أن تدركوا قصدكم وتفلحوا

أحلف بالله أن ليس فى قلبى طمع سوى خدمة هذه البلاد وانما أفعل ذلك لوجه الله وانى والله أرغب أن أرى غيرى فى مقامات عالية وأن أرى فى المقامات العالية رجالا اتندبتهم الأمة وتثقون بهم حق الثقة . فانى أقسم بشرفى وأجدادى و بقبر جدنا الرسول محمد (صلعم) وآله أن كل من تختارونه فأول واحد يمد يده هو أنا

الأمة لايمكن أن تأتى بعمل اذا صار حاجز بينها و بين الحاكم . ان الشك والظن رأس كل بلية فأوصى كافة أبناء جلدتى أن يرفعوا كل شك من قلوبهم نحو اخوانهم فاذا أخلصوا النية بهذه الصورة نجحوا فى مقاصدهم

هذه توصية عارية عن كل غرض وأقول لكم والله شاهد على وملائكته والناس أجمعون أنه اذا اتفقت أمة على رجل يرأسها فأول من يبايعه هو أنا

نعم خدمنا فى الحرب والسياسة لكن عملنا ذلك كان من الواجب علينا والاعتماد هو على قلوب الأمة التى نحن نراها قوية الآمال بنجاحها . فكما أننا اتحدنا ووصلنا الى هـذه الدرجة فلنواظب على عملنا مؤملين الوصول الى مانبتغيه ألا وهو الاستقلال التام بكل معنى الكلمة »

وفى يوم ٢٦ منه غادرها الى بغداد بقطار خاص ومر بكربلاء والنجف فزار مرقدى الامامين على والحسين وكانت المدن التى مر بها فى طريقه لابسة حلل الزينة . ووصل بغداد يوم ٢٩ منه فاستقبله فى محطتها السر برسى كوكس والجنرال هلداين ورئيس الوزراء والوزراء والأعيان وخطب رئيس البلدية مرحبا ودخل المدينة بموكب حافل ولم يكد يستقر به المقام حتى قصد الكاظمية لزيارة مرقد الامام موسى الكاظم كما زار ضريح الشيخ عبد القادر الجيلانى . وقد أقيمت حفلات تكريم عديدة أعرب فيها الشعب عن ارتياحه الى وصوله واجماعه على اختياره الى أعلى مقام فى بلاده

تدابير السلطة البريطانية

وكانت السلطة البريطانية فى بغداد أقالت السيد طالب النقيب وزير الداخلية فى الوزارة النقيبية الأولى ونفته الى سيلان لما اتصل بها من أنه يقاوم السياسة الجديدة فى العراق ويطمع أن يكون رئيسا للدولة الجديدة

وخطا الانكليز الخطوة الثانية فأذاع المندوب السامى يوم ٥ يوليو أى بعد انقضاء أسبوع على وصول الملك الى بغداد ـ بيانا رسميا هذا نصه :

« بسط المستر تشرشل فى خطبة خطبها يوم ١٤ يونيو على مجلس النواب البريطانى الحالة السياسية فى بلدان الشرق الأدنى وأورد بيانا شافيا عن سياسة حكومة جلالة الملك فى هذه البلدان وقد أمرت بنشر نص خطابه فى صحف بغداد والبصرة الصادرة باللغتين العربية والانكليزية ليطلع عليه الناس فنشر حالا وحيث ان بعضهم يرغب أشد الرغبة فى صدور تصريح منى بصفتى المندوب السامى ورئيس الحكومة العراقية الموقتة أشرح فيه بوضوح النقاط المهمة التى وردت فى الخطبة المذكورة رأيت الواجب يقضى على بالقيام بذلك فأقول :

١ ـ انه مما يستحق الذكر أن الحكومة البريطانية قطعت فى ابتداء الحرب العظمى فى أوقات مختلفة عهودا لاهالى العراق ولجلالة ملك الحجاز بأنه لن يسمح بوجه من الوجوه أن تعود العراق أو أى مقاطعة من المقاطعات المحررة الى السلطة التى كانت تابعة لها عند نشوب الحرب وان الحكومة البريطانية تقصد المحافظة على هذه العهود بحزم وثبات وتشعر أنها تكون مقصرة فى القيام بواجباتها بموجب هذه العهود فيما لو أهملت تقديم المساعدة الى العراق فى هذا الدور الابتدائى من حياته وتركته باهمالها فريسة للاضطراب ، كما أن بريطانيا فى الوقت نفسه غير مستعدة للاستمرار فى حمل العبء المالى الثقيل والمسؤولية السياسية بمراقبة ادارة العراق الى الحد الذى كان ضروريا ريثما تعاد الأمور الى الحالة التى كانت عليها فى زمن السلم

ان الحكومة البريطانية كانت ولا تزال ترى أن أفضل طريقة للقيام بوعودها وواجباتها هى مساعدة أهل العراق على اقامة حكومة وطنية منهم بمساعدتنا فتنشأ

بذلك دولة عربية صادقة تكون بغداد عاصمة لها . أما حكومة جلالة الملك فترى أن أفضل أنواع الادارات هى حكومة دستورية برئاسة حاكم مقبول لدى أهل البلاد وترغب فى أن تبين بوضوح كما سبق و بين تكرارا بأنه ليس لها قصد أو رغبة فى اكراه الشعب على قبول حاكم معين بل بالعكس ترغب فى وجود الحرية التامة فى الاختيار وابداء الرأى، ومع ذلك فانها بصفتها تحملت نفقات طائلة فى العراق خلال السنوات السبع الاخيرة لا يمكنها أن تقف موقف عدم الاكتراث ولها الثقة بأن يستعمل الشعب العراقى الحكمة والحرية معا فى اختيار هذا الوازع

وهنا أود أن أشير بايجاز الى قدوم سمو الامير فيصل الى بغداد فأقول ان موقف حكومة جلالة الملك فى هذا الصدد هو مايلى :

ان عائلة الشريف هى العائلة التى نشرت اللواء العربى فى صف الحلفاء أثناء الحرب ولعبت دورا ذا شأن فى ربحها وكانت القضية التى دخلت من أجلها فى صفوف المحاربين قضية حرية العرب وهى القضية التى تعهدت بريطانيا بمظاهرتها ونجاحها فى العراق، وأجيب أنصار عائلة الشريف فى العراق عند ماسألوا الحكومة البريطانية عن موقفها ازاء دعوتهم للامير فيصل ليأتى الى العراق بأن حكومة جلالة الملك لن تضع عثرة فى سبيل ترشيح سموه واذا وقع عليه اختيار الشعب العراقى فيلاقى تأييد بريطانيا . وكذلك فلم ير المستر تشرشل وهو يعرب عن رغبته فى أن يستعمل أهالى العراق الحرية فى الاختيار مايمنعه من أن يجاهر بأن حكومة جلالة الملك تعتبر الامير فيصلا مرشحا موافقا لا بل هو فى الواقع أفضل مرشح فى الميدان وترجو أن ينال معاضدة أكثرية الشعب العراقى

وتعتقد حكومة جلالة الملك انه اذا تم اختياره نكون قد توصلنا الى حل ينطوى على أكبر الآمال في مستقبل سعيد لهذه البلاد

وتعلم حكومة جلالة الملك أنه بحث فى حلول أخرى ممكنة منها أولا ــ انشاء جمهورية ، ومنها ثانيا الاتيان بأمير تركى اما فيما يختص بالأول فحكومة جلالة الملك ترى أن درجة العراق من الرقى غير موافقة قطعيا لانشاء جمهورية ، وأما فيما يختص بمبايعة أمير تركى فهذا حل لاتفسح الحكومة مجالا له

والمرجو أن البيانات التى وردت فى هذا البلاغ تفسر سياسة حكومة جلالة الملك تفسيرا

جليا وهى السياسة التى استحسنها بالاجمال الجمهور البريطانى والصحافة البريطانية طبقا لما ورد فى خطاب المستر تشرشل وأوافق عليها كل الموافقة بصفتى المندوب السامى الذى من واجباته وواجبات وظيفته تفسيرها بدقة »

البيعة بالملك

وفى يوم ١١ منه قرر مجلس الوزراء المناداة بسمو الامير فيصل بن الحسين ملكا على العراق على أن تكون حكومته حكومة دستورية نيابية دمقراطية مقيدة بالقانون وأبلغ قراره هذا الى المندوب السامى فرأى هذا أن يستشير الشعب العراقى ويقف على رأيه قبل أن يبت فى الأمر فاقترح على الوزارة اجراء استفتاء عام تجرى ذلك بواسطة لجان ألفتها الوزارة من أرباب الكفايات وأوفدتها الى المدن فكانت كل لجنة تدعو الاهلين بعد أن تحل فى مدينتهم الى الاجتماع فى مكان تعينه فتتلو عليهم الخطب وتدعوهم الى ابداء رأيهم فيقبلون على البيعة بطيبة خاطر وقد ظهر فى نتيجة هذا الاستفتاء أن ٩٧ فى المئة كانوا فى جانب الملك

وعلى أثر ظهور هذه النتيجة ضرب يوم ١٨ ذى الحجة (٢٣ أغسطس سنة ١٩٢١) وهو يوم عيد الغدير المقدس عند الشيعة الامامية ــ موعدا لاتمام البيعة ، واجراء التتويج فأقيم فى صباحه احتفال فخم عظيم فى ساحة برج الساعة من الثكنة العسكرية حضره أقطاب الحكومة وكبار الموظفين البريطانيين ومتصرفو الالوية . وافتتح السر برسى كوكس المندوب السامى الحفلة بتلاوة البيان الآتى :

منشور من السر برسى كوكس الحامل للوسام الاكبر للامبراطورية الهندية ووسام نجمة الهند العالى من درجة فارس ووسام القديس ميخائيل والقديس جرجس السامى من درجة فارس المندوب السامى لجلالة ملك بريطانيا الى الامة العراقية بواسطة ممثليها الحاضرين

« قرر مجلس الوزراء باتفاق الآراء وبناء على اقتراح فخامة رئيس الوزراء المناداة بسمو الامير فيصل ملكا على العراق فى جلسته المنعقدة فى اليوم الرابع فى شهر ذى القعدة سنة ١٣٣٩ هـ الموافق ١١ يوليو سنة ١٩٢١ على أن تكون حكومته حكومة دستورية

نيابية دمقراطية مقيدة بالقانون و بصفتى مندوبا لجلالة ملك بريطانيا رأيت أن أقف على رضى الشعب العراقى البات قبل موافقتى على ذلك القرار فجرى التصويت العام برغبة منى. وأسفرت نتيجة التصويت عن أكثرية كلية ٩٧ ٪ من مجموع الناخبين المتفقتين على المناداة بسمو الامير فيصل ملكا على العراق وعليه أعلن أن سمو الأمير فيصل نجل جلالة الملك حسين قد انتخب ملكا على العراق وان حكومة جلالة ملك بريطانيا قد اعترفت بجلالته ملكا على العراق فليحى الملك

خطبة الملك

ووقف على الأثر جلالة الملك فيصل وخطب الخطبة الآتية :

أتقدم الى الشعب العراقى بالشكر الخالص على مبايعته إياى مبايعة حرة دلت على محبته لى وثقته بى فاسأل الله عز وجل أن يوفقنى لاعلاء شأن هذا الوطن العزيز وهذه الأمة النجيبة لتستعيد مجدها الغابر وتنال منزلتها الرفيعة بين الأمم الناهضة الراقية

وانه ليجدر بى فى مثل هذه الساعة التاريخية التى برهنت فيها الأمة العراقية على خالص ودها نحو أسرتنا الهاشمية أن أذكر ماجلالة والدى الملك حسين الأول من الأيادى البيضاء فقد رفع لواء العرب منضما الى الحلفاء ونهض بالعرب لاغاية لهسوى تحريرهم وتأييد استقلالهم القومى الذى كانوا ينشدونه منذ قرون ، كما انى أرى من الواجب المتحتم فى مثل هذا اليوم أن أذكر محييا تلك النفوس الطاهرة الأبية ، نفوس أبناء النهضة العربية الذين استبسلوا مع أبطال الحلفاء وذهبوا ضحية أوطانهم العزيزة أولئك هم أصحاب الذكر الخالد فسلام عليهم وألف تحية

وهنا واجب آخر يدعونى الى أن أرتل آيات الشكر للامة البريطانية فقد أخذت بناصر العرب فى أوقات الحرب الحرجة فجادت بأموالها وضحت بأبنائها فى سبيل تحريرهم واستقلالهم وانتى اعتمادا على صداقتها ومؤازرتها التى أظهرتها وتعهدت لنا بها اقدمت على القيام بشؤون هذه البلاد شاكرا للحكومة المؤقتة همتها ولفخامة المندوب السامى حميته وللحكومة البريطانية العظمى اعترافها بى ملكا للدولة العراقية المستقلة التى دعيت لملكيتها بارادة الشعب مباشرة

أيها العراقيون الأعزاء : لقد كانت هـذه البـلاد فى القرون الخالية مهد المدنيـة والعمران ومركز العلم والعرفان فأصبحت بما نابها من الخطوب والحوادث خالية من أسباب الراحة والسعادة ففقد منها الأمن وسادت الفوضى وقل العمل وغاضت مياه الرافدين فى بطون البحار وأقفرت الارض بعـد أن كانت يانعـة نضرة وطغت القفار على العمران وأضحت المدن التى قويت على مقاومة النائبات أشبه شئ بواحات واسعة فنحن الآن تجاه هـذه الحقائق المؤلمة ولا يجـدر بشعب يريد النهوض الا أن يعترف بها . اننا لم ننهض الا لمكافحة هـذه العقبات ولم نخض غمار الحرب الكبرى الا لاحياء هـذه المعالم الدارسـة . واذا كان الناس على دين ملوكهم فديني انما هو تحقيق أمانى هـذا الشعب وتشييد أركان دولته على المبادئ الدينية القويمة وتأسيس حضارته على أساس العلوم الصحيحة والأخلاق الشريفة متوكلا على الله ومستندا على روحانية أنبيائه العظام ومعتمدا عليكم أنتم أيها العراقيون

لقد صرحت لكم مرارا بان مانحتاج اليه لترقية هذه البلاد يتوقف على معاونة أمة تمدنا بأموالها ورجالها وبما ان الأمة البريطانية أقرب الأمم الينا وأكثرها غيرة على مصالحنا فاننا سنستمد منها وتستعين بها وحدها فى الوصول الى غايتنا المنشودة فى أسرع وقت

ولا يغرب عن الأذهان بانه اذا كان الناس على دين ملوكهم فالملوك على دين شعوبهم فعلى قدر التضامن يكون النهوض ونحن الآن أحوج الأمم الى التضامن والتعاضد والعمل بجـد ونشاط ضمن دائرة السلام والنظام وانى لا آلو جهدا بأن أستعين برجال الأمة على اختلاف مواهبهم وتباين طبقاتهم وتفاوت معتقداتهم فالكل عندى سواء لافرق بين حاضرهم وباديهم ولا ميزة لأحد على غيره الا بالعلم والمقدرة والأمة بمجموعها هى حزبى لاحزب لى سواها ومصلحتها مصلحتى لامصلحة لى غيرها

الا وان أول عمل أقوم به مباشرة الانتخاب وجمع المجلس التاسيسى ولتعلم الأمة أن مجلسها هذا هو الذى سيضع بمشاورتى دستور استقلالها على قواعد الحكومات الدستورية السياسية الدمقراطية ويعين أسس حياتها السياسية والاجتماعية ويصادق نهائيا على المعاهدة التى سأودعها له فيما يتعلق بالصلات بين حكومتنا والحكومة البريطانيـة العظمى ويقرر حرية الأديان والعبادات بشرط أن لاتخل بالأمن والأخـلاق العمومية ويسن قوانين

عدلية تضمن منافع الأجانب ومصالحهم وتمنع كل تعرض للدين والجنس واللغة وتكفل التساوى فى المعاملات التجارية مع كافة البلاد الأجنبية

وانى لواثق تمام الثقة باننا بالاستشارة مع فخامة المندوب السامى جناب السر برسى كوكس الذى برهن على صداقته للعرب صداقة خلدت له الذكر الجميل سنصل الى غايتنا بأسرع وقت ان شاء الله

فالى الاتحاد والتعاضد ، الى الروية والتبصر ، الى العلم والعمل أدعو أمتى والله الموفق والمعين

انسحاب الوزارة

وبعد انتهاء حفلة التتويج اجتمع مجلس الوزراء فخاطب الرئيس الاعضاء قائلا :

لايخفى على حضرتكم أن الاصول المرعية فى الممالك الدستورية تقضى بانسحاب الوزراء من ميدان العمل عند حدوث تجدد فتبوؤ جلالة الملك فيصل عرش العراق وضرورة تأليف حكومة دائمة دستورية هما تجددان عظيمان فلذلك قررت الانسحاب من أعمال رئاسة الوزارة وتقديم استقالة الوزارة الى الأعتاب الملكية وأرسل على الفور الكتاب الآتى :

ياصاحب الجلالة

ان الأصول المرعية فى الحكومات الدستورية تقضى بانسحاب هيئة الوزارة من ميدان العمل عند حدوث تجدد فى شكل الحكومة ولما كان تبوأ جلالتكم عرش العراق وضرورة إنشاء حكومة دستورية دائمة هما تجددان مباركان فقد انسحبت مع رفقائى من مباشرة أعمال مجلس الوزراء وبادرت بعرض الكيفية على أعتاب جلالتكم

وفى يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٩٢١ أعيد تأليف الوزارة برئاسة النقيب كما يأتى :

الحاج رمزى للداخلية وساسون حسيقل للمالية وناجى السويدى للعدلية وجعفر العسكرى للدفاع والسيد محمد على هبة الدين للمعارف وعزت الكركوكى للاشغال العمومية ومحمد على فاضل للاوقاف وعبد اللطيف المنديل للتجارة والدكتور حنا خياط للصحة وبذلك تم انشاء الدولة العراقية الجديدة

ملاحظات عامة

تنتهي بختام هـذا الجزء الحلقة الثانيـة من تاريخ القضية العربيـة وتشمل أخبار النضال بين « العرب والفرنسويين والانـكليز فى الشام والعراق » وتضم حوادث الفترة الممتدة من فتح دمشق سـنة ١٩١٨ حتى انشاء الدولة العربيـة الجديدة فى العراق سنة ١٩٢١

وقد بدأنا هـذه الحلقة بايراد تاريخ الدولة الفيصلية وينقسم الى ثلاثة أدوار :

الأول وهو دور التأسيس والانشاء ويبتدئ بدخول جيش الشمال الى دمشق وبقيام الدولة الجديدة وينتهي برجوع الأمير فيصل من رحلته الأولى الى أوربا فى شهر ابريل سنة ١٩١٩ وبوصول لجنة الاستفتاء الأميركية. ويبتدئ الدور الثانى بعودة الأمير ثانية الى أوربا واتفاقه مع المسيو كلمنصو على قواعد معينة لحـل المشـكلة السورية . أما الدور الثالث فيبتدئ من اعلان الاستقلال وينتهي بيوم ميسلون وخروج الملك الى حوران وسفره الى حيفا فأوربا

لقد تحول الخلاف السرى الذى ظهر بين قواد العرب والفرنسويين فى سنة ١٩١٧ على مصير سورية ومستقبلها الى نضال علنى منذ ابتداء هـذه المرحلة وظل يتطور تدريجيا حتى إنتهى بمعركة ميسلون سنة ١٩٢٠

ولم يستطع ولاة الأمور الفرنسويون فى بيروت سـنة ١٩١٨ أن يكتموا عواطفهم فقـد استقبلوا الأمير فيصـلا استقبالا باردا حينما جاء فى شهر نوفمبر ليبحر الى أوربا لحضور مؤتمر السلام بحجة ان الانـكليز هم الذين دبروا الرحـلة من دون أن يستشيروا فرنسا ومن دون أن يأخذوا رأيها وهى ذات صلة كبيرة بالقضية . والواقع أن هؤلاء كانوا يلحون على الانـكليز منذ ختام الحرب العظمى بتطبيق أحكام معاهدة سايكس ـ بيكو ويطلبون وضع دمشق تحت سيطرتهم . وقد ظل هؤلاء يسوفونهم ويماطلونهم حتى انتزعوا منهم الموصل وفلسطين وكانت الأولى داخـلة فى المنطقة (ا) أى داخلية سورية كما كانت

الثانية دولية . فلما نالوا ما نالوه بدأوا بالجلاء عن هذه المناطق ثم أطلقوا يد الفرنسويين فى سورية فكان ما كان

وقوبل الأمير أيضا بجفاء وفتور حين وصوله الى مرسيليا وأعدت المعدات لارساله الى الالزاس واللورين والحيلولة بينه وبين مؤتمر الصلح وذلك لان الفرنسويين ما كانوا يسلمون بحق العرب فى الاشتراك بمؤتمر الصلح أو الظهور فى المجتمعات الدولية ويرون ان مسائل بلاد العرب حلت باتفاق سايكس ـ بيكو فيجب أن ينفذ ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولئن قبلوا تعديله بعد ذلك مرتين فما ذلك الا مراعاة للظروف الدولية فقد عدل فى المرة الأولى بالتنازل عن الموصل وفلسطين للانكليز ، وذلك مقابل موافقة هؤلاء على سحب جنودهم من بلاد الشام (ساحلا وداخلا) وكان الانكليز يحتلون هذه البلاد كلها ومن كيليكية أيضا فقد أدركوا أن هذه هى الوسيلة الوحيدة لبسط نفوذهم فأرضوا الانكليز وما كان فى استطاعتهم اخراجهم بالقوة

وعدل اتفاق سايكس ـ بيكو للمرة الثانية فى معاهدة انقرة المعقودة بين تركيا وفرنسا فى سنة ١٩٢١ فقد اضطر الفرنسويون بموجب هذه المعاهدة الى الجلاء عن مقاطعة كيليكية وقد دفعوا للانكليز ثمن الحلول فيها وتخلوا عن مطامعهم فى جنوبى الاناضول وشرقيه وكانت أورفة وديار بكر وماردين داخلة فى المنطقة الزرقاء (منطقة شقة سورية الساحلية) وقد أطلقت يدهم بموجب معاهدة سايكس ـ بيكو فيها فلهم الحق بأن ينشئوا فيها نوع الحكم الذى يختارونه كما تنازلوا للترك عما مساحة ٥٤٠ كيلو مترا من الأراضى التى أدخلتها معاهدة سيفر فى حدود الدولة السورية ومنحوهم امتيازات ادارية فى لواء اسكندرونة ، وذلك لأنهم أدركوا أن الايغال فى عداء الترك ، وقد حاربوهم حروبا شديدة فى مرسين واطنه ومرعش وعينتاب ودرت يول وعثمانية وتغلبوا عليهم وحصروا حامياتهم ـ لا يفيدهم ولأنهم رأوا أمامهم شعبا قويا مستبسلا لا يمد عنقه للنير . ولابد لنا من القول ان الحكومة الانكليزية احتجت على هذا الاتفاق وقالت انه خرق صريح لاتفاق سايكس ـ بيكو وانه كان يجب على الحكومة الفرنسوية أن تستشير بريطانيا قبل اقراره فلم يأبه الفرنسويون لاحتجاجها لأنهم رأوا أن مصلحتهم فى التخلص من الترك الاقوياء لا المضى فى نضالهم . والقوى محترم فى كل زمان ومكان ولئن نفذت أحكام معاهدة سايكس

ـ بيكو على العرب وفى بلاد العرب فما ذلك الا لضعف العرب وفقرهم وجهلهم وعدم وجود رجال أكفاء بينهم يحسنون قيادتهم وتدريبهم

***

وتوسط الانكليز وفتحت أبواب مؤتمر الصلح فى وجه الامير ومثل العرب بمندو بين لابمندوب واحد كما كانوا يطلبون ، واتصل الامير مدة اقامته فى باريس بالرئيس ولسن وتردد عليه كثيرا ، وكان الوسيط بينهما الدكتور بلس رئيس الكلية الاميركية ببيروت يومئذ ، فقد سافر بعد الحرب الى اميركا وأوربا للدفاع عن القضية السورية

وأعجب الرئيس الاميركى بالامير العربى وقربه اليه وأدناه منه فشكا اليه تمسك الفرنسويين والانكليز بمعاهدة سايكس ـ بيكو واعتزامهم تطبيقها مع انها من المعاهدات السرية التى ألغيت بدخول أميركا الحرب وباقرار الحلفاء لمبدأ حق تقرير المصير وطالب الرئيس بانصاف العرب فوعده بالمساعدة والتأييد

وفى يوم ٢٠ مارس سنة ١٩١٩ استصدر الرئيس ولسن قرارا من مؤتمر الصلح بايفاد لجنة دولية الى بلاد العرب لدرس الحالة عن كثب ومعرفة مطالب هذا الشعب والوقوف على آرائه

وعينت الحكومة الانكليزية السر هنرى مكماهون مندوبها السابق فى مصر والاستاذ هوجارث من المستشرقين ليمثلاها فى هذه اللجنة وعينت الحكومة الفرنسوية النائب موريس لونج مندوبا عنها . وبينما كانت المعدات تعد لسفرها الى الشرق انسحب المندوب الفرنسوى وأعلن أنه لايسافر الا اذا اتفقت الحكومات ذات الشأن مقدما على جميع التفاصيل ولا سيما على مناطق الاحتلال العسكرى وعلى الأساليب التى يجرى بموجبها الاستفتاء، والواقع أن الخبراء الفرنسويين نبهوا حكومتهم بعد صدور هذا القرار الى عدم انطباقه على مصالحهم ، وكانت هنالك دعاية شديدة تبث ضد الفرنسويين يضاف الى هذا ان تصرفات موظفيهم فى الساحل ما كانت ترضى الشعب ، وهكذا انسحبوا من اللجنة وأخذوا يحاربونها ويضعون العقبات فى سبيل سفرها متذرعين باعذار جمة وجاراهم الانكليز أيضا لأنهم أدركوا ما أدركه الفرنسويون وشعروا بأن نتائج الاستفتاء لن تكون فى جانبهم لنقمة العرب عليهم وانضم زعماء الصهيونية الى العاملين لوضع العراقيل فى

سبيل اللجنة لأن جلاء الانكليز عن فلسطين مؤذن بتصرم آمالهم . وهكذا وحدت المصلحة بين هذه العناصر فوقفت صفا واحدا فى سبيل سفر اللجنة . ولما أطلع مندوبو العرب الرئيس ولسن على ما يدبر فى الخفاء لاحباط هذا المشروع ومقاومته خوف نتائجه أجابهم بأنه لا بد من تنفيذ قرار المؤتمر وقال انه مستعد لارسال اللجنة الاميركية وحدها فى حالة استنكاف الانكليز والفرنسويين وقد بر بوعده

وسبق الامير اللجنة فعاد الى سورية لاعداد مايلزم للاستفتاء ، وقد كانت علاقاته اجمالا بالفرنسويين خلال اقامته فى عاصمتهم ، على غير مايرام ، وكانوا يعملون فى هذه المرحلة لتعزيز فكرة انشاء «لبنان الكبير» ويقول الكونت غوتمبيرون ان المسيو جورج بيكو قنصل فرنسا فى بيروت قبل الحرب ومندوبها فى سورية بعدها هو الذى أوحى بفكرة «لبنان الكبير» وهو الذى دعا اليها لأنه كان يرى صعوبة فى الاستيلاء على سورية الداخلية فتكتفى فرنسا بلبنان بعد أن تكون وسعت حدوده وأراضيه

ولعل النتيجة التى اسفر عنها الاستفتاء هى خير عمل يمكن تسجيله لما عمل فى ذلك الدور فقد اتفقت كلمة الأمة السورية بما يشبه الاجماع على المطالبة باستقلال سورية التام وبانشاء دولة سورية متحدة يرأسها الامير فيصل وبرفض مطالب الصهيونية فى فلسطين وبطلب مساعدة أميركا فاذا لم تقبل فانكلترا وقد نشرنا تقرير اللجنة برمته فهو من أعظم الحجج التاريخية وهو ينقض دعوى المدعين بأن الأمة العربية السورية كانت تعمل للدخول تحت حماية دولة من الدول أو تفضل هذه على غيرها

وبينما كان الامير يترقب أخبار باريس بوصول اللجنة وتقديم تقريرها الى مؤتمر الصلح ليصدر قراره بموجبه ، فوجىء ببرقية من الحكومة الانكليزية تستعجله بالقدوم الى باريس وكان اللورد اللنبي قد سبقه اليها ، فأبحر على الفور ولكنه لم يصل الا بعد فوات الآوان أى بعد عقد اتفاق باريس وقد وافق فيه الانكليز على استرداد جيوشهم من الاراضى التى تقضى معاهدة سايكس - بيكو بأن تكون خاضعة لفرنسا بما فى جملتها كيليكية والساحل السورى ، على أن تستثنى من ذلك ولاية الموصل ، وقد فاز الانكليز بها ، ولواء الكرك فى داخل الدولة السورية (امارة شرقى الاردن الحاضرة) ولم يجل عنها الجيش البريطانى ، أما المدن الاربع فقد ظلت من دون احتلال على أن يتم الاتفاق

بشأن مصيرها بين الأمير والحكومة الفرنسوية مباشرة

وقد احتج الأمير على هذا الاتفاق ولم تخف عليه خطورة شانه وقصد لندن على الفور ليطالب الانكليز بالوفاء فاشاروا عليه بالتفاهم مع فرنسا ، فعاد الى باريس ثانية بعد ما تبين عدم فائدة الاقامة فى لندن وأدرك أن الانكليز تخلوا عنه مقابل الموصل وفلسطين وشرق الاردن ، وانصرف على أثر عودته الى معالجة الحالة التى نشأت عن الجلاء وأعلن أنه لا يوافق بوجه من الوجوه على احتلال الفرنسويين للاقضية الأربعة وهى البقاع وبعلبك وحاصبيا وراشيا فقد ألحقت بموجب معاهدة سايكس ـ بيكو بلبنان الكبير مع انها كانت من أعمال ولاية دمشق فى العهد التركى وقد وضعت الدولة العربية الجديدة يدها عليها فى ختام الحرب . وقد دارت مفاوضات عديدة بين الأمير والفرنسويين انتهت بالاتفاق على أن تكتفى الحكومة الفرنسوية بارسال ضابط ارتباط الى بعلبك ومثله الى راشيا وأن يعدل عن احتلالهما . وكان لفرنسا ضابط ارتباط فى دمشق وآخر فى حلب . ولابد لنا من القول ان الفرنسويين طلبوا فى أوائل عهد الاحتلال أن يكون لهم ضابط ارتباط فى حمص وآخر فى حماه فلم تجبهم القيادة البريطانية الى طلبهم.

وظهرت العصابات فى هذا الدور وقد لانعدو الصواب كثيرا اذا قلنا انه لم يكن لحكومة دمشق يد فى انشائها وتكوينها وأول ماظهرت فى جبال النصيرية وفى جبل عامل وفى سهل البقاع ولا نشك فى أن لأعمال بعض الموظفين الفرنسويين يدا فى تكوينها وانشائها فقد جاروا على النصيرية وكانوا فى خلاف مع جيرانهم الاسماعيليين وتعصبوا لهؤلاء وساقوا القوى على النصيرية لقتالهم واخضاعهم فوقفوا فى وجههم وقاتلوهم . وحدث مثل ذلك تقريبا فى الحولة فقد اعتدى بعض الجنود على العربان فدافعوا عن أنفسهم وبدلا من أن يعالج ولاة الأمور المحليون هذه الحادثة بالحكمة والروية ساقوا القوى والمدفعية فحرقوا القرى وخربوا المنازل والدور فكان ذلك فاتحة ذلك النضال العنيف فى جبل عامل وقد امتد بضعة أشهر. أما حوادث البقاع فقد نشأت عن محاولة بعض الشبان المتحمسين منع ضابط الارتباط الفرنسوى من الدخول الى بعلبك ـ حسب الاتفاق الجديد ـ واعادتهم له وبدلا من أن يعمل الفرنسويون لحل الخلاف مع حكومة دمشق جردوا قوة كبيرة بقيادة الجنرال دى لاموط تقدمت لاحتلال بعلبك فتجمع الأهالى لقتالها وقاوموها مدة ولكنها

تغلبت عليهم ودخلتها . ونحن فى غنى عن القول أن المنكوبين فى هذه الحوادث الثلاث لجأوا الى دمشق يسألون حكومتها العون والمساعدة وأن تأخذ بيدهم فلم تر أن تتغاضى عنهم وقد نكبوا فى سبيل وطنهم ، فأجرت عليهم الرواتب والأعطيات فشجعهم ذلك فعادوا ثانية الى بلادهم طلبا للثأر والانتقام فكانت فاتحة حروب العصابات وقد اتسع نطاقها تدريجا بعد ذلك فأزعجت حكومة دمشق وحكومة بيروت على السواء وألحقت بالبلاد وسكانها فادح الأضرار

وتقدمت المفاوضات فى خلال هذه المرحلة تقدما يذكر بين الأمير والفرنسويين وتم الاتفاق على مشروع معاهدة تحدد العلاقات بين سورية وفرنسا وقد حمله فى وطابه وعاد به الى دمشق . وبدلا من أن يدعو المؤتمر السورى ويعرضه عليه فى جلسة علنية أوسرية ويطلب منه اصدار رأيه فيه سلبا أو ايجابا اكتفى بعرضه على أعضاء جمعية العربية الفتاة ، فأجمعت كلمتهم على رفضه وقد فصلنا ذلك تفصيلا فكف عن عرضه على الهيئات الأخرى ، ولو فعل للقى تأييدا فى الغالب وبينما كان يضرب أخماسا فى أسداس ويفكر فى اختيار الطريق الذى يسلكه فلا هو قادر على المضى فى الاتفاق نهائيا مع الفرنسويين سيما وقد خذله الانكليز وتخلوا عنه فى نفس الوقت الذى خسر فيه الرئيس ولسن نفوذه ومقامه وقد كان عضده الأكبر والمستند الذى يستند اليه ، ولاهو قادر على مجافاة اخوانه الوطنيين الذين عملوا معه منذ ابتداء الحركة وأخلصوا الخدمة والتخلى عنهم ، والتعاون مع الفرنسويين لأنه ما كان يجهل أن اتفاقه معهم قد يعرضه لعداء أولئك وخصومتهم سيما ولم يكن واثقا من اخلاص الفرنسويين ولا معتقدا فيهم الوفاء بعد كل ماجرى - نقول بينما كان على هذه الحال أوحى اليه بعض رجال سورية النازحين الى مصر أن الطريقة المثلى لحل القضية السورية هى اعلان استقلال سورية وانشاء دولة فى ربوعها وجعل أوربا أمام حالة مبرمة لاترى لها بدا من التسليم بها وان عارضت فى الابتداء ، فلقيت هذه الفكرة ارتياحا وماهى الا أيام حتى نفذت فاجتمع المؤتمر السورى وأعلن الاستقلال ونادى به ملكا على البلاد وانشأ حكومة برلمانية دستورية ، وألف لجنة لوضع دستور مستمد من أحدث المبادىء

العصرية . ولقد قوبل ما تم بعدم الارتياح من جانب الانكليز والفرنسويين وأبلغوا الأمير أنهم لا يقرونه ولا يوافقون عليه . ولم تمض خمسة أسابيع حتى اجتمع مؤتمر الحلفاء فى سان ريمو فقرر تجزئة البلاد العربية بين انكلترا وفرنسا فاختص هذه بالشام ساحلا وداخلا كما اختص تلك بالعراق وفلسطين فأثار ذلك ثائر الشعب وقام الناس فى دمشق وبغداد والقدس وحلب وبيروت ومكة وقعدوا لهذا النبأ الخطير وعدوه برهانا حسيا على تمسك باريس ولندن باتفاق سايكس – بيكو واصرارهما على تنفيذه واقتسام بلاد العرب فسرت فكرة الدفاع وأجمع الرأى العام على المطالبة باعداد القوى لمقاومة قرار المؤتمر وكان العراق يتمخض بثورته وكان الترك ينازلون الفرنسويين على حدود سورية الشمالية . وماهى الا أيام حتى استقالت أو أقيلت الوزارة الركابية وحلت محلها الوزارة الأتاسية وقد جعلت الدفاع شعارا لها ونادت بأنها من الدفاع والى الدفاع وأنها لم تؤلف الا للدفاع

ولاريب أن منطوق كلمة الدفاع يوحى باعداد المعدات وشراء الأسلحة وحشد الجند واكمال التأهبات فهل فعلت الوزارة الدفاعية شيئا من ذلك ؟ وهل أعدت المعدات المطلوبة وهل قصرت فى أداء الواجب أم لم تقصر هذا ما نحاول الاجابة عنه هنا مشيرين بحثا لم يثر حتى الآن . فقد لا يخلو ذلك من فائدة وقد يساعد على تنوير الرأى العام فيذكر للمحسن إحسانه وللمقصر تقصيره

والكلام على الدفاع وشؤون الدفاع يجر الى البحث عن وزارة الحربية فى الدولة الفيصلية وعن الذين تقلدوها فى ذلك العهد وهم أربعة أولهم ياسين الهاشمى وآخرهم يوسف العظمة وبينهما مصطفى نعمت ورضا الركابى وعبد الحميد القلطقجى فقد تقلد الهاشمى هذه الوزارة على أثر انشاء الحكومة الجديدة فى شهر اكتوبر سنة ١٩١٨ وكانت تسمى رئاسة ديوان الشورى الحربى وظل يديرها حتى قبض عليه الانكليز ونفوه الى الرملة (فلسطين) يوم ٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٩ فحل محله بالوكالة مصطفى نعمت وظل يتقلدها حتى يوم ٢٧ يناير سنة ١٩٢٠ ففيه عين على رضا الركابى مديرا للحربية (حلت محل ديوان الشورى الحربى) . وقد ظل فى هذا المنصب حتى ألف وزارته يوم ٨ مارس من تلك السنة فتقلد هذا المنصب اللواء عبد الحميد القلطقجى

وظل فيه حتى يوم ٣ مايو سنة ١٩٢٠ فحل محله يوسف العظمة . وعلاوة على هذا فقد تقلد يوسف منصب رئاسة هيئة أركان الحرب للحكومة العربية من يوم ٢٨ يناير سنة ١٩٢٠ أى يوم انشاء مديرية الحربية وتعين رضا الركابى مديرا لها . ومعنى ذلك أن يوسف بحكم تقلده رئاسة هيئة أركان الحرب أولا ووزارة الحربية أخيرا سيطر على هذه الوزارة زهاء ستة أشهر ونيف كان فيها الآمر الناهى سواء فى زمن رئاسة هيئة أركان الحرب أو وزارته فقد كان الكل فى الكل وكان يستمد السلطة من الملك مباشرة . أى أن هذه الوزارة انحصرت فى يد هذين الاثنين : الهاشمى والعظمة وهما المسؤولان عنها مباشرة هذا تقلدها ١٤ شهرا ونيفا وذاك تقلدها ٦ أشهر فلننظر فى ما أعداه من عدد وتدابير

لقد سرح الهاشمى فى زمن رئاسته الجيش الشمالى (جيش الثورة) وانشأ المؤسسات الفنية فأعاد المدرسة الحربية كما نظم مكاتب الديوان ومصالحه ووضع القواعد والأسس لانشاء ثلاث فرق . ولما كانت الخدمة العسكرية اختيارية فى هذا العهد فقد كان عدد الجيش العامل كله لايزيد عن ثلاثة آلاف كما أن مخازن الجيش ظلت فارغة من البنادق والمدافع والذخائر تقريبا فلم يعر هذا الأمر مايستحقه من اهتمام فى حين أن الأموال كانت متوفرة لدى تلك الحكومة فقد كانت تتناول من السلطة البريطانية خلال السنة الاولى ١٥٠ ألف جنيه شهريا فى حين أن عدد الضباط الفنيين لم يكن غير قليل وكانت رواتبهم تستغرق معظم ميزانية وزارة الحربية

وكان منطق الحوادث يوجب على وزارة الحربية أن تعنى فى العهد الثانى ــ عهد يوسف العظمة وقد جىء به من بيروت لينظم الجيش وأطلقت يده فى العمل ومنح سلطة لاحد لها ــ بالاصلاح والتنظيم واعداد المعدات للكفاح سيما بعد ما تبدل الحال وظهرت نيات الانكليز والفرنسويين وتبين اتفاقهما وثبت أنهما يعملان سوية لاقتسام البلاد وتنفيذ خططهما وارتفعت الأصوات من كل ناحية باعداد معدات الدفاع والاستعداد للنضال والكفاح

والعمل البارز الذى عمله يوسف العظمة فى هذه الفترة استصداره قانون الخدمة الاجبارية وقد نشر فى شهر مارس أى بعد تقلده الرئاسة فارتفع بذلك مجموع

الجيش الى ثمانيـة آلاف بدلا من ثلاثة . أما التسليح فقد أهمل فى هذا العهد كما أهمل فى العهدالسابق وظلت مخازن الجيش فارغة وظلت معداته ناقصة . فما كان يملك أكثر من ١٥ ألف بندقية ونحو ٥٠ مدفعا . ويجب أن لا ننسى أن هذه البندقيات كانت مختلفة الطراز ومثلها المدافع . أما القذائف فكانت قليلة جدا ومثلها القنابل وما كان عددها يزيد عن ٢٥٠٠ قنبلة بنسبة ٥٠ لكل مدفع و٢٥٠ قذيفة لكل بندقية . ومن الغريب أنه لم يعر أحد من رجال تلك الدولة ولا من أقطابها قضية التسليح اهتماما ولم يدر أى بحث بشأنها ولعل منشا ذلك ما كان يتمتع به اللذان قاما على رأسها من ثقة كبيرة

ولما بدأ الفرنسويون بحشد قواهم العظيمة فى بيروت واسكندرونة استعدادا للضربة الكبرى وجاءت الأخبار الرسمية الى مصلحة الاستخبارات فى الجيش بأن الفرنسويين نقلوا معسكراتهم من ضهور الشوير الى المريجات ثم تقدموا الى البقاع ، وضعت هذه المصلحة تقريرا مفصلا عن الحالة العسكرية اقترحت فيه اخلاء جميع المناطق فى داخل البلاد وحشد الجيش كله فى حوران ، تحت ستار القيام بمناورة كبيرة والعناية باعداد جيش لايقل عن خمسة عشر ألف جندى ، ليتسنى الدفاع وقالت ان بقاء قوى الجيش مبعثرة فى حلب وحمص وحماه يضعفها ويؤدي الى القضاء عليها ولما تلى هذا التقرير فى جلسة مجلس الوزراء يوم ٢٩ يونيو أى قبل وصول الانذار النهائى بخمسة عشر يوما فقط قرر المجلس عدم الأخذ به لأنه يزعج الفرنسويين ويفتح بابا للقيل والقال فأهمل وظل كل شيء على حاله . وبعد انقضاء أيام قليلة على هذا الحادث زار قنصل ايطاليا فى دمشق جلالة الملك وقال له ان المعلومات الرسمية التى تلقاها تثبت له أن الفرنسويين يملكون فى سورية نحو ٧٠ ألف جندى وأنهم يريدون احتلال دمشق وأن قواهم الكبرى محتشدة فى اسكندرونة

ولم ينكشف أمر الجيش الا بعد ١٥ يوليوسنة ١٩٢٠ أى بعدوصول انذار الجنرال غورو ولم يكلف أحد نفسه مؤونة البحث عن حالته وربما عد ذلك من الأسرار العسكرية الخطيرة التى لا يجوز لأحد الاطلاع عليها . ونعتقد أنه لولا الهاشمى لظل أيضا أمره مكتوما

فقد اغتنم فرصة تعيينه لقيادة منطقة دمشق فذهب الى الأمير زيد وأطلعه على الحالة كما وصفنا من قبل فذهب الى أخيه فدعى المجلس الحربى الى الاجتماع ، ولما عرف يوسف العظمة ماوقع « قال لقد كشفنا ياسين وانتهى كل شئ ولم يعد بامكاننا أن نعمل شيئا » ثم اعترف بعد ذلك لجلالة الملك بانه كان « يناور » وأنه ما كان يعتقد أن الحالة ستصل الى حرب مع الفرنسويين . ولا ريب أن ظهور ماظهر زاد الفرنسويين صلابة وشدة وما كانت تخفى عليهم خافية مما يجرى فى مكاتب دمشق كما اضطر الحكومة الى قبول الانذار على المنوال الذى بسطناه مما أدى الى وقوع تلك الكارثة المريعة ، وقد كان فى الامكان اتقاؤها لو سارت الأمور فى غير هذا الاتجاه ولو رسمت تلك الحكومة لنفسها خطة تسير عليها وتنفذها بعد اتفاق الفرنسويين والانكليز نهائيا و بعد صدور قرار سان ريمو بدلا من الاستسلام الى تيارات متناقضة وآراء متباينة فقد كان رجال تلك الحكومة وخصوصا الوزارة الاتاسية مزيجا من عناصر متباينة فمنهم الدفاعى المتطرف الذى لايرضى بما دون طرح فرنسا فى البحر ومنهم المستسلم الذى يرى ان السلامة كل السلامة هى فى قبول الانتداب والتسليم للفرنسويين والجلوس فى أحضانهم . يؤيد ذلك قبول معظمهم العمل فى الوزارة الدروبية التى تألفت غداة ميسلون لتنفيذ مبادئ الانتداب فقد كان رئيسها عضوا نافذا فى الوزارة الدفاعية وكان يتقلد منصب وزارة الداخلية وهو من أكبر المناصب وقل مثل ذلك عن كثيرين من رجال ذاك العهد . والذين رفضوا التعاون مع الفرنسويين هم عصبة قليلة جدا و يعدون على الأصابع

هذا من جهة واحدة أما من جهة الأخرى فيجب أن نعترف بأن الفرنسويين نشطوا نشاطا زائدا فى خلال الدور الثانى أى بعد اتفاقهم مع الانكليز واطلاق يدهم فى العمل و بعد صدور قرار مؤتمر سان ريمو وانسحاب الاميركان، الى نشر الدعاية وانفاق الأموال والاستكثار من الأنصار والأعوان وشراء الذمم والضمائر . و يقدر بعض العارفين ماأنفقه الفرنسويون على الدعاية وحدها فى تلك الفترة بثلاثمائة مليون فرنك نحو ثلاثة ملايين جنيه بعملة ذاك العهد ، اشتروا بها ضمائر كثيرين من ذوى المقامات ، كما استمالوا آخرين بالوعود التى بذلوها لهم ، فكانت لهم لجنة كبيرة فى دمشق تعمل باشراف معتمدهم

مهمتها تثبيط العزائم ونشر الدعاية الفرنسوية واستمالة الجماهير وكانت تضم عددا غير قليل من وجهاء ذاك العهد وأقطابه وبعض المقربين من الملك وحاشيته . وقد استمالت عددا من كبار الموظفين ، كما كان لهم أنصار فى داخل الجيش وكان هنالك شيخ من شيوخ الطرق نصب نفسه لنشر الدعاية الفرنسوية فاستمال بعض المرتزقة من الشيوخ وكان نطاق حركتهم فى حلب أعم وأوسع وشبكة اصطيادهم أكبر . وكذلك استمالوا بالأموال الوافرة التى بذلوها أسرا كبيرة فى قضاء الزبدانى وفى البقاع لا فرق بين السنيين والشيعة وأرسلوا عصابة كبيرة الى ميسلون قادها مسلم من وجهاء بيروت وسلحوها بالمسدسات والقنابل غرضها الظاهر التطوع فى الجيش الوطنى لمقاتلة الفرنسويين ومهمتها الحقيقية القاء الذعر والاضطراب فى الجيش واغتيال الضباط وارشاد الطيارات الى أماكن المدفعية وقد اعتقل رجالها فى حالة الجرم المشهود ووضعت الأصفاد والأغلال فى أعناقهم وأرجلهم وأرسلوا الى دمشق لمحاكمتهم وكذلك قبض على آخرين وهم يقطعون الاسلاك التلفونية والبرقية بين دمشق وميسلون وبينها وبين المناطق الأخرى يوم الزحف الفرنسوى واستمالوا عددا غير قليل من زعماء الدروز فى حوران فكان نصف الجبل فى أيدى أنصارهم تقريبا ، واستمالوا عددا من مشايخ الحورانة ومن شراكسة القنيطرة وحمص ومن الصحافيين والضباط وبعض النواب وهكذا شقوا الصفوف وثبطوا الهمم وألقوا الاضطراب والذعر بما بثوه من دعايات منظمة وقد وجهت الى الحكومة القابضة على ناصية الحال يومئذ انتقادات شديدة لاهمالها وتراخيها فلم تغن فتيلا

فاذا أضفنا هذه العوامل الى التردد الذى كان يسود دوائر الحكومة وعدم وجود سياسة صريحة ثابتة لها فقد كانت تتظاهر آونة بالميل الى الفرنسيس ثم تعرض عنهم ثم تنادى بأنها دفاعية من دون أن تعد للدفاع عدته، ثم تقبل انذار الفرنسويين ثم ترفضه ثم تعلن الحرب عليهم ثم تنكره ثم تسعى للتقرب اليهم ـ أدركنا السر فى سقوطها فحالة مثل هذه لايمكن أن تدوم وحكومة كهذه الحكومة لايمكن أن تعيش فلا بد من انقراضها وهو ماوقع فالبقاء للأصلح والأفضل سنة الله فى خلقه . وزاد الطين بلة انهزام الأمير عبد الله بن الحسين فى تربة يومئذ والقضاء على ما للحكومة الهاشمية من قوى والتجائها الى الانكليز لرد ابن سعود عن مكة مما أفقدها كل هيبة ومقام واطمع الفرنسويين فزادوا فى الضغط

على فيصل ومضوا فى تنفيذ خطتهم لاعتقادهم انه أصبح وحيدا لاسند له فلا حكومة مكة قادرة على انجاده ومساعدته بعد ما أضاعت كل شيء ولا الانكليز يمدون اليه يدا بعد ما باعوه ببترول الموصل وأموال اليهود ، ولا هو قادر على ضبط الموقف فى دمشق بعد ما أفلت من يده لما كان يغشى سياسته من اضطراب كما أن حالة الجيش ما كانت تمكنه من مواصلة القتال والصدام بعد ماتبين أن مخازنه فارغة وأن كل مايملكه من عتاد لايكفى لمعركة واحدة تمتد بضع دقائق وأن المسؤولين عنه قصروا فى اعداده وتنظيمه

فهذه الاعتبارات وغيرها عجلت فى يوم ميسلون وألبست العرب ثوب الحداد على دولة كانت يرجى أن يكون لها شأن عظيم فى نهضتهم الحديثة وفى ادراك أمانيهم وكانت النكبة الثانية التى نكبوا بها فى حركتهم الجديدة ، أما الأولى فهى مظالم جمال باشا وقد أفقدتهم نخبة ممتازة من رجالهم الأكفاء المتعلمين الذى كان يرجى منهم خير كبير لأمتهم

ونعيد هنا ماقلناه فى متن هذا الجزء وهو أن اعلان الثورة فى العراق وانتصار الثوار على الانكليز واستيلاءهم على مدن الفرات وقواعده فى نفس الوقت الذى كان فيه الجنرال غورو يقوض حكومة دمشق وما تكللت به هذه الثورة من فوز ونجاح خفف عن العرب بعض آلامهم وأحزانهم وهون مصابهم فقد استبدلوا دولة بدولة ونقلوا مركز العمل من دمشق الى بغداد

ومما لاريب فيه أن قيام الحكومة الفيصلية فى الشام أثر أثرا كبيرا فى العراق وشجع الحركة الوطنية التى ظهرت فى ربوعه وقد كان لرجال هذه الحكومة يد لاتنكر فى تنميتها وتعزيزها سواء بما كانوا ينشرونه من رسائل ومنشورات وسواء بما كانوا يبذلونه من أموال فقد عرفنا من أوثق المصادر أن جمعية العربية الفتاة دفعت للثورة العراقية ٤٥ ألف جنيه ودفع حزب الاستقلال العربى ٢٥ ألف جنيه ودفع الأميران فيصل وزيد مالا يقل عن ٣٠ ألف جنيه لزعماء الحركة السياسية من العراقيين أنفقت على اعداد ثورة العراق وعلى تجهيز العصابات وتأليفها وعلى طبع المنشورات وارسال الرسل

و يرى معظم الذين كتبوا فى الثورة العراقيــة من العراقيين أن الثورة نشات عن عوامل شتى يمكن ايجازها فيما يلى :

١ ـ عدم وفاء الحلفاء للعرب بما عاهدوهم عليه

٢ ـ سوء عمل الادارة العسكرية التى أنشأها الانكليز فى ابان الحرب وتمسكوا بها بعد ختامها

٣ ـ الضغط على الحرية الفكرية وعدم السماح باصدار جريدة وطنية

٤ ـ القاء الحكومة بنفسها فى أحضان الذوات والمتنفذين

٥ ـ انشاء الحكومة الفيصلية فى الشام

٦ ـ اعلان الثورة فى مصر

و يرى كتاب الانكليز الذين كتبوا فى الثورة العراقية غــير ذلك وقد وضع السر ارنولد واسن حاكم العراق السياسى فى زمن الثورة بعد اعتزاله العمل كتابا باللغة الانكليزية « A Clash of Loyalies » دافع فيه عن سياسته وقال انه طلب من حكومته سلطة مطلقة للعمل حينما تفاقم الخطب وتأزمت الحالة فأرسلوا له الجنرال هلدابن قائدا عاما للجيوش البريطانية فى العراق وبدلا من أن يقيم هذا فى بغداد للاشراف على الحالة وانجاز ما يراه لازما من التدابير نزح الى جبال كراند فى ايران هربا من حر الصيف فى العراق واتخذها مقرا لقيادة الجيش

وكذلك طلب تعليمات صريحات من حكومته ينفذها و يسير عليها فلم ينل أجوبة صريحــة وكانوا يقولون له انتظر الى أن يتم عقــد الصلح بيننا و بين الترك واياك أن تقــدم على عمل قبل تقرير الانتداب ، ودارس رغائب الاهالى جيدا . ومما شكا منه فى كتابه قلة عدد الجند فى العراق قبل الثورة فقد كان لايزيد عن ٤٠ ألفا مما أطمع العرب

و وضع الجنرال السر الم هلدين كتابا عن الثورة سماه « الثورة العراقية » فذهب الى أن قيام الحكومة الفيصلية فى الشام وتقلد العراقيين وظائف عالية فيها كان من جملة العوامل فى تكوين الثورة العراقية فقد طمعوا فى انشاء حكومة عربية فى بغداد فشرعوا يبثون الدعوة لاستقلال العراق و بدأت الدعاية تتسرب من سورية الى العراق منذ شهر

ابريل سنة ١٩١٩ فأثرت فى العراقيين ولا سيا فى سكان شواطىء الفرات الأدنى . وعنده أن احتلال دير الزور وتساهل الانكليز بأمره وتسليمه للحكومة الفيصلية كان من العوامل الاصلية فى تكوين الثورة وقال انه قد لا يكون مبالغا اذا اعتقد أنه لو استرد الانكليز هذا اللواء لما حدثت الثورة

وانتقد الجنرال الادارة البريطانية فى ابان الاحتلال انتقادا مرا كما انتقد استخدام ضباط غير مجربين فصلوا من الجيش بعد الهدنة واستخدموا مساعدين للحكام السياسيين ومعظمهم لايعرف الشعب الذى قدر له أن يحكمه واعترف بأن الحكم الجديد وقد كان مبنيا على اختبار سابق فى الهند كان شديد الوطاة على أهل البلاد الذين لم يتعودوا عليه وما كانوا مستعدين لقبوله

وعدد من أسباب الثورة نقمة أصحاب العقار من المسلمين واليهود والنصارى على الحكومة الذين صادرت بيوتهم أثناء الحرب ودفعت عنها أجورا زهيدة بعكس البيوت التى لم تصادر فقد ارتفعت أجورها ارتفاعا زائدا حرم منه أصحاب العقار فنقموا على الحكومة الجديدة وتمنوا زوالها . وكذلك كان شأن أصحاب الاراضى فقد عضدت الحكومة شيوخ القبائل اكتسابا لتعضيدهم فسلبوا الاهالى أراضيهم

وعدد منها أيضا نقمة موظفى الحكومة السابقة لأن الحكومة الجديدة أخرجتهم من وظائفهم، يضاف الى هذا أن رواتب التقاعد التى خصصت لبعضهم كانت ضئيلة

أما المس بيل وهى من أكثر الانكليز تضلعا فى الشؤون العراقية فتقول فى كتابها ان وعود الحلفاء وقيام الحكومة الفيصلية كانا فى مقدمة العوامل التى كونت الثورة . ومما قالته فى هذا الشأن « وطرأت على أفكار العراقيين طوارىء جديدة بعد اطلاعهم على مبادئ ولسن الأربعة عشر وقد أذاعتها شركة روتر يوم ١١ اكتوبر سنة ١٩١٨ فى العراق وعلى منشور الحكومتين الانكليزية والفرنسوية يوم ٨ نوفمبر سنة ١٩١٨ وكان العراقيون قبل ذلك يذعنون لكل قرار يصدر ولكل تدبير يدبر وقد فتح هذا المنشور باب مشكلات عديدة تعذر حلها

« وكذلك جاء انشاء الحكومة الفيصلية فى الشام صغثا على ابالة فقد كان أكثر رجال هذه الحكومة من العراقيين الذين يعتقدون أنهم انما حاربوا فى سورية ليحرروا

وطنهم وكانوا قد ألفوا قبل حرب معان جمعية دعوها جمعية العهد العراقي (١) وكانت غاية هذه الجمعية استقلال العراق واتحاده بسورية المستقلة برئاسة بيت الشريف وكان يديرها ياسين باشا البغدادي الذي أسر عند سقوط الشام (٢) ثم انضم الى الجيش العربي وأخذ على عهدته بث الدعوة الوطنية وايجاد حركة سريعة في العراق ولم تتحقق مقدار مساعدة فيصل لها

«وهنا لك عامل آخر وهو رجوع طائفة كبيرة من الموظفين البغداديين الذين رافقوا الجيش التركي في انسحابه الى الموصل فخلقت لهم الحكومة التركية وظائف اسمية في الموصل ولما رجعوا بعد الهدنة كانوا مشبعين بشعور العداء للانكليز فنشروه »

ومما سمعناه خلال زيارتنا للنجف الأشرف في شهر نوفمبر سنة ١٩٣٣ ولم يسجله كتاب الثورة العراقية وهو في نظرنا من العوامل الجوهرية ماحدث في شهر مارس من سنة ١٩١٩ أي بعد أن بسط الانكليز نفوذهم السياسي على النجف واحتلوا الفرات احتلالا عسكريا فقد استاء الكبتن مارشال أول حاكم انكليزي للنجف لأن بعض الشبان لم يقفوا له أثناء مروره بالشارع العام فأمر باستدعائهم وجلدهم عقابا لهم ، فكبر ذلك عليهم وكان له أسوأ وقع في النفوس ، وكان من أثره أن تآمر بعض النجفيين عليه وقتلوه وقد أشرنا الى هذه الحادثة في مكانها

والخلاصة أن للعراقيين الذين كانوا في سورية بعد الهدنة لافرق بين الذين كانوا في جيش الثورة العربية و بين الذين انضموا اليهم بعد دخول الشام يدا كبيرة في اعداد الثورة وتكوينها سواء باشتراكهم في احتلال دير الزور و بتنظيمهم حركة الجمعيات السياسية العاملة في الداخل ومدها بالأموال وسواء بارسالهم الصحف والمناشير والكتب وتنشيطهم حركة الدعاية ، وسواء بتاليف العصابات وقد كانت أول من فتح باب الحرب وقاتل الانكليز

---

(١) ألفت جمعية العهد العراقي قبل الحرب العظمى ثم جددت بعد ختامها وقد نشرنا تاريخها « انظر ص ٤٦ من المجلد الأول وص ٢١ من الثورة العراقية في هذا المجلد »

(٢) كان ياسين باشا حين حروب معان قائدا للفيلق التركي الثامن الذي يقاتل الانكليز في شونة نمرين (وادي الشريعة) وقد ارتد مع الترك حين انسحابهم في سبتمبر سنة ١٩١٨

فى شمالى العـراق وانتصر عليهـم . وأدار الفراتيون رحى الثورة وقاموا بأعبائها عند ما نادى مناديها وقام سوقها فلم يحجموا ولم يتقهقروا وقاتلوا واستبسلوا ولم يلقوا السلاح الابعد مانالوا عهودا صريحة من الانكليز باجابة مطالب البلاد وتحقيق أمانيها واقامة حكومة عربية فى ربوعها ولا نرتاب فى أنه لولا هـذه الثورة لما عدل الانكليز شيئا من خططهم وأساليبهم ولأبقوا النظام الادارى القـديم الذى أنشأوه ولأرغموا العراقيين على قبوله وألفوا حكومة انـكليزية يرأسها السر برسى كوكس طبقا للتعليمات التى صـدرت فى سنة ١٩١٨ . بيد أن الصدمة التى صدموا بها والفشل الذى لحق بهم جعلهم يعدلون عن هذه السياسة ويميـلون الى التساهل مع العرب لارضائهم من ناحيـة وللتخلص من النفقات الباهظة التى كانوا ينفقونها من جهة أخرى فقد بلغت فى سنة ١٩٢٠ – ١٩٢١ نحو ١٢٥ مليون جنيه وزعت كما يأتى :

١ – ٥٥ مليون جنيه نفقات الجيش العادية

٢ – ٢٩ مليون جنيه ونصف مليون لنفقة الحرب

٣ – ٤٤ مليون جنيه ونصف مليون لتجهيز الجيوش المحتلة

وقد خفضت هـذه النفقات فى السنة الأولى لانشاء الحكومة الوطنية الى ٣٠ مليونا من الجنيهات للجيش وخمسة ملايين للادارة المدنية . وخفضت فى السنة الثانية الى عشرين مليونا وظل التخفيض مستمرا سنويا على هـذه النسبة ولا يزيد فى الوقت الحاضر عن بضع عشرات من الألوف ينفقونها على المطاردين فى الحبانية وفى منطقة البصرة

ومع ما ناله العـرب من فوز فى العـراق بانشائهم هـذه الدولة فى ربوعه الا أن مااستردوه فى بغداد لايعادل ماخسروه فى دمشق ومعنى ذلك ان كفة الفوز والنجاح لم تـكن هى الراجحة فى خـلال المرحلة الثانيـة من مراحل القضية العربية . نعم ان انشاء هـذه الدولة وقيامها مما لا يستهان به ولـكنه على كل حال لا يعادل نـكبة ميسلون وقد قسمت على أثرها سورية الى ست دويلات : دولة فلسطين وامارة شرقى الاردن ودولة لبنان الـكبير ودولة دمشق ودولة جبل الدروز ودولة العلويين ودولة حلب وتوطدت أقدام اليهود فى فلسطين ولو فاز العرب فى ذاك الميدان وثبتوا لما حدثت هذه الحوادث المريعة والأمر لله من قبل ومن بعد

فهرست المجلد الثانى

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

الثورة العراقية الكبرى

صفحة

صفحة

حاضر العالم الإسلامي

تأليف

لوثروب ستودارد

ترجمة

الأستاذ عجاج نويهض

علق عليه وضاعف حجمه بحواشيه القيمة

الأمير شكيب أرسلان

أكبر دائرة معارف اسلامية عربية شرقية ظهرت باللغة العربية جامعة لأحوال الشرق الأدنى والعرب ابان عزهم وأسباب فشلهم واضمحلالهم وتأخرهم . خير مرجع تاريخي عن أحوال الاستعمار والمستعمرين والمستعمرات ، وفيه يرد الأمير شكيب أرسلان على المبشرين والمستشرقين المغرضين منهم والمنصفين ، وبه خلاصة عن جميع الأمم العربية والشرقية

أحسن القصص

للاستاذ المربى على أفندى فكرى

الأمين الأول ورئيس المغيرين بدار الكتب المصرية

الجزء الأول

يشمل مختصر قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام المذكورين فى القرآن الكريم وهم : آدم ـ ادريس ـ هود ـ شعيب ـ داود ـ سليمان أيوب ـ يوسف ـ هارون ـ زكريا ـ يحيى ـ اسماعيل ـ يونس . الى آخره

الجزء الثانى

يشمل مختصر سير أولى العزم من الرسل وهم :
نوح ـ ابراهيم ـ موسى ـ عيسى ـ محمد صلى الله عليهم وسلم

الجزء الثالث

يشمل مختصر سير الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم

الجزء الرابع

يشمل مختصر سير أئمة الدين وبعض الصالحين

الجزء الخامس

يشمل مختصر سير أمهات المؤمنين وبعض الشهيرات من النساء المسلمات

ملوك الطوائف

للعلامة دوزى مترجم بقلم الأستاذ كامل كيلانى

